النشرات الاسلامية ٣١

تاريخ الملك الظاهر

تأليف

عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد
(٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)

باعتناء

أحمد حطيط

يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م



تاريخ الملك الظاهر

النشرات الإسلامية

أسسها هلموت ريتر

يصدرها

جمعية المستشرقين الألمانية

إسطفان ڤيلد وَ غرهوت رُوتر

جزء ٣١

تاريخ

الملك الظاهر

تأليف

عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد
(٦٨٤هـ / ١٢٨٥

باعتناء

أحمد حطيط

يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية التابعة لألمانيا الاتحادية
بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت
على مطابع مركز الطباعة الحديثة في بيروت

الإهداء

إلى إلهام ومعروف ومروان

أ. ج.



تمهيد

لم أكن مقدراً لأهمية تحقيق مخطوط في التاريخ الإسلامي الوسيط حتى حصل اللقاء الأول بيني وبين الأستاذ كلود كاهين (Claude Cahen) ، حيث عرضت عليه تصميماً مفصلاً لموضوع اعتبرته جديراً أن يكون مركز اهتمام لاعداد رسالتي للدكتوراه ، والذي أردته استكمالاً لبحث كنت قد نلت به شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي من كلية التربية بالجامعة اللبنانية . لكن الأستاذ كاهين ، مع تقديره لأهمية ذلك البحث ، لفت نظري إلى ضرورة تحقيق مخطوط من التراث الإسلامي يتناول سيرة للملك الظاهر بيبرس ، أحد سلاطين المماليك العظام ، للمؤرخ عز الدين ابن شداد ، مؤكداً أن لهذا المخطوط أهمية اكتسبها لكونه أولاً وثيقة تاريخية اعتمدها العديد من المؤرخين المتأخرين في تأريخهم لحقبة رئيسية من العصر المملوكي ، وثانياً لأنه النسخة الوحيدة (١) المتبقية من المخطوط .

فكرت ملياً ، في بادئ الأمر ، لكنني شعرت ، بعد تردد ، أن من واجبي أن أتصدى للأمر ، اقتناعاً مني أنني بذلك أقدم مساهمة ، ولو متواضعة ، في إحياء التراث وإبراز بعض معالم الحضارة العربية ، لا سيما ونحن في مرحلة أحوج ما نكون فيها إلى الكثير من العمل الجدي الدؤوب لكي نوفر للبحث العلمي أصوله الضرورية .

وبتأثير هذا الإحساس عكفت على تحقيق هذه الوثيقة ، باذلاً في سبيل ذلك كل جهد في البحث والتنقيب والتمحيص ...

وفي هذا الإطار لا بد لي من أن أوجه الشكر الجزيل للمستشرق البروفسور كلود كاهين لما أسداه إلي من نصح وإرشاد ، ثم من تشجيع وتقدير للجهد المبذول . كما

---

(١) هذه النسخة موجودة في أدرنة ـ السليمانية في تركيا ، وما اعتمدناه هو صورة شمسية موجودة في "Institut de Recherche et d'Histoire des Textes à Paris" وقيل أنها بخط المؤلف .

أنني أشكر البروفسور إحسان عباس لتلطفه بمراجعة النص وضبط أوزان الأبيات الشعرية الواردة فيه ، ولتسهيله أمامي سبل الاطلاع على المصادر والمراجع التي تزخر بها مكتبته الخاصة العامرة .

ولن أنسى ما أظهره لي الصديق الدكتور محمد عيسى حماده من استعداد للتعاون الصادق ، على غير ما صعيد ، حتى لقد أثقل كاهلي بما قدمه لي من خدمات في مجالات شتى . كما أنني أثني على الجهود التي بذلها مدير معهد الاستشراق الألماني البروفسور غرنوت روتر ومعاونوه في سبيل إخراج الكتاب .

فلهؤلاء جميعاً ، ولغيرهم ممن قدم لي يد المساعدة ، عاطفة التقدير والامتنان العميق .

بيروت في شهر حزيران (يونيه) ١٩٨١

أحمد حطيط

المقدمة

في العصرين الأيوبي والمملوكي ، شهدت المنطقة العربية صراعاً مريراً بين المسلمين والصليبيين من جهة ، وبين المسلمين والمغول من جهة أخرى ، وحصلت معارك خلّدها التاريخ كمعركة « حطين » التي هزم فيها الصليبيون على يد صلاح الدين ومعركة « عين جالوت » التي انتهت بهزيمة جحافل المغول على يد المماليك ... وبرز سلاطين كبار أمثال صلاح الدين وبيبرس وقلاوون ... فكان طبيعياً أن يحسّ المؤرخون ـ أو بعضهم ـ تجاه هؤلاء نوعاً من الإكبار للبطولة ، ولهذا سطّروا لهم سيراً كانت بمثابة اعتراف بما قدموه من أعمال جليلة وبطولات : فألّفت سيرتان في السلطان صلاح الدين [(١)] ، وسيرتان في الملك الظاهر بيبرس [(٢)] ، وسيرة في المنصور قلاوون [(٣)] وأخرى في ولده الأشرف خليل [(٤)] .

وعاش ابن شداد في ذلك العصر الذي بلغ فيه الصراع بين المسلمين والصليبيين والمغول ذروة الشدة لا سيما مع بدايات النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي / بحيث كانت هذه الفترة بمثابة الأيام العصيبة على المسلمين ، إذ استطاع المغول بقيادة هولاكو ، حفيد جنكيز خان ، أن يستولوا على معظم أقاليم العالم الإسلامي المعروف في ذلك الحين ؛ فلقد قضوا على الدولة الخوارزمية وحطموا قلاع الإسماعيلية ، وأسقطوا بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي ، واستولوا على بلاد الشام بأسرها ، ولم يبق أمامهم إلاّ مصر آخر معقل للإسلام في الشرق .

---

(١) الأولى للقاضي بهاء الدين ابن شداد (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) والثانية لعماد الدين الأصفهاني (الفتح القسي في الفتح القدسي) .

(٢) الأولى ألفها محيي الدين بن عبد الظاهر (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) واختصرها من بعده شافع بن علي (المناقب السرّية في السيرة الظاهرية) والثانية ، موضوع دراستنا ، للمؤرخ عز الدين ابن شداد .

(٣) و (٤) كتبهما ابن عبد الظاهر .

وهال المسلمين ما حل بهم من نكبات ، فرأوا في القتال ضد المغول ضرورة حتمية يتوقف عليها مصير ما تبقى لهم من وجود ، فكانت وقعة عين جالوت بمثابة المعركة الفصل التي انتهت بهزيمة المغول وانحسارهم نهائياً عن بلاد الشام ، وكانت عين جالوت أبعد نقطة في سوريا وفلسطين باتجاه مصر .

ومنذ ذلك الحين حفل التاريخ الإسلامي بانتصارات متلاحقة على الصليبيين والمغول حتى تحقق طرد الصليبيين من بلاد الشام سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠ م ، وإبعاد الخطر المغولي الذي كان ما يزال يلوح في الأفق ، بين الحين والحين .

في ظل هذه الأحداث الدامية ، وعلى مقربة منها ، كان ابن شداد شاهد عيان لها يعرف دقائقها وتفاصيل أمورها ، ولهذا كان لما يكتبه عنها قيمة تاريخية بالغة .

أولاً : ابن شداد مؤلف السيرة

١ ـ حياته ومصادر ترجمته :

هو عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم [١] بن شداد بن خليفة بن شداد بن إبراهيم بن شداد ، أبو عبد الله الأنصاري الحلبي ، مؤرخ جغرافي . ولد بحلب في السادس من ذي الحجة سنة ٦١٣ هـ / آذار ١٢١٧ م ، وعاش فيها حتى كان الغزو المغولي لحلب سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م وجفل الناس منها ، فهرب مع من هرب ، ولجأ إلى الديار المصرية [٢] ، وانخرط في خدمة السلطان الملك الظاهر بيبرس إلى أن توفي بمصر في السابع عشر من صفر سنة ٦٨٤ هـ / نيسان ١٢٨٥ م ، ودفن بسفح المقطم .

ويبدو أن نسب مؤرخنا لبني شداد قد أوجد التباساً بينه وبين معاصره القاضي

---

(١) في اليونيني (ذيل مرآة الزمان ، الجزء الرابع : ٢٧٠ ـ ٢٧١) والذهبي (العبر ، الجزء الخامس : ٣٤٩) واليافعي (مرآة الجنان ، الجزء الرابع : ٢٠١) « محمد بن إبراهيم بن علي ... » على تقديم وتأخير في الأب والجد ، وما أثبتناه هو ما ورد عند المؤرخ نفسه في كتابه الأعلاق الخطيرة ١/١ (تاريخ حلب) : ١ .

(٢) ابن شداد ، تاريخ حلب : ٢ .

بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شداد [١] المؤرخ الحلبي المشهور الذي حظي بنفوذ وصيت لا يدانيه فيهما أحد من المؤرخين المعاصرين له ، وقد استمد ذلك من موقعه القريب من السلطان صلاح الدين الكبير ، وساهم أيضاً في ذلك الالتباس اشتراك المؤرخين في كتابة السيرة السلطانية ، على الرغم من الزمن البعيد الذي يفصل بين الحقبة التي أرّخ لها كل منهما .

ولم يكتب عز الدين ترجمة لنفسه ، كما فعل الكثيرون من أنداده المؤرخين [٢] ، الأمر الذي جعلنا لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى ؛ فكل ما نعرفه عنه أنه ولد في حلب وعاش فيها ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « ... وأبدأ بذكر جند حلب لكونها مسقط راسي ومحل أنسي وناسي ... والدار التي صبحت بها الشباب غضّاً جديداً ... وعاشرت من لم يزل للمحفل صدراً وللجحفل قلباً ... » [٣] . أما من ترجم له من المؤرخين فقد جاءت ترجماتهم موجزة بالرغم من المكانة الرفيعة التي كانت له في عصره ، ودليلنا على سمو تلك المكانة ما قاله فيه زملاؤه المعاصرون له والمتأخرون عنه ؛ قال فيه اليونيني : « ... وكان له مكانة عند الملك الظاهر ركن الدين (بيبرس) والملك المنصور سيف الدين (قلاوون) ... وحرمته وافرة وله توصّل ومداخلة وعنده بشر كبير ومسارعة إلى قضاء حاجة من يقصده » [٤] ، وكرر الصفدي [٥] ما قاله اليونيني ، وترجمه الذهبي

---

(١) ولد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م وتوفي بحلب سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م دون وريث . أبرز مؤلفاته التاريخية سيرة كتبها للسلطان صلاح الدين الكبير .

Gamal el-Din el Shayyal: art. "Ibn Shaddād", EI 2, III, p. 958A-959A.

(٢) بعد ذكر ترجمته يخلص السيوطي إلى القول : « ... وإنما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداءً بالمحدثين قبلي ، فقلّ أن ألّف أحد منهم تاريخاً إلاّ وذكر ترجمته فيه ، وممن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور وياقوت الحموي في معجم الأدباء ... وأبو شامة في الروضتين » . السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١ : ١٥٥ .

(٣) ابن شداد ، الأعلاق ١/١ : ٣ .

(٤) اليونيني ٤ : ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٥) الصفدي ، الوافي بالوفيات ٤ : ١٨٩ ـ ١٩٠ .

بـ « الرئيس المنشئ البليغ » [١] ، وقال فيه ابن كثير : « ... وكان فاضلاً مشهوراً ... معتنياً بالتاريخ » [٢] ، وترجم له ابن الفرات فقال : « كان الصاحب الوزير المشير عز الدين فاضلاً ، ديّناً ، مؤرخاً ، رئيساً ، مُعَظَّماً عند الأمراء ، محبوباً إليهم » [٣] .

وترجم له من المستشرقين الأستاذ كلود كاهين (Cl. Cahen) حيث قال فيه : « ابن شداد الجغرافي ... كان مديراً لمالية حرّان حوالي سنة ٦٤٠ هـ . أرسله الملك الأيوبي الناصر صاحب حلب بسفارة لدى هولاكو سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، وعند اجتياح المغول للبلاد ذهب ليستقر في القاهرة حيث عاش محاطاً برعاية السلطان (بيبرس) وتقديره ... » [٤] .

وقال فيه المستشرق كراتشكوفسكي : « ... أصله من حلب ، وقد شغل منذ شبابه الأول مناصب إدارية لدى الأيوبيين ، وكان يُعد خبيراً في شؤون الميزانية والمالية .. وأخذ طرفاً في النشاط الدبلوماسي لعصره ... هاجر إلى القاهرة وهناك تمتع برعاية بيبرس والسلطان قلاوون » [٥] .

٢ ـ موقعه من الحكام :

يلفت انتباه القارئ لكتاب « الأعلاق الخطيرة » ـ الجزء الثالث ـ تاريخ

---

(١) الذهبي ، العبر ٥ : ٣٤٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ١٣ : ٣٠٥ .

(٣) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ٨ : ٣٣ .

(٤) Cl. Cahen: La Syrie du nord à L'époque des croisades, Index 75 et n. 5.

(٥) كراتشكوفسكي (Novitch Kratchkovski) ، تاريخ الأدب الجغرافي ١ : ٣٦٩ ـ ٣٧١ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . كما ذكره مستشرقون آخرون ، في هذا الصدد انظر : ابن شداد ، الأعلاق ١/١ : مقدمة الناشر ، الصفحة الأولى ، الحاشية الأولى D. Sourdel: art. "Ibn Shaddād". EI 2, III, p. 958 A.
وممن ترجم له من المشارقة الزركلي ، الأعلام ٧ : ١٧٣ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢٩ ؛ وسامي الدهان ، انظر : ابن شداد ، الأعلاق ٢/١ (تاريخ دمشق) ، مقدمة الناشر : ١٣ ـ ٥٥ . كما وردت هذه الترجمة أيضاً في دائرة المعارف (البستاني ٣ : ٢٥٥ ـ ٢٥٨ بقلم الدهان نفسه) وكذلك يحيى عبارة ١/٣ ، مقدمة الناشر : ١٣ وما بعدها .

الجزيرة [١] ، تلك المنزلة التي كانت لابن شداد عند الحكام ، فهو يحدثنا في كتابه هذا عن علاقاته المتينة بالملوك الأيوبيين وثقتهم الغالية به ، فيذكر أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين قد بعثه إلى حران ، لتدبير شؤونها المالية ، وفي ذلك يقول : « لما ملكها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب في سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤١ م بعثني إليها في سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٤٣ م لأكشفها ، فكان ارتفاعها ـ أعني قصبتها في ذلك التاريخ ـ ألفي درهم » [٢] . ويبدو أن السلطان الملك الناصر كان يقدر امكانات المؤرخ الشاب فانتدبه لمهمات لا تقل خطورة عن سابقتها ، إذ كان رسوله لفض النزاعات التي كانت تقوم بين الملوك والأمراء الخاضعين لسلطنته ، كما كلفه كي ينوب عنه في شفاعة للملك المسعود ، صاحب الجزيرة ، عند بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، ويقول في هذا الصدد : « ... فرسم لي أن أشفع له (للملك السعيد) عنه إلى بدر الدين صاحب الموصل ، وأوفق بينهما » [٣] وأسوق في هذا الإطار حادثة أخرى تؤكد ثقة السلطان بابن شداد ، وذلك عندما كلفه ببت مسألة عالقة بين الملوك التابعين للسلطان وتجار أجانب ، فهو يقول موجهاً كلامه لهؤلاء التجار الذين حضروا مطالبين بحقوق لهم : « نحن لا نزن لكم شيئاً ولا نقبل حوالة حسب ما تقتضيه البوايز التي بأيدينا ، وهؤلاء الملوك التابعون لنا لا يعطونكم شيئاً » [٤] .

وعندما حل المغول بميافارقين ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م ، كلفه السلطان بمرافقة عائلته من دمشق ، إلى حلب ، كما أوكل إليه مهمة التفاوض مع المغول ، ويشير المؤرخ إلى ذلك بقوله : « خرجت من دمشق رسولاً إلى التتر النازلين على ميافارقين في مستهل المحرم صحبة الملك المفضل صلاح الدين يوسف ابن الملك المفضل موسى بن صلاح الدين وأخرج معنا الملك الناصر أولاده الثلاثة وحريمه ليكونوا بحلب ... وأمر أن نأخذ

---

(١) ابن شداد ، الأعلاق ٣ (القسمان ١ ـ ٢) تحقيق يحيى عبارة .

(٢) أيضاً ٣/١ : ٦٥

(٣) أيضاً : ٢٣٨ ـ ٢٤٠ .

(٤) أيضاً : ٢٤٢ .

معنا من حلب هدية إلى يشموط [١] ، وهي ألف وخمس مئة ديناراً عيناً ، وحياصة مجوهرة وسيف مجوهر ... فلما وصلنا حماة تعرضت رسل التتر لصاحبها ، وانتهكوا حرمته ... وطلبوا الملك المظفر ليأخذوه معهم بسبب الرسل الذين قتلوا في بلاده ، فتوسطت بينه وبينهم على ألفي درهم وضيافة فقبلوها ، وأطلقوا من كان أُخذ ... فلما حضرنا عنده (عند يشموط) أدّينا الرسالة ، وكان مضمونها التهنئة بالقدوم والشكوى من تعرضهم لبلاد الجزيرة وقتل من بها من الرعية ... » [٢] . كما أن المؤرخ يحدثنا أنه قد أغلظ القول للمغول في هذه السفارة فيقول : « ... وطلبت منهم ما كانوا أخذوه من بلد حران أو العوض عنه . وقلت : متى لم تنصفونا خرجنا عن الطاعة . فأغاظهم ذلك وقالوا لي : كم رأس لك ؟ من ذا الذي يقابل إيل خان بهذا الكلام ؟ » [٣] ويخبرنا ابن شداد أنه رفض محاباة المغول للإيقاع بالملك الكامل صاحب ميافارقين « ... فأبيت أن أحمل هذه الرسالة ... هؤلاء يريدون أن يعملوا بي حيلة حتى أُخرج صاحبها فيقتلوه ويملكوا البلد فيقتلوا من فيه وأكون السبب في ذلك » [٤] .

هذه الجسارة التي واجه بها ابن شداد المغول ، إنما تعكس القدرة والشجاعة النادرتين اللتين كان يتمتع بهما هذا الدبلوماسي اللبق القادر على الفوز برضى المغول حيناً ، والتصدي لهم ومجابهتهم حيناً آخر ، كل ذلك جعله موضع احترام الحكام أيّاً كانوا .

وهكذا استمر حال ابن شداد تجاه السلطان الأيوبي حتى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ، حين هجم المغول على حلب وجفل الناس إلى دمشق والديار المصرية ، وتخاذل الملك الناصر ، ليس فقط في الدفاع عن حلب بل وأيضاً عن عاصمته دمشق ؛ إذ أنه عندما علم بسقوط حلب ، واقتراب المغول من دمشق ، فر إلى الديار المصرية [٥] ، الأمر الذي

(١) ابن هولاكو .

(٢) ابن شداد ٢/٣ : ٤٩١ ـ ٤٩٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٩٣ ـ ٤٩٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٩٥ ـ ٤٩٦ .

(٥) أيضاً : ٥٦١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢١٥ ظ ـ ٢١٦ و .

عجَّل بسقوط المدن السورية الواحدة تلو الأخرى بيد هولاكو ، وكان نصيب مؤرخنا أن يلجأ إلى مصر سنة ٦٥٩ / ١٢٦١ محتمياً بالسلطان الملك الظاهر الذي أحسن وفادة السياسي اللاجئ وأكرمه وقَدَّر ما يليق بمنزلته ، وهو في ذلك يقول : « وبعد فإنه لما حللت بمصر المحروسة ، وتبوأت محالَّها المأنوسة ، وشملني إنعام مولانا السلطان ... صاحب الديار المصرية والممالك الشامية والبلاد الجزرية ، خادم الحرمين الشريفين ، القائم بمتابعة الخليفتين ، مقر الإسلام في نصابه ، ومعيد رونق الخلافة العباسية بعد مضيه وذهابه ، الملك الظاهر ... ركن الدين أبي الفتح بيبرس ... ورتعت في انعامه بين روضة وغدير ، ورفلت من ملابس إحسانه فيما دونه الحرير ... وكان السبب في نجعتي عن بلاد بها عقّ تمائمي الشباب ، وفيها اتخذت الاخوان والاصحاب ... من دخول التتر المخذولين البلاد ، وتفرقهم بجموعهم لشمل من سكنها من العباد ... » [١] . ويشير اليونيني إلى أن الرجل كان موضع ثقة السلطان ، وأورد في هذا المجال حادثتين : فقد كان ابن شداد أحد اثنين استند إلى شهادتهما السلطان في الحكم في قضية صداق احدى الأميرات [٢] ، والحكم في مسألة ملكية « بستان سيف الإسلام » الواقع بين مصر والقاهرة [٣] .

وتعبيراً عن إخلاصه لسيده الجديد وضع له كتابين : الأول في حياته ، وهو الجزء الأول من الأعلاق « تاريخ حلب » وقدمه إليه [٤] ، وهو يشير إلى ذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول : « ... ورأيت انتهاز الفرصة في شكر انعامه العميم وادراك البغية في وصف اكرامه الجسيم أن أضع كتاباً أذكر فيه ما سنى الله له من الفتوحات التي لم تكن تتوهمها الأطماع ... » [٥] ، أما الكتاب الثاني فهو السيرة .

(١) ابن شداد ١/١ : ١ ـ ٢ .
(٢) اليونيني ٣ : ٢٥١ ـ ٢٥٢ . راجع أيضاً ما ورد في المخطوط ١٩٨ و ـ ١٩٩ و .
(٣) المصدر السابق ٢/١ : ١٨٧ و ٢٧٤ .
(٤) باعتبار أن المؤرخ قد فرغ من الجزء الثالث من الأعلاق سنة ٦٧٩ هـ .
أيضاً ١/٣ : ٢١٢ ، ٢٤٤ و ٢/٣ : ٥٢٧ ، ٥٤١ و ٥٧٠ .
(٥) أيضاً ١/١ : ٢ .

ولم يكن الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ، الذي خلف والده السلطان الملك الظاهر ، أقل احتراماً وتكريماً لابن شداد ؛ فقد جعله مستشاراً ووكيلاً له : استشاره في اختيار المكان المناسب لدفن والده ، وكلَّفه بحلّ اشكالاته وشرائه [١] ، كما وَكَّله أن يوقف ، نيابة عنه ، ذلك المكان « ... دار العقيقي قديماً وما يتجدد بها من العماير تربة تكون مدفناً لمولانا السلطان الملك الظاهر ... وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز ... وباقي الدار مدرستين شافعية وحنفية ... وأوقف على ذلك ... جميع قرية الصُّرمان من شعرا بانياس وجميع قرية بيت الترع ... » [٢] .

وبعد موت السعيد لازم ابن شداد أخاه الملك العادل سلامش ، ثم الملك المنصور قلاوون ، وذكر هؤلاء في « الأعلاق » ومدحهم مثنياً على حسن التفاتهم إليه وتكريمهم له ؛ فكان هذا الالتفات وذلك التكريم سلوة له وعزاء عن اغترابه وبعده عن موطنه حلب ، فعاش بجانب الحكام معظماً عندهم محبباً إليهم ، فحملوا إليه الكسوة والغلة والدراهم وكفوه ذل السؤال والحاجة ، فانصرف إلى العلم والتصنيف وحصر اهتمامه بالتاريخ وعمق معلوماته فيه استناداً إلى مؤلفات من سبقه في هذا المضمار [٣] ، لا سيما مشاهير المؤرخين كالبلاذري [٤] وابن الأزرق [٥] والقاضي الفاضل [٦] وابن الأثير [٧] ،

(١) المخطوط : الورقة ١٥٦ .

(٢) أيضاً : ١٥٧ ظ ـ ١٥٨ و ، وقد أكد كل من اليونيني والمقريزي ذلك .

(٣) عند وصفه لحصن كيفا يقول ابن شداد : « ... ولقد بالغت في التقصي عمن اختطه ومن عمره ونسب إليه وملكه ، فلم أعثر على شيء من ذلك مع استيعابي مطالعة كتب التواريخ والمسالك وما يتعلق بهذا الفن » . ابن شداد ٣/٢ : ٥٣٢ .

(٤) أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ/ ١٨٩٢ م ، مؤرخ جغرافي ، من كتبه ، « فتوح البلدان » .

(٥) أحمد بن يوسف بن الأزرق الفارقي (٥١٠ ـ ٥٧٢ هـ/ ١١١٦ ـ ١١٧٦ م) . له كتاب « تاريخ ميافارقين » .

(٦) عبد الرحيم بن علي المعروف بالقاضي الفاضل (٥٢٩ ـ ٥٩٦ هـ/ ١١٣٥ ـ ١٢٠٠ م) وقد أثبت ابن شداد فصلاً من رسالته في وصف قلعة آمد (الأعلاق ٣/٢ : ٥٢٧ ـ ٥٢٨) وهي منشورة بكاملها في كتاب الروضتين لأبي شامة ٢ : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٧) علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ، عز الدين (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ/ ١١٦٠ ـ ١٢٣٣ م). من كتبه : « الكامل في التاريخ » .

وبهاء الدين ابن شداد وكمال الدين بن العديم [١] وغيرهم ، ذكر معظمهم في الأعلاق [٢]

٣ ـ مؤلفات ابن شداد :

هذا الاطلاع الواسع الذي توفر لابن شداد جعله يتمتع بثقافة عميقة مكّنته من كتابة مؤلفات كثيرة منها :

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة [٣] :

ألّفه ابن شداد ما بين ٦٧١ ـ ٦٧٩ هـ / ١٢٧٢ ـ ١٢٨٠ م ، ولعله آخر كتبه قبيل وفاته ، إنه مؤلّف في الطوبوغرافيا التاريخية لبلاد الشام والجزيرة قسمه المؤرخ إلى ثلاثة أجزاء : الأول منها اقتصر على وصف لمدينة حلب [٤] ، وأفرد الثاني لسوريا الداخلية وفلسطين [٥] أما الجزء الثالث [٦] فقد خصص لتاريخ الجزيرة ، وبه أنهى ابن شداد كتاب الأعلاق .

(٢) جَنى الجنّتين في أخبار الدولتين [٧] :

أشار إليه المؤرخ في « الأعلاق » حيث قال : « كتابنا الموسوم بجنى الجنتين في

(١) انظر : ابن العديم ، زبدة الطلب في تاريخ حلب ١ ، مقدمة الناشر : ١٥ .

(٢) راجع : Cl. Cahen, op. cit., p. 76 et n. 1

(٣) أخطأ Brockelmman (Geschichte der Arabischen Litteratur, Suppl., I, p. 549) ونسبه وكتاب السيرة إلى بهاء الدين ابن شداد ، وتبعه في ذلك ششن (نوادر المخطوطات العربية ١ : ١٢٠) وغيره من المؤرخين العرب المحدثين . وذكره حاجي خليفة باسم « الدرر الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة ١ : ٤٨٢ » . أما المستشرق كاهين(op. cit., p. 75-76) فقد ذكر الكتاب في عداد مؤلفات عز الدين ابن شداد مع تعليقات مفيدة .

(٤) يقول ابن شداد (الأعلاق ١/١ : ٣) : « وأبدأ بذكر جند حلب لكونها مسقط رأسي » وهذا الجزء حققه D. Sourdel ونشر بدمشق سنة ١٩٥٣ م .

(٥) تحقيق سامي الدهان وهو قسمان : « تاريخ مدينة دمشق » ، دمشق سنة ١٩٥٦ م ، و « تاريخ لبنان والأردن وفلسطين » ، دمشق سنة ١٩٦٣ م .

(٦) تحقيق يحيى عبارة ، دمشق ١٩٧٨ م .

(٧) ذكره حاجي خليفة (كشف الظنون ٢ : ١٠١٦) تحت اسم « سيرة الظاهر بيبرس » . أما كاهين (Cl. Cahen, op. cit., p. 75) فقد ذكره باسم « جنى الجشين في أخبار الدولتين » .

أخبار الدولتين » [١] ، ولعله كتاب في الخوارزمية لم ينجزه المؤلف على ما يبدو ولم تصلنا بالتالي نسخة عنه .

(٣) القرعة الشدادية الحميرية أو « تحفة الزمن في طُرف أهل اليمن » :

ذكره Brockelmann [٢] وقال أن مخطوطة منه موجودة بالهند .

(٤) كروم التهاني لتفسير السبع المثاني :

يشك بنسبة هذا الكتاب إلى ابن شداد ؛ وقد انفرد بذكره أحد المحدثين [٣] .

(٥) ولابن شداد كتاب آخر هو تتمة لكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير على حد ما ذكره ابن شداد نفسه [٤] .

(٦) سيرة الظاهر بيبرس ، وسأوليها بحديث تفصيلي فيما يلي .

ثانياً : سيرة الظاهر بيبرس

أود أن أشير في مستهل الحديث عن السيرة إلى أمرين أساسيين :

أولهما أن السيرة لم تصلنا كاملة بل فقد الجزء الأول منها ولم نحظ بغير الجزء الثاني ، وهو النسخة الوحيدة المتبقية من المخطوط [٥] والتي قيل إنها بخط المؤلف نفسه . ويشير الأستاذ كاهين إلى أنها (السيرة) قد كتبت أو أنجزت بعد وفاة السلطان بيبرس [٦] .

---

(١) ابن شداد ٢/٣ : ٤٥٩ .

(٢) Brockelmann, op. cit. I, p. 482

(٣) ذكره إسماعيل باشا الباباني البغدادي في كتابه « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٣٥٢ » معتبراً أن الكتاب هو من تأليف « محمد بن علي بن حسن بن شداد » .

(٤) أشار المؤرخ إلى هذا الكتاب عند تأريخه لنصيبين حيث يقول : « ... وسنذكر هذه الوقائع على ما وقعت مبينة واضحة في تاريخنا الذي جعلناه ذيلاً لتاريخ ابن الأثير ... » ابن شداد ٣/١ : ١٣٦ .

(٥) قال عنها سامي الدهان في مقدمة تحقيقه للأعلاق ٢/٢ : « ... ولكن هذه السيرة ظلت مجهولة لا يعرفها الناس ، فهي مخطوطة ما تزال في رفوف المكتبات » .

(٦) Cl. Cahen, op. cit., p. 75

أما الأمر الثاني فيتعلق بالإشكال القائم حول عنوان المخطوط ؛ فقد ذكره الأستاذ كاهين تحت عنوان « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » (١) ، وورد في دائرة المعارف الإسلامية باسم « حياة بيبرس » (٢) ، أما المؤرخون القدماء فقد ذكره بعضهم باسم « سيرة الملك الظاهر » (٣) ، و « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » (٤) . أما النسخة التي بين أيدينا فقد ورد فيها العنوان التالي : « تاريخ الملك الظاهر » (٥) ، وكذا ورد في الترجمة التركية ، ونحن نرجح العنوان المذكور على غلاف المخطوط باعتبار أن ما ورد عند المؤرخ هو الكلام الفصل في الموضوع .

ويتناول هذا الجزء المتبقي من السيرة حياة السلطان في الفترة الواقعة ما بين ٦٧٠ ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٧٢ ـ ١٢٧٨ م ، وما تيسّر من أمور دفنه وما وقف عن روحه ، وينتهي بلائحة إجمالية لخصال السلطان وانجازاته وأوصافه الحسنى . وقد قسم ابن شداد مؤلفه إلى فصول بلغت ثمانية وعشرين فصلاً (٦) يمتد كل منها على عشرة أوراق تقريباً ، دون أن نلحظ في هذا التقسيم أي استقلال لهذه الفصول ، بل على العكس من ذلك فقد رتبت فصول الكتاب بشكل يسمح بتداخلها (٧) . وفي ثنايا فصول هذا الجزء يكون السلطان محور الحادثة التاريخية ؛ فقد رصد ابن شداد تحركاته ونشاطاته المتعددة على الصعيدين الداخلي والخارجي :

فعلى الصعيد الداخلي : يطلعنا ابن شداد كيف وطد بيبرس دعائم حكمه باستيلائه على آخر معاقل الإسماعيليين ، ومعاقبته لجيرانه النوبيين الذين كانوا يتحرشون برعاياه بين الحين والآخر ، وعفوه عن أمراء كان قد سجنهم بسبب معارضتهم ومحاولاتهم الجادة

(١) Cl. Cahen, op. cit., p. 75

(٢) D. Sourdel: art. "Ibn Shaddād". EI 2, III, p. 958 A

(٣) و (٤) اليونيني والمفضل بن أبي الفضائل والنويري ... إلخ .

(٥) وقد ورد في الترجمة التركية ما يلي :
"Baipars Tarihi al- Malik az-Zahir" (Baypars)

(٦) الفصل الأول ساقط في الأصل .

(٧) نشير إلى أن المؤرخ ، ابتداءً من الفصل الحادي والعشرين ، قد اعتمد طريقة جديدة في تبويب كتابه ؛ فقد قسّم فصوله إلى أبواب خصص كلاً منها بنبذة سريعة عن جانب من سيرة السلطان .

للتدخل في شؤون الدولة والاستقواء عليها (الإفراج عن الدمياطي وسنجر الغتمي وبكتوت) ومن تأديبه للولاة المتمردين (كما فعل مع ابن عجلون) ومن تودده لمن لا يسهل الإيقاع بهم من كبار الأمراء أمثال الأمير قلاوون الذي قربه منه باختياره ابنته زوجة لولده الملك السعيد ، ومحاولاته الجادة لتدعيم زعامته للعالم الإسلامي المعروف في ذلك الحين ، تلك الزعامة التي اكتسبها عبر مواقفه المشهودة في سبيل الإسلام ؛ ألم يبادر إلى إحياء الخلافة الإسلامية في القاهرة سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م بعد سقوطها على يد هولاكو في بغداد ؟ ألم يحرّم الخمور مراعاة منه لشعور المسلمين ؟ (وقد كان هذا التحريم السبب في شنق الطواشي صدر الباز) . ألم يعاقب أقرب المقربين إليه بالسجن حتى الموت (الشيخ خضر) لكونه اقترف أعمالاً تدينها الشريعة والأخلاق ؟ ألم يبادر إلى بناء الجوامع وترميمها (بناء جامع بدير الطين ظاهر مصر) ؟ ألم يؤم مكة المكرمة حاجاً مهتماً بكسوة كعبتها ، مقيماً لها الاحتفالات السنوية التي تليق بالمناسبة ؟ .. كل ذلك جعل السلطان الملك الظاهر في مرتبة أعلى من سلاطين البلاد الإسلامية الأخرى . ثم إن ابن شداد يطلعنا على جوانب أساسية أخرى في سياسة الرجل الداخلية وحكمته في إدارة شؤون البلاد ؛ فقد أفلح السلطان في اكتساب محبة الأهلين واستمالتهم إليه ، فيحدثنا مثلاً كيف أن السلطان تراجع عن ضريبة فرضها عندما علم بامتعاض الرعية منها [1] . كما أنه كان دائم السهر على أمن البلاد وسلامتها ، فيحدثنا ابن شداد أن السلطان كان في حركة دائمة متنقلاً بين شطري المملكة ، مرة في موكب ظاهر وثانية على خيل البريد وأخرى متخفياً ليطلع عن كثب على أحوال النواب والولاة ، وبذلك ضمن استقرار مملكته .

ويطلعنا ابن شداد على هوايات بيبرس المختلفة ، كلعبة القبق [2] ورحلات الصيد والتنزه في منطقة الأهرام والبحيرات ... كل ذلك يجعلنا نتعرف إلى السلطان في حياته

---

(١) ورغم ذلك فقد وجه المؤرخون المتأخرون النقد القاسي لبيبرس بسبب سياسته المالية وفرضه الضرائب . انظر في هذا المجال : ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ٧ : ٨٥ .

(٢) لعبة تتارية تشبه لعبة « التنس » كان يخصص لها يومين من كل أسبوع .
موير (Muir) ، تاريخ دولة المماليك في مصر (مترجم) : ٥٣ .

العامة والخاصة .

أما على الصعيد الخارجي فيسلط ابن شداد أضواء كاشفة على سياسة بيبرس الخارجية التي تجلَّت في نوعين من النشاط : عسكري ودبلوماسي .

في مجال النشاط العسكري : يطلعنا المؤرخ على المواجهة المريرة بين السلطان والمغول الذين ظلوا ، رغم هزيمتهم القاسية في « عين جالوت » ، يشكلون مصدر إقلاق للدولة المملوكية ، بحيث لم تخل سنة ما بين ٦٧٠ ـ ٦٧٥ هـ إلا وكان لهم نصيب في صنع أحداثها ؛ لقد هاجموا حرَّان [١] سنة ٦٧٠ هـ وأخربوها ودمروها تدميراً كاملاً ، لكن السلطان ظفر بهم في السنة ذاتها على نهر الفرات ، ويحدثنا ابن شداد عما فعله بيبرس من صنع جسر عبر عليه العسكر ومن بسالة تجلَّت باقتحامه النهر متقدماً الجند [٢] ... ثم عادوا سنة ٦٧٤ هـ ونزلوا على قلعة البيرة لكنهم ، نظراً للمقاومة الضارية التي لقوها من حامية القلعة ، وبسبب وصول الأخبار بتوجه السلطان نحوهم ، ولوا الأدبار راجعين من حيث أتوا [٣] . وصمم السلطان على غزو الروم ومواجهة المغول في عقر دارهم ، وفي هذا المجال يخبرنا ابن شداد عن الاستعدادات الكبرى للظاهر بيبرس وخروجه من الديار المصرية سنة ٦٧٥ هـ قاصداً بلاد الروم ، ثم تحصل المعركة الفاصلة بين الفريقين في سهل « هوفي » من صحراء البلستين ، والتي انتهت بهزيمة المغول بعد مقتل الكثيرين منهم في ساحة القتال ، الأمر الذي سهل دخول السلطان إلى قيصرية عاصمة بلاد الروم وجلوسه بالتالي على تختها وإطلاق الدعوات له في المآذن وضرب السكة باسمه [٤] .

هذا على جبهة المغول ؛ أما على بقية الجبهات فيطلعنا المؤرخ على حدثين هامين : الأول هو غزوة سيس التي قام بها السلطان سنة ٦٧٣ هـ لتأديب الأرمن والتي عاد منها

(١) المخطوط : ٣ و .
(٢) المصدر نفسه : ١٦ ظ ـ ١٨ و .
(٣) أيضاً : ٧٢ و ـ ٧٤ و .
(٤) أيضاً : ١٠٨ و ـ ١١٢ ظ .

محملاً بالغنائم الوافرة . والثاني تجلى بالحملة التي وجهها ضد بلاد النوبة : حول هذه الحملة نطلع من خلال قراءتنا للمخطوط على أن السلطان كان يتحين الفرص للاستيلاء على هذه البلاد ، بعد سلسلة من الأعمال العدوانية التي نفذها صاحبها داود ضد البلاد الإسلامية المجاورة ، كالغارة التي قام بها على ثغر عيذاب سنة ٦٧١ هـ [١] وغير ذلك . وسنحت الفرصة المناسبة عندما وقع الخلاف بين داود المذكور وأحد أنسبائه الذي لجأ إلى السلطان طالباً العون والمؤازرة ، فجرد هذا الأخير ، سنة ٦٧٤ هـ ، حملة إلى بلاد النوبة هزمت داود وعادت به أسيراً مع أفراد عائلته ، ومنذ ذلك الحين خضعت تلك البلاد للسلطان [٢] .

وأما في النشاط الدبلوماسي : فيستفاد من السيرة أن بيبرس لم يعتمد في رسم علاقاته الخارجية على القوة الضاربة فحسب ، بل انه استعمل سلاحاً لا يقل خطورة عن السلاح العسكري تمثل باقامة العلاقات الدبلوماسية مع المغول من جهة ومع الفرنج من جهة أخرى .

بالنسبة للمغول عمل بيبرس على توسيع شقة الخلاف الذي كان مستحكماً فيما بينهم [٣] ؛ فقد تحالف مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية أو مغول القفجاق الذي اعتنق الإسلام ، فعزز علاقاته معه وبادله المبعوثين والهدايا ، ولا شك أن هذا الحلف كان موجهاً ضد عدوهما المشترك المتمثل بدولة ايلخانات فارس التي كان يحكمها هولاكو وأولاده .

ويفيدنا المؤرخ أن بيبرس قد اتبع في حربه مع المغول أساليب المكر والخداع البعيدة النظر ، فهو في الوقت الذي عاهد فيه أبناء بركة خان على تحالفه معهم ضد أبغا لقاء

(١) المخطوط : ١٥ ظ .

(٢) أيضاً : ٧٥ ظ ـ ٧٧ ظ .

(٣) عن سبب هذا الخلاف راجع ما نقله عن ابن شداد كل من اليونيني ١ : ٤٩٧ ـ ٤٩٨ وابن أبي الفضائل : ١٢ و ـ ١٣ و .

تنازلهم عن جميع ما اغتصبه التتار من المسلمين [١] ، فإنه لم يتورع عن محاولة إقامة علاقات حميمة مع أبغا نفسه ، فلم يتوان عن قبول وساطة سعى بها بعض أعوان هذا الأخير بل إنه أحسن استقبال رسل أبغا وأرسل على الفور مبعوثين إلى أبغا علّه يحقق بوسائل السلم ما لم يسهل تحقيقه بالقوة . لكن هذه المحاولة التوفيقية باءت بالفشل ، ويعود السبب في ذلك إلى تشدد السلطان ؛ إذ أنه اشترط على أبغا أن يعيد له ما بيده من بلاد المسلمين [٢] . ولم يكف السلطان عن السعي لاضعاف أبغا ، فرغم أنه كان يعرف ما يدور في خلد البرواناة ، نائب السلطنة في بلاد الروم ، من طموح بالاستيلاء على الحكم والتفرد بالسلطة ، فقد مالأه السلطان وبادله الرسائل مشجعاً إياه على اتخاذ المواقف المناهضة للمغول ، باذلاً له الوعد بالدعم والمساعدة [٣] ، ولم يكتفِ بذلك بل انه راسل سراً كبار الأمراء الروميين داعياً إياهم إلى الجهاد في سبيل الله محرضاً إياهم على التمرد والوقوف بوجه أبغا ، وقد كان لتلك الرسائل صدىً إيجابي لدى معظم هؤلاء ، فوفد عليه العديد منهم وقاتلوا إلى جانبه ضد المغول [٤] . كما حالف السلطان جماعات التركمان بعد أن أغدق عليهم العطايا والوعود فانقلب هؤلاء بالتالي إلى ألد أعداء للمغول [٥] .

أما بالنسبة للفرنج فيفهم من المخطوط أن السلطان قد أقام علاقات صداقة مع الفرنج عامة والإيطاليين خاصة ؛ ويحدثنا ابن شداد عن العلاقة الطيبة التي كانت بين السلطان وصاحب إشبيلية والتي تجلت بتبادل المبعوثين المحملين بالهدايا السنية [٦] ، وعن وفود رسل جنوا على السلطان بين الحين والآخر ، وكذلك رسل الأمبراطور

(١) المخطوط : ٤ ظ ـ ٥ و .
(٢) المصدر نفسه : ٣ ظ ـ ٤ و .
(٣) أيضاً : ٣٣ ظ ـ ٣٤ ظ .
(٤) أيضاً : ٩٤ و ـ ٩٨ و .
(٥) أيضاً : ١١٤ ظ ـ ١١٦ و .
(٦) أيضاً : ٧٧ و ـ ٧٨ و .

البيزنطي [١] ... كل ذلك جعل السلطان مهيب الجانب داخل المملكة وخارجها ، فبدا وكأنه أقوى ملك بين ملوك عصره .

مصادره في كتابة السيرة :

اقتصرت هذه المصادر في الواقع على مشاهدات [٢] المؤرخ ومعلوماته الخاصة دون اللجوء إلى روايات المؤرخين المختلفة ، فاستطاع بهذه الطريقة أن يكشف لنا عن حوادث هامة في حياة الملك الظاهر من النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية بالقدر الذي لا نجد له مثيلاً في المصادر التاريخية الأخرى .

أما بالنسبة للحوادث التي لم تسمح له الظروف أن يكون فيها شاهد عيان ، فكان يلجأ إلى نوع آخر من المصادر تمثل بما سمع وما قرأ [٣] ؛ وفي هذا المجال ، عندما يورد حادثة معينة يسمي المصدر الذي استقى منه ، وعادة ما يكون هذا المصدر شخصاً بارزاً (قاضي قضاة ، أو أحد كبار الموظفين أو أشخاصاً آخرين موثوقاً بهم ...) مقدماً المعلومات التي استقاها بالعبارات : « حكى لي (فلان) » [٤] ، « ما حكاه لي (فلان) » [٥] ، « حكى لي من أثق به » [٦] ، وفي حال شكه في إحدى الروايات حَمَّل صاحبها وحده مسؤولية ما روى منها كلامه بعبارة « ... والعهدة عليه فيما حكاه » [٧] ، وأحياناً يبهم مصدره فيستهل كلامه بعبارة « ومن غرايب ما

---

(١) المخطوط : الورقة ٧٤ ؛ ويشير بروكلمان (Brockelmann, op. cit. II, p. 243-244) إلى معاهدة عقدها بيبرس مع الأمبراطور البيزنطي Michael Paleologos ، معتبراً أن السبب الذي دفعه إلى إبرام هذه المعاهدة هو اتقاء صليبية أوروبية أخرى .

(٢) المخطوط : ٢٩ و ـ ٣٦ و .

(٣) وفي هذا المجال كان المؤرخ يثبت الخبر الذي يتأكد من وجود إجماع حوله وفي ذلك يقول : « ... وأثبته حيث لم أجد فيه مخالفاً » . المخطوط : ١٩٠ ظ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٧ ظ .

(٥) أيضاً : ١٥٣ و .

(٦) أيضاً : ٣٨ و ـ ١١٢ ظ .

(٧) أيضاً : ٨٣ و .

يُحكى .. » [١] . أما الوثائق التي اعتمدها فلا يشير إليها صراحة باستثناء ما ورد في حديثة عن غزوة سيس ، حيث يُفهم أنه استند في تأريخه لهذه الوقعة إلى رسالة بعثها إليه أحد الوزراء المشاركين في الحملة : « وصلني كتاب من المولى الصاحب تاج الدين ... من سيس يذكر فيه ... » [٢] .

أسلوبه في كتابة السيرة :

جارى ابن شداد ما كان شائعاً في عصره من أصول كتابية ؛ فقد كان أسلوبه عادياً عمد فيه إلى السجع [٣] الذي كان يأتي أحياناً سهلاً وطبيعياً ، وأحياناً أخرى متكلفاً . كما أن سيطرة المحسنات اللفظية على بعض الجمل جعلها جملاً غير طبيعية وعديمة المعنى . ونظراً لثقافته الواسعة فإنه كان أحياناً يطيل الحديث عن أمر ما مستطرداً إلى أمور أخرى لا تدخل في صميم الموضوع الأساسي ، كما حصل عند حديثه عن صاحب تونس محمد بن يحيى الهنتاتي [٤] .

منهجه في كتابة السيرة :

كانت الكتابة التاريخية في ديار الشام في القرن السابع الهجري تعتمد على أحد منهجين اثنين أو على كليهما ، وهما التاريخ حسب السنين (التاريخ الحولي) أو التاريخ حسب الموضوعات والأحداث .

وقد راعى ابن شداد هذين المنهجين في آن معاً ، فقد كان السلطان موضوع تأريخه والحوادث مرتبة على المنهج الحولي . وهو في تأريخه هذا يذكر الحادثة مع الشهر واليوم الذي حدثت فيه ؛ فكل سنة دوَّن حوادثها تحتها وظل يعتمد هذا النمط حتى وفاة

---

(١) المخطوط : ٧٢ ظ .

(٢) أيضاً : ٥٧ و .

(٣) يقول روزنتال (F. Rosenthal) في كتابه « علم التأريخ عند المسلمين » (مترجم إلى العربية) : ٢٤٢ « أن السجع سيطر على الكتابة التاريخية خلال تراجم الإطراء التي دوّنها الموظفون لأسيادهم » .

(٤) المصدر السابق : ١٢٢ ظ ــ ١٣٤ و .

السلطان سنة ٦٧٦ هـ . وقد يسَّر ابن شداد مهمة القارئ إذ وضع للأحداث عناوين تعلن عن مضمونها مختتماً كل سنة بذكر وفياتها من مشاهير العلماء والأمراء والأعيان .

ومن المؤكد أن ابن شداد قد أغفل في السيرة ، كغيره من المؤرخين ، دور الرأي العام وتأثيره في اتخاذ القرار من قبل السلطان ، رغم أنه قد أشار بصورة عابرة إلى ذلك عندما تحدث عن تراجع السلطان عن فرض ضريبة سبق له أن قررها[١] . صحيح أن ما يسمى بالرأي العام لم يكن موجوداً بالمعنى الذي نعرفه اليوم ، لكن رغم كل الظروف التي كانت سائدة في ذلك الحين ، فالرأي العام المتمثل عادة بقاضي القضاة أو أحد كبار رجال الدين كان بمثابة عامل مؤثر على مواقف السلطان وتدابيره [٢] ؛ فكان يهم السلطان مثلاً أن تكون الرعية راضية عن أعماله [٣] ممجدة لبطولاته ، لكن ابن شداد سكت عن إبراز معالم دور الرأي العام ، أو على الأقل كان من الصعب عليه ذلك ، وهو أحد المقربين من السلطان ، فشعر أن عليه أن يبرز فقط ما يليق بعظمة الملك الظاهر ، ويتعامى عن كل ما يسيء إليه .

أهمية الكتاب :

تبرز أهمية السيرة في أنها تسلط أضواء كاشفة على مرحلة تاريخية هامة من حياة دولة المماليك البحرية في عهد الظاهر بيبرس ؛ فهي تحتوي على معلومات تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها ، وهو ما فعله المؤرخون المعاصرون لابن شداد ، فقد اعتمدها معظم هؤلاء مصدراً أميناً للأحداث التي جرت في تلك الحقبة ؛ فمنهم من نقل ما جاء

---

(١) المخطوط : الورقة ٣١ .

(٢) وقد أورد ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك ٧ : ٨٥) حادثة في هذا المعنى هي التالية : « ... ولما توجه السلطان الملك الظاهر إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية ، قال بسبب إقامة الخيل ، فحضر إليه الشيخ الإمام محيي الدين النووي .... وكلمه في ذلك بكلام خشن فلاطفه الملك الظاهر وقال : يا سيدي مد يدك أعاهدك على ذلك ... » .

(٣) يقول السير موير (Muir) في كتابه « تاريخ دولة المماليك » : ٤١ ـ ٤٢ إن السلطان الظاهر بيبرس « اتبع طريق الحكمة في إدارة شؤونه ، فأفلح في اكتساب محبة الأهلين واستمالتهم إليه ... فخفف الضرائب التي كانت سبباً في تنغيص حكم سلفه قطز » .

فيها حرفياً [١] ومنهم من اقتبس [٢] . كما أنه بالإمكان اعتبارها ، لما احتوته من ترجمات مفصلة لأعلام وشخصيات تاريخية وأدبية عامة ومن ترجمة وافية لبيبرس خاصة ، أحدَ كتب التراجم الموثوقة .

وصف المخطوطة :

توجد مخطوطة السيرة في المكتبة السليمانية بأدرنة في تركيا تحت رقم ٢٣٠٦ ، وما اعتمدناه هو صورة شمسية عنها ، وهي تتألف من ٢٧٠ ورقة ، مقياس ٢٦٠ × ١٨٨ (١٩٠ × ١٣٥) ، وقد ظهر في أعلى الورقة الأولى الكتابة التالية :

« الحمد لله ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . يثق بالله تعالى العظيم الجليل الأكبر مالكه أبو بكر بن عمر بن أبي بكر بن عمر » وفي وسط هذه الورقة كتب العنوان التالي :

الجزء الثاني من تاريخ الملك
الظاهر
تغمده الله تعالى
برحمته آمين

وعلى الورقة ذاتها خاتم دائري لعله خاتم المكتبة السليمانية . كل صفحة مسطرة خمسة عشرة سطراً ، بلغ متوسط عدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات تقريباً مكتوبة بخط نسخي جميل ، والعناوين بقلم الثلث . ومما يلفت اهتمام الباحث كثرة الاستدراكات على الهوامش بحيث أن المؤرخ قد سجل كل ما سها عنه فأثبته في الهامش وأومأ إلى مكانه في صلب النص بتثبيت إشارة تعلم عن ذلك ، كما لاحظنا تدخلاً في المخطوط أشرنا إليه في حينه ، وقد صادفتنا أيضاً إشارات فوق بعض الألفاظ : كلمة « صح » وهذا يعني أن اللفظ على ما هو مثبت صحيح ، وحرف « ص » ممدودة

(١) كما فعل اليونيني والنويري والمفضل .
(٢) كما فعل الذهبي والمقريزي وابن تغري بردي .

« صـــــ » وتسمى ضُبَّة أو علامة التمريض ، وتعني أن اللفظ الذي وضع فوقه الحرف فيه مرض أو خطأ أو علة .

أما من حيث الرسم الإملائي فتتميز المخطوطة بما يلي :

١ ـ عدم وجود قاعدة متبعة في كتابة الهمزة ، وخصوصاً في أواخر الكلمات ، فهي تسقط في مثل : أمرا (أمراء) ، بها (بهاء) ، ضيا (ضياء) ، علا (علاء) ... الخ

٢ ـ ألف « ابن » تحذف أحياناً وتثبت أحياناً أخرى .

٣ ـ تسقط الألف في أعلام مثل : إبراهيم ، إسحاق ، سليمان ، عثمان ، وفي الأعداد مثل ثلاث وثلاثون ، وفي لفظة آلاف .

٤ ـ تثبت الألف في مثل : هؤلاء .

٥ ـ تتردد الأسماء المضافة إلى مئة على الصورة التالية : ست مابة ، ستمئة ، ستماية .

٦ ـ ليس هناك من قاعدة ثابتة لكتابة الألف المقصورة والممدودة .

٧ ـ قلة الإعجام .

وقد اتبعت الطريقة الإملائية الحديثة ، دون أن أشير إلى كل تغيير أجريته في هذا المضمار ، وزدت الهمزة حيث لا يؤمن اللَّبْس في القراءة ، أو يتعذر أن يكون عدم وجودها هو الوجه المحكيّ في الدارجة حينئذ مثل « امرايه » وأبقيت الصورة الأصلية أحياناً حيث لا لبس مثل « خايفاً » بدل « خائفاً » ؛ وأما في اللغة والنحو فلا ريب في أن ابن شداد ابن عصره في هذه الناحية ، ولهذا فإن في أسلوبه ما يخرج عن متطلبات القواعد النحوية أو الدقة اللغوية ، وحيث كان الأمر كذلك ، لم أجز لنفسي تغيير النصّ ، بل أبقيته على حاله وأشرت ـ في معظم الأحيان ـ إلى وجه الصواب (في الحواشي) ؛ وأحياناً كنت أتغاضى عن ذلك اعتماداً على أن طبيعة الخطأ واضحة تماماً للقارئ .

خطة التحقيق :

واتبعت في التحقيق الخطة التالية :

١ ـ أثبت المخطوط على حاله ولم أبدل منه إلا ما ظهر لي فيه خطأ إملائي ـ كما

قدّمت ــ أو خطأ يختل به المعنى وصوابه موجود في مصدر آخر .

٢ ــ استعنت بكتاب ذيل مرآة الزمان لليونيني في المقابلة [1] واعتبرته بمثابة النسخة الثانية ، كما استعنت للغاية نفسها بالنويري وابن أبي الفضائل وغيرهما في المواضع التي ذكروا فيها صراحة أخذهم عن ابن شداد ، وقارنت هذه المعلومات بما ورد عند ابن عبد الظاهر .

٣ ــ نقلت إلى الحواشي جميع الكتابات والتعليقات التي جاءت في الهوامش إلاّ ما أشير إليه على أنه من الأصل ، منوهاً إن كان ما ورد بخط المتن أو بخط مختلف .

٤ ــ قارنت ما ورد في المتن من حوادث وتواريخ وأسماء أشخاص وأماكن بالمصادر المعاصرة بصورة أساسية وأهم المصادر المتأخرة مع تعليقات مشاهير المؤرخين المحدثين .

٦ ــ في تراجم الأشخاص والأماكن وتفسير معاني الألفاظ اكتفيت بما ورد في شأنها في كبريات الكتب من دوائر معارف وغيرها ، وفي حال عدم توفر ترجمات لها في هذه الكتب رجعت إلى المصادر المعاصرة .

الرموز المستعملة :

١ ــ الفاصلات المزدوجة « » لحصر أسماء الكتب الواردة في النص وضبط عبارات القول .

٢ ــ الخطان القصيران ــ ــ لحصر الجمل المعترضة .

٣ ــ القوسان المربعان [ ] لحصر ما أضيف من مصدر آخر أو ما أضيف من كلمات أو مقاطع اقتضاها السياق .

٤ ــ القوسان ( ) يحصران ما كان قد ورد في الهامش ومكانه في المتن .

٥ ــ الخطان المتوازيان // يشيران إلى انتهاء وجه الورقة (و) أو ظهرها (ظ) .

---

(١) راجع دراسة للمحقق منشورة في مجلة الفكر العربي المعاصر (عدد ١٢) تحت عنوان : « ابن شداد : كتابه في السيرة الظاهرية من خلال اليونيني ... » .



عدة الورق مايتين سبعة وسبعين [1]

ـ الثاني من الجزء الثاني ـ

[ذكر إيقاع الحوطة على القاضي شمس الدين الحنبلي واعتقاله] [2]

٢ و وكان السبب في ذلك أنه وقع بينه وبين شخص كحّال ، يعرف بالتقي شبيب الحراني [3] ، شنآن . كان أصله أن المذكور كان له أخ [4] ينوب عن القاضي شمس الدين [5] في المحلّة [6] ، فعزله ، فحمله تعصبه لأخيه أن كتب رقعة لمولانا السلطان ، ذكر فيها أن عند شمس الدين القاضي ودايع [7] للتجار من أهل بغداد وحرّان [8] والشام ، وذكر جملة كبيرة ، قد مات بعض أهلها واستولى عليها . فاستدعي القاضي

---

(١) كذا ، وصوابها : عدد الورق مائتان وسبع وسبعون .

(٢) الزيادة من النويري ، نهاية الأرب ٢٩ : ٤٨ و .

(٣) تقي الدين شبيب بن حمدان بن شبيب ... الحراني . توفي بالقاهرة في ٢٨ ربيع الآخر سنة ٦٩٥ هـ / ٥ آذار سنة ١٢٩٦ م . (ابن رجب ، ذيل على طبقات الحنابلة ٢ : ٣٣٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ ، الورقة ٢٢٩ ، ابن شاكر ، فوات الوفيات ٢ : ٩٨ ـ ١٠٠) .

(٤) الإمام نجم الدين أحمد أخو المتقدم . توفي سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ ـ ١٢٩٦ م بالقاهرة بالمدرسة المنصورية ، ودفن من يومه بسفح المقطم . مولده بحران في ١٠ رمضان سنة ٦٠٣ هـ / ١٠ نيسان ١٢٠٧ م . (اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ٢٩٠٧/٣ : ٩٣ ظ ، ابن رجب ٢ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ ؛ الذهبي ، المصدر نفسه ، ٢٢٤ ظ ـ ٢٢٥ و) .

(٥) محمد بن إبراهيم المقدسي الحنبلي ، شمس الدين ، قاضي قضاة الحنابلة بمصر (٦٠٣ ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٠٦ ـ ١٢٧٧ م) . (النويري ، المصدر السابق : ٤٨ و ؛ ابن رجب ٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ٢ : ٩ ـ ١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ : ٢٧٧) .

(٦) بالفتح ، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية ، كانت مقر ولاية الغربية . (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ : ٦٣ ـ ٦٤ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ٣ : ٤١٠) .

(٧) انظر : Otto Spies: art "Wadī'a". El, IV, p. 1079B-1081A

(٨) بتشديد الراء ، كانت مدينة من ديار مضر ، وهي اليوم من البلاد التركية .
G. Fehérvari: art. "Ḥarrān". EI 2, III, p. 234B-237B

وسئل عما ادعاه شبيب ، فأنكر وجحد ، فطلب منه اليمين على ذلك فحلف ، فأمر بهجم بيته ، فوجد فيه كثير مما ادعاه شبيب ، بعضه قد مات أهله وبعضه لم يمت ، فأخذت منهم زكاة ما وجد مدة سنين وسلّم لصاحبه . وكانت يمين القاضي مؤولة أنه لا يجوز له تسليم ما عنده إلا لمن أودعه إياه إن كان حياً ، أو لورثته إن كان ميتاً ، وأنه متى أقرّ به أخذ منه وتعلق بهمته . فأراد أن يدفع بيمينه ضررين أحدهما تعلق الذمّة والآخر ضياع المال على أربابه . فلما ظهر لمولانا السلطان مبينة // في اليمين ، حنق عليه وحبسه ، فتسلط عليه شبيب حينئذ ، وادعى أنه حشوي [١] ، وأنه يقدح في الدولة وكتب بذلك محضراً ، فعُقد له مجلس يوم الإثنين حادي عشر شعبان ، وكان مولانا السلطان غايباً في الشام ، وأحضر له جماعة من الفقهاء ، واستدعي بالشهود الذين شهدوا في المحضر ، فنكل بعض عن الشهادة فأطلقوا ، وشهد بعض فأخرق بهم وجرّسوا ، ثم تبين للأمير بدر الدين [بيليك نائب السلطنة] [٢] تحامل شبيب على القاضي بما ظهر منه من المبالغة في القدح والاشلاء ، فأمر بحبسه والحوطة على موجوده ، وأعيد القاضي إلى الحبس ، فأقام به إلى أن أفرج عنه في النصف من شعبان سنة اثنتين وسبعين [٣] ، [ولم يولّ السلطان بعده قضاء الحنابلة أحداً] [٤] .

٢ ظ

---

(١) لقب تحقير أطلق على من اعتقد بصحة الأحاديث المسرفة في التجسيم من غير نقد . (خورشيد : مادة « الحشوية » ، دائرة المعارف الإسلامية ٧ : ٤٣٩ ب ـ ٤٤٠ أ) ، ولهذه اللفظة تفسير مسهب عند :

Quatremère: Histoire des Sultans Mamlouks I, p. 105, n. 123 et Dozy: supplément aux Dictionnaires Arabes I, p. 469.

(٢) الزيادة عن المقريزي ، السلوك ٢/١ : ٦٠٣ ؛ وهو بيليك بن عبد الله الأمير بدر الدين الخزندار الظاهري نائب السلطنة بالممالك كلها ومقدم جيوشها . توفي في السادس من ربيع الأول سنة ٦٧٦ هـ / ٧ آب ١٢٧٧ م ، وقيل إنه مات مسموماً ، وكان عمره خمساً وأربعين سنة . (النويري ٢٩ : ٩٦ ؛ اليونيني ٣ : ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ؛ المفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد : ٦٧ و) وعن ظروف شراء السلطان الملك الظاهر له انظر : الإسحاقي ، أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول : ١٢٧ .

(٣) ذكر اليونيني هذه الرواية بحرفيتها في ذيل ٢ : ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، كما وردت عند النويري ٢٩ : ٤٨ ؛ وابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٦٢ ؛ والمقريزي ، المذكور سابقاً : ٦٠٢ ـ ٦٠٣ .

(٤) الزيادة عن المقريزي : ٦٠٣ .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الشام

فيها في الثالث من شعبان توجه مولانا السلطان إلى الشام في جماعة من الأمراء والخواص ، وسار إلى أن خيّم بين قيسارية [١] وأرسوف [٢] ، وكان مركزاً بها الأمير شمس الدين آق سنقر // الفارقاني [٣] . فلما حل بها ركاب السلطان ، رحل عنها إلى مصر فدخلها يوم الإثنين تاسع عشر شعبان . ثم إن مولانا السلطان شنَّ الغارات على بلد عكا ، فخرجت إليه الرسل يطلبون منه الموادعة والصلح ، وترددوا في ذلك حتى تقررت شروطٌ عليهم ، واتفق الصلح والهدنة [٤] ثاني عشري رمضان وعينت مدة الهدنة عشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات . ثم رحل بالعساكر التي بالساحل ونزل بهم على خربة اللصوص ، ثم سار إلى دمشق فدخلها في الثامن[٥] من شوال . ٣ و

ذكر تعفية التتر ما بقي من آثار حرّان

في الخامس والعشرين من شهر رمضان ، وصل جماعة من التتر كثيرة إلى حرّان ، فأخربوا مشيَّد سورها وكثيراً من أسواقها ودورها ، ونقضوا جامعها وأخذوا أخشاب سقوفه ، واستصحبوا معهم من فيها فخربت ودثرت .

وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى الرسوم والآثارُ //

(١) عرّفها Dussaud (Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale., P 8) "Ville littorale de Palestine".

وهناك مدينة أخرى بهذا الاسم ، وردت في المخطوط ، تقع في بلاد الروم . (أبو الفدا ، تقويم البلدان : ٢٣٩ ؛ القزويني ، آثار البلاد : ٣٧١ ـ ٣٧٢) .

(٢) كانت مدينة ساحلية من جند فلسطين بين قيسارية ويافا . وهي الآن مندثرة . (ياقوت ١ : ١٥١ ؛ أبو الفدا ، تقويم : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ ابن شداد ، الأعلاق ٢/٢ . ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٣) كان أستاذ دار الملك الظاهر بيبرس . توفي سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ ـ ١٢٨٩ م . (اليونيني ٣ : ٢٩٨ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٣١٤) .

(٤) انظر : اليونيني ٢ : ٤٧١ ؛ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر : ٣٩٨ ، المقريزي ، السلوك ١/٢ : ٦٠١ .

(٥) كذا في اليونيني . وفي المقريزي ، السلوك ١/٢ : ٦٠٢ و Quatremère, op. cit. I, p 103 « ثاني » .

٣ ظ

ذكر وصول رسل من التتر إلى مولانا السلطان الملك الظاهر بدمشق

كان قد وصل رسل من صمغر نوين [١] ، المقيم بأرض الروم من جهة أَبَغا [٢] ابن هولاكو [٣] ، في السابع من شوال ، قبل دخول مولانا السلطان إليها بيوم ، وهم : مجد الدين دولات خان وسعد الدين سعيد الترجمان ، من جهة صمغر المذكور ، ومن جهة البرواناة معين الدين سليمان بن مهذب الدين علي بن محمد [٤] نايب السلطنة ببلاد الروم . فلما استقر ركابه السعيد بها أحضرهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « إن صمغر نوين يسلم على السلطان ، ويقول له مذ جاورته في بلاد الروم لم يصل إليّ من جهته في أمر يختاره ، ولو فعل كنت مطاوعاً له ، وقد رأيت من المصلحة أن يبعث إلى أبغا رسولاً بما يُحب ، حتى أساعده في بلوغ قصده ، وأتوسط له عنده » . فلما سمع الرسالة أكرم الرسل وأركبهم معه في الميدان // مراراً . ثم عين الأمير فخر الدين أياز المقرّي [٥] ، أحد الحجاب ، والأمير مبارز الدين الطوري ، رسولين إلى أبغا ، وبعث معهما إليه جوشناً وإلى صمغرا قوساً [٦] ، وتقدم لهما بالمسير مع رسل صمغر

٤ و

(١) هو أحد أمراء التتار ، كان مقيماً ببلاد الروم وأميراً عليها . ورد في النويري : ٤٨ ظ وما يليها والحنبلي ، نزهة الناظرين : ٧٦ و وما يليها « صمغار » ؛ وفي ابن أيبك الدواداري ، كنز الدرر ٨ : ١٦٤ « صمغوا » ؛ وفي القلقشندي ٥ : ٣٦١ « صمغان » وترجم d'Ohsson (Histoire des Mongols, III) هذا اللفظ إلى "Samagar" . ونوين (Noïan) : « من ألقاب كفّال الممالك بالممالك القانية » . (القلقشندي ٦ : ٣٣) .

(٢) ملك التتار توفي سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م .
Spuler: art. "Īlkhāns", EI 2, III, p. 1148B-1151B (Tableau généalogique)

(٣) هو هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان (Ülegü b. Toluy b. Čingiz-Khān) توفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م . Ibid.

(٤) كان نائباً لسلطان الروم السلجوقي ، عرف عنه الدهاء والتلون . قتله أبغا سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ، وسبب ذلك ما نقل عنه من ميل إلى السلطان الملك الظاهر (راجع المخطوط : ٣٣ ظ ـ ٣٤ و ، ٧١ و ـ ٧٢ و ، ٧٤ و ـ ٧٥ و ، ١٠١ و ـ ١٠٣ و ، ١١٠ و ـ ١١١ و ، ١١٦ و ـ ١١٩ و) .

(٥) أياز بن عبد الله الصالحي النجمي الأمير فخر الدين المعروف بالمقري الحاجب ، كان نائباً لدمشق أيام الملك الظاهر . توفي في ٢٠ ربيع الأول سنة ٦٨٧ هـ / ٢٥ نيسان ١٢٨٨ م عقيب عودته من أداء فريضة الحج ودفن بسفح المقطم . (النويري : ١٤١ ظ ، اليونيني ٢٩٠٧/٢ : ٢٦٠ و) .

(٦) ذكر الحنبلي (نزهة الناظرين : ٧٦ ظ) أن هدية بيبرس لأبغا كانت « ... جوشن ريش قنفذ وخوذة كذلك وسيف وقوس وتركاس وتسع فردات » .

نوين ، [فسارا في خامس عشره ـ شهر شوال ـ] [١] . فلما وصلا إلى قونية وحضرا جامعها يوم الجمعة ، سمعا الرعية يبتهلون إلى الله بالدعاء لمولانا السلطان فأديا له الرسالة ، وكان مضمونها شكره ، ثم أخذهما معين الدين البرواناة ، وسار بهما إلى أبغا . فلما اجتمعا به قال لهما : « ما جئتما فيه ؟ » فقالا : « إن صمغرا بعث إلى السلطان وأخبره أنك أحببت أن يأتي إليك من جهته رسول ، فأرسلنا يقول لك إن أردت أن أكون مطاوعاً لك ، كافاً عنك ، فردّ عليه ما في يدك من بلاد المسلمين » . فقال لهما : « هذا ما لا يمكن ، وأقرب ما في هذا أن يبقى في يد كل واحد منا ما هو في ملكه » . فحصلت بينهما وبينه مفاوضات أغلظ لهما فيها ، وانفصلا عنه من غير اتفاق [٢] ، فوصلا دمشق في الخامس عشر من صفر سنة إحدى وسبعين وستمئة . //

٤ ظ

ذكر وصول رسل بيت بركة إلى مولانا السلطان الملك الظاهر

في ذي القعدة وصل إلى دمشق ، من بيت بركة [٣] من عند منكوتمر [٤] ابن طُغان ابن سرطق [٥] بن باتوا [٦] ، رسل في البحر ، وكانوا لما خرجوا من بلاد الأشكري [٧]

(١) الزيادة من المقريزي ، السلوك ١/٢ : ٦٠٢ .

(٢) في النويري وابن تغري بردي تأكيد لهذه النتيجة التي وصلت إليها المفاوضات ، بينما أغفل المقريزي أي إشارة إلى ذلك . (النويري : ٤٨ ط ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٥٨ ؛ المقريزي ، السلوك ١/٢ : ٦٠٢ .

(٣) هو بركة خان بن دوشي خان بن جنكيز خان (Berke K͟hān b. D͟jōci K͟hān b. Čıngız K͟hān) توفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م . وكان بركة قد اعتنق الإسلام وراسل بيبرس وحارب ابن عمه هولاكو وهزمه .
Barthold-Boyle: art. "Berke K͟hān", El 2, I, p. 1222B-1223B.

(٤) Mangū-Timur .... راجع ترجمته في : Barthold: art. "Mangū-Timur", El. III, p. 265B-266A.

(٥) كذا في اليونيني ٢ : ٤٧٢ ، وفي ابن أبي المضائل : ٤٠ و ؛ وابن الدواداري : ١٦٧ « سردق » .

(٦) كذا في ابن الدواداري : ١٦٧ ؛ وفي اليونيني ٢ : ٤٧٢ « باتو » Bātū توفي سنة ١٢٥٦ م انظر :
Spuler: art. "Bātū'ides", El 2, I, p. 1139B-1141B.

(٧) يقصد الأمبراطورية البيزنطية .

قاصدين خدمة مولانا السلطان صادفهم [١] مركب من البيشانيين [٢] ، فأخذهم ودخلوا بهم إلى عكا ، فقبّح عليهم من بها من المتصرفين ما فعلوه ، وقالوا : « نحن حلفنا للسلطان أن لا نمنع أحداً من الرسل من الوصول إلى أبوابه » ، ثم جهزّوهم وسيّروهم إلى دمشق ، ولم يرد البيشانيون ما أخذوا لهم وكانت معهم هدية . فلما اجتمعا [٣] بمولانا السلطان عرّفوه ما كان معهم ، فبعث إلى الإسكندرية ومنع من فيها من البيشانيين من التجار [عن التصرف والسفر] [٤] حتى يعوّضوا ما أخذ أصحابهم ، فكان مضمون رسالتهم [٥] أنهم أحضروا كتاباً لمولانا السلطان بجميع ما كان في أيدي المسلمين من البلاد التي // ٥ و استولى عليها هولاكو ، وطلبوا منه أن ينجدهم ويعينهم على استيصال شأفة ابن هولاكو .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى حصن الأكراد [٦]

وردت الكتب من دمشق إلى القاهرة ، مؤرخة بالسادس عشر من ذي الحجة ، مضمونها أن مولانا السلطان توجه من دمشق إلى حصن الأكراد ، وكانت حركته بسبب نقل حجارة المجانيق إلى القلعة [٧] ورؤية ما عمر فيها . فلما قضى وطره من ذلك سار

---

(١) لفظة صادفهم : وردت مكررة .

(٢) في المفضل : ٤٠ و « الميشانيين » ، والمقصود أهل مدينة بيزا (Pise) الإيطالية .

(٣) كذا ؛ وعند اليونيني ٢ : ٤٧٣ « اجتمعوا » وهو الصواب .

(٤) التكملة من ابن الدواداري ٨ : ١٦٧ .

(٥) الضمير « هم » يعود إلى رسل بركة حسب ما يقتضيه المعنى .

(٦) حصن منيع من جند حمص ، تولى حمايته في بادئ الأمر جماعة من الأكراد سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٣١ م فنسب إليهم ، وكان يسمى قبل ذلك « حصن السفح » ويذكره المستشرقون باسم "Crac des chevaliers" سقط بيد الفرنج حوالي سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م واسترجعه بيبرس منهم سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م .
N. Elisséeff: art. "Ḥiṣn al-Akrād", EI 2, III, p. 520B-223A.

(٧) يقصد الحصن .

إلى حصن ابن عكار [١] فأشرف عليه ، ثم عاد إلى دمشق فدخلها في خامس المحرم .
وسنذكر ما يتجدد له في سنة احدى وسبعين .

ذكر تسلم نواب مولانا السلطان
قلعة الخوابي والقليعة

في هذه السنة تسلم نواب مولانا السلطان قلعة الخوابي[٢] والقليعة [٣] من بلد الإسماعيلية [٤] ، ولم يبق خارج عن مملكة مولانا السلطان من جميع حصونهم سوى الكهف والقدموس // والمينقة [٥] لا غير ، لأن أهلها لما قبض مولانا السلطان على نجم الدين الشعراني وولده [شمس الدين] [٦] بالقلاع المذكورة وقدموا عليهم

٥ ظ

---

(١) في المقريزي ١/٢ : ٦٠٢ « حصن عكار » وأخطأ في اليونيني ٢ : ٣٧٣ فقال « حصن عكا » . يقع هذا الحصن على مسافة يوم من مدينة طرابلس نحو الشرق ، ويعتقد ابن شداد أنه محدث البناء وأنه قد سمي باسم بانيه محرز بن عكار ، كان بيد المسلمين ، استولى عليه الفرنج سنة ١١٠٩ م وبقي بيدهم حتى سقط بيد بيبرس سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م . (ابن شداد ٢/٢ : ١١٣ ؛ ابن عبد الظاهر : ٣٧٩ ـ ٣٨١ ؛ المفضل ، النهج السديد (نشر Blochet) : ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٦) .

(٢) انتزعها بيبرس في ٢٦ صفر سنة ٦٧٠ هـ/ ٣ تشرين الأول ١٢٧١ م .

(٣) كذا في اليونيني ٢ : ٤٧٣ وأبو شامة : ٨١ ؛ وفي النويري ٢٩ : ٦٢ ظ وابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٦ وابن عبد الظاهر : ٣٦٥ « العليقة » ، وترجمها "Olaïkah", Quatr., op. cit., p. 100 . وقد أشار أبو الفدا ، المصدر السابق : ٦ ، إلى تسلم بيبرس لهذه القلعة في شوال سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ م .

(٤) قال في مسالك الأبصار ٢ ، ص ٤١١ : « هم شيعة الخلفاء الذين كانوا بمصر وتسموا بالفاطميين وملخص معتقدهم التناسخ وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوى الهاربة ويسمون ببلاد العجم تارة بالباطنية وتارة بالملاحدة » ، وقد عرف هؤلاء بالحشيشية ، انظر في هذا المجال :

Baer: art. "Ismāʿīliyya", EI 2, IV, p. 215B-216A.
Lewis: art. "Ḥashīshiyya", EI 2, III, p. 275B-276B.

(٥) كذا في اليونيني ٢ ؛ ٤٧٣ ؛ وفي النويري : ٦٣ ظ « المنيقة » .

(٦) الزيادة من السلوك : ٥٩٩ . وسبب قبض الملك الظاهر عليهما وحبسهما في القاهرة هو أن زعيم الإسماعيلية حاول أن يتهرب من دفع الجزية السنوية المتوجبة على الإسماعيلية لبيت المال وقدرها مائة ألف درهم . (ابن عبد الظاهر : ٣٦٥ ؛ المقريزي ، السلوك ١/٢ : ٥٩٩) .

مقدماً ... [١] //

١ ظ

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة سبعين وستمائة

أزدمر الأمير الكبير بدر الدين العزيزي الدوادار [٢] . توفي في شهر المحرّم بدمشق . كان أولاً لعلم الدين سليمان بن الأمير حسام الدين محمود بن الخُطلو والي حلب . فلما توفي في سنة إحدى وثلاثين ، ابتاعه الملك العزيز [٣] من ورثته ورتّبه دواداراً ، وما زال في خدمته إلى أن توفي الملك العزيز ، واستمر في الدوادارية في الأيام الناصرية ورسّل إلى الصالح نجم الدين أيوب [٤] ، صاحب الديار المصرية ، ولم يزل في خدمة السلطان الملك الناصر [٥] إلى أن وقع المصاف بينه وبين المصريين في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ، فخدم الملك الناصر في هذه الوقعة ، وعاد معه فأمّره بأربعين فارساً ، ثم زاده ثلاثين فارساً تكملة سبعين فارساً . فلما أن انقضت الدولة الناصرية ، نجع إلى الديار المصرية // فأعطي خبزاً بالشام . ولما خرج الأمير شمس ٦ و

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) ويقال أيضاً دويدار وهو اسم مركّب من لفظين : أحدهما عربي وهو الدواة والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك . ويكون المعنى « ممسك الدواة » "porte-écritoire" . وللدوادار مهام يمكن الاطلاع عليها في ١٧٠ ظ من المخطوط الذي بين أيدينا . انظر أيضاً : Dozy, op. cit. I, p. 469 .

(٣) هو محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ، صاحب حلب (٦١٣ هـ ـ ٦٣٤ هـ) .
Cl. Cahen: art. "Ayyūbides, EI 2, I, p. 820A-830A

(٤) توفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م . Ibid .

(٥) يوسف بن محمد بن غازي . توفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م . Ibid .

ملاحظة : حصل خطأ في ترقيم هذه الصفحة ، فالسياق يقتضي أن تكون سابقة مباشرة لـ ٦ و ، وهو ما اعتمدناه .

الدين آقوش البُرْلي [١] توجه معه وحضر المصاف مع التتر وعاد إلى خدمة السلطان فأحسن إليه الملك الظاهر وأعطاه خبزاً بإمرة دمشق . فلم يزل بها إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ .

زامل بن علي بن حذيفة الأمير نور الدين . توفي يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الآخرة بقلعة الجبل [٢] من القاهرة ، فإنه كان معوّقاً بها ، وكان قد نيف على الأربعين سنة . كان قد ولي إمرة آل فضل بعد والده الأمير سيف الدين علي بن حذيفة . ولما استولت التتر على البلاد الشامية قصد هولاكو . ولما ملك مولانا السلطان الملك الظاهر الديار المصرية كاتبه ، فخرج من التتر وقصد باب مولانا السلطان الملك الظاهر ، فأحسن إليه وأجراه على خبزه ، وكان قد عين لإمرة آل فضل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن حذيفة [٣] ، فطلب // مكان أبيه ، فما أمكن مولانا السلطان أن ينقض ما رتّبه محافظة لخدمة الأمير عيسى [٤] . فلما عاد إلى الشام قصد هولاكو ، ٦ ظ

(١) كذا ؛ وفي النويري : ١٣ و « البرنلي أو البرنلو » . كان في بادئ أمره من مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب ، ثم علا كعبه عندما عيّنه المظفر قطز أميراً بالسواحل وغزة ، وفي أوائل عهد الظاهر بيبرس (سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م) حرج عليه البرلي واستولى على حلب . تم استرجعت منه وقبض عليه في رجب الفرد من نفس السنة . (النويري ٢٩ : ٢٠ و ـ ٢١ و ؛ وأبو الفدا ، المختصر ٣ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ و ٢١٠ ـ ٢١١ ، اليونيني ٢ : ١١٩ ـ ١٢٢ و ١٥٢ ـ ١٥٣)

(٢) تقع بين القاهرة وجبل المقطم والفسطاط بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش سنة ٥٧٢ هـ للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . أول من سكنها ، بعد أن أتمّ بناءها ، الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر سنة ٦٠٤ هـ وصارت منذ ذلك الوقت مقراً للدواوين السلطانية . وهي حصينة جداً ، تشتمل على العديد من القصور والإيوانات والطباق والأحواش والميادين والإسطبلات والمساجد والمدارس والحمامات . وكان بها دار الوزارة وديوان الإنشاء وديوان الجيش ودار النيابة وبيت المال وخزانة السلطان الخاصة والدور السلطانية والأبراج التي كان يحبس بها الأمراء والمماليك الخارجون على السلطان . (المقريزي الخطط ٢ : ٢٠١ ـ ٢٣١ ، القلقشندي ٣ : ٣٦٨ ـ ٣٧٠) .

(٣) توفي سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م . M. Tekindağ: art. "ʿĪsā b. Muhannā", EI 2, IV, p. 91B-92B.

(٤) يقول صاحب مسالك الأبصار ٣ : ٢٩ ، إن سبب تكريم بيبرس للأمير عيسى بن مهنا هو أن هذا الأخير كان قد آوى الملك الظاهر بيبرس قبل أن يلي السلطنة وأكرمه . لذلك لم ينسَ بيبرس ما فعله معه إثر توليته للسلطنة ، ولرد الجميل « انتزع الإمرة من أبي بكر بن علي (ويقصد زامل) وجعلها لعيسى بن مهنا » .

فكاتبه السلطان الملك الظاهر وقبّح عليه فعله ، فعاد إلى الديار المصرية ، فأحسن إليه وطلب الإمرة أيضاً ، فاعتذر مولانا السلطان عنها ، فلم يقبل عذره فقبض عليه واعتقله ، فلم يزل محبوساً إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ .

سنقر [بن عبد الله] [(١)] الأمير شمس الدين المعروف بالأقرع . توفي يوم الأربعاء ثامن عشري [(٢)] ربيع الأول بالسجن بقلعة الجبل ، [وقد نيف على الستين سنة من العمر] [(٣)] . كان من عتقاء الملك المظفر شهاب الدين غازي [(٤)] صاحب ميّافارقين ، فجرت له واقعة بميّافارقين ، فخرج منها هارباً وقصد الملك الناصر صلاح الدين ، صاحب حلب ، وخدمه ، فوقف له على كتاب وبدا منه أمر أوجب أنه عوقه بقلعة بهسنا [(٥)] ، فشفع فيه الأمير شمس الدين لولو [(٦)] فأخرجه ، وأقام بحلب مدة ، ثم هرب وقصد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاحب الديار المصرية ، فخدمه . // ولما فتح السلطان الملك الناصر دمشق ، كان المذكور مقيماً بها ، فهرب عند دخول السلطان الملك الناصر ، وقصد مصر ، فأمّره الملك المعز [(٧)] صاحبها ، ولم يزل قريباً منه إلى أن رسّله إلى بغداد في سنة خمس وخمسين . فلما عاد من الرسالة ، بلغه أن الملك المعز قد قتل ، فقصد دمشق بأمان من الملك الناصر ، وحلف له في الباطن بأن يكون له ، ويساعده على فتح الديار المصرية . فتوجه إلى ديار مصر ، وما زال في خدمة ولد الملك المعز إلى

٧ و

---

(١) الزيادة من اليونيني ٢ : ٤٧٩ .

(٢) في المصدر نفسه « الثامن والعشرين » .

(٣) الزيادة من المصدر نفسه : ٤٧٩ .

(٤) هو ابن الملك العادل بن أيوب . توفي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م (Cl. Cahen, op. cit.)

(٥) قلعة حصينة من أعمال حلب ، بقرب مرعش وسميساط ، متاخمة لبلاد الروم . (أبو الفدا ، تقويم : ٢٦٤ ــ ٢٦٥ ؛ ياقوت ١ : ٥١٦ ؛ ابن العمري ، التعريف : ١٨١) .

(٦) قتل سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م في وقعة مع التتار ، وكانت ولادته سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ ــ ١١٩٠ م . (أبو شامة : ١٨٦ ؛ الصفدي : تحفة ذوي الألباب ... : ١٧٢ ظ ــ ١٧٣ و) .

(٧) السلطان الملك المعز أيبك التركماني مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو أول سلاطين المماليك البحرية ، قتلته زوجته شجر الدرّ سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م وولي بعده ابنه الملك المنصور . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ١٣٦ ظ ــ ١٣٨ و ؛ ابن كثير ١٣ : ١٩٨ ــ ١٩٩) .

أن عزل . وولي الملك المظفر [١] ، فلم يزل في خدمته إلى أن قتل . وولي مولانا السلطان الملك الظاهر فحضي [٢] عنده ، وتمكن منه إلى أن حصل منه ما حصل فأوجب اعتقاله ، فعوّق إلى أن توفي ، وقد تقدم .

سلّار بن الحسن بن عمرو[٣] بن سعيد الإربلي الشافعي ، الكردي نزيل حلب ، الشيخ الإمام العلامة كمال الدين أبو الفضائل [٤] // . توفي ليلة الأحد السادس من جمادى الآخرة بدمشق ، ودفن من يومه بباب الصغير[٥] ، ومولده في سنة تسع وثمانين وخمسماية . كان إماماً مفتياً ، اشتغل بالعجم والعراق والموصل [٦] ، ووصل إلى حلب وانقطع إلى المدرسة التي أنشأها الشيخ شرف الدين أبو طالب بن العجمي [٧] ، فكان معيداً بالمدرسة ، ثم لما جرت الكاينة بحلب ، رحل إلى دمشق ، وأقام بها إلى أن توفي بها بالمدرسة الباذرائية [٨] .

٧ ظ

---

(١) الملك المظفر سيف الدين قطز أحد مماليك السلطان الملك عز الدين أيبك . وهو ثالث سلاطين المماليك البحرية اعتلى العرش في مصر أواخر سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م قتله بيبرس وجماعة من الأمراء ، سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م ، أثناء عودته من بلاد الشام إلى الديار المصرية بعد أن حقق نصراً مبيناً على التتر في « عين جالوت » وقيل إن سبب خلافه مع بيبرس أنه كان قد وعد هذا الأخير بتوليته حلب ، ولما لم يفِ بوعده صمم بيبرس على قتله .
M. Sobernheim: art. "Kuṭuz", EI, II, p. 1172A-1172B.

(٢) كذا في الأصل ؛ والصحيح « فحظي » .

(٣) ورد « عمر » في اليونيني ٢ : ٤٧٩ وعبر الذهبي ٥ : ٢٩٣ وابن كثير ١٣ : ٢٦٢ والمقريزي ، السلوك ٢/١ : ٦٠٤ .

(٤) الزيادة من اليونيني ٢ : ٤٧٩ .

(٥) كذا ؛ وفي اليونيني ٢ : ٤٧٩ « ... وكانت وفاته ليلة الخميس الخامس من جمادى الآخرة بدمشق ودفن من الغد بمقابر باب الصغير ... وهو في عشر السبعين » . وباب الصغير هو أحد أبواب دمشق الثمانية . (الحميري ، الروض المعطار : ٢٤٠) .

(٦) انظر : E. Honigmann: art. "Mōṣul", EI, III, p. 609A-611A.

(٧) توفي سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م . (ابن شداد ١/١ : ١٠٨ ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٢٥ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢٥) .

(٨) في اليونيني ٢ : ٤٧٩ « ... وكان الشيخ نجم الدين الباذرائي ــ رحمه الله ــ قد جعله معيد مدرسته التي وقفها بدمشق لعلمه بغزارة علمه ... » ومنشئ هذه المدرسة الشافعية ، الواقعة داخل بابي الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية ، هو عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن الباذرائي نسبه إلى باذرايا وهي قرية من =

عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم [بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي أبو الحسين] (١) ، عماد الدين بن العجمي . توفي ليلة الإثنين الرابع (٢) من شهر رمضان المعظم بحلب ، ودفن بمقابر الجبيل بتربة بني العجمي ، مولده في سنة خمس وستمئة (٣) . اشتغل بالفقه على قاضي القضاة بها بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (٤) ، وعلى قاضي القضاة زين الدين أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن الأستاذ (٥) ، وعلى الشيخ // الإمام شمس الدين أبي المظفر حامد [بن أبي العميد عمر بن أميري ابن ورشي القزويني] (٦) ، وعلى صلاح الدين الجيلي (٧) المعيد بالمدرسة الصالحية بحلب ، وعلى الشيخ شهاب الدين أبي المعالي محمد بن العجمي (٨) ، وسمع عليه وعلى الشيخ الإمام كمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة النصيبيني (٩) ، وعلى الشيخ كمال الدين سلار الإربلي ، وعلى عمه شرف الدين أبي طالب عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن العجمي . وسمع الحديث على السيد الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي (١٠) الحلبي الحنفي ، وعلى الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان

٨ و

= أعمال واسط . توفي سنة ٦٥٥ هـ / ٦٥٧ م . (أبو شامة : ١٩٨ ؛ ابن الأثير الجزري ، اللباب ١ : ١٠٤ ؛ النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ١ : ٢٠٥ ؛ طبقات الأسنوي ١ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

(١) التكملة من اليونيني ٢ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٣٦ .

(٢) كذا في اليونيني ٢ ؛ وفي النجوم ٧ « رابع عشر » .

(٣) في اليونيني « مولده في ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستمائة ... » .

(٤) توفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م ، وقد ذكرت ترجمته في مقدمة الدراسة .

(٥) توفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م . (أبو شامة : ١٦٦) .

(٦) التكملة من ابن شداد ١/١ : ١٠٨ . وورد في المصدر نفسه : توفي يوم الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٦٣٦ هـ / ٢٨ شباط ١٢٣٩ م ، وكانت ولادته سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ ـ ١١٥٣ م .

(٧) نسبة إلى صقع جيل : بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها كيل وكيلان ، فعرب ونسب إليها فقيل جيلي . (ابن الأثير الجزري ١ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ؛ القلقشندي ٤ . ٣٨٠ ـ ٣٨١) .

(٨) في ابن شداد ١/١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ « ضياء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن أسعد بن عبد الرحمن بن العجمي » (٥٦٤ ـ ٦٢٥ هـ / ١١٦٨ ـ ١٢٢٧ م) .

(٩) توفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م . (أبو شامة : ١٨٨ ؛ اليافعي ٤ : ١٢٨ ـ ١٢٩) .

(١٠) توفي سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ ، مصنّف ، من كتبه « الدراية الزاهية الزاهرة » . (ابن شداد ١/١ : ١١٢ ؛ =

الأسدي [١] ، وعلى أبي العباس أحمد بن عبد الله بن علوان الأسدي [٢] ، وعلى الشيخ شمس الدين يوسف بن خليل الأدمي [٣] الدمشقي ، وعلى عميّه كمال الدين عمر ، وشرف الدين أبي طالب ، وسمع من كمال الدين بن طلحة ، وتولى نيابة عن عمه تدريس المدرسة الظاهرية [٤] خارج باب المقام [٥] ، ثم انتقل إلى نظر الجامع بحلب ، في سنة تسع وأربعين وكذلك البيمارستان . وما زال إلى سنة // أربع وخمسين ٨ ظ وفُوض إليه نظر الخزانة [٦] للصحبة بدمشق ، وما زال بها ناظراً إلى أن خرج من دمشق ناجعاً إلى الديار المصرية في سنة ثمان وخمسين . وولي تدريس المدرسة الحسامية [٧] بالفيوم من قبل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف [٨] ـ رحمه الله ـ فأقام بها سنتين ، ثم نجع إلى مكة ـ حرسها الله تعالى ـ وأقام بها ثم دخل اليمن وأقام به ، وسمع الحديث واشتغل ، وعاد إلى الديار المصرية في سنة أربع وستين ، وولي قضاء الحسينية [٩] في القاهرة ، ثم ولي تدريس المدرسة القطبية [١٠] بالقاهرة . ثم خرج

= الذهبي ، دول الإسلام ٢ : ٩٠ ؛ ابن العماد ٥ : ٦٩) .

(١) ولد سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ، وتوفي في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٢٣ هـ / ٧ حزيران ١٢٢٦ م . (ابن العماد ٥ : ١٠٨)

(٢) أخو المتقدم . ولد سنة إحدى أو اثنتين وأربعين وخمس مائة وقيل سنة ٥٤٤ هـ توفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م . (ابن العديم ، بغية الطلب ١ : ١٢٧ أ ـ ١٢٩ أ) .

(٣) أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الأدمي (٥٥٥ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٥٠ ـ ١٢٥١ م) . (ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ١ : ٤٧ حاشية رقم ١ ، ابن العماد ٥ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

(٤) مدرسة مشتركة بين الشافعية والحنفية أنشأها السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين تقع اتجاه قلعة حلب . (ابن شداد ١/١ : ١٠٣) .

(٥) عرف أيضاً بباب نفيس . (المصدر نفسه : ٢١) .

(٦) وظيفة ديوانية ، غالباً ما يكون ناظرها من القضاة أو من يلتحق بهم . (القلقشندي ٤ : ٣١) .

(٧) لفظة الحسامية : مكررة في الأصل .

(٨) ويعرف بابن بنت الأعز (٦٠٤ ـ ٦٦٥ هـ / ١٢٠٧ ـ ١٢٦٦ م) كان قاضي قضاة الشافعية ، ولي على العلمين أيام الملك الظاهر بيبرس . (أبو شامة : ٢٤٠ ؛ النويري : ٣٤ ظ ـ ٣٦ و ، الذهبي دول الإسلام ٢ : ١٣١) .

(٩) كانت في أيام الفاطميين ثماني حارات خارج باب الفتوح بالقاهرة سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين واستوطنوها فسميت بهم (القلقشندي ٣ : ٣٥٥ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٠) .

(١٠) أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ =

صحبه المولى الصاحب الوزير بهاء الدين أبي الحسن علي بن محمد [ابن حنّا] (١) ، في جمادى الآخرة ، وفوض إليه نظر الجامع والوقوفات بحلب ، ووكالة بيت المال ، فتوجه إلى حلب ، وأقام بها إلى أن توفي . كان رئيساً عاقلاً فاضلاً ديّناً ، حسن العشرة ، كثير المروءة والعصبية ، يحب الخير وأهله ، كثير المعروف ، كثير المشي إلى الناس ـ رحمه الله ـ . //

٩ و **علي** الأمير نور الدين الصوابي المشد بمصر والقاهرة . توفي رابع هذا الشهر ، وهو المحرم ، بمصر ، وكان قد نيف على الثمانين سنة . كان إليه شدّ الدواوين (٢) بالديار المصرية في الأيام الظاهرية . لم يزل مستمراً فيها إلى حين توفي .

علي الملك الأمجد مجد الدين أبو الحسن (٣) بن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب . انتقل إلى الله تعالى ليلة الإثنين سادس عشر جمادى الأولى بدمشق ، ودفن من يومه (٤) بتربة جده الملك المعظم شرف الدين عيسى (٥) بجبل قاسيون ، وكان مولده في ثامن شهر رجب بالكرك سنة تسع وعشرين وستمائة (٦) ، وكان قد اشتغل بطرف من الأدب ، وهو الذي أباع الكرك للسلطان الملك الصالح في أوايل

وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٣٦٥) .

(١) التكملة من اليونيني ٣ : ٣٨٤ ـ ٣٨٦ ، استوزره بيبرس في ٨ ربيع الأول سنة ٦٥٩ هـ / ١١ شباط ١٢٦١ م ، بعد عزل الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وبقي وزيراً لبيبرس إلى حين وفاة الأخير . وفي أيام السعيد بركة أقر ابن حنا على ما كان عليه أيام والده . كان وزيراً حازماً متشدداً . ولد بمصر سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م وتوفي بها في مستهل ذي الحجة سنة ٦٧٧ هـ / ١٥ نيسان ١٢٧٩ م ودفن بتربته بالقرافة الصغرى . (المصدر نفسه : ٣٨٤ ـ ٣٨٦ ؛ النويري : الورقة ١٠١ ؛ ابن فضل الله العمري ٧ : ١٤٥ ـ ١٥٠ ؛ المفضل : ٦٧ ظ ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٨٢) .

(٢) موضوعها أن يكون صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في ذلك ، وعادتها إمرة عشرة . (القلقشندي ٤ : ٢٢) .

(٣) في اليونيني ٢ : ٤٧٤ وابن العماد ٥ : ٣٣١ « حسن » .

(٤) في المصدر نفسه : « من الغد » .

(٥) توفي سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م . (Cl. Cahen, op. cit.)

(٦) يشير اليونيني ، المصدر السابق ، إلى أن المذكور قد توفي « في عشر الخمسين » .

٩ ظ سنة سبع وأربعين // بعد خروج والده منها وقصده حلب . واستمر في خدمة الملك الصالح إلى أن توفي ، وخدم ولده الملك المعظم توران شاه [١] ، فلما قتل عوّق في الأيام المعزية ثم أطلق . ولما وقع الصلح بين الملك الناصر ، صاحب الشام ، والملك المعز ، صاحب الديار المصرية ، قصد الملك الناصر صلاح الدين صاحب الشام ، ولم يزل في خدمته إلى أن انقضت دولته في سنة ثمان وخمسين . وخدم الملك المظفّر بعده ثم مولانا السلطان الملك الظاهر ، ولم يزل مقيماً بدمشق إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

علي بن عثمان بن علي بن سليمان بن علي السليماني الإربلي أمين الدين [٢] . توفي في العشر الأوسط [٣] من جمادى الأولى بالفيّوم ودفن به ، ومولده سنة اثنتين وستمائة في أحد الربيعين . كان فاضلاً أديباً له الشعر الجيد ، وكان يخدم في أوايل عمره الأمير ١٠ و ركن الدين بن ترطاي ، وترسّل // * منه إلى الشام . فمن شعره :

بَعـد عـصر الصِبَى ورسم التصـابي	أتـرجّـى وصْلاً مـن الأحبـابِ
يـا لَقومـي كيف السبيـل وقـد حلْـ	ـلَ برأسي البازيُّ بعـد الغُرابِ
أنكـرَت إذ رأت بيـاض عـذاريْ	يَ وصدَّت من بعـد طـولِ اقترابِ
وَأبـي الغانيـاتِ لـولا التَّجـنّي	مـا تدانى شيبي وَوَلّى شبـابـي
ضَحِكَ الشَّيبُ فاستَهـل لـه الدّمـ	ـع ألا ربَّ ضاحـكٍ لارتيـابِ

علي بن الشريف جمال الدين أبي طالب محمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن الفضل بن جعفر بن مكي بن عبد الواحد بن القاسم بن الحسين بن الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنه ـ عمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ السيد الشريف زين الدين أبو الحسن . توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد

(١) قتل بمعرفة شجر الدر زوجة أبيه سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م . (Cl. Cahen, op. cit.)

(٢) قارن باليونيني ٢ : ٤٨٠ ـ ٤٨٤ .

(٣) في المصدر نفسه « العشر الآخر » .

(*) إشارة إلى بدء « الثالث من الجزء الثاني » .

ودفن بالقرافة ، ومولده تاسع عشر ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين وخمس مائة . اشتغل بالفقه على الفقيه جمال الدين ابن رشيق [(١)] ، وابن شاس [(٢)] ، والفقيه عبد الوهاب // البغدادي [(٣)] ، واشتغل بالنحو على ابن الحاجب [(٤)] ، وابن برّي [(٥)] ، وله تصانيف منها كتاب في اللغة جيد مفيد ، وسمع الحديث على جماعة من المشايخ .

١٠ ظ

محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد [أبو عبد الله] [(٦)] وجيه الدين التكريتي . توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شوال [(٧)] بدمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون في تربة ابتاعها . وكان مولده بتكريت في سنة إحدى عشر وستماية . كان من أعيان التجار المشهورين ، حصل له المكانة عند الملوك ؛ وكان مبدأ ذلك أنه كان يتجر أولاً بمال والده ومال غيره إلى بغداد من تكريت ثم إلى الديار المصرية ، وما زال يتردد إلى سنة خمس وأربعين . توفي له بحلب مضارب فاستولت نواب الخشر عليه ، فتوجه هو إلى بغداد واستنجز كتاباً من شهاب الدين ريحان نايب شرف الدين إقبال الشرابي [(٨)] ،

---

(١) الحسن بن عتيق بن رشيق ، جمال الدين ، أبو علي الربعي (٥٤٧ ـ ٦٣٢ هـ / ١١٥٢ ـ ١٢٣٤ م) . (السيوطي ، حسن المحاضرة ١ : ٢١٤ ـ ٢١٥) .

(٢) عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي ، جلال الدين ، أبو محمد ، شيخ المالكية . له كتاب : « الجواهر الثمينة في المذهب » . توفي بدمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م . (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣ : ٦١ ، اليافعي ٤ : ٣٥ ؛ عبر الذهبي ٥ : ٦١ ـ ٦٢) .

(٣) عبد الوهاب بن علي بن علي ، أبو محمد ، المعروف بابن سكينة ، ضياء الدين ، البغدادي الشافعي (٥١٩ ـ ٦٠٧ هـ / ١١٢٥ ـ ١٢١١ م) ، حدّث ببغداد والشام ومكة ومصر والمدينة وغيرها . (أبو شامة : ٧٠ ؛ ابن العماد ٥ : ٢٥ ـ ٢٦) .

(٤) عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب ، أبو عمرو ، جمال الدين المالكي (٥٧٠ ـ ٦٤٦ هـ / ١١٧٤ ـ ١٢٤٨ م) . (أبو شامة : ١٨٢ ؛ ابن فضل الله العمري ٤ : ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ؛ ابن خلكان ٣ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ؛ عبر الذهبي ٥ : ١٨٩ ـ ١٩٠ ؛ الأدفوي : ٣٥٢ ـ ٣٥٧ ، النعيمي ٢ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٥) في الأصل : ابن برر .

(٦) الزيادة من اليونيني ٢ : ٤٨٧ والنويري ٢٩ : ٤٩ و .

(٧) في اليونيني ٢ : ٤٨٧ « توفي بدمشق في العشر الآخر من شوال أو الأول من ذي القعدة ... وقد ناهز السبعين » ؛ وفي النويري : ٤٩ ظ « ... وفاته بدمشق في ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شوال ... » ، أما في الذهبي ، العبر ٥ : ٢٩٤ وابن العماد ٥ : ٣٣٣ « توفي في ذي القعدة عن نيف وستين سنة » .

(٨) توفي ببغداد سنة ٦٥٣ هـ . (ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ؛ ابن العماد ٥ : ٢٦١) .

إلى الصاحب تاج الدين محمد بن نصر الحسيني [١] زعيم إربل [٢] ، مضمونه الشفاعة //

١١ و إليه ، ليكتب كتاباً إلى بدر الدين [٣] صاحب الموصل ، ليكتب إلى الملك الناصر صاحب حلب . فكتب له السيد [٤] إلى بدر الدين فكتب بدر الدين إلى الأمير شمس الدين لولو مدبر دولة حلب ، فحمل الكتاب ووصل به إلى حلب وأوصله إلى الأمير شمس الدين ، فتحدث شمس الدين في أمر البضاعة ، وكان مبلغها ماية ألف وعشرة ألف درهماً فسلمت إليه ، فحصل له بالأمير شمس الدين لولو معرفة ، فالتمس منه كتاباً جواب كتاب صاحب الموصل ، والتمس منه أن يكتب صاحب الموصل في حقه كتاباً إلى الديوان يشكره ، فكتب له الأمير شمس الدين كتاباً وعاد إلى تكريت ، فحصل له بذلك الكتاب النفع التام . ولما ملك الملك الناصر دمشق في سنة ثمان وأربعين كان مقيماً بدمشق في تجارة فاجتمع بالأمير شمس الدين فأحسن إليه ، وجمع بينه وبين الملك الناصر وشكره عنده فحصل له به يد ، وعاد إلى بغداد فكتب له الملك الناصر كتاباً في حقه

١١ ظ للوزير // إلى بغداد ، وحمّله مشافهة فانتفع بها ، وعاد إلى دمشق . وكان الديوان قد طلب من الملك الناصر جواري على لسان مقدم النجابة [٥] ابن البلّاج ، فاتفق أنه توفي بدمشق ، فسير الملك الناصر الجواري مع الوجيه ابن سويد ، فالتزم الديوان بأكرامه لأجل الملك الناصر ثم عاد بجواب الديوان ، فالتزم الملك الناصر بإكرامه لأجل الديوان ،

---

(١) ورد في ابن العماد ٥ : ٤٠٢ : « السيد الشريف محمد بن نصير بن علي الحسيني » .

(٢) مدينة في المنطقة الواقعة ما بين الفرات ودجلة (Mésopotamie) (٣٦ و ١١ شمالاً ، ٤٢ و ٢ شرقاً) .
D. Sourdel: art. "Irbil", EI 2, IV, p. 80 (A-B)

(٣) الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمني . توفي سنة ٦٥٦ هـ وقيل ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٢٥٩ م . (تاريخ ابن العبري : ٤٨٦ ؛ الحنبلي ، نزهة الناظرين : ١٣٥ ظ ؛ اليافعي ٤ : ١٤٨ ، ابن الفوطي : ٢٣٧ ، تاريخ ابن الوردي ٢ : ٢٨٧ ، الذهبي ، العبر ٥ : ٢٤٠) .

(٤) تاج الدين محمد بن نصر الحسيني .

(٥) ورد في اليونيني ٢ (ترجمة ابن سويد) إشارة إلى هذه النقطة : « ... بحيث كانت النجابين ترد عليه من بغداد إلى دمشق في مهمات تتعلق بالخلافة فينجز ما قدموا لأجله ... » والنجّاب هو راكب النجيب من الإبل (القوي منها والخفيف والسريع) ، مهمته نقل الرسائل وتبليغها إلى أصحابها . (راجع : ابن منظور ، لسان العرب ٢ : ٢٤٥) .

وتمكن من دولة الملك الناصر بحيث أنه أغراه بالتجارة ورغبه فيها ، وهو الذي حسّن للملك الناصر مهاداة التتر والدخول في طاعتهم بكل ممكن . ولما توجه الملك العزيز محمد ولد السلطان الملك الناصر إلى التتر ومعه الزين سليمان الحافظي [١] ، في رمضان من سنة ست وخمسين ، سأل الوجيه بن سويد للملك الناصر أن يطلب له فرساناً من هولاكو بحماية ماله وأملاكه واللايذ به ، فأجابه هولاكو وأشرط على الزين الحافظي أنه يصل إليّ حتى يُبصر وجهي . ولما عاد الزين الحافظي أوصل الفرمان إليه ولما // ١٢ و خرج الملك الناصر من دمشق في صفر لم يصحبه ، فسيّر إليه وقال : « تصل إليّ حتى أسيّرك إلى هولاكو » . فخرج من دمشق ولحقه بنابلس ، وانقطع طريق دمشق ، فعجز عن الرجوع ودخل مصر اضطراراً لا اختياراً . فلما دخل الديار المصرية وقصد الملك الناصر الشوبك ، عوّقه الملك المظفر [قطز] وقطع عليه مايتي وخمسين ألف درهماً فأدّاها ، ولما ملك السلطان الملك الظاهر [بيبرس] البلاد المصرية والشامية قدّم له تقاديم وإلى خواصّه ، وتوصّل بكل طريق إلى أن وكّله السلطان على الأملاك المبتاعة برسم ديوان الملك السعيد [٢] _ أعز الله نصره _ واستنابه في استغلالها فنفق على أرباب الدولة بأسرهم إلى أن توفي ، وظهر ما كان خافياً عن الناس من سوء باطنه وفساد مقاصده وقلة ديانته ، مع أنه كان كثير المهاداة والمداراة والصدقة الظاهرة حريصاً على تحصيل الدنيا ، وكان إليه وصايا كثيرة وتحت يده وقوف وأموال كثيرة ذهبت على أصحابها بعدم ١٢ ظ تنزيلها في // دفاتره ، ولا ظهر لأحد من مقارضيه ومعامليه كتاب يستضيء به ، فذهب

---

(١) الزين الحافظي سليمان بن المؤيد بن عامر العقرباني ، عالج الملك الحافظ صاحب جعبر فنسب إليه . قتل بين يدي هولاكو بتهمة الاتصال بالملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م . (عبر الذهبي ٥ : ٢٦٧ _ ٢٦٧ ؛ ابن العماد ٥ : ٣٠٨ _ ٣٠٩) .

(٢) الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ولي السلطنة إثر موت أبيه سنة ٦٧٦ هـ في صفر وله عشرون سنة وأشهر . خلعوه من الأمر فأقام بالكرك أشهراً ومات فجأة (وقيل إنه سمّ) في ذي القعدة سنة ٦٧٨ هـ / آذار _ نيسان ١٢٨٠ م بقلعة الكرك ، ثم نقل إلى تربته بدمشق ، ودفن عند والده بعد حوالي سنة ونصف . وكانت ولادته في صفر سنة ٦٥٧ هـ / كانون الثاني _ شباط ١٢٦٠ م بمحلة العش من ضواحي القاهرة . (اليونيني ٤ : ٣٣ _ ٣٤ ؛ النويري : ١٠٤ و _ ١٠٩ و ؛ المفضل : ٦٤ ظ) ، وانظر أيضاً المخطوط الذي بين أيدينا : الورقة ١٦٣ .

بطريقه على الناس أموال عظيمة .

محمد بن أمين الدين أبي الغنايم سالم بن الشيخ الحافظ أبي المواهب الحسن بن الشيخ أبي الغنايم هبة الله بن الشيخ أبي البركات محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن [بن أحمد بن الحسين] [١] بن صَصْرى التغلبي الدمشقي ، عماد الدين . توفي يوم السبت الخامس والعشرين [٢] من ذي القعدة بدمشق ، ومولده قبل الستماية [٣] . سمع من تاج الدين الكندي [٤] ومن والده أبي الغنايم سالم [٥] ومن عم أبيه شمس الدين أبي القاسم الحسين [٦] .

محمد بن ملكراد النوقاني ، الشيخ الفقيه ، نجم الدين . توفي يوم السبت ثامن عشري ذي الحجة ، وكان عمره قريباً من ستين سنة . كان معيداً بالمدرسة التي أنشأها نجم الدين أبو الوفا عبد الله الباذارئي بدمشق المعروفة بدار أسامة . اشتغل بالعراق وسمع من جماعة وحدّث ــ رحمه الله ــ // .

١٣ و **يحيى** بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي ، نجم الدين ، الدمشقي الأصل الحلبي المولد والمنشأ . توفي في العشر الأوسط من ذي الحجة بدمشق ، ودفن بتربته التي أنشأها عند حمّام الفلك المسيري بطريق كفرسوسية [٧] ، ومولده سنة سبع وستماية . كان اشتغل في الطب على والده ، وأتقن علم النجامة وعرف شيئاً من الهندسة ، وأتقن علم الحساب . وكان فاضلاً بارعاً ، قرأ النحو على الشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن

---

(١) الزيادة عن ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٣٧ ، وهذان الجدان غير موجودين في المصادر التي تحت أيدينا .

(٢) في اليـونيني (وفيات سنة ٦٧٠ هـ) : توفي « في العشرين من ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون » ؛ وفي المقريزي ٢/١ : ٦٠٤ « توفي بدمشق عن سبعين سنة » .

(٣) في اليـونيني : مولده « سنة ثمان وتسعين وخمسمائة تخميناً » وكذا في ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٣٧ ، ويفهم من الصفدي ، الوافي ٣ : ٨٤ وعبر الذهبي : ٢٩٤ أنه ولد « بعد الستماية » .

(٤) الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن الكندي (٥٢٠ ـ ٦١٣ هـ / ١١٢٦ ـ ١٢١٦ م) . (أبو شامة : ٩٥ ـ ٢٩٩ ؛ ابن خلكان ٢ : ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ؛ العبر ٥ : ٤٤ ـ ٤٥) .

(٥) توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م (ابن تغري بردي ، نجوم ٦ : ٢٧٢) .

(٦) توفي في نفس السنة التي توفي فيها أخوه (٦٢٦ هـ) . (أبو شامة : ١٥٤) .

(٧) انظر : الحميري ، الروض المعطار : ٤٩٩ ، مادة « كفور الشام » .

يعيش [١] النحوي الحلبي [المعروف بابن الصايغ] [٢] وعلى الشيخ الإمام تاج الدين أحمد بن الجبراني الحلبي بحلب ، واشتغل بدمشق على جماعة من الأطباء والفضلاء . وكان والده في خدمة الأمير سيف الدين علي بن قليج [٣] النوري بحلب طبيباً بعلوم ، وتوفي والده واستمر هو في خدمة الأمير سيف الدين إلى أن خرج الأمير سيف الدين من حلب سنة اثنتين وثلاثين ، فخرج صحبته ، وما زال في خدمته إلى أن فارقه وخدم الملك المنصور [٤] ناصر الدين إبراهيم بن الملك // المجاهد [٥] ، صاحب حمص ، وما زال في خدمته ورسّله إلى حلب ، ثم رسّله إلى الديار المصرية إلى الملك الصالح نجم الدين ، فوصل إليه وأقام في خدمته إلى أن توفي الملك المنصور ، فولاه الملك الصالح نظر الإسكندرية . ثم انتقل إلى خدمة الملك الناصر بعد موت الملك الصالح إلى دمشق ، فاستخدمه وأجرى عليه راتباً ، ولم يزل في خدمته إلى أن انقضت الدولة الناصرية . وولي في أيام التتر ــ خذلهم الله ــ نظر الديوان بدمشق ، ولما ملك المسلمون دمشق أجروه على النظر ، واستمر في الدولة الظاهرية صاحب ديوان إلى أن توفي في التاريخ المذكور [٦] . //

١٣ ظ

---

(١) ولد بحلب في ٣ رمضان عام ٥٥٣ هـ / ٢٨ أيلول ١١٥٨ م ، توفي فيها في ٢٥ جمادى الأولى عام ٦٤٣ هـ / ١٨ تشرين الأول ١٢٤٥ م . C. van Arendonk : مادة « ابن يعيش » ، دائرة المعارف الإسلامية ١ ، ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤ (ب ــ أ) .

(٢) الزيادة من ابن فضل الله العمري ٤ : ٣٧٢ وأبو الفدا ، المختصر ٣ : ١٧٤ .

(٣) كذا في أبو شامة : ١١٧ واليونيني ١ : ١٥٥ ــ ١٥٦ . توفي عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ودفن بمدرسته (المدرسة القليجية) التي أوقفها للحنفية ، وفي ابن كثير « ... بن قلج » .

(٤) توفي بظاهر دمشق وقيل بدمشق في ١١ صفر سنة ٦٤٤ هـ / ٢٨ حزيران ١٢٤٦ م ودفن بحمص . (أبو شامة : ١٨٧ ــ ١٨٩ ؛ ابن واصل ٥ : ٣٦٩ ــ ٣٧٠) .

(٥) الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن شاذي عم السلطان صلاح الدين الكبير له سجل حافل بالصراع ضد الفرنج ، وشيركو لفظ أعجمي يعني أسد الجبل (شير : أسد ، وكوه : جبل) . توفي يوم السبت في ٢٢ جمادى الآخرة وقيل يوم الأحد في ٢٣ الشهر بالقاهرة سنة ٥٦٤ هـ / ٢٣ ــ ٢٤ أذار ١١٦٩ م . (ابن الأثير ، التاريخ الباهر : ١٤١ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ : ٣٢٨ ؛ ابن خلكان ٢ : ٤٧٩ ــ ٤٨١) .

(٦) الورقة ١٤ و ساقطة في الأصل .

١٤ ظ

السنة الثالثة عشرة من دولة السلطان
الملك الظاهر وهي سنة احدى وسبعين وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة وملوك الطوايف على القاعدة المقررة في السنة الخالية ، ومولانا السلطان بالشام .

متجددات الأحوال في هذه السنة

قد تقدم لنا في السنة الخالية عود مولانا السلطان إلى دمشق من حصن ابن عكار ، ولما حل ركابه السعيد بها ، أمر أن يكتب كتاب إلى القاهرة بالإفراج عن عز الدين أيبك النجيبي الصغير (١) ، وعن الأمير عز الدين أيد مر الحِلّي (٢) العزيزي ، فورد الكتاب يوم الإثنين ثامن عشر المحرم فأفرج عنهما .

ذكر عود مولانا السلطان إلى مصر //

١٥ و

توجه مولانا السلطان على خيل البريد ، وفي صحبته الأمير بدر الدين بيسري (٣) ، وجمال الدين آقوش الرومي (٤) ، وسيف الدين جرمك الناصري (٥) ، [وجبرك السلاح دار (٦) ، وسنقر الألفي السلاح دار ، وعلم الدين شقير مقدم البريد] (٧) ،

(١) توفي سنة ٧٠١ هـ وقيل سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠١ ـ ١٣٠٢ م .
(ابن كثير ١٤ : ٢٠) .

(٢) كذا في النهج ؛ وفي اليونيني ٣ : ١ « الغوري » .

(٣) الأمير بدر الدين (وقيل شمس الدين) بيسري الشمسي الصالحي النجمي كان من أجل أمراء الملك الظاهر بيبرس . توفي في سجنه بقلعة القاهرة سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ : ١٥١ ظ ـ ١٥٢ و ، أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٤٢ ، ابن كثير ١٤ : ٥) .

(٤) توفي سنة ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٤٩) .

(٥) جرمك بن عبد الله الناصري التركي ، يلقب سيف الدين ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية . توفي مخنوقاً بأمر الملك الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م . (ابن الفرات ، تاريخ ٨ : ١٥١) .

(٦) وورد عند المقريزي ٢/١ : ٦٠٤ « جرمك السلاح دار » .

(٧) الزيادة من ابن عبد الظاهر : ٤٠٣ .

يوم الأحد سابع عشر [١] المحرم ، فوصل إلى القلعة [٢] يوم السبت ثالث عشرين [٣] المحرم ، وكان قد وصل إلى بلبيس [٤] يوم الخميس فكسر فيها يوماً في بعض البساتين ثم أسرى فوصل الجبل الأحمر [٥] في أثناء الليل ، فأقام يوم الجمعة وليلة السبت ، وقصد أن يوافي موكب ولده الملك السعيد يوم السبت بالميدان . فلما علا النهار سأل عن حركة السلطان الملك السعيد ، فقيل له ما ركب ، فدخل القلعة غفلة ، فقام إليه أحد البوابين لينزله عن فرسه وقال له : « ما يدخل راكب إلا مولانا السلطان » ، فأماط لثامه فعرفه ، فأقام إلى الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة التاسع والعشرين [٦] منه ، فتوجه إلى دمشق في الجماعة الذين جاءوا معه ، فدخل قلعتها في الليلة المسفرة عن صباح يوم الثلاثاء رابع [٧] شهر صفر المبارك . //

ذكر غارة النوبة على ثغر عيذاب [٨]

١٥ ظ

فيها في الحادي والعشرين من المحرم وصلت جماعة من النوبة وصاحبها [٩]

(١) كذا في اليونيني ٣ : ١ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٠٣ والنويري : ٤٩ ظ « السادس من المحرم » .

(٢) قلعة الجبل .

(٣) كذا في اليونيني ٣ : ١ ؛ ويفهم من ابن عبد الظاهر : ٤٠٣ والمفضل بن أبي الفضائل : ٤٠ ظ « ثالث عشر المحرم » .

(٤) مدينة من الأعمال الشرقية في الديار المصرية . (أبو الفدا ، تقويم : ١١٨ ــ ١١٩ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ٥ : ٥١ ، المقريزي ، الخطط ١ : ١٨٣) .

(٥) جبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالي ويعرف باليَحْموم . (الخطط المقريزية ١ : ٦٢٥) .

(٦) كذا في اليونيني ٣ : ١ والنويري : ٤٩ ظ ؛ وفي المفضل « السابع والعشرين » ؛ وفي المقريزي ١/٢ : ٦٠٥ « تاسع عشره » .

(٧) كذا في اليونيني ٣ : ١ والمفضل : ٤٠ ظ وابن كثير ١٣ : ٢٦٣ ؛ وفي ابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٧ والنويري : ٥٠ و وابن الوردي ٢ : ٣١٥ « ثالث صفر » .

(٨) هذا الثغر كان مرفأ هاماً على بحر القلزم (البحر الأحمر) في صحراء قفر وكان مرسى المراكب التي تأتيه من اليمن والحبشة والهند كما كان يقصده الحجاج الذين يتوجهون من مصر إلى جدة ، وعيذاب الآن مندثرة .
H. Gibb: art."'Aydhāb", EI 2, I, p. 805B-806A.

(٩) كذا في اليونيني ٣ : ٢ ؛ وفي المفضل : ٤٠ ظ وابن الدواداري ٨ : ١٦٨ « من جهة صاحبها » . وصاحب النوبة هو « داود ابن أخت مرتشكر » كما ورد في ابن عبد الظاهر : ٤١٦ .

فهجموا ثغر عيذاب ، ونهبوا من كان وصل إليه من تجار جاءوا من عدن ، ومن تجار جاءوا من مصر ، وقتلوا منهم خلقاً وقتلوا قاضيها وواليها ، وأسروا ابن حلى [١] وأولاده وكان مشارفاً على ما ترد به التجار .

ذكر غارة لعلاء [٢] الدين متولي قوص على بلاد النوبة

ورد إلى القلعة كتاب من علاء الدين أيد غدي [٣] الحرب دار متولي قوص يخبر بأنه رحل من قوص [٤] إلى أسوان فوصلها سادس عشر صفر ، وأقام ستة أيام ورحل طالباً بلاد النوبة ، فوصل إلى بلد يقال له الجون حادي عشر من صفر فقتل من به وأحرقه ثم رحل عنه إلى بلد يقال له إبريم // فوصله في الثالث والعشرين ، وهو حصن حصين ، فما شعر من به إلا وقد هجم عليهم فقتلهم وأحرق ما فيه وهدمه ، ثم رحل منه إلى بلد يسمى أرمنا فوصله في الخامس والعشرين فقتل من به وأحرقه ، ثم رحل منه إلى أطميث فوصله في السابع والعشرين فقتل من فيه وأحرقه ودوّخ بلادهم ، وفعل الأفاعيل التي شفى بها صدر الدولة ، وأخذ بها ثأر من قتل بسيوف تلك الصّولة . ١٦ و

ذكر توجّه العساكر من مصر إلى الشام

فيها في الليلة المسفرة عن صباح يوم الثلاثاء وصل بريدي يحضّ على خروج العساكر [٥] ، فخرج العسكر المنصور يوم الثلاثاء [٦] المذكور مقدمه الأمير شمس

(١) كذا ؛ وفي المفضل : ٤٠ ظ « ابن جُلي » .
(٢) في الأصل : لعلآى .
(٣) كذا في ابن كثير ١٣ : ٢٦٣ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٩٠ « أيدكين بن عبد الله علاء الدين الخزندار الصالحي » . توفي في ٢٣ ذي القعدة سنة ٦٧٥ هـ وقد ناهز خمسين سنة من العمر .
(٤) مدينة هامة من الصعيد المصري شرقي النيل . (ابن سعيد ، بسط الأرض : ٦٣ ؛ المسعودي ١ : ٢٦ ؛ ياقوت ٤ : ٤١٣) .
(٥) بسبب ورود الأخبار بتحرك التتار باتجاه بلاد الشام .
(٦) في ابن عبد الظاهر : ٤٠٣ « ... وفي ليلة الأربعاء سابع وعشرين المحرم جهز العسكر المجرد إلى الشام » ؛ وفي المقريزي ١/٢ : ٦٠٥ « سابع عشر » .

الدين سنقرجاه [١] ، وتوجه إلى الشام . ثم برز مولانا السلطان الملك السعيد يوم الجمعة حادي عشرين الشهر ، ثم طُلب عسكر آخر ، فتوجه الأمير سيف الدين قليج البغدادي في عسكر آخر // .

١٦ ظ

ذكر وفاة الأمير سيف الدين صاحب صهيون

توفي الأمير سيف الدين محمد بن الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس بن بدر الدين حُمُر دكين [٢] ، صاحب صهيون [٣] ، في شهر ربيع الأول [٤] ، وكان قد نيف على الستين سنة [٥] ، ودفن بتربة أبيه ، وتسلم صهيون وبرزويه [٦] ولده الأمير سابق الدين . ولما توفي والد المذكور ، كان مولانا السلطان بدمشق ، فأُخبر بموته وطلب ولده دستوراً بالحضور ، فأذن له ، فلما حضر أنعم عليه بأربعين فارساً وعلى عميّه جلال الدين مسعود ومجاهد الدين ابن تميم ، كل واحد بعشرة طواشية [٧] ، وتسلم منه صهيون وحصن برزويه واستناب فيهما .

---

(١) في ابن شاكر ، فوات ١ : ٢٣٦ « سنقر شاه العزيزي » .

(٢) قارن بابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٧ وابن الوردي ٢ : ٣١٥ ، والمقريزي ١/٢ : ٦٠٥ ـ ٦٠٦ وترجمة Quatremère, I2, p. 110.

(٣) بلدة من جند قنسرين ذات قلعة حصينة مشهورة . (أبو الفدا ، تقويم البلدان : ٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

(٤) كذا في ابن كثير ١٣ : ٢٦٣ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٠٥ توفي « في يوم الخميس ثالث ربيع الأول » .

(٥) في ابن كثير ١٣ : ٢٦٣ وابن العماد ٥ : ٣٣٥ « توفي في عشر السبعين » .

(٦) وقيل بُرزيه : قلعة صغيرة من جند قنسرين . (أبو الفدا ، تقويم ... : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، وترجمها : Dussaud, op. cit.,p. 151 "Qal'at Bersé"

(٧) مفردها طواشي ، وهم الخدم الخصيان وأسماؤهم الشائعة وما يقابلها من ألقاب : هلال ومرجان : « زين الدين » ، دينار : « عز الدين » ، جوهر : « صفي الدين » ، مثقال : « سابق الدين » ، عنبر : « شجاع الدين » ، لؤلؤ : « بدر الدين » ، صواب : « شمس الدين » ... (القلقشندي ٥ : ٤٥٦ و ٤٨٩) .

ذكر ظفر مولانا السلطان بالتتر قاطع الفرات [١] //

١٧ و فيها في خامس جمادى الأولى اتصل بمولانا السلطان ، وهو بدمشق ، أن فرقة من التتر قصدت الرحبة [٢] ، فبرز إلى القصير [٣] بالعساكر ، فلما حل به بلغه أنهم عادوا من الرحبة ونزلوا على البيرة [٤] ، فسار إلى حمص ، وتقدم بأخذ مراكب الصيادين ببحيرة قدس من عمل حمص ، فأُخذت للجنود وحملها على الجمال ، ثم سار حتى وصل إلى الباب [وبزاعة] [٥] من أعمال حلب وبعث جماعة من المماليك والعربان لكشف أخبارهم ، ثم سار بعدهم إلى منبج ، فعادوا وأخبروا أن طايفة من التتر مقدارها ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة ، فرحل من منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى حتى وصل شط الفرات ، فتقدم بعمل الجسر ، فأخذ في ذلك ، فمنعه عزمه من التربص والتمهل ورأى التّحزم في انتهاز الفرصة ، فتقدم للعسكر بخوض الفرات ، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون [٦] أولاً ثم الأمير بدر الدين بيسري ثانياً ، ثم تبعهما
١٧ ظ بنفسه وتبعته العساكر // ، فوقعوا على التتر ، فاستلوا أرواحهم من جسومهم طعناً وضرباً

---

(١) بالنسبة لهذه الوقعة (وقد سميت أيضاً بوقعة جِنْقُر مقدم التتر) قارن بابن عبد الظاهر . ٤٠٥ ـ ٤١٠ وابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٧ واليونيني ٣ : ٢ ـ ٥ وابن الدواداري ٨ : ١٦٩ ـ ١٧١ والمقريزي ١/٢ : ٦٠٦ ـ ٦١٠ ; Lane-Pool: A Hist. of Egypt, p. 270; D'Ohsson: Hist. de Mong., III, p. 426-467

(٢) بضم الراء المهملة وفتحها وترجمها "Dussaud: "Rahba وهي مدينة غربي الفرات بين الرقة وعانة . (ابن سعيد : ٢٨٨ . Dussaud, op. cit., p. 252 et suiv., 259, 454, 514.

(٣) تصغير القصر ، عرّفها القلقشندي ٤ : ٣٦٧ ، بأنها ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ، وترجم لها Demombynes: Syrie, p. 88 "C'est une forteresse, à environ quatre jours à l'ouest d'Alep".

(٤) قلعة حصينة شمالي الفرات قرب سميساط . (ياقوت ١ : ٥٢٦) .

(٥) أضيف ما بين القوسين من المفضل : ٤٠ ظ .

(٦) أصبح فيما بعد سابع سلاطين المماليك البحرية وعرف بالسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي العلائي تولى السلطنة بعد سلامش ابن الظاهر بيبرس في رجب سنة ٦٧٨ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٢٧٩ م وحكم لمدة ١٢ سنة حقق خلالها العديد من الانتصارات لا سيما انتصاره على التتر في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ . توفي ، وهو يتهيأ لأخذ عكا ، في سادس ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ / ١٠ تشرين الثاني ١٢٩٠ م ، ومولده في بلاد القبجاق . "Kipčak" على البحر الأسود .
M. Sobernheim: art. "Kalawun", EI, II, p. 726B-728A.

وأسروا منهم تقدير مايتي نفس ولم ينج منهم إلا القليل ، فتبعهم الأمير بدر الدين بيسري إلى قريب سروج [١] ، ثم عاد . والذين كانوا على البيرة بدوان وشرف الدين ابن الخطير الهربكي [٢] وأتابك رسلان دغمش [٣] وأمين الدين ميكاييل النايب بملطية [٤] ، وأمراء الروم تقديراً ثلاثة آلاف فارس وأتابكية ، ومقدم المغل [٥] ودرباي [٦] صحبته . وكانت الوقعة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى . ولما اتصل بالذين على البيرة خبر هذه الوقعة رحلوا عنها بعد أن أشرفوا على أخذها ، وتركوا ما لهم من الأسلحة والعدد والمجانيق والأمتعة والخيل المحشرة ونجوا بأنفسهم لا يلوي أحد منهم على أحد ، فسار مولانا السلطان إليها فوصلها في الثاني والعشرين من الشهر وصعدها وخلع [٧] على مستحفظيها وفرق فيهم ماية ألف درهم ، وأنعم عليهم ببعض مما تركه التتر عند هربهم ، ثم رحل قاصداً دمشق . فعند اجتيازه بحمص أخرج // من كان عوّقه بقلعتها من أمراء المغل وهو ... [٨] وشُكر له قلعة حمص ، فتقدم بعمارة الدور التي بالقلعة فعُمرت ، وجدّد له طارمة وسماط ، فغرم على ذلك شيء كثير . ثم رحل منها يوم السبت التاسع منه متوجهاً إلى مصر . ولما اتصل خبر توجهه بولده الملك السعيد خرج من القاهرة يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخر وصحبته الأمير بدر الدين بيليك الخزندار والمولى

١٨ و

---

(١) "Saroudj" بلدة قريبة من حرّان من ديار مصر . (ياقوت ٣ : ٢١٦ ـ ٢١٧) ، Dussaud, op. cit., p. 241, 480, 519 et 522.

(٢) سيرد ذكره فيما بعد في سياق كلام المؤرخ عن علاقة الملك الظاهر مع أمراء الروم : ٩٧ ظ وما يليها .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : « دعمش » .

(٤) كذا ؛ وفي المصدر السابق والمفضل : ٤٢ و « النايب بقونية » . وملطية مدينة كبيرة من أكبر مدن الثغور الجزرية بالشام على مسافة سبعة أيام تقريباً شرقي حلب . (الاصطخري ، المسالك : ٤٦ ـ ٤٧ ؛ القزويني ، آثار : ٣٧٩ ؛ Demomb., op. cit., 97-98 . أما قونية فهي مدينة حسنة بينها وبين اللاذقية يوم واحد (الحميري : الروض المعطار : ٤٨٤) .

(٥) ويدعى جنقر .

(٦) كذا في اليونيني وابن عبد الظاهر والمقريزي وقد ترجمه "Derbaï" Quat. (I, 2, p. III) ؛ وفي المفضل : ٤٢ و وابن الدواداري : ١٧١ « دَرّباي » .

(٧) والإسم منه خلعة وقد ترجمها Dozy (Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes, p. 279) "Vêtement d'honneur".

(٨) فراغ في الأصل بمعدل كلمتين تقريباً .

الصاحب الوزير بهاء الدين فالتقوا بمولانا السلطان بين القصير والصالحية ، من أعمال بلبيس [١] ، يوم الجمعة الحادي والعشرين ، فترجل الملك السعيد وترجل مولانا السلطان له واعتنقا طويلاً ، ثم ركبا وسارا جميعاً إلى القلعة [٢] ، وتقدم بإدخال أسرى التتر ركاباً على الخيل يقودهم مماليكه [٣] .

عدة متجدّدات

١٨ ظ وفي السابع [٤] من هذا الشهر أفرج عن الأمير عز الدين // أيبك الدمياطي الصالحي [٥] [وأنزله بدار الوزارة ، ورتب له الرواتب] [٦] ، وكانت مدة اعتقاله تسع سنين وعشرة أيام . وفي يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب المبارك خلع مولانا السلطان على جميع الأمراء ، ومقدمي الحلقة والمماليك الصالحية وأرباب دولته ، وأنعم على كل واحد منهم بما يليق به من الخيل والذهب والثياب والحوايص والسيوف ، فكان ما صرفه إليهم من المال فوق الثلاثمائة ألف دينار . وفي الثامن منه عبر مولانا السلطان النيل إلى الجيزة وخيّم على القناطر الصلاحية ، ثم عاد منها في سلخ الشهر وأفرج عن الأمير علم الدين سنجر الغتمي المعزّي سادس عشري [٧] شعبان ، وأثبت أولاد أيبك الأسمر أنه باق على ملكهم

(١) هي مدينة بمصر السفلى إلى الشمال الشرقي من القاهرة على حدود الصحراء . C. H. B. Becker : مادة « بلبيس » ، دائرة المعارف الإسلامية ٤ : ٧٥ ـ ٧٦ (ب ـ أ) .

(٢) يقصد قلعة الجبل .

(٣) يعزو (Sourdel) انتصار بيبرس الساحق في هذه الوقعة إلى تردد الفرنج في اتخاذ موقف يسجل لمصلحة المغول واستفادة بيبرس من الفرصة المناسبة ، وذلك بقوله :

"C'est fut le Sultan mamlouk Baībars qui, profitant des hésitations des croisés, arrêta, l'invasion mongole et la refoula au delà de l'Euphrate". D. Sourdel: L'Islam, p. 29.

(٤) عند ابن عبد الظاهر : ٤١١ والنويري ٢٩ : ٥٠ و « السابع والعشرين » .

(٥) كان السلطان قد اعتقله سنة ٦٦١ هـ هو والأمير بن سيف الدين بلبان الرشيدي وشمس الدين أقوش البرلي . توفي بالقاهرة ليلة الأربعاء تاسع شعبان سنة ٧٧٦ هـ / السبت ٥ كانون الثاني ١٢٧٨ م ودفن بتربته التي أنشأها بين القاهرة ومصر . (اليونيني ٢/٢٩٠٧ : ٧٩ ظ ـ ٨٠ و ؛ النويري : ٢٠ و ـ ٢١ و ، و ٩٩ و ؛ المفضل : ٦٧ و ؛ عبر الذهبي ٥ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن عبد الظاهر : ٤١١ والنويري : ٥٠ و .

(٧) في اليونيني ٣ : ٥ « سادس عشر » .

فاشتراه منهم مولانا السلطان . وفي العشر الأواخر من الشهر سفّر مولانا السلطان رسل منكوتمر ابن أخي بركة وبعث معهم هدية سنية ، وكانت جوهر وحوايص [(١)] وسيوف محلاة وثياباً منوعة وصحبتهم بدر الدين عزيز [(٢)] الكردي وسيف الدين [الصوابي المهمندار] [(٣)] // . وفي يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان اشترى مولانا السلطان عز الدين ١٩ و أيبك النجيبي الصغير من مولاه الأمير جمال الدين آقوش النجيبي الكبير [(٤)] . وفي يوم السبت حادي عشر شهر رمضان جلس مولانا السلطان بدار العدل [(٥)] ، وأفصل قضايا الرعية من أول النهار إلى بعد الظهر .

ذكر اعتقال الشيخ خضر [(٦)]

فيها في يوم الإثنين ثاني عشر شوال استدعى مولانا السلطان الشيخ خضر إلى القلعة ،

---

(١) مفردها حياصة ، ترجمها Dozy و .Quat "Ceinture" ، وكانت تسمى قديماً « منطقة » ، وهي مصنوعة من الفضة أو من الذهب . يقول Dozy :

"... Cette sorte de Ceinture était en argent ou en or ... Jamais on ne lira d'une (حياصة) ou d'une (منطقة) en Cuir ou en étoffe quelconque".
Dozy, op. cit., p. 145-147; Quat., op. cit., I, 1, p. 31.

(٢) في الروض الزاهر : ٤١١ « بدر الدين بن عزيز الحاجب » .

(٣) التكملة من المصدر نفسه : ٤١١ .

(٤) هو من عتقاء الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولد سنة ٦٠٩ هـ أو ٦١٠ هـ جعله الملك الظاهر أستاذ داره في أول الدولة ثم جعله نائباً عنه بالشام مدة تسع سنين ثم عزله قبل وفاته بسبع سنين . توفي بالقاهرة في الخامس من ربيع الأول سنة ٦٧٧ هـ / ٢٧ تموز ١٢٧٨ م ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرافة الصغرى وقد أنشأ المدرسة النجيبية بدمشق وأوقف عليها أوقافاً . (اليونيني ٣ : ١٠٥ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب : الورقة ١٧٧ ؛ النعيمي ١ : ٤٦٨ ـ ٤٧٠) .

(٥) عادة السلطان « إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الإثنين بإيوانه الكبير المسمى بدار العدل ... ويكون جلوسه إلى الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك ... » ويستعين السلطان بهيئة لخلاص المظالم مؤلفة من أرباب الدولة كقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ووكيل المال والناظر في الحسبة وكاتب السر وناظر الجيش ... إلخ . (انظر القلقشندي : ٤٤ ـ ٤٥ حيث توجد تفصيلات وافية عن هذا الموضوع .

(٦) الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى أبو العباس المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر ، تأكدت له بالملك الظاهر صحبة نفعته ثم وشي به لدى السلطان فاعتقله بقلعة الجبل في ١٢ شوال سنة ٦٧١ هـ / ٢ أيار ١٢٧٣ م وبقي =

وأحضره بين يديه مع جماعة حاققوه على أشياء كثر بينهم وبينه فيها القال والقيل ورموه باللواط والزنا ، فتقدم باعتقاله ، وهذا الشيخ المذكور كانت له عند مولانا السلطان منزلة لم يظفر بها أحد منه بحيث أنه كان ينزل إلى عنده في كل جمعة المرة والمرتين ، ويباسطه
١٩ ظ ويمازحه ويقوم له بما يحب ، ويقبل شفاعاته ويقف عند ما يرسم به // ، ولا يقصد جهة من الجهات السفرية إلا استصحبه معه ، ومتى فتح مكاناً فرض له منه شيئاً من فيئه وغنيمته ، فامتدت لذلك يده في ساير ممالك مولانا السلطان يفعل فيها ما يحب ، لا يمنعه من ذلك مانع من أحد من النواب ؛ دخل كنيسة قمامة [١] فأخذ قسيسها وذبحه بيده ، وأنهب ما كان فيها تلامذته ، ودخل كنيسة مريم [٢] بدمشق ، هجمها فنهبها وصيّرها مسجداً ، وكان فيها ما لا يُعبَّر عنه من الفرش والأواني ، وعمل بها سماعاً ومد بها سماطاً . ودخل كنيسة في الإسكندرية عظيمة عند النصارى ، يعتقدون بها البطركية ، فنهبها وصيرها مسجداً وسماها المدرسة الخضراء ، وأنفق في تغييرها مالاً كثيراً من بيت المال . ومن مكانته التي كانت له عند مولانا السلطان أن بنى له زاوية بالحسينية [٣] ووقفها
٢٠ و عليها وحبس عليه أرضاً يحكرها لمن يَبني فيها // * يستغلها في كل سنة الآلاف دراهم ،

= معتقلاً حتى وفاته يوم السادس من محرم سنة ٦٧٦ هـ/ ١٠ حزيران ١٢٧٧ م ، (وقيل سنة ٦٧٥ هـ) وقد نيف على الخمسين . وكان الملك الظاهر يستشيره في أحل الأمور وأعظمها فأصبح له بالتالي سلطة ونفوذ جعلاه موضع كره وحسد من أرباب السلطنة . وكان موته منذراً بدنو أجل الملك الظاهر ، إذ إن هذا الأخير قد توفي بعده بقليل . (النويري : ٥٠ و ؛ اليونيني ٣ : ٥ ـ ٦ ؛ ابن فضل الله العمري ٥ : ١٦٧ ـ ١٧٢ ؛ الحنبلي ؛ نزهة الناظرين : ٨٦ ظ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ١٠ ؛ المقريزي ١/٢ : ٦٠٨ . وعن سبب اعتقال الملك الظاهر للشيخ خضر قارن بالمصادر الآنفة الذكر) .

(١) كنيسة في بيت المقدس (كنيسة القيامة) ، عظيمة عند النصارى ، لم يهدمها السلطان صلاح الدين « اقتداء بعمر ، حيث لم يهدمها لما فتح بيت المقدس » . (السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ٤٥٣) . وورد ذكر هذه الكنيسة في ابن فضل الله العمري ٥ : ١٧١ وابن الدواداري : ٢٢٢ ، باسم « المصلبّة » .

(٢) كانت كنيسة لليهود كما ورد في اليونيني ٣ : ٦ وابن فضل الله العمري ٥ : ١٧١ .

(٣) بناها الملك الظاهر لشيخه خضر سنة ٦٦٠ هـ ظاهر القاهرة وهي تقع خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير وقد دفن هذا الأخير بها حين وفاته . (اليونيني ٣ : ٦ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٤٣٠ ـ ٤٣١) .

(*) إشارة إلى بدء « الرابع من الجزء الثاني » .

وبنى لأجله الجامع [١] الذي بالحسينية الذي لا شيء مثله .

ذكر استيلاء [٢] مولانا السلطان على ما بقي من قلاع الإسماعيلية [٣]

كانت طايفة من الإسماعيلية عصوا بقلعة القدموس على واليها وقتلوه ، وعلى من بقلعة المينقة وقلعة الكهف ، وكاتبوا مولانا السلطان وسلموها له ، فبعث إليها نايباً ، وكتب إلى من في القلعة في تسليمهما على أن يعوضهم عنهما إقطاعاً بمصر فأجابوا ، وكان المتحدث معهم والمتوسط بين مولانا السلطان وبينهم الملك المنصور [٤] صاحب حماة ، فلما أجابوا بعث إليه [٥] الأمير سيف الدين الدوادار [٦] رسولاً يخبر بذلك ومعه رسل منهم ، فوصل يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة ، فخلع عليه وكتب للرسل وأعطاهم مناشير [٧] بما وعد مرسلهم من الإقطاعات [٨] ، وعادوا يوم // الأحد تاسع ذي القعدة ، وكان اجتماعهم بمولانا السلطان في برّ الجيزة ، وكان قد خرج إليها للتنزه يوم الخميس ثاني عشرين شوال ، واتفق عوده في الثاني عشر من ذي القعدة .

٢٠ ظ

(١) أمر السلطان الملك الظاهر بعمل هذا الجامع في ربيع الآخر عام ٦٦٥ هـ / كانون الثاني ١٢٦٦ م ، وتم في سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م ، وقرر له خطيب حنفي . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ٤٨٠) .

(٢) في الأصل : إستلاء .

(٣) قارن بابن عبد الظاهر : ٤١١ ـ ٤١٤ .

(٤) ولي حماة سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، إلى حين وفاته سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م . (Cl. Cahen, op. cit.)

(٥) إلى السلطان الملك الظاهر .

(٦) دوادار الملك المنصور صاحب حماة .

(٧) مفردها منشور ؛ يقول فيه صاحب صبح الأعشى ١٣ : ١٥٧ إن « كتّاب ذلك الزمان اصطلحوا على تسمية جميع ما يكتب في الإقطاعات من عاليها ودانيها للأمراء والجند والعربان والتركمان وغيرهم مناشير .. » ويبدو أنها من مستحدثات دولة المماليك .

(٨) أنظر : Cl. Cahen: art. "Iḳta'", EI 2, III, p. 1115A-1118A.

ذكر جلوس مولانا السلطان في دار العدل

في يوم الإثنين ثالث عشرين ذي الحجة جلس مولانا السلطان بدار العدل التي تحت القلعة لرفع المظالم وإنصاف الضعيف من القوي ، ثم تقدم بكتب كتب قريت على المنابر يحضّ الرعية على طلب حقوقهم ممن تغلّب عليها وحال بينهم وبينها ، وأمر أن ينادى في الأسواق ثم جلس يوم الإثنين سلخ الشهر .

ذكر هرب ابن مخلول من قلعة عجلون [١]

٢١ و كان مولانا السلطان قد حبس عمرو بن مخلول من آل // فضل وحامد قريبه [٢] في برج من أبراج قلعة عجلون ، فحفرا حفيرة قريبة من السور وأداما فيها وقيد النار حتى تكلس حجر السور ، فنقباه وخرجا منه ، وقد كانا أعدا لهما خيلاً ، فهربا عليها ونجيا فقصدا التتر ، ثم ندما على ما فعلا ، فكتبا إلى مولانا السلطان يستعطفانه عليهما ، فحلف أنه لا يرضى عنهما حتى يعودا بأنفسهما إلى قلعة عجلون ويجعلا القيود في أرجلهما على ما كانا عليه حين حبسهما ، فلمّا لم يكن لهم وزر يلتجئون [٣] إليه ولا كهف يعتمدون [٣] في النجاة عليه ، وضاقت عليهم [٣] الأرض بما رحبت واستعصت عليهم [٣] حماتها وأبت ، فعلوا [٤] ما رسم لهم [٤] به ، فعفا عنهم [٤] بسببه // .

---

(١) ورد هذا الخبر في ابن عبد الظاهر : ٤٢٣ وابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٨ وأبو الفدا ، المختصر ٤ : ٨ وابن الفرات ٧ : ١٠ وابن الوردي ٢ : ٣١٧ على أنه من حوادث سنة ٦٧٢ هـ ، بينما وافق اليونيني والنويري تأريخ ابن شداد .

(٢) في النويري : ٥٠ ظ « رفيقه » .

(٣) الصوب : يلتجئان ... يعتمدان ... عليهما .

(٤) كذا ؛ وصوابها : فعلا ... لهما ... عنهما .

٢١ ظ

ذكر عزل الصاحب الوزير خواجا علي المدعو فخر الدين وزير الروم والقبض عليه وعلى ولده الكبير تاج الدين الحسين [(١)]

كان السبب في ذلك أن معين الدين البرواناة بلغه أن الصاحب فخر الدين سيّر كتاباً إلى السلطان عز الدين كيكاووس [(٢)] ، وهو نازل بصوداق [(٣)] ، وذهباً ، فلما اتصل به ذلك أحضر الوزير إلى مجلس أجاي وصمغر ووجوه الدولة ، وكان ذلك في شهر رمضان من هذه السنة وقال له : « أنت سيّرت ذهباً إلى السلطان عز الدين كيكاووس وكاتبته » . فقال : « نعم صحيح ذلك بالأمس كان السلطان عز الدين سلطاننا وصاحب البلاد ، وهو الذي أنشأك وأنشأنا ، والآن فقد كتب إليّ كتاباً يشكو حاله وضرره ، وأنا أقل مملوك لهم [(٤)] ، // فلا أقلّ من مراعاة بعض نعمتهم بالقدر اليسير الذي سيرته لهم ، ما اعتمدته وما اعتمدت شيئاً غيره مما يوجب الإنكار عليّ » . فقبض عليه واعتقله ، وقبض أيضاً على ولده تاج الدين محمد واعتقلهما في قلعة يقال لها عثمان جن [(٥)] ، واحتاط على موجوده وأملاكه وكانت عظيمة جداً ، والذي قبض عليه ضياء الدين محمود بن الخطير [(٦)] في داره وحمله إلى معين الدين البرواناة ؛ وأما ولده الصغير نصير الدين محمود فنجا بنفسه وقصد أبغا ، فانتظم في سلك خواصّه . وولّى البرواناة مكان الصاحب فخر الدين مجد الدين الحسين ختنه . وأما نصير الدين فإنه أحسن التوصل إلى أن استنجز يغلغا بالإفراج عن أبيه الصاحب فخر الدين وعن أملاكه والوقوف التي عليه والذي [(٧)] أوقفها

٢٢ و

(١) كذا في الأصل وهو خطأ والصحيح محمد .

(٢) عز الدين كيكاووس (كيكاوس) بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلومش بن ارسلان بن سلجوق سلطان الروم . توفي سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م . (ابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٤٤ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ١١ ـ ١٢ ؛ المقريزي ١/٢ : ٦٥٠) .

(٣) تقع في ذيل جبل على شط بحر القرم وأهلها مسلمون . (أبو الفدا ، تقويم : ٢١٤ ـ ٢١٥) .

(٤) يريد « له » (ويستعمل صيغة الجمع للتعظيم).

(٥) في اليونيني ٣ : ٧ « عمان جق » .

(٦) لفظ « الخطير » لقب من ألقاب الملوك وتعني الكبير الجليل القدر . (القلقشندي ٦ : ٨١) .

(٧) كذا ؛ وصوابه : والتي .

لوجوه البر ، فأفرج عنه ، وأقام ملازماً بيته وولده بغير خبز [١] ، ولم يزل كذلك إلى أن دخلت سنة أربع وسبعين ، وسار إلى أبغا بإذن البرواناة ، وستأتي بقية حديثه في سنة أربع

٢٢ ظ وستين [٢] وستمائة . // وفي هذه السنة أمر مولانا السلطان إنشاء جسورة في الساحل ، فبنيت عدة جسور في مواضع يأتي ذكرها [٣] ، غرم الجسر منها نحو المائة ألف درهم ، فحصل للمسافرين بها الرفق العظيم ، فإنه كان في الشتاء يغرق منهم الخلق الكثير وتغرق أمتعتهم . وعبرتُ عليها في سنة اثنتين وسبعين وشاهدتها منتهية واسمه مكتوب عليها ، ـ تغمده الله برحمته وثوّاه غرف جنته ـ .

وفي هذه السنة هلك أفرير بُرناط مقدم الدولة ، وكان هذا مأسوراً بحلب ، أُخذ في كسرة عسكر حلب للداوية على بَغراس [٤] في سنة أربع وأربعين وستمائة ، ثم خلص من الأسر بسبب كسر الخوارزمية [٥] لعسكر حلب على بزاعا [٦] ، أطلق مع مائة فارس وتسع من الداوية والأسبتار [٧] // .

٢٢ و وفيها قبض سالم بن إدريس بن محمود بن محمد الحضرمي على أخيه موسى [٨]

---

(١) في اليونيني ٣ : ٨ « وأقام ملازماً بيت ولده بغير خبز »

(٢) مصححة في الهامش بخط مختلف « سبعين » .

(٣) راجع الورقة ٢٥٤ و وما يليها .

(٤) قلعة مرتفعة من جند قنسرين ولها أعين بينها وبين أنطاكية ١٢ ميلاً . (ياقوت ١ : ٤٦٧ ؛ (Dussaud, op. cit., p 162.

(٥) نسبة إلى خوارزم وهو إقليم من مملكة توران ، منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر ، على المجرى الأسفل لنهر آموداريا . (ابن بطوطة ١ : ٢٩٧ ـ ٣٠٢ ؛ ابن سعيد : ١٢٢ ؛ القلقشندي ٤ : ٤٥٣ ـ ٤٥٤) . وعن علاقة الخوارزمية بالمسلمين انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٩ : مادة « خوارزم » ، ٣ أ ـ ١٤ أ .

(٦) راجع ترجمتها في المخطوط الذي بين أيدينا الورقة ٤٢ ظ .

(٧) الداوية والإسبتار (Les Templiers et les Hospitaliers) منظمتان عسكريتان ـ دينيتان لعبتا دوراً هاماً في الحروب الصليبية وكانت مهماتهما الأساسية الدفاع عن القلاع والحصون وحراسة الطرق التي كان يسلكها الحجاج القاصدون إلى الديار المقدسة . (س . رنسيمان (S. Runciman) ، الحروب الصليبية ٢ : ٥٠٠ ـ ٥٠٣) .

(٨) قتل سالم بن إدريس أخاه موسى في ٢٧ رجب سنة ٦٧٨ هـ / ٣ كانون الأول ١٢٧٩ م عند استيلائه على ظفار . (المقريزي ، العقود ٢ : ٣١٢) .

صاحب ظفار (١) . واستبد بها . //

٢٣ ظ

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة احدى وسبعين وستمائة

أحمد بن عثمان بن سياوش الخلاطي المُقرّي المنعوت بالتقي ، إمام الكلاسة (٢) ، الشيخ الصالح أبو العباس . توفي في الخامس من شهر رمضان بدمشق ودفن [من يومه] (٣) بجبل قاسيون [وقد نيف على السبعين سنة من العمر] (٤) . قرأ القرآن الكريم بالقراءات ، وسمع من الإمام علم الدين السخاوي (٥) ، وأقرأ وحدّث ، وكان مشهوراً بالخير والصلاح ــ رحمه الله ــ .

أبو بكر بن علي بن حذيفة من آل فضل قُتل في هذه السنة . وكان قد لحق بالتتر وبقي معهم مدة ، وسبب قتله أنه أغار على سليمان بن أحمد بن حجي بن بريد من آل مِرَى (٦) ، فركب إليه سليمان والتقيا فكسره سليمان وأسره ، وبقي عنده أياماً وقتله وهو راكب على جمل ، وكان // هذا المرء شيطاناً من شياطين الإنس ؛ كان مدة مقامه مع

٢٤ و

(١) مدينة باليمن قيل إنها تعني « النبات العطر » وهي الآن مجموعة من الخرائب على مسيرة نحو عشرة أميال جنوبي غربي بريم . (J. Tkatseh: art. "Ẓafār", EI, IV, p 1185A-1195B)

(٢) مدرسة شافعية لصيق الجامع الأموي من الجهة الشمالية ولها باب إليه . عمّرها نور الدين زنكي سنة ٥٥٥ هـ وسميت بهذا الإسم لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع . (ابن فضل الله العمري ١ : ١٤٦ ؛ النعيمي ١ : ٤٤٧ ــ ٤٤٨) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من اليونيني ٣ : ١١ .

(٤) ما بين القوسين من اليونيني والذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٢ و :

(٥) الإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ، ولد بسخا (بليدة بالغربية من أعمال مصر) سنة سنة ٥٥٨ ــ ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ ــ ١١٦٤ م وتوفي بدمشق ليلة الأحد ١٢ جمادى الآخرة سنة ٦٤٣ هـ / ٤ تشرين الثاني ١٢٤٥ م ، ودفن بتربته بجبل قاسيون . (أبو شامة : ١٧٧ ؛ ابن خلكان ٣ : ٣٤٠ ــ ٣٤١ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ٢ : ١١٣ ؛ اليافعي ٤ : ١١٠ ــ ١١١) .

(٦) والده شيخ آل مِرَى كان أحد الأبطال المعروفين وإغاراته تصل إلى نجد والحجاز ، وكانت له ولأبيه منزلة رفيعة عند الملك الظاهر . وكان بين آل فضل وآل مرى خصومة وتنافس على زعامة العربان . (الصفدي ٦ : ٣٠٤ ــ ٣٠٥ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ١ : ٢٤٦ ــ ٢٤٨) .

التتر يُغير على المسلمين . ولما أن [١] قتل سيّر سليمان قاتله إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أخبره بقتله ، وكان سليمان في البرّية ، فراسله مولانا السلطان وطلبه إليه وطيّب قلبه ووعده بكل جميل ـ أخبرني بذلك فرّاج نجّاب الأمير الكبير بدر الدين بيسري الشمسي ـ .

بوربا [٢] الأمير جمال الدين عتيق الملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين . توفي في هذه السنة بماردين وكان في عمر السبعين سنة . خدم الملك السعيد [٣] صاحبها وتقدم عنده ورسّله إلى الملوك ثم نقم عليه فحبسه ، فلم يزل محبوساً إلى أن توفي الملك السعيد وولى ولده الملك المظفر فخر الدين رسلان فأخرجه يوم وفاة والده .

الحسن بن السيد النقيب محيي الدين كمال الشرف محمد بن السيد كمال الدين حيدر بن عبد الله الحسيني ، السيد الشريف النقيب الزاهد العابد الطاهر ركن الدين . توفي في هذه السنة ببغداد ، ودفن بمشهد موسى بن جعفر [بن أبي طالب الطيّار] [٤] بالجانب الغربي ، وكان قد نيف على خمس وخمسين سنة . كان زاهداً عابداً ورعاً ـ رحمه الله ـ // .

٢٤ ظ **عبيد الله** بن كمال الدين عمر بن أبي صالح عبد الرحيم [بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي] [٥] بن العجمي الشيخ شهاب الدين أبو صالح . توفي [بحلب] [٥] في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى ، ومولده [في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وستماية بحلب] [٥] . كان له سماع عال في الحديث ، سمع بحلب من الشريف افتخار الدين

(١) لفظة « أن » : مكررة في الأصل .

(٢) وردت ترجمته على الهامش الأيسر من الصفحة بالخط نفسه .

(٣) الملك السعيد نجم الدين بن ايل غازي بن المنصور أرتق بن ارسلان بن غازي بن أرتق . مات في ذي الحجة من سنة ٦٥٨ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٢٦٠ م ودفن بدهليز داره . (ابن كثير ١٣ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٩٠) .

(٤) الزيادة من ابن شداد ٢/٢ : ٢٧٧ .

(٥) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٧ ـ ١٨ .

عبد المطلب بن الفضل الهاشمي ، ودخل بغداد ، وسمع بها جماعة كثيرة من أصحاب ابن شاتيل [١] وابن يونس [٢] وغيرهما ، وكتب بخطه كثيراً من الحديث ، وحدّث .

عبد الرحيم بن رضيّ الدين محمد بن عماد الدين محمد بن يونس [بن محمد بن منعة بن محمود أبو القاسم] [٣] ، الموصلي الشافعي ، قاضي قضاة الجانب الغربي من بغداد ، تاج الدين . توفي في هذه السنة [في جمادى الأولى] [٤] وكان قد نيّف على الخمسين سنة [٥] . له : « التعجيز في اختصار الوجيز وشرحه » و « مناقب الشافعي » و « التنبيه في اختصار التنبيه » وشرح « الإرشاد » للعميدي ، واختصر // « المحصول في أصول الفقه » [٦] مختصرين ، واختصر القدوري ببغداد ، وكان إماماً عالماً مفتياً لم يساجل في عصره . اشتغل على عم أبيه كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعة [٧] ـ رحمهما الله ـ .

٢٥ و

عبد القاهر بن عبد الغني بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن القاسم [٨] بن تيمية الحراني الخطيب المنعوت بالفخر . توفي في الحادي عشر من شوال بدمشق ودفن

---

(١) عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن نجا بن شاتيل الدباس أبو الفتح بن أبي محمد . ولد سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، وتوفي في رجب سنة ٥٨١ هـ / أيلول ـ تشرين الأول ١١٨٥ م . (مختصر تأريخ الدبيثي ٢ : ١٨١ ـ ١٨٣) .

(٢) الإمام العلامة محمد بن يونس الملقب عماد الدين الفقيه الشافعي ، من مصنفاته في المذهب : « كتاب المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط » ، « شرح الوجيز للغزالي » ولد سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤١ م وتوفي سنة ٦٠٩ هـ وقيل سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ ـ ١٢١٣ م بالموصل . (أبو شامة : ٨٠ ؛ اليافعي ٤ : ١٦ ـ ١٧ ؛ طبقات السبكي ٥ : ٤٥ ـ ٤٦) .

(٣) الزيادة من اليونيني ٣ : ١٤ . وفي عبر الذهبي ٥ : ٢٩٣ واليافعي ٤ : ١٧١ ـ ١٧٢ : توفي سنة ٦٧٠ هـ .

(٤) الزيادة من اليونيني ٣ : ١٥ .

(٥) في المصدر نفسه « ولد بقلعة إربل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة في بيت صغير منها » وهو خطأ أكيد . وفي ابن كثير ١٣ : « ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » وكذا في طبقات السبكي ٥ : ٧٢ ـ ٧٤ .

(٦) لفخر الدين الرازي .

(٧) ولد في صفر سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م بالموصل ، وهو عالم مصنف في العلوم الرياضية والفلكية . توفي في النصف الأول من شعبان بالموصل سنة ٦٤٠ هـ / شباط ١٢٤٢ م . (أبو شامة : ١٧٢ ؛ السبكي ٥ : ١٥٨ ـ ١٦٢) .

(٨) وردت ترجمته على الهامش الأيسر بخط المتن . (قارن بالنويري : ٥١ و) .

بمقابر الصوفية ، ومولده في سنة اثنتي عشرة وستماية [بحران] [١] . سمع من أبيه وجده أبي عبد الله محمد ومن أبي المنجّا بن اللتيّ [٢] ، وحدّث وخطب بجامع حران .

عمر الملك المغيث فتح الدين أبو الفتح بن الملك الفايز سابق الدين إبراهيم بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب [صاحب الكرك والشوبك] [٣] . توفي في هذه السنة بخزانة البنود [٤] في الجُبّ [٥] بعد سبع سنين ، ومولده في صفر سنة ست وستماية بالقاهرة .

محمد بن عبد المنعم [بن عمار] [٦] بن هامل [أبو عبد الله شمس الدين] [٧] الحراني المحدّث . توفي في ليلة الثامن من شهر رمضان بدمشق ودفن بجبل قاسيون ، [ولد بحران سنة ثلاث وستماية] [٨] . سمع ببغداد ودمشق ومصر والإسكندرية وغيرها من جماعة كثيرة من أصحاب أبي الوقت السجْزي [٩] وأبي طاهر السِلَفي [١٠] وغيرهما ،

(١) الزيادة من الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٣ و .

(٢) عبد الله بن عمر بن علي بن زيد القزاز أبو المنجّا المعروف بابن اللتيّ . ولد في ذي القعدة سنة ٥٤٥ هـ / آذار ـ نيسان ١١٥١ م ، وتوفي ببغداد في جمادى الأولى سنة ٦٣٥ هـ / كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٣٧ ـ ١٢٣٨ م. (مختصر تأريخ الدبيثي ٢ : ١٤٩ ـ ١٥٠ ؛ عبر الذهبي ٥ : ١٤٣) .

(٣) الزيادة من الذهبي ، المصدر السابق ٢١ : ٤ و .

(٤) هذه الخزانة بالقاهرة كانت من جملة خزائن القصر يعمل بها السلاح ، ثم أصبحت سجناً للأمراء أيام الأيوبيين ثم تحولت فيما بعد إلى زقاق يعرف بخط البنود ، والبنود هي الرايات والأعلام .

(٥) بركة من ضواحي القاهرة عندها ينزل الحجاج بالذهاب والإياب في كل سنة لذا عرفت ببركة الحاج . (ابن دقماق ، الإنتصار ٥ : ٤٥ ؛ المقريزي ، الخطط ١ : ٤٨٩) .

(٦) و (٧) التكملة من اليونيني ٣ : ٢٥ .

(٨) الزيادة من ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ وابن العماد ٥ : ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٩) عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي . ولد في مدينة هراة في ذي القعدة سنة ٤٥٨ هـ / تشرين الأول ١٠٦٧ م ، وتوفي يوم الأحد سادس ذي القعدة سنة ٥٥٣ هـ / ٢٩ تشرين الثاني ١١٥٩ م . (ابن خلكان ٣ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤) .

(١٠) الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفة (وقيل ابن سِلَفة) الملقب صدر الدين . ونسبه إلى جده إبراهيم ، وسلفة لفظ أعجمي معناه بالعربية « ثلاث شفاه » وقيل معناه « الغليظ الشفة » . ولد بأصفهان عام ٤٧٢ هـ تقريباً / ١٠٧٩ م ، وتوفي بثغر الإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ ـ ١١٨١ م . (ابن شاكر ، فوات ١ : ١٠٥ ـ ١٠٧ ؛ الذهبي ، تذكرة ٤ : ٦٠ ـ ٩٦ ؛ طبقات الإسنوي : ٢ : ٥٨ ـ ٥٩ ؛ طبقات السبكي ٤ : ٤٣ ـ ٤٨) .

وكان أحد المعروفين بالطلب والإفادة ، وحدّث وسمعت منه كثيراً // .

٢٥ ظ **محمد** بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنباري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، الشيخ الصالح الإمام العالم أبو عبد الله . توفي في هذه السنة بمنية بني خصيب من صعيد مصر الأدنى ، ومولده في سنة اثنتين وستماية بقرطبة [١] . وكان من الأفاضل المعروفين وله تصانيف مفيدة [٢] من تفسير القرآن العزيز ـ رحمه الله ـ .

هاشم بن أبي المعالي بن سعيد بن بدر الدين أبي المظفّر بن بكران الحلبي الأصل والمولد ، شهاب الدين . توفي في هذه السنة بقلعة دربساك من أعمال حلب ، ومولده في سنة إحدى وتسعين وخمس ماية . كان أولاً متولياً لحاضر حلب ثم انتقل إلى ولاية البّر ، وكانت ولايته البر في سنة إحدى وخمسين ، وآل به الأمر إلى أن صار على باب قلعة دمشق [٣] له في الشهر ثلاثون درهماً واستعطى آخر عمره . وكان جده بكران وزيراً لقسيم // الدولة آق سنقر صاحب حلب وهو الذي بنى مصنع مشهد الدّكة بحلب. ٢٦ و

يحيى بن محمد بن أحمد بن حمزة بن [علي بن هبة الله بن الحسن بن علي الثعلبي الدمشقي] [٤] الحبوبي [٥] تاج الدين أبو الفضل . توفي في شهر جمادى الأولى [٦] بدمشق ، ومولده في حدود سنة ستماية [٧] . كان أولاً متعلقاً بخدمة قاضي

---

(١) (Cordoué (Corthoba وهي مدينة تقع جنوب غربي الأندلس (Andalos) (أبو الفدا ، تقويم : ١٧٤ ـ ١٧٥ والترجمة : ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٢) من كتبه : « كتاب الأسنى من أسماء الله الحسنى » ، « كتاب التذكرة بأمور الآخرة » و « التفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها » . (الصفدي ، الوافي ٢ : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ابن العماد ٥ : ٣٣٥) .

(٣) قلعة محصنة تقع في الجانب الغربي من مدينة دمشق ، بناها تاج الدولة تتش بن السلطان ألب ارسلان السلجوقي سنة ٤٧١ هـ وجعلها دار إمارة وسكنها ثم زاد فيها خلفاؤه . (ابن شداد ٢/١ : ٣٨ ـ ٤٠ .
(Ibn Jobaïr 3, p. 335; **Demombynes** : Syrie, p. 35-37; J. Sauvage: La Citadelle De Damas.

(٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٥) كذا في الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٥ و ، وفي المصدر السابق : ٢٧ « المحبوبي » .

(٦) في اليونيني ٣ : ٢٧ « توفي بدمشق في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون » .

(٧) في اليونيني « مولده سنة عشرين وست مائة » وفي الذهبي ، المصدر السابق : « ولد سنة عشرة وستماية » .

القضاة صدر الدين ابن سني الدولة [١] ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفي صدر الدين المذكور وملك مولانا السلطان [الملك الظاهر بيبرس] دمشق فولي الحسبة [٢] بها ، ولم يزل إلى أن توجه المولى الصاحب الوزير بهاء الدين إلى دمشق فعزله عنها [ثم ولي وكالة بيت المال في آخر عمره وباشرها مدة يسيرة] [٣] . سمع من أبي الفتوح محمد بن البكري [٤] ومن أبي الحسن علي بن محمود بن الصابوني [٥] ، ومن الشيخ بدر الدين يونس بن محمد الفارقي وغيرهم // .

٢٦ ظ **يحيى** بن أبي الحسن محمد بن أبي الفضل محمد بن يحيى بن الخَشّاب الحلبي علاء الدين أبو الفضل . توفي في هذه السنة ، وهو آخر من بقي من أولاد فخر الدين ابن الخَشّاب ، وكان له من العمر فوق السبعين سنة . كان في الأيام العزيزية والناصرية أميراً بعشرين طواشياً ببلاطنس من أعمال حلب ، ولما توفي الملك الصالح [٦] صاحب عين تاب [٧] في سنة احدى وخمسين رتّبه السلطان الملك الناصر نايباً عنه بالقلعة ، فباشر ولايتها في سنة ثلاث وخمسين . ولم يزل مستمراً إلى وقعة التتر فنزل منها وأقام بحلب ، وكان في غاية ما يكون من الاقلال بحيث أنه استعطى مع كبر قدره ـ رحمه الله ـ .

---

(١) أحمد بن يحيى بن هبة الله المعروف بابن سني الدولة ، صدر الدين . ولد سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م . ناب القضاء بدمشق عن أبيه . توفي ببعلبك وقيل ببعداد في ٨ جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ / ٢١ أيار ١٢٦٠ م (أبو شامة : ٢٠٦ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٤٤ ؛ الصفدي ، الوافي ٨ : ٢٥٠ ؛ الإسنوي ١ : ٥٤٨)

(٢) انظر : Cl. Cahen et M. Talbi. art."Ḥisba", EI 2, III, p. 503A-505B.

(٣) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٧ .

(٤) ورد في اليونيني ٣ . ٢٧ « الشريف أبي الفتوح محمد بن أبي سعد البكري » وهو أحد المحدثين المشهورين سمع منه الكثير . (ابن شاكر ، فوات ٢ : ٢٩٢ ، و ٣ : ٩٨ ، و ٤ : ٢٦ ، ١٨٦ ، ٢٦٦) .

(٥) توفي في شوال عام ٦٤٠ هـ / آذار ـ نيسان ١٢٤٣ م عن أربع وثمانين سنة . (ابن العماد ٥ . ٢٠٨) .

(٦) الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازي بن يوسف بن أيوب . ولد بحلب في صفر سنة ٦٠٠ هـ / تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٢٠٣ م ، وتوفي بعين تاب (عينتاب) في شعبان سنة ٦٥١ هـ / أيلول ـ تشرين الأول ١٢٥٣ م . (ابن خلكان ٤ . ١٠ ؛ الصفدي ، الوافي ٧ : ٢٧٦) .

(٧) مدينة حسنة لها قلعة حصينة وهي من أعمال حلب على ثلاث مراحل من شماليها . (ياقوت ٤ : ١٧٦) .

يحيى بن أبي طاهر الحسيني السيد الشريف ، توفي في خامس شهر المحرم ومولده ... [(١)] // .

٢٧ ظ

السنة الرابعة عشرة من دولة مولانا السلطان الملك الظاهر وهي سنة اثنتين وسبعين [وستمائة]

دخلت هذه السنة والخليفة وملوك الطوايف على القاعدة المقررة في السنة الخالية ، خلا صاحب صهيون سيف الدين فإنه توفي وانتقلت صهيون وحصن برزويه إلى مولانا السلطان ، وخلا موسى بن إدريس بن محمود بن محمد الحضرمي صاحب ظفار ، فإن أخاه قبض عليه وجلس مكانه .

متجددات الأحوال في هذه السنة

فيها في يوم الإثنين سابع المحرم ، جلس مولانا السلطان في دار العدل ، وحضر إليه الأكراد الواصلون من الشرق وخلع على مقدّمهم . وفي العاشر منه هدمت غرفة على باب قصر من قصور المصريين بالقاهرة ويسمى هذا الباب قديماً باب البحر [(٢)] ، وهو من بناء (........) [(٣)] الملقب بالحاكم ، فوجد فيها // صورة امرأة في صندوق منقوش عليها كتابة ترجمت وكانت اسم مولانا السلطان الملك الظاهر وصفته ، وبقي منها ما لم يمكن قراءته [(٤)] .

٢٨ و

---

(١) يلي هذه الصفحة خرم في الأصل .

(٢) راجع القلقشندي ٣ : ٣٤٦ .

(٣) سقط في الأصل بمعدل كلمتين تقريباً لعلهما « الخليفة الفاطمي » وفي اليونيني ٣ : ٣٠ « وهو من بناء الخليفة الحاكم » .

(٤) بالنسبة لاكتشاف هذا الطلسم قارن بالنويري : ٥١ و ــ ٥٢ و والمقريزي ٢/١ : ٦٠٩ و .

ذكر أخذ بيلوس [١] أمير عرب بَرْقة

كان مولانا السلطان قد جرّد عسكراً مع [مقدَّم] [٢] ابن عزاز وتقدم له بالدخول إلى برقة لأخذ العداد ، فوصل إلى طلميثة [٣] وهي مدينة تسكنها اليهود ولهم بها أموال كثيرة ، فحماها منه بيلوس أمير كبير من أمراء عربان برقة فقاتله ، ووقعت بين العسكر وبين العرب وقعة أسر فيها بيلوس وهو شيخ مسن وقد أناف على المائة وحمل إلى القلعة [٤] فاعتقل بها ثامن المحرم ، وبقي إلى أن خلص بعد أن شرط على نفسه شروطاً في غرة شهر رمضان منها .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الشام //

٢٨ ظ فيها في ليلة السبت سادس عشرين [٥] المحرم ، توجه مولانا السلطان في جماعة يسيرة وصحبته الأمير شمس الدين سنقر الأشقر [٦] ، والأمير بدر [الدين] بيسري ، وسيف الدين أتامش السعدي [٧] . فلما وصل عسقلان بلغه أن أبغا بن هولاكو وصل إلى بغداد ، وخرج إلى الزّاب [٨] متصيداً ، فكتب إلى القاهرة استدعى عسكراً [٩]

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٣٠ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤١٤ والحنبلي ، نزهة الناظرين : ٨٠ و والمفضل . ٤٣ و . وابن الدواداري : ١٧٣ « بلبوش » (أورد ابن عبد الظاهر هذه الحادثة على أنها من حوادث سنة ٦٧١ هـ ووافقه الحنبلي) .

(٢) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر . وهو أحد الأمراء العربان ببرقة الذين استمالهم السلطان الملك الظاهر للطاعة واستخرج منهم الزكاة . وفي المفضل : ٤٣ و « .. وجرد إليه عسكراً مع محمد الهواري .. » .

(٣) مدينة من مدن برقة كان أكثر أهلها يهود (ابن عبد الظاهر : ٤١٥) .

(٤) قلعة الجبل .

(٥) في النويري : ٥٢ و « الحادي والعشرين » .

(٦) توفي خنقاً بأمر من الأشرف خليل سنة ٦٩١ هـ (اليونيني . ٣/٢٩٠٧ : ١٨ و ؛ الصفدي . تحفة ذوي الألباب : ١٧٧ ظ ــ ١٧٨ ظ) .

(٧) الأمير أتامش (وقيل أيتامش وأيتمش) بن عبد الله السعدي ، يلقب سيف الدين . توفي في السجن في سلخ رمضان سنة ٦٨٤ هـ / ٢٩ تشرين الثاني ١٢٨٥ م . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ : ١٤٤ ظ ؛ المفضل : ٤٢ ظ) .

(٨) كذا في جميع المصادر التي تحت أيدينا . وفي المفضل : ٤٢ ظ وابن الدواداري : ١٧٢ « الركب » .

(٩) هناك إضافات وردت في ابن الفرات ٧ : ٣ والمقريزي بشأن مشاركة كل من في سائر البلاد بالجهاد .

فخرج منها يوم السبت حادي عشر صفر أربعة ألف فارس ، على كل ألف منها مقدّم ، وهم الحاج علاء الدين طَيْبَرس الوزيري [١] ، وجمال الدين آقوش الرومي ، وشمس الدين آقوش المعروف بقطليجا [٢] ، والأمير علم الدين سنجر المعروف بطُرطج [٣] ، ورحلوا من البركة يوم الإثنين وقصدوا الشام . ثم برز الأمير [٤] بدر الدين بيليك الخزندار يوم السبت ثامن عشر إلى مسجد التين [٥] ، وأقام الملك السعيد بالقلعة ، وفي خدمته الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني // * والصاحب تاج الدين ٢٩ و محمد [٦] بن الصاحب فخر الدين محمد بن المولى الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن محمد . ورحل الأمير بدر الدين الخزندار ، وصحبته المولى الصاحب الوزير بهاء الدين وتوجهت معهما ، فوصل الدهليز [٧] السعيد إلى غزّة يوم الإثنين رابع شهر ربيع الأول ، فوافى بها العسكر الذي قدّمت ذكره ، وأقام بها إلى أن رحل منها يوم الخميس سابع الشهر ، وسار إلى أن نزل يافا يوم السبت التاسع ، فوجد مولانا السلطان قد سبق إليها في جماعة من الأمراء ، وهم الأمير شمس الدين

---

(١) وهو صهر الملك الظاهر . تولى نيابة دمشق بعد سنجر الحلبي ودخلها في شهور ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٦١ م ، وكانت سيرته حسنة . توفي في ذي الحجة عام ٦٨٩ هـ / كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٩٠ ـ ١٢٩١ م . ودفن بتربته بسفح المقطم . (الصفدي ، تحفة : ١٧٥ و ـ ١٧٦ و ؛ ابن كثير ١٣ : ٣١٩) .

(٢) كذا في اليونيني والنويري : ٥٢ و ؛ وفي المفضل : ٤٢ ظ « عز الدين قطليجا » ؛ وفي المقريزي : « علاء الدين قطليجا » ، مع الإشارة إلى ورود الاسم بصورة « خطليجا » . راجع الصفحتين ١٥٢ و ١٥٧ من الكتاب .

(٣) كذا في اليونيني والمفضل : ٤٢ ظ ؛ وفي النويري : ٥٢ و « علم الدين سنجر طردج » وفي المقريزي : « علم الدين ططح » .

(٤) وردت عبارة « ثم برز الأمير » مكررة في الأصل .

(٥) ورد ذكره في الخطط المقريزية (٢ : ٤١٣) على أنه في ظاهر القاهرة بني سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣ م . وعرف بمسجد البئر وبمسجد الجميزة . وفي زمن الأخشيديين عمره الأمير تبر أحد أكابر الأمراء أيام كافور الإخشيدي فعرف بمسجد « تبر » وتسميته مسجد التين خطأ .

(*) إشارة إلى بدء « الخامس من الجزء الثاني » .

(٦) عاش ما بين ٦٤٠ ـ ٧٠٧ هـ / ١٢٤٢ ـ ١٣٠٧ م . (اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٤١ ظ ـ ١٤٢ و ؛ الصفدي ، الوافي ١ : ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ اليافعي ٤ : ٢٤٢) .

(٧) وهي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب ... Dozy, op. cit. I, p.467

سنقر الأشقر [١] ، والأمير بدر الدين بيسري ، والأمير عز الدين أيبك الدمياطي ، والأمير سيف الدين أتامش السعدي ، والأمير عز الدين أيبك النجيبي ، والأمير سيف الدين بلبان الغُتْمي . فلما كان من الغد رتّب مولانا السلطان العساكر ، ثم توجه إلى دمشق ، واستصحب معه عز الدين يغان [٢] السلحدار [٣] ، [و] [٤] ابن

٢٩ ظ صاحب // سنجار يوم الثلاثاء ثاني عشر الشهر وتوجه المولى الصاحب بهاء الدين بعده ، وكنت في خدمته ، يوم الأربعاء فوصلها في تاسع عشره . وكان وصول مولانا السلطان إليها يوم السبت سادس عشره ، ولّما حل بها ركابه فرّق فيمن كان من الأمراء بدمشق أموالاً كثيرة وخلعاً بحسب مراتبهم ورحل الأمير بدر الدين [بيليك] الخزندار [٥] من يافا يوم الجمعة خامس جمادى الأولى ، فلم يسر غير منزلتين ثم أقام لكثرة الأمطار وشدة البرد . فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشره ورد عليه الأمير سيف الدين أتامش السعدي على خيل البريد ، وعلى يده كتاب من مولانا السلطان يأمر فيه بعود العسكر إلى مصر . فرحل يوم الأحد في الحادي والعشرين فدخل القاهرة يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة .

ذكر بناء الجامع بدير الطين ظاهر مصر

٣٠ و كان بدير الطين ، وهو قرية بظاهر مصر على شط النيل ، جامع // فلما كثرت

---

(١) تسلطن بدمشق وتلقب بالملك العادل . توفي مخنوقاً سنة ٦٩١ هـ/ ١٢٩١ م وقارب السبعين من العمر . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : الورقة ١٩٤ ، الصفدي ، تحفة . ١٧٨ ظ ـ ١٨٠ ظ) .

(٢) المعروف بسم الموت كان من أعيان الأمراء وأكابرهم في الدولة الظاهرية . مات في سجنه بقلعة الجبل وسلم إلى أهله ميتاً يوم الخميس ١٨ جمادى الآخرة سنة ٦٧٥ هـ/ ٢٧ تشرين الثاني ١٢٧٦ م ، ودفن بمقابر باب النصر ظاهر القاهرة ، وهو في عشر الخمسين . (اليونيني ٣ : ٢٣٠ ، ابن الدواداري ٨ : ١٠٧) .

(٣) هو أمير كبير (من أمراء المئين) يحمل سلاح السلطان في المواكب العامة ويتولى الإشراف على السلاح خاناه (بيت السلاح) . Cl. Huart: art. "Silāḥ-dār", EI, IV, p. 424 A.

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من المفضل : ٤٢ ظ وابن الدواداري ٨ : ١٧٣ .

(٥) هو المتحدث على خزانة السلطان أو الأمير ، وما بها من نقد وقماش .
D. P. Little: art. "Khaznadār", EI 2, IV, p. 1219B-1220A.

به العمارة ، وبنيت به المناظر للنزهة ، ضاق الجامع بالناس ، فرأى المولى الصاحب تاج الدين [محمد] أن يعمر جامعاً عوضه أكبر منه ، فهدمت مساجد مهجورة ، وأخذ آجرها وعمدها ، واستدعى المولى الصاحب تاج الدين أصحاب ديوان الأحباس وسألهم عن ما يحمل عندهم على الصاحب شرف الدين الأسعد الفايزي [١] من أحكار الأحباس ، فكانت عشرين ألف درهم ، فأداها عنه وصرفها في عمارة الجامع ، وأضاف إليها شيئاً من بيت المال ، فكملت وبنيت له منارة مرتفعة ، وصلي فيه في جمادى الأولى .

ذكر قبض مولانا السلطان على ملك الكُرْج [٢]

كان قد خرج من بلاده قاصداً زيارة القدس [وحج قمامة] [٣] ، في زي الرهبان ومعه جماعة من خواصه يسيرة ، فسلك بلاد الروم [٤] إلى سيس [٥] وركب في البحر إلى عكا ، ثم خرج // منها إلى بيت المقدس . فأطلع الأمير بدر الدين [بيليك] الخزندار وهو على يافا على أمره ، فبعث إليه من قبض عليه [وعلى ثلاثة نفر من أعيانهم من بين الزوار] [٦] . فلما أحضر بين يديه بعث به مع الأمير ركن الدين منكورس [٧]

٣٠ ظ

---

(١) يشير صاحب فوات الوفيات (٣ : ٧٧) إلى أن الوزير الفائزي كان موضع ثقة أصحاب الأموال . ولعلهم كانوا يودعون أموالهم عنده تهرباً من دفع ما يتوجب عليهم لديوان الأحباس .

(٢) (Kurdj) نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير ، فقويت شكوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب إليهم وهي إقليم القوقاز الآن . (ياقوت ٤ : ٢٥١) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من شافع بن علي ، حسن المناقب : ١٥٣ .

(٤) عرّفها القلقشندي بقوله « ما بيد المسلمين مما في شرقي الخليج القسطنطيني فيما بينه وبين أرمينية » وتعرف ببلاد الدّربندات (آسيا الصغرى) . (القلقشندي ٥ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩) . والدربند لفظ فارسي معناه الدروب المؤدية إلى سيس وقد أشار إليها المفضل (٤٦ ظ) بما يلي « ... وباب الدربند الذي لسيس يعرف بالدروب ويعرف بالعواصم ... » .

(٥) (Sīs ou Sīsāh) : بلدة في آسيا الصغرى وهي قاعدة بلاد الأرمن .
V. F. Būchner: art "Sīs", EI, IV, p. 453B-455B

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر . ٤٢٣ .

(٧) الأمير ركن الدين منكورس بن عبد الله الفارقاني . كان من جملة الأمراء بالديار المصرية . قتل في ربيع الأول=

إلى مولانا السلطان ، فوصل دمشق في رابع عشر جمادى الأولى ، فأقبل عليه مولانا السلطان ، وسأله واستنزله حتى اعترف ، فحبسه في برج من قلعة دمشق ، وأمره أن يبعث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأسره ، فبعث نفرين .

ذكر عود مولانا السلطان إلى القاهرة والمولى الصاحب بهاء الدين

خرج المولى الصاحب الوزير بهاء الدين من دمشق في الليلة المسفرة عن صباح يوم الإثنين تاسع عشرين جمادى الأولى ، وخرجت صحبته ، فوصل إلى القاهرة يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة . وخرج مولانا السلطان من دمشق ثاني عشرين [١] جمادى الآخرة // وقدم القاهرة يوم الخميس السابع [٢] من شهر رجب . ٣١ و

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الأهرام للتنزه

كان مولانا السلطان عبر النيل إلى الجيزة في خامس عشر شهر رجب ، وسار إلى دهشور [٣] فأقام أياماً ثم عاد ، ثم عبر إلى الجيزة ، وضرب خيامه عند القناطر بالقرب من الأهرام يوم الجمعة الثاني والعشرين منه ، ثم عاد يوم السبت ثامن شعبان .

= من سنة ٦٨٨ هـ / آذار ـ نيسان ١٢٩٠ م في حصار طرابلس ودمي بظاهرها . (اليونيني ٢/٢٩٠٧ : ٢٧٧ ظ) (ورد لفظ « ركن الدين » على الهامش الأيمن من الصفحة بالقلم نفسه) .

(١) في اليونيني ٣ : ٣٢ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٦٤ « ثالث عشرين جمادى الآخرة » .

(٢) كذا في المصدرين السابقين ، وفي ابن عبد الظاهر : ٤٢٣ « رابع عشرين جمادى الآخرة » .

(٣) قال في معجم البلدان ٢ : ٤٩٢ « هي قرية كبيرة من أعمال مصر عربي النيل من أعمال الجيزة » وهي اليوم موضع بمديرية الجيزة (مركز دمياط) على الضفة الغربية للنيل إلى الجنوب الغربي من القاهرة (الشنتاوي [E. Graefe] : مادة « دهشور » ، دائرة المعارف الإسلامية ٩ ، ص ٣٤٠ أ ـ ب) .

ذكر ما عُزم عليه من الجباية بمصر ثم تُرك

كان مولانا السلطان قد رأى أن تشركه رعيته في ثواب الجهاد ، فتقدم أمره أن يستخرج منهم ألف ألف درهم ومايتي ألف درهم ، في كل سنة ، تقسط عليهم في السنة ثلاث مرات ، ليصرف ذلك في ألف فارس ، ومن القاهرة ضعف ذلك ، فجمعت الرعية ليفرض على كل واحد منهم // مقدار ما يمكنه ، وذلك يوم الأحد خامس عشر شعبان فتلوموا في ذلك ، وأظهروا العجز ، وتردد أمر مولانا السلطان في استخراج ذلك من أربابه ، وهم يدافعون بالشكوى وادعاء العجز ، ولما تحقق مولانا السلطان ضررهم وعجزهم رجع عن ما طلبه منهم ، ورحم ضعفهم وعطف عليهم ، وكان قد استخرج مما قرر عليهم جملة ، فردها عليهم في سابع عشر ذي القعدة . ٣١ ظ

ذكر الاهتمام بإعذار الملك خَضِر بن مولانا السلطان

أمر مولانا السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة والسباق واللعب في الميدان تحت القلعة [(١)] ، في يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان ، واستمر إلى سلخ الشهر . فلما كان يوم العيد [(٢)] ختن الملك خضر ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء والأعيان من الأجناد .

ذكر عود الملك السعيد إلى الديار المصرية //

٣٢ و كان مولانا السلطان قد بعث ولده الملك السعيد إلى دمشق ، وأصحبه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني وأربعين نفراً من خواصّه ، في الليلة المسفرة عن صباح يوم الأربعاء ثالث [(٣)] عشر شهر رمضان ، على خيل البريد ، وكان وصوله إلى القاهرة قافلاً

(١) في ابن الفرات (٧ : ٤ ـ ٥) تفاصيل مفيدة عن احتفال الظاهر بطهور ولده .

(٢) كذا في ابن عبد الظاهر ٤٢٣ والنويري : ٥٣ و ؛ وفي شافع بن علي « في شوال احتفل بختان ولده ... » .

(٣) كذا في اليونيني ٣ : ٣٣ ، وفي ابن عبد الظاهر : ٤٢٦ وابن الفرات ٧ : ٨ والمقريزي ٢/١ : ٦١٢ « الثاني عشر من رمضان » .

يوم الخميس الرابع والعشرين [١] من شوال .

ذكر اعتقال قآن بن الملك المعزّ [أيبك]

في يوم السبت العاشر من ذي القعدة حضر متولي القرافة إلى الأمير سيف الدين [٢] متولي مصر ، وأخبره أن شخصاً دخل إلى تربة الملك المعزّ ، وجلس عند القبر باكياً ، فسأله من بها عن شأنه ، فأخبرهم أنه قآن بن الملك المعزّ ، وكان قطز قد نفاه مع أخيه الملك المنصور علي إلى بلاد الأشكري ، لما ملك ، فأحضر وقيّد ، ثم طولع به مولانا السلطان ، فاستدعى به ، فلما حضر بين يديه سأله عن أمره ، فذكر له أن له في البلاد نحو ست سنين يتوكل الأجناد // فطلب منه من يعرفه ، فأخبر أن رجلاً معتقلاً بالإسكندرية كان يتردد إلى بلاد الأشكري ، فتقدم بإحضاره واعتقال قآن ، فحبس في حبس اللصوص في مصر ، وحنا عليه بعض مماليك أبيه فأجرى عليه نفقة ، فرعي لأجله . وفي رابع هذا الشهر أفرج مولانا السلطان عن الأمير سيف الدين بكتوت الجوكان دار [٣] .... [٤] // .

٣٢ ظ

ذكر وفاة السلطان عز الدين صاحب بلاد الروم

٣٣ و

فيها توفي في سوداق [٥] من بلاد الترك ، السلطان عز الدين كيكاووس بن السلطان غياث الدين كَيْخَسْرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج رسلان بن

---

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٣٣ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٦٤ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٢٧ وابن الفرات ٧ : ٨ « حادي عشرين شوال » .

(٢) الأمير الكبير سيف الدين بلبان الطباخي . توفي سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ – ١٣٠١ م . (ابن العماد ٥ : ٤٥٧) .

(٣) سيف الدين بكتوت الجوكنداري المعزي أحد الأمراء الذين اتفق معهم بيبرس على قتل قطز . (فوات ١ : ٢٣٧) . والجوكندار (الجوكان دار) هو الذي يحمل الجوكان للسلطان ، وهو المحجن الذي يلعب به ويضرب الكرة . (القلقشندي ٥ : ٤٥٨) .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) وتكتب أيضاً بالصاد .

مسعود بن قليج رسلان بن سليمان بن قطلمش بن أتسز بن إسراييل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي . وكان مولده في سنة ست وثلاثين ، وقد تقدم شرح بعض أحواله فيما تقدم مفصلاً . وأنه لما تغلب أخوه ركن الدين قليج رسلان على مملكة الروم هرب بجماعة من خواصه وأهله واستصحب معه مالاً وذخاير ، وقصد قسطنطينية . فلما حل بها خافه ملكها فقبض عليه وحبسه في بعض قلاعه ، ولم يزل محبوساً بها إلى أن بعث بركة عشرين ألف فارس إلى بلاد صاحب قسطنطينية ، فأغاروا عليها من ساير نواحيها فراسلهم في طلب الهدنة ، فأجابوه على أن يسلم لهم السلطان عز الدين ، وما أخذ له ومعه ، فسلّمه إليهم وما أخذ معه ذلك في سنة // ستين ، وساروا به إلى بركة فأكرمه ، وقدمه على عسكر ، وتقدم له بقصد صاحب قسطنطينية . فلما نزل على بلاده اتفق أن كان عنده رسول من جهة مولانا السلطان ، فارس الدين آقوش المسعودي ، فخرج إليه وأمره بالرحيل ، وقال له : « هذا قد صار من أصحاب السلطان ولا سبيل لك إلى محاربته » . فرحل ولم يزل عند بركة إلى أن مات ، وانتقل الملك إلى ابن أخيه [١] منكوتمر فأقام عنده إلى أن توفي . وخلّف من الأولاد ثلاثة ذكوراً وهم الملك المسعود مقيم الآن في سوداق في خدمة منكوتمر ، والآخرين عند بالقوس ، في اسطنبول ، ملك الأشكري في كتّاب الروم ما يعرفان الإسلام .

٣٣ ظ

ذكر مراسلة دارت بين مولانا السلطان وبين معين الدين البرواناة

٣٤ و

لما توجه معين الدين البرْواناه مع رسل السلطان الملك // الظاهر ، كما قدمنا ، واجتمع بأبغا في أمر الرسالة خلا به سراً وقال له : « المُلْكُ عقيم ، وإن أخاك أجاي عازم على قتلي والاستيلاء على مُلْك الروم وانتمائه إلى صاحب مصر » . وكان الحامل له على هذا تخيّله [٢] من أجاي ، فأنه كان يكلفه مقترحات تعجز عنها استطاعته ،

(١) المقصود ابن أخي بركة .

(٢) في اليونيني ٣ : ٣٤ « بحيلة » (وهو خطأ) .

وتوعده إن هو لم يقم بها على اختياره . فأمره أبغا أن لا يُطْلع على ما أسرَّه أحداً ، ووعده أن يستدعي أخاه أجاي وصمغرا [١] ، ويريحه منهما ، وأن يُسيّر إليه توقونوين [٢] بدلاً عنهما . فلما عاد معين الدين إلى الروم رأى من أجاي إعراضاً مفرطاً فوق ما يعهده منه ، فداخله الندم على ما كان أوحاه إلى أبغا من أمر أجاي وصمغرا [٣] ، فاضطر إلى أن كاتب مولانا السلطان الملك الظاهر سراً ، وبعث إليه قاصداً ، وطلب منه أن يحلف له ولغياث الدين ابن ركن الدين على ملك الروم ، وشرط عليه أن يكون له عسكراً في البلاد مقيماً يستعين به على قتل أجاي وصمغرا [٤] ومن معهما من التتر . فوافى

٣٤ ظ القاصد السلطان بمصر قد عاد من دمشق // فلما وقف على مضمون رسالته كان جوابه للقاصد : « إذا حلفنا له على ما أراد وسيَّرنا له عسكراً تقيم عنده ما يقوم بأوده وكلفته ، فلا بد أن يعيّن لي بلاداً يرصدها لذلك ، أو ما يستخرج من الأوقاف والصدقات والأملاك التي له ، فإذا كسرت التتر أفرجنا له عن ذلك وأعدناه إلى أربابه ، مع أنَّا لا نكلف خيلنا سلوك الدرب في هذا الوقت ، فإنها من أثر تعب ولا من أكلها الربيع ، وفي العام القابل نحن عنده إن شاء الله » . فلما عاد القاصد وجد أبغا قد استدعى أجاي وصمغرا [٥] فتوجها إليه وحالة البرواناة قد صلحت ، فتلكأ في إجابة مولانا السلطان إلى ما التمسه ، ونكل عنه لاستبطائه حركته إليه ، وخروج من كانت استغاثته بالسلطان بسببه عن البلاد .

ذكر ما اعتمده المولى الصاحب الوزير بهاء الدين في سفره إلى الشام في هذه السنة

٣٥ و لما برز من مصر إلى العش [٦] ، كتب جميع من معه من الصُحبة من // الأعيان والأتباع والمتصرفين والكتّاب ، فرتّب لدوابهم العَليق ولهم الطعام ، في كل منزلة ،

---

(١) و (٣) و (٤) و (٥) « صَمغر » "Samagar" وقد سبقت ترجمته .

(٢) في اليونيني « سرتوقونين » .

(٦) من ضواحي القاهرة . (ابن دقماق ، الإنتصار ٥ : ٤٣) .

كل منهم على قدر مرتبته زايداً على كفايته ، والحلوى والفاكهة . ولما وصل غزة أنعم على جميع الضعفاء والفقراء بجملة مستكثرة ، واعتمد ذلك في طريقه أجمع ، واتفق أن عند دخوله إلى الرمل كان الحاج قد عاد من الحجاز إلى الخليل عليه السلام ، وزار القدس الشريف ، وقصد الديار المصرية ، فصادفناهم في الطريق وهم خلق كثير نجد منهم في كل منزلة خلقاً ، فكسا أكثرهم وفرّق عليهم النفقة ، واكترى للضعفاء منهم بحيث لم يبق إلا من شمله برّه ، على حسب ما يسرّه الله تعالى ، إلى أن وصل إلى دمشق فتقدم ، حال وصوله ، إلى القاضي عز الدين [1] أن يسير إلى عكا وغيرها من بلاد الفرنج ، ويشتري بما عنده من المال الحاصل المرصد لمشترى الأسرى ، واشترى هو من ماله جماعة من الأسرى بحيث لم يطلع عليه أحد من الصحابة ، وزار جميع المشايخ بظاهر دمشق // وباطنها وحمل لكل واحد منهم بمفرده مبلغاً جزيلاً ، وأهدى لنايب السلطنة [2] وغيره من الأعيان هدية كثيرة . وكان يصنع الحلوى كل ليلة ويفرقها على الفقراء والضعفاء والأكابر ، وزاد في جامكية المرتزقة من المصالح بالجامع من الصدقات المرصدة ، ورتب أمور البيمارستان بحيث زيد في مشترى الحوائج المرصدة برسم المرضى والتفرقة . وأفصل قضايا كثيرة كانت معطلة ، مثل الخطيب مجد الدين خطيب صرخد ، فإنه كان معوقاً بسبب أملاك صرخد وما كان أقطع عليه ، فأسقط عنه البعض واستخرج من ملّاك الدور والأملاك بصرخد مالاً خلص به الخطيب المذكور وكان ذلك أمراً صعباً على الخطيب ، وكانت الوصيّة تقدمت على جميع أوقاف المدارس والخوانق

٣٥ ظ

---

(١) عز الدين محمد بن عبد القادر المعروف بابن الصائغ قاضي قضاة دمشق ، كان منافساً لابن خلكان . باشر القضاء سنة ٦٦٩ هـ في الشام إثر عزل ابن خلكان . وتناوب الندّان العزل والإعادة . ولد عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م ، توفي نهار الأحد ٩ ربيع الأول سنة ٦٨٣ هـ / الجمعة ٢٦ أيار ١٢٨٤ م ، ودفن يوم الإثنين بسفح قاسيون في التربة المعروفة به . (اليونيني ٤ : ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ؛ ابن فضل الله العمري ٤ : ٩٩ ـ ١٠٠ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ٢ : ١٤٣ ؛ الصفدي ، الوافي ٣ : ٢٧٠) .

(٢) هو الأمير الكبير عز الدين أيدمر الظاهري ، ولي نيابة الكرك أولاً ثم نيابة دمشق في ١٢ صفر عام ٦٧٠ هـ / ١٩ أيلول ١٢٧١ م ، وبقي في منصبه إلى حين وفاة الملك الظاهر . توفي في ربيع الأول سنة ٧٠٠ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٣٠٠ م . (اليونيني ١ : ٢٤٨ ؛ الصفدي ، تحفة الناظرين : ١٧٧ ظ ـ ١٧٨ ظ) .

والربط بسبب ما خرّج الديوان عليهم من الذي حدّد من الحقوق المستجدة ، فأحضر نواب الوقف واستعلم منهم ما في البلاد من الحواصل ، فتقدم بالإفراج عن الأوقاف // ٣٦ و وتسليم كل وقف إلى مستحقه ، مثل الملك الحافظ [١] ابن صاحب بعلبك ومن يجري مجراه ، ومكّنهم من بيع الحواصل وحملها إلى بيت المال وأخرّ ما بقي عليهم وقسطه فحصل لهم بذلك الراحة الكبيرة . ثم أمر بعمارة ما دثر من الأوقاف بالجامع وغيره من ربع الحاصل ، ولا تعرّض لأحد من أهل دمشق بل أقبل عليهم وعاملهم بالإقبال .

واتفق أن شخصاً من أهل بعلبك يدعى أبا بكر بن علي بن دشينة توفي ببعلبك وترك زوجة وولدين ، يدعى أحدهما الشيخ داود بن حاتم [٢] والآخر علي ، وخلف موجوداً كثيراً عيناً وغلالاً وأملاكاً وحججاً . ولما توفي المذكور عمد نايب الولاية ببعلبك وهو الأمير سيف الدين الجاكي ، والأمير كمال الدين إبراهيم والي القلعة ، إلى الحوطة على الموجود جميعه من عين وغيره ، وحمل بعض العين إلى الأبواب العالية بدمشق ، فوصل الشيخ داود وأخوه علي إلى دمشق ، واجتمعا بالمولى الصاحب الوزير ، وكنت السفير بينهم ، فأنهيا حالهما إليه ، فأنهاها إلى مولانا // السلطان ، ورغب في العدل بينهما فأمر ٣٦ ظ بحمله على ما ثبت من الشرع المطهر ، فأثبتا وفاة المذكور والورثة المستحقة ، وهي زوجته سارة وابنا عمه . فلما أثبتا ذلك توسط لهم [٣] المولى الصاحب الوزير أن يقدما البعض ليفرج لهما عن الباقي ، فأمر مولانا السلطان بذلك فكتب ابنا عمه قصة صورتها : المماليك [٤] داود بن حاتم وأخوه علي بنو [٥] عم أبي بكر بن علي بن دشينة البعلبكي وسارة زوجته يقبلون الأرض ، وينهون أنهم لما علموا أن مورثهم أبا بكر المذكور لم يقم بزكاة ماله من مدة تزيد على أربعين سنة إلى مدة وفاته وأنها باقية في ذمته قصدوا مولانا

---

(١) هو محمد بن شاهنشاه بن بهرام الأيوبي أبو عبد الله غياث الدين . توفي بدمشق عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م ، ودفن بمقابر بباب الفراديس . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ : الورقة ٦٠ ؛ ابن الفرات ٨ : ١٨٩) .

(٢) داود بن حاتم بن عمر الحبّال ، الشيخ الحنبلي ، أصل آبائه من حران . توفي ببعلبك في ذي الحجة سنة ٦٧٩ هـ / آذار ـ نيسان ١٢٨١ م ، وكان له من العمر ٩٦ سنة . (اليونيني ٤ : ٥٥ ـ ٥٦ ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٩٣) .

(٣) و (٤) و (٥) ألفاظ كان يجب ورودها بصيغة المثنى .

السلطان وسألوه أن يحملوا لبيت المال ما تركه من الذهب المصري والصوري والخشر والنقرة ما تبرئ به ذمة المتوفى ، وأن يلتقي الله تعالى وقد قام بما وجب عليه من الزكاة وأن يفرج لهم عما سوى ذلك ، وهو مساطير على غرماء لمخلفهم مبلغها ثلثماية ألف درهم ومملوكان تركمانيان // سنجر وأيبك ، وخشر مصري وصوري تسع ماية وثمانون مثقالاً ، وخشر فضة ثلاثة آلاف وستماية واحد وثلاثون درهماً ، وخشر فضة أيضاً ألفي [1] وثلثماية واثنان وأربعون درهماً ، وحوايص عدة زنتها بالسيور ألف وأربع ماية وستون درهماً ، وقماش وأثاث وسيف وقسي وسكاكين وما تركه من البضايع والطعوم في منزله ، ليتصرفوا فيه على الوجه الشرعي وأشهدا على نفسيهما أن ما كتباه وسمحا به وحملاه وهو من الذهب المصري والصوري والخشر ألفاً وسبع ماية وستة وتسعون مثقالاً ومن النقرة المختلفة ماية ألف وسبعة وستون ألفاً وخمس ماية درهم ، وكان تبرعاً منهم بطيبة قلوبهم بذلك لله تعالى . فأفرج لهم عن جميع ما التمسوه وكتب لهم كتاباً بحماية الأملاك التي بقيت عن المتوفى واحترام ورثته . وحصل بين الشيخ داود المذكور وبين المولى الصاحب مودة وظهرت منه // أمارات تدلّ على صلاحه ، من ذلك أنه حكى لي ، وقد حضر عندي يوماً ، أنه رأى مناماً معناه أن جماعة من جبل لبنان استصحبوه معهم وقصدوا البيرة إلى أن وقفوا على جانب الفرات من جهة الشام ، فرأوا أبغا بن هولاكو قد قصد البيرة في جمع يسير ليكشفها ، فصاحوا [2] الجماعة عليه وردوه ناكصاً على عقبيه . فلما حكى لي هذه الحكاية ، حكيتها للمولى الصاحب الوزير ، فحكاها لمولانا السلطان . فلما كان بعد خمسة أيام من الحكاية وصلت كتب نواب البيرة تخبر أن أبغا وصل في نفر قليل لكشف البيرة ، وأنه عاد من وقته ، وكانت تلك الليلة التي ذكرها الشيخ داود .

٣٧ و — ٣٧ ظ

نعود إلى ما اعتمده مولانا الصاحب : استخرج من دمشق وضواحيها جملة من المال ، لم يضرب أحد بمقرعة ولا صودر ولا تعدي على أحد ، ولم يجبر أحد ، وخاطب

(١) كذا ؛ والصواب : ألفان .

(٢) كذا ، والأصوب : فصاح .

٣٨ و مولانا السلطان الملك الظاهر // في المسامحات بالبواقي التي في البلاد وبعض القرارات ، وكتب بها ، وأحسن إلى كل من بدمشق ، ثم عاد إلى الديار المصرية وأهلها متوفرون على الأدعية له والشكر والثناء عليه . وحكى لي من أثق به أن مصروف المولى الصاحب في هذه السفرة كان فوق المائة ألف درهم ، أكثرها انصرف في أبواب البر ، وفّقه الله في أقواله وأعماله ، وجعل الصالحات خواتم أفعاله ... (١) // .

٣٩ ظ

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة اثنتين وسبعين وستمائة

إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن حمدان القضاعي الواعظ ، تقي الدين أبو إسحاق . توفي في شهر ربيع الأول بالقاهرة ومولده يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ، سمع من الشيخ عماد الدين الواسطي (٢) الواعظ واشتغل عليه وعلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (٣) وفي الحديث [على] الشيخ زكي الدين عبد

(١) فراغ في الأصل ، مع الإشارة إلى أن الورقتين ٣٨ ظ و ٣٩ و قد وردتا بيضاء في الأصل وفي أعلى الزاوية اليسرى للورقة ٣٩ وكتبت عبارة « السادس من الجزء الثاني » .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عماد الدين الواسطي الشافعي الصوفي . عاش نضعاً وسبعين سنة . توفي سنة ٧١١ هـ/ ١٣١١ ـ ١٣١٢ م ودفن بسفح قاسيون صنّف في السلوك والمحبة . (ابن شاكر ، فوات ١ : ٥٦ ـ ٥٧) .

(٣) ولد حوالي سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ ـ ١١٨٢ م . ولي قضاء الوجه القبلي مع خطابة جامع مصر « كان يصدع بالحق ويعمل به متشدداً في الدين لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يخاف سطوة ملك ولا سلطان » ، ومن مواقفه المشهودة أنه لما تملّك الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل دمشق وتنازل للفرنج عن قلعة الشقيف وصفد سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م ، أثار ذلك حفيظة الشيخ ابن عبد السلام ، ونال من الصالح وترك الدعاء له في خطبة الجمعة في مسجد دمشق عمداً ، فعزله واعتقله ثم أطلقه ، فنزح إلى مصر ، وكانت له منزلة رفيعة عند الملك الظاهر . توفي في ١٠ جمادى الأولى سنة ٦٦٠ هـ / ٢ نيسان ١٢٦٢ م ، وشهد بيبرس جنازته ودفن بالقرافة . له مصنفات عدة منها : كتاب « التفسير الكبير » وكتاب « القواعد الكبرى » في المذهب الشافعي . (أبو شامة : ١٧٠ و ٢١٦ ؛ ابن واصل ٥ : ٣٠٢ ؛ ابن فضل الله العمري ٤ : ٥٩ ـ ٦٢) .

العظيم [المنذري] [١] ، ورشيد الدين العطار [٢] وغيرهما من المصريين . كان أولاً بزازاً في قيسارية جهاركس [٣] فلما ورد عماد الدين أحمد الواسطي الواعظ مصر ، وانثالت عليه الناس ، كان فيمن صحبه وواظب مواعيده ، وكتب عنه كثيراً مما سمعه منه . ثم حملته الرغبة في مشايعته إلى ترك صنيعة البز ، وأقبل على وعظ ما كتب ، وأخذ في حكاية العماد في جلسته مع أصحابه حتى شعر به العماد ، فحضر متخفياً فأعجبه ، فاجتهر وآثره وقرّبه . ولم يزل في صحبته إلى أن توفي العماد ، فوعظ بعده على المقابر ورزق مكا [٤] ، وأقرأ في العامة وقولاً في الخاصة ، وبهى في فنه حتى ما شنف أحد عبارة فيه .

أحمد المولى الصاحب محيي الدين ولد المولى الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم . توفي في ليلة اليوم الثامن عشر [٥] من شهر شعبان ودفن في تربة والده بالقرافة ، ومولده في // سنة خمس وثلاثين . كان كريماً عاقلاً كثير الصدقة كثير البرّ ، له المعروف الزايد والصدقات الكثيرة السرية ، كثير الاشتمال على أهله ، ديّناً صالحاً عفيفاً ، وجد العالم لفقده ألماً شديداً ، وصلّى عليه الشيخ عز الدين ابن شهاب خطيب الجامع بمصر المحروسة ، وكان إليه تدريس المدرسة التي أنشأها والده بزقاق ٤٠ و

---

(١) التكملة من أبي شامة . ولد عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ ـ ١١٨٦ م ، توفي بالقاهرة في ٤ ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ / ٢ تشرين الثاني ١٢٥٨ م ، ودفن بالقرافة . من مصنفاته : « الترغيب والترهيب » (مجلدين) و « مختصر صحيح مسلم » . (أبو شامة : ٢٠١ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢٠ ـ ٢٢٣ ؛ الإسنوي ٢ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٢) ولد سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ ـ ١١٨٩ م ، وتوفي بمصر في ٢ جمادى الأولى سنة ٦٦٢ هـ / ٢ آذار ١٢٦٤ م . (أبو شامة : ٢٢٩) .

(٣) ضبطه ابن خلكان بكسر الجيم وقيل بفتحها ، وهو لفظ أعجمي معناه بالعربية أربعة أنفس . وجهاركس هو أبو المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين . بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م . توفي بدمشق خلال سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م ، ودفن في جبل الصالحية . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٨٧) .

(٤) كذا في الأصل ولعل المقصود « مكانة » .

(٥) في اليونيني ٣ : ٣٤ ـ ٣٥ « توفي في ثامن شعبان » . وفي النويري : ٥٤ و توفي « ... في ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان ... » .

القناديل بمصر ، وسمع كثيراً على مشايخ جماعة .

أحمد الإمام ضياء الدين أبي عبد الله [١] بن محمد الأنصاري المعروف بابن القرطبي . توفي في الخامس عشر من شوال بقنا من أعمال قوص ، ودفن بها ، ومولده سنة احدى وتسعين وخمس مائة [٢] بقرطبة . كان فاضلاً بارعاً متفنناً في الأدب . اشتغل بالقرآن الكريم بالقراءات على الشيخ الشاطبي وعلى والده ، وبالأدب على والده وجماعة ، وسمع الحديث على الشيخ الشاطبي // وجماعته ، وكان يكتب جيداً ويعرف علم البيان معرفة جيدة ، كريماً يطعم الطعام ، جليل القدر والذكر ، له نظم ونثر كثير . فمن نظمه من قصيدة :

٤٠ ظ

لتجلي على الأيام نعمى يمينه ووجه معاليها من البرّ مشرقُ
وتتلى معاني حمده وثنائه وكل سميع للجلالة مطرقُ

ومن نثره :

أدام الله نعمته ، ولواء حمده [معقود] ، وولاء مجده محمود ، وشريف شيمه مشهود ، وأبقى على الأيام جلالته التي جمّلها وجوده ، وصنايعه التي جمَّ لها كرمه وجوده .

أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ، المعروف بابن القلانسي الدمشقي ، مؤيد الدين أبو المعالي ، توفي في المحرم [٣] بدمشق ، ومولده في سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمس مائة [٤] . كان من أعيان أهل دمشق وعدولها

(١) وردت هذه الكنية على الهامش بالخط نفسه .

(٢) في اليونيني ٣ : ٣٥ ــ ٣٦ والذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٦ ظ « ولد سنة اثنتين وستماية » .

(٣) في اليونيني ٣ : ٣٦ والذهبي ، تاريخ الإسلام (٢١ : ورقة ٧ ظ) توفي « في ثالث عشر المحرّم ببستانه ظاهر دمشق » .

(٤) كذا في اليونيني ؛ وفي النويري : ورقة ٥٤ ظ « .. ومولده بدمشق في سنة تسع وتسعين وخمس مائة » .

٤١ و وأكابرها . // سمع من أبي علي حنبل [١] حضوراً ، وسماعاً من أبي حفص عمر بن طبرزد [٢] وغيرهما وحدّث .

إسماعيل بن بهاء الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن ربيعة بن الحارث بن أرقم بن أنور بن أسحم [٣] بن النعمان ، ويقال له الساطع بن عدي بن عطفان بن عمرو بن شريح بن جذيمة بن تيم بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وقضاعة لقب واسمه عمرو بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، المعري الأصل ، التنوخي الدمشقي المنشأ والدار . توفي يوم الأحد طلوع الشمس السادس والعشرين من شهر صفر بدمشق ، ودفن بالصالحية بالقرب من أبيه ، ومولده سنة تسع وثمانين وخمس مابة في المحرم [٤] منها . وله شعر فمنه :

خرس اللّسان وكَلَّ عن أَوصافِكـم ... مـاذا أقول [٥] وأنـتم مـا أنـتمُ //

٤١ ظ الأمـر أعظـم مـن مقالـة حايـر [٦] ... قـد تـاه فيكم [٧] أن يعيد فيكـمُ

العجـز والتقصـير وصفـي دايمــاً ... والـبرّ والإحسان يعـرف منكـمُ

(١) وهو محدث دمشق المشهور سمع عنه العديدون . (انظر : ابن شاكر ، فوات ١ : ١٧٠ ، ٤٠٣ و٢ : ٢٩٢ ، ٣٥١ ، ٣٩٤ ، ٤١٠ و٤ : ٣٥٤) .

(٢) مولده في ذي الحجة سنة ٥١٦ هـ / شباط ١١٢٣ م وقيل سنة ٥١٥ ، وهو المحدث المعروف ، توفي في تاسع رجب ببغداد سنة ٦٠٧ هـ / ٢٧ كانون الأول ١٢١٠ م ودفن بباب حرب . وطبرزد ، بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها ذال معجمة ، هو اسم لنوع من السكر . ابن خلكان ٣ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٤ ؛ ابن كثير ١٣ : ٦١) .

(٣) في اليونيني ٣ : ٣٩ « انجم » .

(٤) في اليونيني ٣ : ٣٨ « سابع عشر المحرم »

(٥) في ابن كثير ١٣ : ٢٦٧ « يقول » .

(٦) في المصدر نفسه « قائل » .

(٧) أيضاً : « عقل » .

وله :

حديثٌ حديث العهد [١] فتّح نَـوْرُهُ فمن نـوره قـد زاد في السمع والبصَرْ

يخـرّون لـلآذان عنـد سَماعـهِ كـأن بـه شيعِيّة [٢] وهـو منتظَرْ

يَلـذّ بـه طُـول الحـديث لسامـر ولا يعتريـه من إطالتـه ضجَـرْ

بـه طُرفٌ للطـرف تُجنَى وعُقلـةٌ لعاقـل ركـب مستفز إلى السفَرْ [٣]

هـي البـدرُ فاسمـع ما تقـول لأنه [٤] غريبٌ وحدّث بالرِّوايـة عـن قمَرْ

وله :

يـا رب قـد قرب المسرى وأكثر مـا يَرجُوه مثـلي بلا زادٍ على سَفَرِ

إن الكريم إذا وافـاهُ مُرتَـزقٌ وكـثرة الـزاد ذنبٌ غـير مُغتفـرِ

أيبك عز الدين المعروف بالكردي الظاهري [٥] . توفي في شهر المحرم بحمص . كان متولي نيابة السلطنة بها ، وكان عاقلاً لبيباً تولى شد الجيوش بمصر نايباً // عن الأمير بدر الدين بيليك الخزندار الظاهري ، وكان له من العمر فوق الأربعين سنة . ٤٢ و

حسن بن علي بن أبي بكر بن عمر بن عثمان بن بركة بن محمد بن علي الموصلي الناقل جده عثمان إلى ميّافارقين الصدر الكبير بدر الدين . توفي يوم الجمعة خامس عشر ربيع الأول بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ، ومولده سنة سبع وتسعين وخمس مائة ، قد تقدم ذكر نسبه وبعض سيرته في ترجمة أخيه جمال الدين . اشتغل هذا بالعربية

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٤٢ ؛ وفي ابن شاكر ، فوات ١ : ١٧١ « الروض » .

(٢) في المصدرين نفسيهما : « كأنهم من شيعة » .

(٣) أيضاً : « لعاقل ركب قد سبقن إلى سفر » .

(٤) أيضاً : « فإنه » .

(٥) ترجم له اليونيني في وفيات سنة ٦٦٨ هـ .

بميافارقين ، وقرأ القرآن الكريم ، وتقدم نقله إلى الديار المصرية وخدمته للملك الصالح نجم الدين أيوب صاحبها ، وحظي في الدولة المعزيّة وكذلك في خدمة ولده الملك المنصور ، وكذلك في الأيام المظفرية ، وخدم السلطان الملك الظاهر ورسله إلى صهيون وإلى اليمن ، وما زال مستمراً في كتابة الإنشا [١] إلى أن توفي . وكان رجلاً حازماً قوي ٤٢ ظ النفس // كثير العصبية ــ رحمه الله ــ .

حسن نجم الدين بن الشعراني الإسماعيلي . توفي في شهر رجب الفرد بخزانة البنود . كان قد استولى على حصون الإسماعيلية التي بالشام عند استيلاء التتر على بلاد حلب ، وقد تقدمت أخباره في تاريخنا في حوادث الستين [٢] .

خليل بن يعقوب بن خليل بن طيلون البزاعي صفي الدين . توفي في العشر الأول من ربيع الأول بزبيد من اليمن ودفن بها ، ومولده سنة اثنتين وستماية ببزاعا ، شرقي حلب . كان فاضلاً أديباً اشتغل بالأدب على جماعة من فضلاء حلب ، وسافر البلاد ، ونظم الكثير من الشعر ، وكان خصيصاً بالصاحب الوزير مؤيد الدين بن تميم بن علي ٤٣ و الشيباني المعروف بالقِفطي [٣] وزير حلب ، وله فيه مدايح كثيرة // ، وكان الصاحب مؤيد الدين قد كتب إليه كتاباً من نظمه يمتحنه ، وهي :

نار وجدي من هجرهم في تلظّي	وا شقائي ووا تراجع حظّي
كان حلو المذاق ودي فَلِمْ صا	ر مريراً يرمى برفضٍ ولفظِ
بدّلوني بالقرب بعداً وبالإقـ	ـبال رداً بعنف درءٍ وفظِ
وتناسوا حميد عيشٍ تقضّى	في رضى عهدُه جَديرٌ بحفظِ
بالوفا والوفاض حَالٍ وخالٍ	من وفاءٍ ومن تَشاؤس لحظِ

(١) « موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها وتصريف المراسيم ... والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها » . ولصاحب هذه الوظيفة ديوانه « ديوان الإنشاء » . (القلقشندي ٤ : ٣٠ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٢٥) .

(٢) يقصد الجزء الأول وهو المفقود من السيرة .

(٣) في ابن شاكر « ابن القفطي » ، وهو أخو وزير حلب القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبي الحسن ؛ والقفطي نسبة إلى قفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية (ابن شاكر ، فوات ٣ : ١١٧ ــ ١١٨) .

في نعيـــم مـــن السُّرور مُقيــــم   والتِئــام يُـــدني ويُرضِي ويُحظِي
فاستَردّ الزمـــان تلـك العطيّــــا   ت بأيــدي همٍّ وغمٍّ وكـــظِ
فعليهـــم وإن أساءوا ســــلام   سالم دُرّ ودّهِ من تَشظـي
وعلى الفاضل الصَّفي خليــــلٍ   والخليل الصَّفي تخفيف بهظِ

فأجابه الصَّفي خليل المذكور عن الأبيات ارتجالاً في المجلس ، وهي :

من يَنـلْ في الزمـان حظّاً كحظـي   يُمْسِ في غبطـةٍ ويُمنٍ وخِفـظِ
إذ أرى الصاحبَ الجليـلَ المفـدَّى   لأحظي وُدّه بأكمل لحـظِ //
٤٣ ظ   يـا لهـا منَّـةً تقلّدتهـا مـن   أفـق مَجـدٍ يُعلي عَلاءً ويحظي
لا أبـالي مِنْ بعدها بخطوب الـدْ   دَهر كَظّت علـيّ أعنَف كـظِّ
لا ولا أختشي إذا مـا صحابي   لَفَظـوا حُسْنَ صُحبـتي شَرَّ لَفـظِ
أيهـا الصاحب الـذي بَهَظت شُكـ   ـري أعباءُ مجـده أيَ بَهـظِ
أصغـر الأعبـدِ الأرقَـاءِ وافـا   ك بجَـد لعفـو رد [1] مبـظِ
عاجـز لفظـه ومعنـاه عن لفـ   ـظ مَعـانٍ جاءت بأوجـز لفـظِ

وله ، من قصيدة يمدح فيها الملك المظفر شمس الدين يُوسف [2] بن الملك المنصور عمر صاحب اليمن :

أَرأيتَ أيّ محـاسنٍ وَجمـالِ   أبـدَتْ عشيّة رحلـةِ الأَجمـالِ
بيضـاءُ ناعمـةُ الشبيبـةِ غـادةٌ   حسنـاءُ تهجر حُسنهـا بـدلالِ
سَفَرتْ فقلت : « هي الغزالـة أقبلت   ليـلاً تغازلـني بلحـظ غـزالِ ! »
واستعبَرت أَسفاً فأمطر نَرجس الـ   أجفـان وَرْدَ الخـدِّ سمطَ لآلِ
ثم استقلّتْ للـوَداع وقلبهـا   وقفٌ علـى الأوجـاع وَالأوجـالِ //

---

(١) كذا وردت في الأصل .

(٢) توفي سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م . (النويري : ورقة ١٧٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ورقة ٢٢٢ .

٤٤ و وَمضتْ وأَنوار الجمالِ بخدّها … صُفْرٌ كنورِ الشمس في الآصالِ
يا هذه إن كُنتِ زُلتِ فهذه … أرواحنا قد آذنت بزِيالِ
لا تَحسبي السلوانَ بعدكِ مذهبي … النار قلبي للتسلّي سالي
يا عاذلي وأنا هو الكلف الذي … لا يرعوي لمقالة العُذّالِ
لو كنْتُ مُضمرَ سلوةً قبل النّوى … وَذكرتُ يَوم وداعهمْ لبدا لي

ومنها في صفة البحر وقد ركب فيه متوجهاً إلى اليمن :

وَمُرنّح الأمواج من سُكْرِ الصَّبا … مُتَفاقم الأَرجاءِ والأحوالِ
كلف عرى ....(١)
يَنْسابه في زجره وشِعابه … مثلَ انسياب الأَيْمِ وَسْطَ رمالِ
حتى إذا نزل القضاءُ به وَهَى … من بعد طولِ الوقت والإرقالِ
لعبت به الأمواج حتى خلتهُ … أضحت أسافله وَهنَّ أعالِ
في مَوطنٍ شابت لِعُظْمِ مُصَابنَا … في ساحتيه ذَوايب الأطفالِ
حتى إذا ما النفس جاش لغامها … ودَعَتْ بطُول الويل والأعوالِ
نادَيْتُها يا نفس صبراً إنما … دُنياكِ دارُ نكايةٍ ونكالِ //
٤٤ ظ وإذا أَردت مطالباً تُنجيك من … صَرف الزمان ومن صُروف ليالِ
أمّي ذرا الملكِ المظَفّر تظْفَري … بأجلِّ مطلوبٍ وأيمن فالِ

عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن عبد الله الحرّاني النميري ، المعروف بابن الصيقل ، نجيب الدين [أبو الفرج] (٢) . توفي يوم الأربعاء مستهل شهر صفر بقلعة الجبل بالقاهرة ، وكان قد حبس في خامس عشر المحرّم بسبب ودايع ذكر

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) الزيادة من اليونيني ٣ : ٥٠ ؛ الذهبي . العبر ٥ : ٢٩٨ .

أنها عنده وأنه يشتري لنواب التتر بحران أصنافاً من الثياب ، وبقي بالقلعة إلى أن مات ودفن بالقرافة [(١)] ، ومولده سنة سبع وثمانين وخمسماية . كانت له رواية عالية في الحديث ، سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل ببغداد وغيره . دخل العراق سنة ست وتسعين وخمس ماية . كان له خلطة بالملوك ، وخدم الديوان [(٢)] العزيز ، وترسّل بين الملوك . ولم تزل له المكانة المكينة في جميع الدول // .

٤٥ و **عمر** بن بندار التفليسي [(٣)] ، قاضي قضاة كمال الدين . توفي في رابع عشر شهر ربيع الأول بمشهد الحسين [(٤)] بالقاهرة ، ودفن بتربة قاضي القضاة تقي الدين بن رزين [(٥)] بالقرافة ، جوار تربة الملك المعز ، ومولده [بتفليس سنة اثنتين وست مائة تقريباً] [(٦)] . كان عالماً مفتياً عارفاً ، اشتغل في الفقه ببلاد العجم ، وخرج من تفليس خوفاً من التتار ، ودخل حلب وقصد دمشق ، وأقام بها متولياً نيابة الحكم عن القاضي صدر الدين [(٧)] قاضي قضاة دمشق ، ولم يزل إلى أن استولت التتر على البلاد ، في سنة ثمان وخمسين فدخل القاهرة ، وبقي بها إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ .

كيكلدي الأمير بدر الدين السّكري الظاهري . توفي سلخ شهر رجب بالقاهرة ،

---

(١) في اليونيني ٣ : ٥١ « ودفن بأول القرافة خارج السور » .

(٢) في الأصل : الديدايوان .

(٣) نسبة إلى تفليس (بفتح الأول وكسره) وهي مدينة قديمة من بلاد الأرمن . تقع في الإقليم السادس . (ياقوت ٢ : ٣٥ ــ ٣٧ ؛ ابن سعيد : ٢١ ؛ الحميري : ١٣٩) .

(٤) للاطلاع على الظروف التاريخية لبناء هذا المشهد انظر : المقريزي ، الخطط ١ : ٤٢٧ ــ ٤٣٢ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٤٧ .

(٥) اسمه محمد ووالده الحسين وكنيته أبو عبد الله ولد بحماة يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ٦٠٣ هـ / ٥ آذار ١٢٠٧ م . تولى الحكم بالقاهرة وأعمالها ثم أضيف إليه مصر وأعمالها . وكان الملك الظاهر قد أوكل إليه تدريس الشافعية مع مدرسته . توفي بالقاهرة ليلة الأحد ثالث شهر رجب سنة ٦٨٠ هـ / ١٨ تشرين الأول ١٢٨١ م ، ودفن بالقرافة . (النويري : ١٢٢ و ــ ١٢٣ ؛ الصفدي ، الوافي ٣ : ١٨ ــ ١٩ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ٢ : ١٤٢ ؛ الأسنوي ١ : ٥٩٤ ــ ٥٩٥) .

(٦) فراغ في الأصل والتكملة من اليونيني ٣ : ٦٤ ــ ٦٥ والذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ١٠ ظ . وفي ابن كثير ١٣ : ٢٦٧ « ولد بتفليس سنة احدى وستمائة » .

(٧) لعله قاضي القضاة أحمد بن يحيى بن سني الدولة ، أبو العباس ، صدر الدين (سبقت ترجمته) .

٤٥ ظ ودفن بحوش السلطان بالقرافة . كان من أعيان // الأمرا ، وكان عمره فوق الأربعين سنة .

محمد عز الدين بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز بن أبي جعفر بن العجمي ، الشافعي الحلبي [١] . توفي يوم الجمعة خامس عشر ربيع الأول بمدرسة نور الدين [٢] بدمشق ، ودفن على والده بمقابر الصوفية ، خارج باب النصر [٣] وكان عمره ثلاثين سنة . اشتغل كثيراً وقرأ القرآن الكريم على الشيخ أحمد المغربي .

محمد بن محمد بن عبد الرحيم [٤] بن عبد الله بن علوان الأسدي ، قاضي القضاة [بحلب] [٥] ، محيي الدين . توفي يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر [٦] بحلب ، ودفن بمقابر الجبيل ، وصلى عليه شمس الدين أحمد الخابوري الخطيب بحلب ، يومئذ ، وأعيانها ، ومولده في شوال [٧] سنة اثنتي عشرة وستماية . اشتغل بالفقه على قاضي القضاة بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن ٤٦ و شداد ، وعلى عمه // قاضي القضاة زين الدين [أبي محمد عبد الله] [٨] بن الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ، وسمع منهما الحديث ، ومن جده الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله الأسدي ، ومن أخي جده أبي العباس أحمد بن عبد الله [٩] . وسمع من الحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الأدمي

---

(١) قارن بالصفدي ، الوافي ٢ : ١٠٣ .

(٢) هو الملك العادل محمود بن عماد الدين زنكي ، أبو القاسم نور الدين الشهيد ، توفي بدمشق يوم الأربعاء ١١ شوّال سنة ٥٦٩ هـ / الأربعاء ١٥ أيار ١١٧٤ م بعلة الخوانيق ، ودفن بقلعة دمشق ثم نقل إلى مدرسته التي أنشأها بدمشق عند سوق الخواصين . (ابن الأثير . التاريخ الباهر : ١٦١ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ : ٣٤٠) .

(٣) هو أحد أبواب دمشق الثمانية . (الحميري : ٢٤٠) .

(٤) كذا ورد اسم الجد في اليونيني ٣ : ٨١ ؛ وفي الصفدي ، الوافي ١ : ١٨٣ ـ ١٨٤ « عبد الرحمن » .

(٥) التكملة من المصدرين نفسيهما .

(٦) في المصدرين أيضاً « توفي في ثالث جمادى الأولى .. وقيل في وفاته غير ذلك » .

(٧) أيضاً : « مولده فيها (بحلب) في خامس شعبان .. » .

(٨) في الأصل : « أبي عبد الله محمد » وهو خطأ (سبقت ترجمته) .

(٩) ولد سنة ٥٤١ هـ ـ ١١٤٧ ـ ١١٤٨ م ، وقيل سنة ٥٤٤ هـ . توفي بحلب سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ ـ ١٢٢١ م ، =

الدمشقي ، ومن السيد الشريف افتخار الدين أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي ومن ولده [١] السيد تاج الدين [٢] أبي المعالي الفضل بن عبد المطلب الهاشمي ومن جماعة بمصر وبغداد ودمشق ، واشتغل بالنحو على الشيخ موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي ، وعلى الشيخ الإمام أوحد الدين الدّري قاضي منبج . تولى أولاً مدرسة الرواحية [٣] بحلب ، ثم تولى نيابة الحكم عن ابن عمه قاضي القضاة كمال الدين أبو بكر أحمد [٤] بن القاضي زين الدين أبي محمد عبد الله بن الشيخ الحافظ في سنة ثلاث وأربعين . ولما تولى نيابة الحكم عزل عن الرواحية بشرط واقفها ، وولي مدرسة [٥] الأمير سيف الدين علي بن // علم الدين سليمان بن جندر [٦] ، ولم يزل متوليها ومتولي نيابة الحكم إلى سنة ثمان وأربعين . لما توجه السلطان الملك الناصر لفتح دمشق خرج معه قاضياً لعسكره واستمر قاضياً للعساكر إلى أن انقرضت الدولة في سنة ثمان وخمسين ووصل إلى [الديار] [٧] المصرية وأقام بها مدة وولي بها تدريس المدرسة [المسرورية بالقاهرة] [٨] . ثم لما خرج ابن عمه من الديار المصرية خرج

٤٦ ظ

= ودفن بمقابر الجبيل . (ابن العديم ، بغية الطلب ١ : ١٢٧ أ ـ ١٢٩ أ) .

(١) في الأصل : ولد .

(٢) توفي سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م . (ابن شداد ١/١ : ١١٢ ـ ١١٣) .

(٣) أنشأها زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد التاجر المعروف بابن رواحة المتوفي بدمشق سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . (أبو شامة : ١٤٩ ؛ ابن شداد ١/١ : ١٠٤ ، الذهبي ، العبر ٥ : ٩٢) .

(٤) الصواب « أبي » . وقد توفي بحلب ليلة الأحد رابع وقيل خامس عشر شوال عام ٦٦٢ هـ / ٩ ـ ١٠ آب ١٢٦٤ م . مولده سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م . له تصانيف منها : « شرح الوسيط للغزالي » ، في نحو عشر مجلدات . وهو كتاب قيم في المذهب الشافعي . (أبو شامة : ٢٣٢ ؛ ابن شداد ١/١ : ١٠٢ ؛ الصفدي ، الوافي ٧ : ١٢٢ ـ ١٢٣ ؛ الأسنوي ١ : ١٤٤ ـ ١٤٦) .

(٥) عرفت بالمدرسة السيفية ، اكتمل بناؤها سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م . (ابن شداد ١/١ : ١٠٧)

(٦) توفي بحلب في أواخر جمادى الأولى سنة ٦٢٢ هـ / حزيران ١٢٢٥ م . بنى مدرستين إحداهما للحنفية بظاهر حلب والأخرى للشافعية داخل حلب ووقف عليهما الأوقاف . (أبو شامة : ١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٧) ساقط في الأصل .

(٨) فراغ في الأصل والتكملة من الصفدي ، الوافي ١ : ١٨٣ ـ ١٨٤ . وسميت هذه المدرسة بالمسرورية نسبة إلى منشئها الطواشي شمس الخواص مسرور صاحب خان مسرور بالقاهرة . (ابن شداد ٢/١ : ٢٣٨) .

صحبته واستمر على نيابة قضاء الحكم بحلب إلى شوال من سنة اثنتين وستين . توفي ابن عمه كمال الدين قاضي القضاة فولاه مولانا السلطان الملك الظاهر قضاء قضاة حلب وأعمالها ، فاستمر بها إلى أن توفي .

محمد بن الشيخ نجم الدين حسن بن يوسف بن محمد البسطامي الحنفي الشيخ الفقيه الإمام سراج الدين . توفي في الثالث من جمادى الأولى بالقاهرة ، ودفن بمقابر الصوفية ، خارج باب النصر (١) ومولده (......) (٢) كان له من العمر قريب من سبعين سنة . // اشتغل بالفقه في بلاد العجم ، واشتغل بالعراق في الأصولين وعلم الجدل ، وأقام بها مدة ، ثم نقل إلى حلب ، واشتغل بها على الشيخ جمال الدين خليفة بن سليمان القرشي (٣) ، وتولى الإعادة بالمدرسة الأتابكية (٤) بحلب ، ثم نقل إلى دمشق ، وقرأ على الشيخ جمال الدين الحصيري (٥) ، ثم نقل إلى القدس ، وولي بها تدريس مدرسة الملك الأمجد (٦) ، وولي مشيخة الخانقاة الصالحية وما زال مقيماً بالقدس ينتفع به الناس ويشتغلون عليه إلى أن استولت التتار ــ خذلهم الله تعالى ــ على الشام في سنة ثمان وخمسين (٧) ، فقصد دمشق فأجروه (٨) نواب التتر على القاعدة التي كان عليها ، ثم عاد إلى القدس وأقام بها . ولما يسَّر الله كسر التتر على يد الملك

٤٧ و

(١) يقع هذا الباب في الجهة البحرية ، وقد كان للقاهرة خمسة أبواب هي : باب النصر ، باب الفتوح ، باب القنطرة ، باب زويلة وباب الخليج . (المقريزي ، الخطط ١ : ٣٨١ ــ ٣٨٣ ؛ مبارك ، الخطط التوفيقية ١ : ٨) .

(٢) ساقطة في الأصل .

(٣) توفي في ٢٤ شوال سنة ٦٣٨ هـ / ٨ أيار ١٢٤١ م . (ابن شداد ١/١ : ١١٤) .

(٤) أنشأها شهاب الدين طغرل الأتابك عتيق الملك الظاهر غازي ، كان نائب السلطنة بقلعة حلب ومدبر الدولة بعد وفاة معتقه . انتهت عمارة هذه المدرسة سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م .

(٥) جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد الحصيري شيخ الحنفية ، ولد ببخارى سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م ، وتوفي في صفر سنة ٦٣٦ هـ / أيلول ــ تشرين الأول ١٢٣٨ م . (أبو شامة : ١٦٧) .

(٦) ترجم له ابن شداد في السيرة (وفيات ٦٧٠ هـ) .

(٧) وردت عبارة : « على الشام في سنة ثمان وخمسين » مكررة في الأصل .

(٨) كذا ؛ والأصوب : فأجراه .

المظفر ، استمر في الأيام المظفرية على ما كان عليه . ولما تولّى مولانا السلطان [الملك الظاهر] طلبه إلى القاهرة وعوّقه في أواخر سنة ستين ، فأقام معوقاً نحو خمس سنين ، وأطلق . واستنابه قاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي [1] نيابة الحكم بالقاهرة ومصر وولي مشيخة // خانقاة سعيد السعدا [2] ، فلم يزل بها إلى سنة سبعين . عوّق مرة ثانية وأقام محبوساً سنتين ، ثم أفرج عنه ، فتزهّد وانقطع في منزله إلى أن توفي . كان عالماً عفيفاً زاهداً كثير العبادة لا يأكل لأحد شيئاً أصلاً ـ رحمه الله ـ . ٤٧ ظ

محمد الشيخ الإمام العلامة العالم العامل جامع أشتات الفضايل أبو عبد الله بن عبد الله بن مالك النحوي اللغوي الطائي الجيّاني ، وينعت جمال الدين . توفي ليلة الأربعاء الثاني عشر من شعبان بدمشق ، ودفن يوم الأربعاء بالجبل ، وكانت له جنازة مشهودة لم ير مثلها ، ومولده بجيّان في سنة ستمائة أو إحدى . كان في ابتداء أمره لا يؤبه له ، ثم اعتنى بنفسه ، واشتغل اشتغالاً تميز به على أبناء جنسه وفاقهم في علوم شتى . أتقن النحو واللغة والتصريف والنثر والنظم وصنّف كتباً كثيرة منها : كتاب « المثلث في اللغة » ، وكتاب « تسهيل المقاصد » [3] // وكتاب « المهموز وغير المهموز » ، وكتب عدة في التصريف نظماً ونثراً ، ومقدمات مختصرة في النحو ومختصر في « الفرق بين الضاد والظاء » ، و « المقصور والممدود » وغير ذلك ، وشرح ٤٨ و

---

(١) سليمان بن أبي العز أبو الربيع وأبو الفضل ، صدر الدين شيخ المذهب الحنفي . درّس مدة بدمشق وأفتى ثم استوطن الديار المصرية وتولى الحكم بمصر وأعمالها مدة سنين . ثم انتقل إلى الشام قبل وفاته بقليل حيث قلّد القضاء به على مذهبه . توفي بدمشق بعد ذلك بثلاثة شهور ، في ٦ شعبان سنة ٦٧٧ هـ / ٢٣ كانون الأول ١٢٧٨ م . ودفن بسفح قاسيون وله من العمر ٨٣ سنة وكان الملك الظاهر يحبه ويبالغ في احترامه وكان لا يفارقه في غزواته وحج مرافقاً له . (ابن فضل الله العمري ، مسالك ٣ : ٥٥١ ـ ٥٥٢ ؛ اليونيني ٣ : ٣٠٢ ، الذهبي ، دول ٢ : ١٣٨) .

(٢) هي الخانقاه الصلاحية . وسعيد السعداء هو لقب لخادم المستنصر الفاطمي اسمه قنبر كانت له دار جعلها السلطان صلاح الدين خانقاه ووقف عليها قيسارية الشرب داخل القاهرة وبستان الحبّانية بزقاق البركة (القلقشندي ٣ : ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٣) كتاب « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » وهو موجز في النحو بلغ في إيجازه حد الغموض (طبع في فاس سنة ١٣٢٣ هـ) . (محمد بن شنب : مادة « ابن مالك » . دائرة المعارف الإسلامية ١ ، ٢٧٢ ب ـ ٢٧٤ ب) .

القصيدة الشاطبية [١] . فمن نظمه يلغز في الشكر :

ما اسمٌ بإجمـاعِ البريّـة واجبٌ وإذا يخفّ مُصَحَّفاً فحـرامُ
وإذا تنقُله لـدى تَصحيفِـه فهو الحلال الحلو حيث يُرامُ

وله يلغز في امرأة اسمها عَين :

عَجبْتُ للفظٍ في اكتمال حُروفه يَبِينُ معنى ثلثه عنه يعـربُ
وفي الثلث الثاني دلالات أربـع وفي الثلث الباقي دليلان فاعجبوا

وله مما كتبه إلى نجم الدين أبي الفضل إلياس بن إلياس الأربلي الفقيه الشافعي : //

٤٨ ظ

وفتيـة صـدّقت فيـهم الأمـاني ظنونـا
وناولتهـم يداهـا من الأيـادي فُنونـا
وحاولـوا أن ينالـوا وجـه التهـاني المَصُونـا
لكـن لإدراك هـذا بالنجـم هـم يهتدونـا
نَفِّض خـتم رضاهُـم لكـي يقُـرّوا عُيونـا

محمد بن الشيخ الإمام العالم سراج الدين عمر بن علي الإسفراييني ، الشافعي العجمي ، المدرس المعروف بالأرشد . توفي في العشر الأول من شهر رمضان المعظم بقرية يقال لها النويرة ، ومولده في صفر سنة خمس وستماية . كان عالماً فاضلاً جيد البحث ، ولي تدريس مدرسة منية بني خصيب ، وأعاد بمدرسة الشافعي ــ رضي الله عنه ــ بالقرافة مدة طويلة ، وولي تدريس المدرسة المسرورية ، بعد كمال الدين الخضر

---

(١) يمكن الاطلاع على مصنفاته جميعها في دائرة المعارف الإسلامية ١ : مادة « ابن مالك » .

السنجاري (١) ، وأسماء مشايخه : القاضي شمس الدين الجويني قاضي (٢) // *
٤٩ و دمشق ، والشيخ شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهي (٣) معيد المولى فخر الدين بن الخطيب (٤) الإمام المشهور ، والقاضي أفضل الدين الخونجي (٥) ، قاضي مصر ، وجماعة غيرهم ـ رحمهم الله ـ .

محمد [بن سليمان] (٦) الشيخ أبو عبد الله [المعافري] (٧) الشاطبي . توفي يوم السبت تاسع عشر شهر رمضان (٨) بالإسكندرية (٩) ودفن عند الشيخ أبي العباس أحمد (١٠) ، ومولده [سنة خمس وثمانين وخمس مائة] (١١) . كان منقطعاً بمكان ، خارج باب اليهود ، أقام به أربعين سنة ، لم يدخل البلد . وله تصانيف وسماعات وكان يقرئ القراءات ، وإليه المشيخة بالإسكندرية ، وانتشر في البلاد من تلامذته خلق كثير .

---

(١) توفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م . (أبو شامة : ٢١٥) .
(٢) لفظة « قاضي » : مكررة في الأصل .
(*) إشارة إلى بدء « السابع من الجزء الثاني » .
(٣) الخسروشاهي ، نسبة إلى قرية تعرف بخسروشاه من قرى تبريز ، ولد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وتوفي بدمشق في ٢٥ شوال سنة ٦٥٢ هـ / ١٨ كانون الأول ١٢٥٣ م . (ابن فضل الله العمري ، مسالك ٥ : ٣٧٢ـ ٣٧٣ ؛ الأسنوي ١ : ٥٠٣ ـ ٥٠٤) .
(٤) الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر المعروف بابن الخطيب ، أبو عبد الله الشافعي . ولد بالريّ سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . له مؤلفات كثيرة في الفقه والأدب والحكمة والتفسير والأدب منها : « المطالب العالية في علم الكلام » ، « نهاية العقول في أصول الدين » ، « الملل والنحل » ، و « شرح الإشارات » لابن سينا ... توفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ / ٢٩ آذار ١٢١٠ م . (ابن الساعي ٩ : ٣٠٦ ـ ٣٠٨ ؛ ابن العبري : ٤١٨ ـ ٤١٩ ؛ ابن خلكان ٤ : ٣٤٨ ـ ٣٥٢ ؛ الصفدي ، الوافي ٤ : ٢٤٨ ـ ٢٥٩) .
(٥) محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي (نسبة إلى خونجان من قرى أصبهان) الشافعي . ولد سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م . ولي قضاء مصر وأعمالها ودرس بالمدرسة الصالحية . له مصنفات منها . « مقالة في الحدود والرسوم » ، « كتاب الجمل في المنطق » . توفي بالديار المصرية في ٥ رمضان سنة ٦٤٦ هـ / ٢٤ كانون الأول ١٢٤٨ م . (أبو شامة : ١٨٢ ؛ عبر الذهبي ٥ : ١٩١ ؛ الصفدي ، الوافي ٥ : ١٠٨ ـ ١٠٩) .
(٦) و (٧) التكملة من اليونيني ٣ : ٧٢ وعبر الذهبي ٥ : ٣٠٠ .
(٨) و (٩) و (١٠) في اليونيني ٣ : ٧٢ « توفي بظاهر القاهرة في العشرين من شهر رمضان ودفن بمرج سوار » .
(١١) فراغ في الأصل والتكملة من المصدر نفسه .

محمد بن محمد بن حسن [أبو عبد الله] [١] الطوسي ، الشيخ العالم نصير الدين .

٤٩ ظ توفي يوم الإثنين الثامن عشر من ذي الحجة ببغداد ، ودفن بالمشهد الكاظمي [٢] // عليه السلام ، ومولده لم أتحققه [٣] ، بل كان قد نيف على الثمانين . كان رجلاً عالماً فاضلاً ، مبرزاً في الخلاف والمنطق والأصولين والهيئة والأرتماطيقي والرياضي . خلّف من الكتب بعد موتهماية ألف وأربعة عشر ألف كتاب [٤] ، وهو الذي بنى الرصد بمراغة [٥] ، وبني بها أيضاً مدرستين .

المظفر بن محمد بن المظفر بن الحسن المنبجي ، وينعت بالناصح . توفي في هذه السنة (وكان قد نيف على الثمانين سنة) [٦] . كان أديباً كاملاً يكتب خطاً حسناً ، وينظم شعراً جيداً . سافر إلى الإسكندرية ، وأقام بها مدة ، ثم فارقها وسافر إلى اليمن ، وخدم صاحبها . فمن نظمه :

أحبابنـــا إن من أيـــام هجركـــمُ ... حرّمت نومي وما حَللت من جلدي
وكنتُ أحسب أسبابـــاً لبينكـــمُ ... وقطُّ ما دارَ هذا البين في خلدِي
أغربتم في تجافيكم عـلـيّ وقـــد ... عزّيتموني بهذا الهجر في بلدِي

---

(١) الزيادة من اليونيني ٣ : ٧٩ .

(٢) نسبة إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الطيار .

(٣) ولد سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ ـ ١٢٠١ م . (ابن الفوطي : ٣٨٠ ، الصفدي ، الوافي ١ : ١٨١ ، أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٨) .

(٤) من هذه الكتب : « كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة » ، « التجريد في المنطق » ، « التلخيص في علم الكلام » ، « الكرة والأسطوانية » ، « الظاهرات » و « تربيع الدائرة » (ابن فضل الله العمري ، مسالك ٥ : ٣٨٠ ـ ٣٨٦ ، ابن الفوطي : ٣٨٠ ؛ الصفدي ، الوافي ١ : ١٧٩ ـ ١٨١) .

(٥) مراغة ، بالفتح ، هي بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان كانت تسمى دمشق الصغيرة . (ياقوت ٥ : ٩٣ ـ ٩٤ ؛ ابن بطوطة ١ : ٦٣) . وعن هذا الرصد (ظروف بنائه وكلفته ومحتوياته ...) انظر : (ابن فضل الله العمري ٥ : ٣٨٥) .

(٦) وردت على الهامش الأيمن بالقلم نفسه .

٥٠ و **يحيى** بن الشيخ الإمام ناصح الدين عبد الرحمن // بن نجم بن عبد الوهاب بن الواحد الحنبلي الأنصاري . توفي في الحادي والعشرين من شهر شوال [١] بدمشق ، ودفن في الصالحية على والده ، وكان له من العمر إذ ذاك ثلاث وثمانين سنة . كان مدرّساً بمدرسة ربيعة خاتون [٢] ، بسفح جبل قاسيون ـ رحمه الله ـ .

من لم يعرف اسمه

الشيخ الصالح أبو القاسم التلفيتي ، قرية من أعمال حلب . توفي بدمشق بالعقيبة في يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى الأولى ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان قد نيف على الستين سنة . كان زاهداً عابداً ، انقطع في منزله إلى أن توفي في التاريخ المذكور ـ رحمه الله ـ .

٥٠ ظ **الشيخ** الصالح أبو بكر بن فتيان [الشطّي] [٣] // . توفي في يوم الثلاثاء ، السادس عشر من جمادى الأولى ، ودفن بالديار التي كانت سكنه بجبل الضاحية من دمشق ، وكان قد نيّف على التسعين سنة . كان أصله من شاطئ الفرات ، وكان زاهداً عابداً ناسكاً ورعاً محققاً صاحب طريقة وحقيقة ، له كرامات ظاهرة ـ رحمه الله ـ . توجهت في صحبة المولى الصاحب الوزير بهاء الدين ابن حنا إلى الشام ، فحصل لي حضور جنازته ، والصلاة عليه ، فمن عجيب الاتفاق الذي اتفق أن هذا المتوفي المذكور ، لما علم الناس بوفاته فيهم من بادر بإحضار الكفن رجاء الثواب وشمول بركة المذكور ، فحصل فوق العشرة أكفان ، فلم يقدر الله أن يكفن إلا بالكفن الذي سيره المولى الصاحب الوزير بهاء الدين ، فعجب من هذا الاتفاق ، ولا غرو فإن الله سبحانه إذا أحبَّ عبداً صرف وجوه الناس إليه ، واستخرج ماله فيما يثيبه عليه . //

---

(١) في الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ١٥ ظ « توفي في سابع عشر شوال » .

(٢) هي الصاحبة ربيعة خاتون ابنة نجم الدين أيوب ، أخت صلاح الدين والعادل . توفيت في شهر شعبان سنة ٦٤٣ هـ / كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٤٧ ـ ١٢٤٨ م ، ودفنت بتربتها بجبل قاسيون . (أبو شامة : ١٧٧ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ١٧٦) .

(٣) التكملة من الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ١٥ ظ .

٥١ ظ

السنة الخامسة عشرة من دولة مولانا السلطان الملك الظاهر وهي سنة ثلاث وسبعين وستمائة

متجددات الأحوال في هذه السنة

في الخامس عشر من المحرم ، وهو يوم السبت جهزت الشواني من الصناعة [١] بمصر المحروسة إلى دمياط .

ذكر وصول الملك المنصور صاحب حماة إلى مصر

وفي الأحد ، سادس عشر المحرم [٢] ، وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، صاحب حماة ، إلى القاهرة ، فتلقاه مولانا السلطان بظاهر القاهرة // وكان في صحبته أخوه ٥٢ و الملك الأفضل نور الدين علي [٣] ، وولده الملك المظفر محمود ، وأنزل بالكبش وهو منتزه مشرف على بركة الفيل ، بناه الملك الصالح نجم الدين أيوب لما ملك مصر ، فلما حل به بعث إليه مولانا السلطان السماط بكامله صحبة الأمير شمس الدين الفارقاني أستاذ الدار ، فوقف في وسطه ، لما مدّ ، كما يفعل بين يدي مولانا السلطان . فلم يزل به الملك المنصور يسأله في الجلوس حتى جلس . ثم وصلت إليه من الخلع والمواهب ما لم ينهض بعبئه [٤] شكره ، ولا يقوم لسانه بنشر ذكره ، وأباح له ما لم يبحه لأحد

---

(١) المقصود دار صناعة السفن بالقاهرة . (المقريزي ، الخطط ٢ : ١٨٩ ـ ١٩٧) .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ٨٤ ؛ وفي المفضل : ٤٤ ظ وابن الدواداري ٨ : ١٧٦ « في سادس المحرم » ؛ وفي المقريزي ٢/١ وترجمة Quatremère « في المحرم » .

(٣) هو والد المؤرخ أبي الفدا صاحب كتاب « المختصر في أخبار البشر » . المولود سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م بدمشق ، الذي تولى الحكم بحماة ، بعد وفاة ابن عمه الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور ، المتوفي دون عقب ، عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م . (دائرة المعارف الإسلامية ١ : مادة « أبو الفدا » ص ٣٧٦ أ ـ ٣٨٧ ب) .

(٤) كذا ؛ وفي المفضل : ٤٤ و « به » .

من خواصه ، من شرب الخمر ، وسماع المغنى وساير الملاذ ، مبالغة في إكرامه واحترامه .

وفي السادس من صفر ولدت امرأة نصرانية ، بقصر الشمع ، محلة من محال مصر ، ثلاث بنات في بطن واحد ، كل واحدة منهن في مشيمة ، ومُتْنَ لوقتهن — فسبحان القادر على كل شيء والرازق لكل حيّ — . //

٥٢ ظ

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الكرك

توجه الركاب الشريف السلطاني إلى الكرك المحروس على الهجن يوم الأحد سابع شهر صفر (١) ، وفي صحبته الأمير بدر الدين بيسري ، والأمير سيف الدين أتامش السعدي . وكان السبب في توجهه إلى الكرك أنه وقع فيه برج ، فاشتهى أن يكون إصلاحه بحضوره ، ورأى بالكرك بساتيناً (٢) فسأل عنها ، فرآها محكّرة حكراً رخيصاً ، فمسكها جميعها ، ثم عاد إلى مصر (٣) فدخلها يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول ، والتقى به الملك المنصور ، في طريقه عايداً إلى الشام ، على الغرابي ليلاً فودّعه (٤) .

ذكر إقبال مولانا السلطان على الأمير شهاب الدين القيمري //

٥٣ و

كان الأمير شهاب الدين يوسف بن الأمير حسام الدين الحسن بن أبي الفوارس القيمري (٥) من أعيان الأمراء ، في دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل (٦) ناصر الدين بن الملك العادل صاحب الديار المصرية ، وفي دولة الملك

---

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٨٥ وابن تغري بردي ٧ : ١٦٤ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٢٩ والنويري : ٥٤ ظ والمقريزي ١/٢ : ٦١٤ وترجمة Quatremère « ثامن صفر » .

(٢) كذا ؛ وصوابه : بساتين . جاء في اليونيني ٣ : ٨٥ « .... وكان بالكرك بساتين محكرة بشيء يسير فأمسكها .... » .

(٣) كذا في اليونيني وابن تغري بردي ، وفي ابن عبد الظاهر : « .. وعاد إلى قلعته ... » ؛ وفي المقريزي : « وعاد إلى قلعة الجبل .. » .

(٤) في اليونيني : « .. ولقيه صاحب حماة على الغرابي ليلاً ، فودعه وسار إلى حماة » .

(٥) نسبة إلى قيمر وهي قلعة بالقرب من مدينة اسعرد (اليونيني ٤ : ١٦٨) .

(٦) راجع : Cl. Cahen, art. "Ayyūbides"

الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز ، صاحب الشام . فلما ملك التتر الشام ، تخيل أنه كان ممن تثبط الملك الناصر عن لقائهم ، فأوخذ بذلك وعطّل ، وأطلق له من بيت المال كل يوم عشرون درهماً لنفقته وكلفه [١] ، ودام على هذه الحال إلى أن جرى الله في خاطرة مولانا السلطان الملك الظاهر النظر إليه والعطف عليه ، فأعطاه قبل سفره إلى الكرك خبز أربعين طواشياً بدمشق لَمّت شَعَثَ رتبته ، ورمّت ما [٢] تهدم من مباني إمرته // .

٥٣ ظ ذكر هروب ريس الإسكندرية ومن معه من عكا

قد تقدم القول كيف انكسرت الشواني ، وأسر من كان فيها من الرؤساء والرجال [٣] ولما أسروا بُعث بهم إلى عكا طلباً للفداء ، فامتنع مولانا السلطان من فدائهم بمال أو رجال وكتب إليهم : « إني قد استغنيت عنهم بغيرهم » ، وكتب إلى من أُخذ من الرؤساء أن لا يسعوا في فداء أنفسهم ، ومن فدى نفسه شنقه [٤] . ودام الحال على ذلك ، فمات من مات ، وهرب من هرب ، ومولانا السلطان يعمل الحيلة في خلاصهم ، بحيث أن لا يتشلد مائة لأهل عكا ، فكتب إلى الأمير عز الدين أيبك العلائي [٥] ، نايب السلطنة بقلعة صفد ، يأمره أن يوسع الحيلة في خلاص المذكورين ، فكتب عز الدين ٥ و إلى رجل من الفرنج المقيمين بعكا يسمى // جفرين [٦] ، ووعده إن هو سعى في خلاصهم أن يعطيه ألف دينار ، فاجتهد المذكور في ذلك ، وتحيل إلى أن دسّ إليهم مبارد [ومناشير] [٧] قطعوا بها شباكاً كان في البرج الذي هم محبوسون فيه ، ثم أخرجوا

---

(١) في اليونيني ٣ : ٨٥ « وكلفته » .

(٢) لفظة « الملك » . مكررة في الأصل .

(٣) يبدو أن الحديث عن هذه الوقعة (غزوة قبرص) قد ورد في الجزء الأول من السيرة (حوادث سنة ٦٦٩ هـ) ، وللاطلاع عليها انظر : ابن عبد الظاهر : ٣٨٦ ـ ٣٨٨ ؛ النويري : ورقة ٤٥ . المفضل : ٣٧ ظ ـ ٣٨ و Grousset: **Histoire** des Croisades III, p. 658

(٤) في شافع بن علي (ص ١٥٤) ما يشير إلى عكس ذلك تماماً « ... وكان السلطان قد بذل جملة في فكاكهم » .

(٥) كذا في اليونيني ٣ : ٨٥ ـ ٨٦ . وفي ابن عبد الظاهر والنويري : ٤٥ و والمقريزي ٢/١ : ٦١٥ « سيف الدين خطلبا » .

(٦) في اليونيني ٣ : ٨٦ « جفرن » .

(٧) الزيادة من ابن عبد الظاهر : ٤٣٠ والنويري : ٤٥ و والمقريزي ٢/١ : ٦١٥ .

من الباب ليلاً وعليهم زي الفرنج إلى مركب كان قد أعدّ لهم ، فركبوه إلى ساحل جهة عُينت لهم ، فوجدوا خيل البريد معدة على الساحل لهم ، فغير من زيهم ولثموا ، ودخل بهم إلى صفد سراً من غير أن يشعر بهم أحد ، فبعث بهم الأمير عز الدين ملثمين بحيث لا يعرفون ، وكان وصولهم إلى القاهرة في شهر ربيع الأول [1] ، وهم الريس شهاب الدين أبو العباس المغربي ، والريس شهاب الدين محمد بن الريس الموفق ريس الإسكندرية ، وزين الدين أخوه ، والريس سيف الدين أبو بكر بن إسحاق .

ذكر من توفي من الرؤساء المأسورين //

٥٤ ظ توفي منهم في الأسر بعكا وقبرص من رؤساء الإسكندرية : الريس سيف الدين محمد بن المجاهد ، والريس سيف الدين بن أبي سلامة ، ومن رؤساء دمياط : الريس شرف الدولة علوي ، ومن رؤساء مصر : الريس نجم الدين نجم بن الريس سيف الدولة ابن الحاج الجبلي ، والريس سيف الدين أبو بكر بن الريس المخلص بن تميم بن إسحاق ، والريس جمال الدولة يوسف بن مخلص ، والريس سيف الدين محمد بن الريس نور الدولة علي بن المخلص ، والريس موفق مشهور بن الريس المخلص بن إسحاق ، والباقون من الجماعة المأسورين منهم من يسر الله خلاصه فتحيّل في هربه ، ومنهم من فرغ أجله فتوفي في الأسر على حاله ، ومنهم من بقي على حاله مقيماً في الأسر

٥٥ و من النواتية بجزيرة قبرص . ولما وصل الرؤساء الذين سلموا كان السلطان // غايباً في الكرك ، ولما عاد أحضرهم وسألهم عن سبب خلاصهم ، فأخبروه عن كيفيته ، ثم أخذ يوبخهم على تفريطهم ، فقال له الريس شهاب الدين ريس الإسكندرية : « قضاء الله لا يرد بحيلة » . فاستحسن منه ذلك ، وخلع عليه وعلى من معه .

---

(١) يشير النويري ٤٥ و والمقريزي ١/٢ : ٦١٥ وترجمة Quatremère إلى أن فتنة كبيرة حصلت بين الفرنج في عكا بسببهم .

ذكر أخذ مولانا السلطان طلميثة مدينة برقة

كان مولانا السلطان قد بعث ابن غراب [١] مع صارم الدين أزبك [٢] في جماعة من الأجناد والعرب والمماليك إلى برقة للعداد [٣] ، فعاد ومعه منصور صاحب قلعة طلميثة ومفاتيحها معه سابع عشر ربيع الآخر [٤] .

ذكر قبض مولانا السلطان على جماعة من التتر

كان مولانا السلطان قد خرج لرمي البندق [٥] ، في سادس عشرين شهر ربيع الآخر ، وترك في القلعة نايباً عنه الأمير بدر الدين أيدمر الوزيري ، فأقام خمسة أيام ، ثم عاد إلى القاهرة وصعد // إلى القلعة . وكان السبب في عوده أن بعض العرب اطلع على أن جماعة من التتر يكاتبون ، فكتم ذلك ثم ردف ذلك أن كتبت له ورقة ، وألقيت له في موضع جلوسه ، وعطف على ذلك أن والي غزة مسك ثلاثة نفر ومعهم بدوي في خان جُماق ، وقد خرجوا من القاهرة لقصد التتر ، فسمع الخانيّ كلامهم فأنكره ، فعرَّف الوالي بهم ، فأخذهم فوجد معهم كتباً ، فسيرهم إلى القاهرة ، ووقف مولانا السلطان على الكتب فوجدها من عند (سيف الدين) [٦] قجقار الحموي ، ومُوغان ، ومنكو ، وسربغا ، وطنغري نُودي ، وطنغري برمش ، وأنوك ، وبَرمش ، وبلبان مجلى ، والبَعلاي المرتد ، وبَلاغَة [٧] ، وطبغني [٨] ، وأيبك ، وسنجر الحوّاشي

٥٥ ظ

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٨٧ ؛ وفي المفضل : ٤٤ ظ « ابن عزاز » .

(٢) كان من أعيان أمراء الشام . توفي سنة ٧٦٩ هـ / ودفن في سفح قاسيون وقد نيف على الخمسين . (الصفدي ، الوافي ٨ : ٣٦٦) .

(٣) بكسر العين ، هو زكاة مفروضة للسلطان سنوياً على قطعان القبائل العربية والتركمانية . (المقريزي ١/٢ : ٤٨١ ، حاشية ٦) .

(٤) كذا في اليونيني وفي المفضل : « سابع وعشرين جمادى الآخر » .

(٥) رياضة مفضلة عند الظاهر بيبرس : والبندق لفظ فارسي تعني كرات مصنوعة من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها . (القلقشندي ٥ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩) .

(٦) كتب على الهامش الأيمن بالقلم نفسه .

(٧) في اليونيني ٣ : ٨٨ « بلاغا » .

(٨) كذا في الأصل واليونيني ، وقد صحح فوقه بالقلم نفسه « طبوعون » .

التركي . فقبض عليهم وقابلهم بما فعلوا ، فأقروا وذكروا أسباباً لذلك ليست لها صحة ، من إهماله لحقوقهم . والعجب كيف يذكرون إهمالاً ، وقد خوّلهم وخلطهم بنفسه ، وأقطعهم الأخباز المتوفرة ، فكان آخر العهد بهم . //

٥٦ و

[ذكر] توجه مولانا السلطان إلى الإسكندرية

توجه مولانا السلطان وولده الملك السعيد إلى جهة البحيرة للصيد في الحراريق ، يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأولى ، وفي صحبته المولى الصاحب بهاء الدين [ابن حنا] واستخلف نايباً عنه في القلعة بدر الدين أيدمر الوزيري . ولما قضى وطره من الصيد دخل الإسكندرية فَشُكي إليه من واليها ، شمس الدين بن باخل ، أموراً أوجبت أن ضربه ، وأخذ خطه بخمسين ألف دينار ، وهدم له بستاناً كبيراً ، وقف عليه بنفسه حتى هدمته العامة ، وأقره على الولاية فقط ، وفوّض أمر الخمس والديوان للطواشي بهاء الدين صندك ، مشدّ دار الطراز ، وعاد نهار الخميس خامس جمادى الآخرة ، وتقدم وصولي المولى الصاحب أول النهار .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الصيد بالجيزة وغيرها //

٥٦ ظ

توجه مولانا السلطان إلى الجيزة ، وسار إلى دهشور ، يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة ، فأقام بها أربعة أيام ، ثم عاد إلى القلعة ، وخرج إلى العباسة [(١)] ، يوم السبت حادي عشرين منه ، ثم عاد يوم السبت خامس شهر رجب . وفي هذه الحركة صرع الملك السعيد طايراً ، وتسمّى لأبيه مولانا السلطان [(٢)] ، ثم توجه إلى بهتيم [(٣)] ، يوم السبت ثاني عشره ، وعاد يوم الجمعة الثامن عشر .

(١) بلدة بأرض مصر من الأعمال الشرقية سميت بعباسة بنت أحمد بن طولون . (القزويني ، آثار البلاد : ١٤٦ ـ ١٤٧) . وللاطلاع على وضعها حديثاً انظر : مبارك ، الخطط التوفيقية ١٤ : ٦ .

(٢) قارن بالمقريزي ١/٢ : ٦١٥ .

(٣) مدينة بالديار المصرية من الوجه البحري .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الشام قاصداً سيس [١]

توجه مولانا السلطان إلى الشام وصحبته العساكر المنصورة بكمالها ، واستخلف بالديار المصرية نايباً عنه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني ، والمولى الصاحب الوزير بهاء الدين ، ورحل معه وزيراً للصحبة تاج الدين [محمد بن محمد بن علي بن حنا] ، ورحل من البركة رابع شعبان [٢] ، فوصل إلى دمشق يوم الخميس // تاسع عشرين شعبان وكان السلخ ، ثم خرج منها قاصداً بلد سيس ، فلما اجتاز بحمص ، طلع القلعة ، وجلس في الطارمة التي عمرت له بها . فحال جلوسه جاءه البريد من مصر وعلى يده قليل بقسماط [٣] من القمح الجديد ، فاستبشر به ، ورسم لوالي قلعة حمص حسام الدين أبي علي بن أبي الفيحاء بعمارة باقي دور القلعة ، ثم سار فعبر الدربند [إلى باب اسكندرونة] [٤] إلى سيس فملكها ، وملك أياس [٥] ، والمصيصة ، وآذنة . ووصلني كتاب من المولى الصاحب تاج الدين ، تاريخه ثالث شوال ، من سيس ، يذكر فيه أن دخول العساكر إلى سيس يوم الإثنين الحادي والعشرين [٦] من شهر رمضان ، وخروجهم منها كان في العشرين من شوال ، بعد أن قتلوا من الأرمن وأسروا خلقاً لا يحصى ، وغنموا من البقر والغنم ما بيع بالمجّان . وأقام مولانا السلطان بجسر الحديد إلى أن انسلخ شوال وذو القعدة ، ورحل في العشر الأوايل من ذي الحجة ، ودخل دمشق يوم الثلاثاء خامس الشهر ، وفي صحبته الصاحب تاج الدين ، فأصاب الصاحب

٥٧ و

---

(١) قارن بابن عبد الظاهر ٤٣٢ ـ ٤٣٨ وراجع ابن واصل ١٧٠٢ : ٤٣٨ و ـ ٤٣٩ و حيث أورد تفاصيل وافرة عن الموضوع .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ٨٨ وابن الدواداري ٨ : ١٧٧ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٣٣ والمقريزي ٢/١ : ٦١٦ « ثالث شعبان »

(٣) جاء في محيط المحيط ١ : ١١٢ « البقسماط ، البجماط ، معرّب بكسمات بالفارسية » .

(٤) التكملة من المفضل : ٤٥ و وابن الدواداري ٨ : ١٧٧ .

(٥) بلدة كبيرة من بلاد الأرمن على ساحل البحر . (أبو الفدا ، تقويم البلدان : ٢٤٨ ـ ٢٤٩) .

(٦) كذا في اليونيني ٣ : ٨٨ ؛ وفي المفضل : ٤٥ و « حادي عشر » .

٥٧ ظ ضعف عجز به عن المقام بدمشق ، فأذن له مولانا السلطان // بالعود إلى مصر فعاد إليها ودخلها في سادس عشرين صفر ، وكان خروجه من دمشق في ثامنه ، وأقام مولانا السلطان بدمشق إلى أن دخلت سنة أربع وسبعين ، وسيأتي ما يتجدد له فيها – إن شاء الله – مفصلاً مُبيّناً .

كان سبب خروج مولانا السلطان هذه المرة (١) أن معين الدين سليمان البرواناة كتب إليه وحرّضه على قصد الروم ، كما سيأتي مفصلاً ، وذلك أنه لما ضاق البرواناة من أجاي [ابن هلاوون ، أخو أبغا] (٢) وعزم أجاي على قتله فحمله الخوف على أن كاتب مولانا السلطان في السنة الخالية وتحيّل إلى أن أنفذ إلى أبغا وذكر له أموراً أوجب أن يستدعي أجاي إليه ، فلما طلبه خرج إليه فوافق خروجه من البلاد دخول مولانا السلطان إلى الشام ، فأفاق البرواناة على نفسه فسير يقول لمولانا السلطان : « اقصدْ هذه السنة سيس ففي السنة الآتية أملّكك البلاد إن شاء الله » ، فقصد مولانا السلطان سيس وشنّ الغارة عليها وجرى ما ذكرناه .

– أعجوبة –

ولما كان في اليوم السابع والعشرين من شعبان وقع رمْل بمدينة الموصل ظهر من القبلة ، وانتشر يميناً وشمالاً حتى ملأ الأفق وغيب الشمس (٣) ، فخرج العالم بأسرهم إلى ظاهر البلد ، بقلعتها ، وبمشهد يحيى بن قاسم ، ولم يزالوا يبتهلون بالدعاء إلى أن كشف الله عنهم ذلك . //

---

(١) اعتمد المفضل (٤٥ و) تفسير ابن شداد لخروج الظاهر بيبرس إلى سيس ونصه : « وكان سبب خروج السلطان .. ما ذكره عز الدين ابن شداد في الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ... » ولهذه الحملة أسباب أخرى ، للاطلاع عليها انظر : D'Ohsson: Histoire des Mongoles III, p. 471-474

(٢) التكملة من المفضل : ٤٥ و .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٨٩ « وعميت الطريق » .

٥٨ و

متجددات الأحوال في بلاد الشمال

ذكر تولية تقونوين بلاد الروم مع البرواناة

قد تقدم لنا أن معين الدين سليمان البرواناة شكا من أجاي لأبغا ، وأنه وعده أن يصرفه عنه ، فلما كانت هذه [السنة] استدعاه إليه ، وبعث تقونوين ومعه أربعين رجلاً من خواصّه [١] وأمره أن يكتب جميع أموال الروم ويضبطها ، وأن لا يحكم البرواناة ولا غيره من أمراء الروم إلا بحضور تقونوين ، وأن لا يصدرون [٢] إلا عن رأيه . فلما وصل حضر إلى مجلسه جميع أمراء الروم ، وقدموا له الهدايا والتحف خصوصاً البرواناة ، وطاف تقونوين جميع بلاد الروم ، وحصّل منها أموالاً جسيمة ، وحملها إلى أبغا . ولما رأى معين الدين البرواناة تمكن تقونوين ذلّ له واستكان ، وبذل له في الطاعة [٣] // ما عز من نفسه وهان ... [٤] // .

٥٨ ظ

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٨٩ « وفي هذه السنة بعث أبغا إلى الروم تقونوين عوضاً عن أجاي ومعه أربعين فارساً من خواصه » .

(٢) كذا ؛ وصوابه : يصدروا .

(٣) كذا ؛ وفي المصدر السابق « ... وبدل له الطاعة » ؛ وفي ابن الدواداري ٨ : ١٧٨ (الذي يشير صراحة إلى نقله عن ابن شداد) « ... ودخل تحت الطاعة » .

(٤) بقيّة هذه الورقة والتي تليها (٥٩ و) بياض في الأصل ، مع الإشارة إلى أنه قد ورد في أعلى الهامش الأيمن من الورقة ٥٩ و عبارة « الثامن من الجزء الثاني » ، ولعل ما يقتضيه السياق أن هاتين الورقتين تتسعان لأخبار أجمع المؤرخون على أنها تتعلق بالتعريف ببلاد سيس . (راجع ابن عبد الظاهر ٤٣٨ ـ ٤٤٢ ؛ المفضل : ٤٥ ظ ـ ٤٧ و وابن الدواداري ٨ : ١٧٨ ـ ١٨٢ وغيرهم) . ولملء الفراغ رأينا إثبات ما ذكره المفضل في هذا الصدد باعتبار أن الرجل كان يورد أخبار غزو سيس نقلاً عن ابن شداد ، وهاكم نصه مع شيء من الإيجاز :

« ذكر سيس وأخبارها »

« أما المصيصة فبناها عبد الله بن عبد الملك بن مروان ... سنة أربع ومائة من الهجرة .
وأما طرسوس فإنها من المدن القديمة وذكر الطبري في تاريخه أن قبر المأمون بها ... وطرسوس وأذنة وما يليهما يسميان قليقيا والمصيصة بلد أبقراط الحكيم ... وأما نهر جهان فهو نهر جيحان ، والأرمن تجعل الحاء هاء ، وهذا النهر أجلّ الأنهار الثلاثة وهم شيحان وجيحان وبردان وهي أنهار طرسوس والمصيصة وأذنة ... والجبال المحيطة بسيس وبلادها هو جبل اللكام طوله ماية ميل والميل من الأرض منتهى قد البصر . والفرسخ ثلاثة أميال . =

٥٩ ظ

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة ثلاث وسبعين وستمائة

أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحَسَني . توفي في أحد الربيعين ، ومولده يوم الأحد تاسع عشرين صفر سنة تسع وتسعين وخمس مائة ، بالحلة السيفية . اشتغل بالفقه على الشيخ محمد بن نما ، وفي الكلام على الفقيه سالم بن العزيزي ، وعلى تاج الدين الأرموي بمصر ، وعلى سراج الدين الكرجي بمكة ، ولقي سيف الدين الآمدي [١] بدمشق ، والشيخ كمال الدين بن يونس [٢] ، وعلى الشيخ نجيب الدين (محمد

ذكر استيلاء بيت لاون صاحب سيس على بلاد سيس

= لما ذكره العماد الكاتب في « البرق الشامي » قال : إن بيت هذا لاون هو بيت النكفور وكانت هذه البلاد بجميعها ملك الروم فاستولى عليها مليح بن لاون وذلك أن نور الدين الشهيد كان يشد منه ويقوّيه ويعينه ... فكان قصده أن يقوّيه على الفرنج المجاورين له فلما قوي مليح بن لاون على البلاد سير إليه ملك الروم سيبه أندر فيفورس (؟) في جيش من جيوش الكفر فكسره مليح وأسر من مقدميهم ثلاثين مقدم ، وكانت هذه الوقعة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمس مائة ، فبلغ نور الدين ذلك فأحسن إلى مليح وخلع عليه وكبره ، وسير إلى بعداد يعظم أمر مليح ويقول لهم هذا من غلماني وهو كبير الروم ، ومن ذلك الوقت قوي بيت هذا النكفور في هذه البلاد ونيابة عن نور الدين الشهيد . وباب الدربند الذي لسيس يعرف بالدروب ويعرف بالعواصم وفيها كان الغزو والحروب ... وقد أتاها أحمد بن طولون صاحب مصر لمّا افتتح أنطاكية في سنة خمس وستين ومايتين ومضى إلى طرسوس ... وكان عزمه أن يقيم في الثغور لطيبة أرضها ولأجل قربه من الجهاد فبلغه خروج ولده عن طاعته فعاد إلى مصر عجلاً ثم توفي رحمه الله تعالى . وفي أيام كافور الإخشيدي الذي كان سلطان مصر حصل التهاون في أمر الثغور فقصدها الملك نكفور ... فأحرق ضياعها بالنار وقطع أشجارها وأخرب ما حولها من البلاد واتصل ذلك بكافور فتهاون فرأى ليلة من الليالي في المنام كأنه طلع إلى السماء ومعه قادوم وصار يهدم في السماء بيده فلما أصبح طلب المعبرين وقصّ عليهم المنام فقالوا له : « أنت رجل تهدم الدين وتبطل الجهاد » ، فعند ذلك استيقظ كافور لنفسه وجهز مقدماً يعرف بابن الزعفراني وصحبته جيشاً كثيفاً فدخلوا إلى الثغور وأزاحوا عنها النكفور والله أعلم » .

(١) سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي الشافعي المعروف بالسيف الآمدي . ولد بآمد (مدينة كبيرة في دياربكر مجاورة لبلاد الروم) سنة ٥٥١ هـ / وقيل ما بعدها ، وتوفي بدمشق في أوائل صفر سنة ٦٣١ هـ / ودفن بسفح قاسيون وله مصنفات منها : « أبكار الأفكار في علم الكلام » و « منتهى السول في علم الأصول » . (أبو شامة : ١٦١ ؛ ابن خلكان ٣ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ؛ ابن فضل الله العمري ٥ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، الأسنوي ١ : ١٣٧ ـ ١٣٩) .

(٢) موسى بن يونس بن محمد ، كمال الدين ، شيخ الشافعية بالموصل . مولده سنة ٥٥١ هـ ، ووفاته بدمشق في ١٥ شعبان ٦٣٩ هـ (أبو شامة : ١٧٢ ؛ ابن الفوطي : ١٤٩ ـ ١٥٠) .

ابن) [١] أبي غالب .

أحمد بن موسى بن يغمور والي الغربية [٢] ، الأمير شهاب الدين . توفي يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى بالمحلة ، من أعمال مصر ، وحمل تابوته ، إلى // القاهرة ليلة الخميس ثامن عشرين منه ، ودفن ليلاً بتربة والده بالقرافة ، ومولده في سنة احدى وأربعين وستماية . كان رجلاً فاضلاً ، ذكياً مشتغلاً ، اشتغل بالعربية على الحافظ جمال الدين يوسف المعروف باليغموري الدمشقي وعلى غيره ، وسمع . وله نظم حسن فمنه :

٦٠ و

[وبي أَهْيَفٌ وافٍ وفيه محاسنٌ تبدى عليها للعيون تهافتُ
مشى في ضياء الدين كالبدر وجهه وبينهما للناظرين تفاوتُ
وأعجب ما شاهدته فيه أنه يكلّم قلبي لحظه وهو ساكتُ

وقال في غلام عنبري من أبيات :

تحكّم في الألباب حتى رأيته ينظّم حبّاتِ القلوب قلائدا

وقال في غلام يمدّ الشريط :

وبي زينّا كالبدر والظبي بهجة وجدّ بقلبي ناره وهو جنتّي
مُنعمُ خدٍّ كاللُّجَين بياضه نُضاراً كاصفراري ودقتي] [٣] //

٦ ظ

[وقال (قصيدة) وكتب بها إلى الأمير بدر الدين بيليك الخزاندار الظاهري ،

(١) كتبت على الهامش الأيمن بالقلم نفسه .

(٢) في اليونيني ٣ . ٩١ « ولاه الملك الظاهر المحلة وأعمالها من الغربية فهذّبها » .

(٣) بياض في الأصل والتكملة من اليونيني ٣ : ٩١ ـ ٩٢ . قارن بابن فضل الله العمري ١٨ : ١٥٣ب ؛ الصفدي ، الوافي ٨ : ٢٠٢ .

وقد أهدى إليه شاهيناً بدرياً :

يــا سيد الأمراء يــا من قد غــدا وجهُ الزمان به جميلاً ضاحكا
وافى لك الشاهينُ قبل أوانــه ليفوز قبل الحائمات ببابكا
حتى الجوارحُ قد غدت بدريَّــةً لما رأت كل الوجود كذالكا

وله يخاطب صاحباً له ورد عليه من الإسكندرية إلى المحلة :

إن صدرتـم عـن منزل فلكـم فيه ثنـاء كنشر روض بهيٍّ
أو وردتم فللمحبّ الـذي من آل موسى في الجانب الغربيِّ] [١]

إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن علي بن المنصور بن الحسين ، المعروف بابن التيتي الآمدي ، الوزير الفاضل شرف الدين أبو الفدا . توفي في شهر ذي الحجـة بماردين [٢] ، ومولده ليلة الأحد السابع من شهر رجب سنة تسع وتسعين وخمسماية . اشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعي أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث // بآمد وماردين والشام ومصر . وكان حسن القراءة ، يعرف العروض والنحو ، ٦١ و وكان يعرف علم البيان معرفة جيدة ، وجمع تاريخاً لآمد أحسن فيه الجمع ، وأفاد الصنع ، وكان له النظم الفايق والنثر اللايق . ترسل عن جماعة من الملوك إلى بغداد وغيرها من البلاد ، خدم أولاً الملك الصالح [٣] ، صاحب آمد ، ثم انتقل إلى ولده الملك المسعود ركن الدين ممدود [٤] ، صاحب آمد أيضاً ، ولما أخذت منه انتقل إلى

(١) بياض في الأصل والتكملة من اليونيني ٣ : ٩٢ وابن فضل الله العمري ٨ : ١٥٤ أ والصفدي ، الوافي ٨ : ٢٠٣ .

(٢) في الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ١٦ ظ « توفي في رجب بماردين » .

(٣) الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا رسلان بن أرتق ، ناصر الدين ، مات بآمد في صفر سنة ٦١٧ هـ/ نيسان ـ أيار ١٢٢٠ م وقيل سنة ٦١٩ هـ . (أبو شامة : ١٢٤ ؛ ابن شداد ٣ / ٢ : ٥١٩ ـ ٥٢٠) .

(٤) وهـو الذي أخـذ منه الملك الكامل آمد لأسباب ذكرها صاحب الأعلاق الخطيرة ، وحمله إلى مصر فحبسه مدة ثم أطلقه فمضى إلى التتر . (المصدران نفساهما) .

ماردين ، وخدم الملك المنصور أرتق [١] صاحبها ، ثم انتقل إلى خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، صاحب الديار المصرية ، ولما ملك الديار المصرية في سنة سبع وثلاثين ، لحقه إلى الديار المصرية ، ففوض إليه أمر الجيش بالديار المصرية ، وكان مكيناً في دولته ، واستصحبه معه في رواحه إلى دمشق ، يصحبه في الأسفار . ولما توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب // خرج من مصر إلى دمشق ، وأقام بها من قبل الملك المعظم . فلما قتل الملك المعظم ، وملك المعز [أيبك] أذن له في الخروج منها ، فقصد ماردين ، فاستكتبه الملك السعيد إيل غازي بن أرتق [٢] صاحب ماردين ، وقرب منه وكان عنده بمنزلة وزير ، ورسّله إلى بغداد عدة دفعات وإلى الملك الناصر بدمشق ، واحترم في بغداد احتراماً كثيراً لذاته . فمن نظمه :

٦١ ظ

كلما زادت الديار دنُــوّاً ... زاد قلبي إلى لقاك اشتياقا
ولعمري ما زلت مذ شطّت الـدا ... ر وغبتم أبكي هـوىً واحتراقا
وأنادي من فرط وجدي وشوقي ... يا أحبّايَ هل تُرى نتلاقى

أقطاي الأمير الكبير فارس الدين الصالحي المعروف بالمستعرب [٣] . توفي نهار السبت بعد صلاة الصبح تاسع جمادى الأولى وصلى عليه مولانا السلطان الملك الظاهر ودفن بتربته بالقرافة . كان من أكابر // الأمراء والأعيان ، ذا رأي وحزم ، ولي أتابكية

٦٢ و

(١) الملك المنصور أرتق بن ارسلان بن أُلبي بن تمرتاش بن ايلغازي التركماني ، ناصر الدين . قتل في ٨ ذي الحجة سنة ٦٣٦ هـ / ١٢ تموز ١٢٣٩ م ، وكان عمره ٥٧ سنة . (ابن شداد ٣/٢ : ٥٥٨ ، الصفدي ، الوافي ٨ : ٣٣٦) .

(٢) توفي في ١٦ صفر سنة ٦٥٩ هـ / ٢٠ كانون الثاني ١٢٦١ م وقيل في ذي الحجة سنة ٦٥٨ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٢٦٠ م (ابن شداد ٣/٢ : ٥٦٦) .

(٣) هو أول من بايع الملك الظاهر وتبعه الأمراء الآخرون ، وقد ذكره بعض المؤرخين في وفيات ٦٧٢ هـ . (اليونيني ٣ : ٤٥ ـ ٤٨ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٦٦ ؛ اليافعي ٤ : ١٧٢ ، المقريزي ٢/١ : ٦١٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٤٢ . أما شافع بن علي (١٥٥ ـ ١٥٦) فقد وافق ما جاء عند ابن شداد) .

الملك المنصور علي بن الملك المعز ، وكان له من العمر قريب من سبعين سنة . كان أولاً لمهذب الدين علي بن الدقاق الحلبي ، ثم باعه وانتقل إلى ابن يمن بدمشق ، ثم انتقل إلى الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، وأقام في خدمته . ولما ملك الملك الصالح دمشق في سنة سبع وثلاثين كان في صحبته ، ولما خرج منها وقصد نابلس وصار إلى الكرك كان في صحبته ، ثم لما عوّق الملك الصالح بالكرك فارقه ، ووصل إلى الموصل ، فخدم بدر الدين [لؤلؤ] صاحبها . فلما ملك الصالح الديار المصرية في سنة سبع ، اتصل به بالموصل فقصده ، ووصل إليه ، فأحسن أمره [١] ، وأقام في خدمته إلى أن توفي الملك الصالح . وملك الملك المعز فرأى منه ذكاء وفطنة ورأياً سديداً ، فندبه إلى مواصلة الفرنج ، فسعى بينه [٢] وبين الملك المعز إلى أن أصلح له الفرنج ، وأطلق جماعة من أسر الفرنج بسفارته ، وكذلك من المسلمين ، واستمر // في خدمته إلى أن توفي الملك المعز ، وولي ولده الملك المنصور نور الدين علي في سنة خمس وخمسين ، ورتب الأمير علم الدين سنجر [٣] الحلبي أتابكاً ، ثم أجمعوا [٤] غلمان الملك المعز على القبض على المذكور ، فهرب ، ثم مُسك ، وأودع السجن ، وأحسنوا السفارة إلى أن جُعل أتابك ، فأحسن السيرة ، وكان إليه أزمّة الأمور جليلها وحقيرها . وبقي مستمراً على ذلك الحكم إلى أن قُبض على الملك المنصور في سنة سبع وخمسين ، وولي الملك المظفر قطز سلطنة الديار المصرية ، فاستمر بالمذكور واقتدى برأيه ، وما زال مستمراً إلى أن كسر التتار ، وأقطعه خبز الأمير ناصر الدين القيمري [٥] بدمشق

٦٢ ظ

(١) الأصل : وأمره .

(٢) كذا ؛ والصواب : بينهم .

(٣) كان مملوكاً للصالح نجم الدين أيوب . ولي نيابة السلطنة في دمشق أيام المظفر قطز ، ولمّا قتل هذا الأخير وقام بعده الظاهر بيبرس بالديار المصرية تمرد سنجر بدمشق سنة ٦٥٨ هـ وتسلطن بها أياماً وتسمى بالملك المجاهد . قبض عليه الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري وأخذه إلى الظاهر فسجنه ، وظل في سجنه إلى أن أخرجه الملك السعيد ثم قبض عليه المنصور قلاوون وحبسه ثم أطلقه الأشرف خليل وأكرمه ورفع منزلته . مات على فراشه سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ وقد جاوز التسعين . (اليونيني ٢٩٠٧/٣ : الورقة ٣٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٢٠٢ و ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٤٦) .

(٤) كذا في الأصل ، والصواب : أجمع .

(٥) الحسين بن عزيز القيمري ، ناصر الدين ، كان مقدماً للجيوش بالساحل . بنى المدرسة الشافعية بدمشق =

بعدة مايتي وخمسين فارساً ، وكان له خمسون تكملة ثلثماية فارساً [١] . ولما ملك مولانا السلطان الملك الظاهر البلاد ، بعد قتل الملك المظفر ، استمر بالمذكور في خدمته ، وفوض إليه أزمّة الأمور . وما زال إليه الحل والعقد إلى خامس (سنة من) [٢] سلطنة مولانا السلطان ، خرج عنه بعض الأمور ومكانته وحرمته على حالها إلى أن // توفي ـ رحمه الله ـ . ٦٣ و

آق سنقر بن كرايا التتري ، الأمير شمس الدين . توفي يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الأولى بقلعة الجبل ، ودفن بالقرافة الصغرى ، وكان له من العمر نيف وخمس وعشرون سنة ، وهو ابن أحما مولانا السلطان الملك الظاهر ، وكان من جملة الأمراء ، وكان السلطان حال موته غايباً ، فحال حضوره حضر إلى تربته ، وبنى على قبره قبة .

آقوش جلب الأمير شمس الدين عتيق الأمير سعد الدين مسعود بن محمود بن الدريوش العزيزي الناصري . توفي في العشر الأولى من المحرم بدمشق . بقي محبوساً مدة ثلاث سنين وتسعة أيام ، ثم أفرج عنه ، وأُعطي خبز الأمير سيف الدين بلبان الزيني [٣] أحد أمراء البحرية بعدة أربعين طواشياً ، // وكان له من العمر خمسون سنة ـ رحمه الله ـ . ٦٣ ظ

عبد الله [بن محمد] [٤] بن عطا الحنفي ، القاضي شمس الدين ، قاضي القضاة

= (المدرسة القيمرية) . مولده سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م بالساحل ووفاته في ربيع الأول . (أبو شامة : ٢٣٩ ؛ النويري : ٣٦ و ؛ الذهبي ، دول الإسلام ٢ : ١٣١) .

(١) كذا ؛ وصوابه : فارس .

(٢) ساقطة من متن الأصل ومثبتة على الهامش بالقلم نفسه .

(٣) بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين الزيني الصالحي النجمي ، وهو أحد أمراء دمشق الأعيان . توفي في ٩ رمضان سنة ٦٧٧ هـ / ٢٤ كانون الأول ١٢٧٩ م ، بجبل الصالحية ودفن من الغد بالقرب من تربة الملك المعظم . (اليونيني ٣ : ٣٠١) .

(٤) التكملة من ابن شداد ، الصفحة ٢٣٦ من هذا الكتاب ، واليونيني ٣ : ٩٥ ـ ٩٦ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٣٠١ ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٦٨ ؛ المقريزي ٢/١ : ٦١٩ .

الحنفية بدمشق . توفي يوم الجمعة الثامن [١] من جمادى الأولى بدمشق ، ومولده تقريباً سنة ثمان وتسعين وخمس مئة [٢] . اشتغل بالفقه على الشيخ الإمام العلامة شمس الدين ابن الحَصِيري ، وولي نيابة الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين أبي العباس [أحمد بن يحيى] بن سني الدولة الشافعي بدمشق ، وولي قضاء القضاة في الأيام الظاهرية استقلالاً [٣] ، وكان رجلاً مفتياً إماماً ، وكان إليه تدريس المدرسة المعظّمية [٤] بجبل قاسيون ، وولي تدريس المدرسة الخاتونية [٥] في الأيام الظاهرية .

علي بن سالم بن إسماعيل بن المبارك بن عزيز بن المجلي ، الكاتب النحوي الموصلي ، الشيخ زين الدين أبو الحسن . // توفي في هذه السنة بالموصل ، وأصله من تلّ يعفر [٦] ، ومولده سنة تسعين وخمس مایة . قرأ أولاً الكتاب العزيز وحفظه حفظاً جيداً ، ودرس صدراً متوفراً من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ولازم الشيخ أبا حفص (مجد الدين) [٧] عمر بن أحمد النحوي ، واختلف إليه مدة طويلة ، قرأ عليه النحو واللغة وأشعار العرب ، وغير ذلك من الفنون الأدبية ، وفاق أبناء زمانه ، وناظر وبحث مع العلماء ، وكتب الإنشاء لبعض أمراء الموصل ، ثم تقلبت به الحال إلى أن خدم بدر الدين لولو صاحب الموصل في ديوان المكاتبات ، وكان رأس الكتّاب به . فلما كملت آدابه واستضاء نجم فضيلته وشهابه ، جذبه بدر الدين لولو إلى خدمته ، وأفاض عليه

٦٤ و

---

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٩٥ ـ ٩٦ وابن فضل الله العمري ٣ : ٥٥٠ ؛ وفي النويري : ٥٥ و وابن كثير ١٣ : ٢٦٨ « تاسع » .

(٢) جاء في ابن فضل الله العمري ٣ : ٥٤٨ وابن كثير ١٣ . ٢٦٨ أنه ولد سنة ٥٩٥ هـ .

(٣) يشير ابن فضل العمري ٣ : ٥٤٨ أن المذكور كان أول من ولي القضاء بدمشق على مذهب الحنفية استقلالاً ووصفه بأنه « قاض لا يهاب ملكاً » . ويروي عنه ابن كثير (١٣ : ٢٦٨) قصة مفادها أنه حكم في مسألة ، عرضها عليه الظاهر بيبرس ، بما يخالف رغبة السلطان ، فغضب عليه هذا الأخير ، ثم ما لبث أن سكن غضبه وأثنى عليه قائلاً : « لا تثبتوا كتباً إلا عنه » .

(٤) أنشئت هذه المدرسة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م بالصالحية بسفح قاسيون الغربي . بناها الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل المتوفي سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م . (ابن شداد ٢/١ : ٢٢٠ ؛ النعيمي ١ : ٥٧٩ ـ ٥٨٠) .

(٥) نسبة إلى ربيعة خاتون وقد سبقت ترجمتها .

(٦) هو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل . (ياقوت ٢ : ٣٩) .

(٧) ساقط من متن الأصل ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

من جلابيب نعمته ، وألقى شعاع سعادته عليه ، وصار أقرب الناس إليه ، وأوفرهم حظاً لديه ، وجعله منشئ دولته ، وأنفذه رسولاً إلى عدة جهات ، ثم تعطّل ولزم بيته في سنة اثنتين وخمسين ، وكان سبب ذلك أن بدر الدين ، // لما عزم على تسيير ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل [(١)] إلى التتار ، عيّن شرف الدين ، ولد المذكور ، أن يمضي صحبته ، فسأل زين الدين هذا أن يعفى من السفر ، فغضب عليه بدر [الدين] ونهبه ، وتقدم إليه بلزوم بيته ، فلزم بيته إلى أن توفي بدر الدين سنة سبع وخمسين [وستماية] واستمر ملازماً بيته إلى أن استولوا [(٢)] التتر على الموصل في سنة ستين ، عجز عن القيام بنفسه ، ففتح له مكتباً ، وأقام على ذلك برهة ، ثم تعطّل من التعليم لكبر سنه وفقره ، فخدم كاتباً على البقول ، ولم يزل كذلك إلى أن مات في التاريخ المذكور .

٦٤ ظ

فمن شعره يمدح بدر الدين لولو صاحب الموصل :

لك اللهُ فَأمرْ وأنهَ فيما تريده ... فصرف الليالي عن جَنابك مصروفُ
محلك مصرٌ أنت فينا خَصِيبُهُ ... ودجلة نيل والحمى دُونه الرِّيفُ
لقد ثلجت أنواء كفك بالندى ... كأنك بالإحسان في الناس مشغوفُ
فكل ملوك الأرض عندك سوقةٌ ... وكلُ شريفٍ عند فضلك مشْروفُ//
ولي كل يوم منك نُعمى جَديدة ... ولي كل عام من نَوالك تشريفُ

٦٥ و

محمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد بن الخَرزي القاضي الأجل شرف الدين . توفي بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الأولى بمصر ، ودفن بكرة الأربعاء بتربته بالقرافة ، ومولده .... [(٣)] . وكانت زوجته توفيت قبل يوم واحد ، فدفن إلى جانبها .

---

(١) وقد ولي الموصل وعملها مع سنجار بعد وفاة أبيه . (ابن شداد ٣/١ : ٢٠٦) .
(٢) كذا ، وصوابه : استولى .
(٣) بياض في الأصل .

مسلم بن عنتر بن محبوب بن مسلم السلمي البرقي البدوي . توفي يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول بالقرافة ودفن من يومه [١] وصلى عليه أبو القاسم المراغي . كان من المشايخ الصالحين المنقطعين الواصلين الكرماء ، لم يزل سماطه ممدوداً للفقراء ، وكان يحضره الجمّ الغفير . كان في أول عمره حرامياً فلما تاب توّب نحواً من ستماية حرامي ، وحضر جنازته أهل مصر والقاهرة ، ولم يتخلف // أحد ، وتوفي عن ثمانين سنة ، ومولده ببرقة بمكان يعرف بالبركة ، وشيخه الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ أحمد بن الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ . ٦٥ ظ

نصر الله بن عبد المنعم بن نصر الله [بن أحمد بن جعفر] [٢] بن حَواري الحنفي الدمشقي الأصل الأديب الفاضل شرف الدين . توفي في مستهل [٣] ربيع الآخر بدمشق [ودفن بمغارة الجوع بسفح قاسيون] [٤] ، ومولده سنة أربع وستمائة [٥] كان شيخاً فاضلاً كتب شيئاً كثيراً ، وله نظم كثير ، وله تصانيف كثيرة ، من جملتها كتاب يتضمن فضايل دمشق وأهلها وصفة جامعها سمّاه « إيقاظ الوسنان » [في تفضيل دمشق على سائر البلدان] [٦] في جزءين [٧] . وصل إلى الديار المصرية وأقام بها مدة ، وأجرى عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية راتباً ، ولم يزل بها مقيماً إلى سنة إحدى وخمسين ، عاد إلى دمشق وأقام بها ، وأجرى عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحبها راتباً ولم يزل مقيماً بها إلى أن انقضت الدولة الناصرية في // سنة ثمان وخمسين . واستمر مقامه بدمشق وأمّ في مسجد ، ولما مات أخوه أضيف إليه التربة ٦٦ و

(١) في اليونيني ٣ : ١٠٣ « توفي في خامس ربيع الأول ودفن من الغد بقرافة مصر الصغرى » .

(٢) أضيف هذان الجدان بعد مراجعة اليونيني ٣ : ١٠٣ وابن شاكر ، فوات ٤ : ١٨٦ .

(٣) في اليونيني ٣ : ١٠٣ « سادس » .

(٤) التكملة من اليونيني ٣ : ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٥) كذا في ابن شاكر ، فوات ٤ : ١٨٦ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٠٣ « مولده سنة ثلاث أو أربع وست مائة » .

(٦) التكملة من ابن العماد ٥ : ٣٤١ .

(٧) يشير صاحب الفوات (٤ : ١٨٦) أن هذا الكتاب في ٣ مجلدات وأن لديه النسخة الأساسية منه بخط المؤلف .

المعروفة بأولاد الداية النُورية . فمن جملة نظمه قصيدة مدح بها الأمير جمال الدين موسى بن يغمور [(١)] منها :

إن كـان موسى بن عمران بضربته ... أجرى من الصخر ماء المزن للفرقِ
فَفَيض كفّك يـا موسى ونايلــــه ... كلّ الورى أشرفوا منها على الغرقِ
وقمت بالحلم والإحسان مكتفلاً ... فكل أوصافك الحُسْنَى على نسقِ

وله قصيدة كتبها إلى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور وقد تقدم إليه الملك [(٢)] الصالح برواحه إلى مكة ثم بطلت الحركة :

جمـال ديـن الله والمـولى الـذي ... أَنهضني بعـد القُعـود والزمـنْ
يـا سيـداً وُجُـوده وَجُـــودُه ... هما ملاذي إن عدا صرف الزمنْ //
أَشِرْ على المملوك مـا يَفعلُـــهُ ... يـا مالكي فالمستشار مُـؤتمـنْ
اسمع حديثـاً من محبٍ لم يـزلْ ... يَنشر مـا أوليتـه مـن المنـنْ
حُبّك يـا موسى على كل الورى ... فرضٌ وأمـا غيره مـن السَنَنْ
ظاهرُ حبّي لكـمُ أضعافـــه ... يـا مالكي بين الضلـوع قـد كَمنْ
إذا تذكـرت دنـوَّ بعدكـم ... سحّت جُفوني وجَفّت طيب الوسنْ
وقد عـرفت أنّـني لا ألتقـــي ... من فيـه حُسنى بعدكم ولا حَسَنْ
مَـا ليَ عنكم إن نأيـتم عـوضٌ ... وإن تعوّضت تُرى عنكم بمـنْ ؟
أعانك الرحمن يـا قلب فمـا ... لقيتَ قطّ مثلهـا مـن المِحَـنْ
وإن فُتنتَ بالفِـراق لم تكـنْ ... أوّلَ من لـه الفِـراق قـد فَتَـنْ

(١) ولد بقرية ابن يغمور من عمل قوص بالصعيد المصري سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ ـ ١٢٠٣ م ، وكان من جلة الأمراء ، ولي نيابتي مصر والشام وهو الذي تولى بناء مدرسة الظاهر بيبرس بالقاهرة (المدرسة الظاهرية) سنة ٦٦٠ هـ ، توفي بالقصير من عمل فاقوس بين الغرابي والصالحية في مستهل شعبان سنة ٦٦٣ هـ/ ٨ أيار ١٢٦٦ م ودفن بالقرافة . (أبو شامة : ٢٣٥ ؛ النويري : الورقة ٢٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢ : الورقة ٢٥٦ ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب : ١٦٩ و ـ ١٧٠ ظ ؛ الأدفوي ٦٦٨ ـ ٦٦٩) .

(٢) لفظة « الملك » : مكررة في الأصل .

فيا جفوني ساعدي لا تبخلي سحّي الدموعَ بَعدهم على الدِمنْ
لا تتركي فيك دموعاً بعدها لمثل ذا اليوم الدموع تُختزنْ

يوسف بن أحمد (بن محمود) [1] [بن أحمد] [2] بن محمد [بن أبي القاسم أبو المحاسن] [3] الأسدي الحافظ جمال الدين أبو المحاسن المعروف [بابن الطحان] [4] [والمشهور] [5] باليغموري . توفي نهار الإثنين التاسع عشر من ربيع الآخر [6] بالمحلة من أعمال مصر ، ومولده في سنة ستماية بدمشق . أصله من الموصل // ٦٧ و ومداره ومنشاه بدمشق . اجتمع بجماعة كثيرة من الفضلاء والمحدثين والقراء وأخذ عنهم وجمع شيئاً كثيراً . سمع بالموصل من مسمار بن العويس وعبد الرحمن خادم حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وابن الأصفر ، وسمع بدمشق من ابن صصرى [7] وغيره ، وسمع بالإسكندرية من جماعة من أصحاب السلفي والشهرزوري [8] وحدث . [له شعر فمنه :

رجع الودّ على رغم الأعادي وأتى الوصل على وَفق مرادِي
ما على الأيام ذنبٌ بعدَها كفة القربِ أساءت للعبادِ] [9] //

---

(١) ساقطة من متن الأصل ومستدركة بالهامش بالقلم نفسه .
(٢) و(٣) و(٤) و(٥) التكملة من اليونيني ٣ : ١٠٦ ــ ١٠٩ .
(٦) في المصدر نفسه والنويري : ٥٥ و « توفي في ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر » .
(٧) الحسين بن هبة الله أبو القاسم بن صصرى ، شمس الدين (٥٣٠ ــ ٦٢٦ هـ / ١١٢٩ ــ ١١٣٥ م) .
W. M. Brinner: art. "Ibn Ṣaṣrā, EI 2, III, p. 955B.
(٨) لعله القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرروري الشافعي ، صياء الدين . ولي قضاء الشام ثم انتقل إلى الموصل وولي قضاءها ، ثم قلّد قضاء القضاة ببغداد واستعفى وعاد إلى حماة قاضياً إلى حين وفاته سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ ــ ١٢٠٣ (أبو شامة : ٣٥ ــ ٣٦) .
(٩) بياض في الأصل وما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٠٩ .

٦٨ ظ

السنة السادسة عشرة من دولة مولانا السلطان الملك الظاهر وهي سنة أربع وسبعين وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة وملوك الطوايف على القاعدة المقررة من السنة الخالية ومولانا السلطان بدمشق .

متجددات الأحوال في هذه السنة

ذكر استدعاء مولانا السلطان ولده الملك السعيد إلى دمشق

قد تقدم القول أن مولانا السلطان عاد من حصن الأكراد ودخل دمشق في خامس المحرم ، فلما كان عصر يوم السبت الرابع // وعشرين [١] من الشهر بعث الأمير بدر الدين بيليك الخزندار على البريد إلى القاهرة يستدعي ولده الملك السعيد إليه فوصلها ليلة الأربعاء قريب الغروب السابع والعشرين من الشهر ، وأقام بالقلعة أربعة أيام حتى تجهّز أمر الملك السعيد ، ثم رحل على البريد عند الغروب يوم السبت الثاني من صفر [٢] ، فدخل دمشق رابع ساعة من يوم الأربعاء سادس الشهر . وكان قد حصل للسلطان الملك السعيد في هذه السفرة رمد فلم يكترث به ، وحملته نفسه الأبية وهمته التركية على احتمال ما ألمّ [به] من الألم لعلمه أن اجتماعه بوالده نعمة لا يحصى شكرها قلم . ولما خرج من مصر وقع الإرجاف فيها لخروجه وداخل أهلها الخوف والحذر ، وظنوا أن ذلك عن حادث جرى به القضاء والقدر ، ولم يكن شيء من ذلك ، وإنما كان السبب [٣] فيه أن مولانا السلطان شرب القمز على عادته مع الأمراء ، فخطر بباله

٦٩ و

(١) كذا في ابن عبد الظاهر : ٤٤٩ والمقريزي ٢/١ : ٦١٩ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٦٤ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١١١ ، « رابع عشر » .

(٢) يفهم من ابن عبد الظاهر : ٤٤٩ والمقريزي ٢/١ : ٦١٩ أن خروج السعيد من مصر حصل في سلخ المحرم .

(٣) يشير أبو الفدا في مختصره إلى أن السبب في استدعاء السلطان لولده السعيد هو الشروع في تزويجه بغازية خاتون ابنة الأمير سيف الدين قلاوون ، ولعل ذلك هو الصحيح باعتبار أن الزواج قد تم فعلاً في هذه السنة (٦٧٤ هـ) .

الملك السعيد فحمله الشوق إليه على البكاء عليه ، فسأله الأمراء عن سبب بكائه ،
٦٩ ظ فأخبرهم // بما خطر في سويدائه ، فطلبوا منه إحضاره فأجابهم إلى ذلك .

ذكر فتح حصن القُصَيْر

وهذا الحصن بين حارم وأنطاكية ، كان فيه رجل قسيس [١] عظيم عند الفرنج يقصدونه فيه للتبرك به ، وكان مولانا السلطان قد أمر التركمان وبعض عسكر حلب بمحاصرته ، وذلك في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين . فلم يزل محاصراً إلى أن بعث إليه الأمير سيف الدين بلبان الرومي [٢] الدوادار ، فحصلت بينه وبين القسيس مراسلات فيها ضرب من الخداع ألجأه الحال [٣] منها إلى النزول إليه والاجتماع به . فلما اجتمع به [سيف الدين] [٤] أكرمه ، وجعل عليه عيوناً تمنعه من التصرف والعود إلى الحصن من حيث لم يشعر . ولم يزل ملاطفاً له بالمواعيد إلى أن سلّم له الحصن وأطلقه [٥] ووفى له بما كان وعده به [وحمل أهله إلى الجهات التي قصدوها] [٦] ، وذلك في الثالث والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة [٧] .

---

(١) ذكرته المصادر المعاصرة باسم « كليام » وهو صورة لـ « جيوم »"Guillaume". انظر : ابن عبد الظاهر : ٤٤٥ ، شافع بن علي : ١٥٧ .

(٢) وهو من الأمراء المقربين إلى الملك الظاهر وكان يعتمد عليه في المهمات الكبرى ويطلعه على أسراره . قتل في وقعة حمص نهار الخميس ١٤ رجب سنة ٦٨٠ هـ/ ٢٩ تشرين الأول ١٢٨١ م ، ودفن ظاهر حمص جوار مشهد خالد بن الوليد وقد نيف على خمسين سنة . (اليونيني ٤ : ١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٣) في اليونيني ٣ : ١١١ « الجمالي » وهو خطأ .

(٤) التكملة من المصدر نفسه .

(٥) في المصدر نفسه « واطلعه » .

(٦) التكملة من ابن عبد الظاهر : ٤٤٤ .

(٧) ويشير شافع بن علي : ١٥٧ إلى أن « جيوم » قد اعتقل وسيّر إلى دمشق وتوفي بها .

ذكر ما ورد على مولانا السلطان من أخبار الروم بعد عوده من سيس // *

٧٠ و لما عاد مولانا السلطان من سيس ورد أمر أبغا إلى تقونوين وإلى السلطان غياث الدين وإلى معين الدين البرواناة يستدعيهم إليه ، فخرجوا من الروم في ذي الحجة من السنة الخالية وتوجهوا إليه فوصلوا إلى أرزن الروم [١] ، فصادفوا أجاي عايداً من عند أبغا إلى الروم ، فداخلهم منه رعب وخوف ، فقدموا له هدايا كثيرة ليطفئوا بها عنهم نار شره ، وبزّوا وجه مكره وختره ، ثم فارقوه ، وكان في صحبتهم قسيس يدعى مرحسيا سركيس كان أبغا يكرمه ويؤثره ، فوصلوا إلى أبغا في أوايل المحرم من هذه السنة وكان حينئذ بأرمُو ، من بلاد أذربيجان ، نازلاً في الدار التي كان أبوه هولاكو أنشأها وأنشأ إلى جانبها كنيسة عظيمة لزوجته طقز [٢] خاتون ، وكانت بواطن جدرانها مصفحة بصفايح الذهب المرصعة بأنواع الجواهر . فلما مثلوا بين يديه فيها أتحفوه بما كان معهم من الهدايا ، فكان أول ما قبل هدية مرحسيا وكان في جملتها جواشن [٣] // مبدعة ٧٠ ظ الصنعة فأعجبته وفرقها على خواصه ، ثم سأل السلطان غياث الدين عن أبيه فقال له : « أبوك مات أو قتل ؟! » ، وكان قصده بذلك أن يأخذ به من قتله فقال : « مات ! » ، فردد عليه القول مراراً ، وهو لا يغير الجواب الأول .

ذكر عود الوزير خواجا [٤] علي إلى وزارته

واتفق أن خواجا علي كان قد تقدم عنهم بالمسير إلى أبغا فاجتمع بهم عنده ، فتوسط له تقونوين عند أبغا في عوده إلى الوزارة ولولديه تاج الدين ونصير الدين في أن يرد

(*) إشارة إلى بدء « التاسع من الجزء الثاني » .

(١) مدينة مشهورة من مدن أرمينية بقرب خلاط ، أهلها أرمن ، تقع في الإقليم السادس وهناك مدينة أخرى في بلاد الأرمن تدعى أرزن . (ياقوت ١ : ١٥٠ ـ ١٥١ ؛ ابن سعيد : ١٢٠ ؛ القزويني ، آثار : ٣٣٢) .

(٢) في اليونيني ٣ : ١١٢ « طغز » .

(٣) مفردها جوشن وهو الدرع . (محيط المحيط ١ : ٣١٩) .

(٤) لفظ فارسي معناه السيد . (القلقشندي ٦ : ١٣) .

عليهما إقطاعهما على أن يبذل في كل سنة ألفي بالشت [١] وسبع مائة فرس يستظهر بها على ما كان يحمل إليه من بلاد الروم ، فأجاب إلى ذلك وخلع عليه وعلى ولديه ثم عادوا . فلما حلوا بسيواس بلغهم أن أجاي ضرب نواب البرواناة وضرب ضياء الدين [محمود] [٢] بن الخطير [٣] واستأصل أموالهم وتعرض لمن سواهم من الأعيان وعسفهم وظلمهم ، فكتبوا // إلى أبغا بذلك فبعث إليه يستدعيه . ٧١ و

ذكر ما دبّره مُعين الدين البرواناة في إخراج أجاي من بلاد الروم

لما اطّلع أجاي على ما كاتب به البرواناة وتقونوين في أمره إلى أبغا ، بعث إلى أبغا يعلمه أن تقونوين والبرواناة اتفقا على أكل مال الروم ، وأنهما يشيان بي إليك حتى يخرجاني عنها ويستبدان بها . فكتب إليه : «من هو البرواناة حتى يُسْمَعَ كلامه فيك ، أمره إليك إن شئت أن تقتله وإن شئت أن تبقيه» . وكان البرواناة لما بلغه أن أجاي بعث رسولاً في أمره جعل له عيناً عليه عند عوده بالجواب ، فلما قدم الرسول أخذ إلى دار البرواناة وأنزل وأكرم وحمل إليه الخمر وأعطى بعض غلمانه دراهم ، وأمره أنه إذا سكر يسرق الكتاب الذي معه ويحمله إليه ليقف عليه ويعيده إليه ، ففعل ذلك . فلما وقف على الكتاب // وفهم مضمونه سارع في تجهيز هدية سنيّة وبعث بها إلى أجاي ولاطفه بأعذار قبلها منه ، وصرف وجه غيظه عنه . ثم أن البرواناة أخذ خطوط وجوه أهل الروم من القضاة والفقهاء والأعيان بأن أجاي كان قد عزم على قتله وقتل تقونوين وتسليم البلاد لصاحب مصر ، فعاد الجواب باستدعاء أجاي وتقونوين والبرواناة ومرحسيا ٧١ ظ

---

(١) ويقال بالش أيضاً ، وهي نقود مغولية كانت متداولة في القرن الثالث عشر الميلادي ولها ترجمة في :
Encyclopédie de l'Islam: "Unité monétaire mongole du XIII° siècle qui était surtout en usage dans la partie Orientale de l'Empire".
Spuler: art. "Bālish", EI 2, I, p. 1027 (A-B)

(٢) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٢٧ و .

(٣) من الأمراء الروميين الذين مالوا إلى السلطان الملك الظاهر ونجع إليه فقرّبه وأكرمه ، قتل في وقعة البلستين سنة ٦٧٥ هـ . راجع أوراق المخطوط التي تتناول العلاقة بين السلطان وأمراء الروم وخاصة ما بين ورقة ٩٧ ظ ـ ١٠٩ ظ .

القسيس والأمير سيف الدين طرنطاي [١] البكلربكي ، فخاف البرواناة من استصحاب الأمير سيف الدين فأقطعه أرزنجان [٢] وولاه كفالة السلطان غياث الدين ، ثم خرج فيمن بقي واستصحب معه كل من كان أجاي ظلمه وعسّفه ليستصرخون [٣] عليه عند أبغا ، فوصلوا إليه في شهر ربيع الأول . فلما مثلوا بين يديه وسمع شكوى المتظلمين أمر أجاي أن يقيم عنده وقتل من أصحابه سبعة أنفس ، وأنهى مرحسيا إلى أبغا أن البرواناة أقطع الأمير سيف الدين طرنطاي أرزنجان حتى لا أسكنها ، وأني إن اقتطعتها حملتُ في كل سنة خمس ماية فرس عليها خمس ماية فارس نجدة ، فقال له تقونوين : « أنت تلبس // البرنس [٤] ولا يليق الإقطاع إلا لمن يلبس السراقوج [٥] ، فإن كنت ترغب في الإقطاع فاخلع البرنس » . وقال البرواناة [٦] : « هذا يضيع من أموال الروم في كل سنة شيئاً كثيراً لأنه يحمي من الفلاحين خلقاً يلبسهم البرانس فلا يؤدون الخراج ولا الجزية . فأمر أبغا أن لا يحتمي [٧] أحد من ساير البلاد لمرحسيا إلا في أرزنجان لا غير لأنها كانت سكنه ، ثم عادوا إلى الروم في شهر ربيع الآخر .

٧٢ و

ذكر نزول التتر على قلعة البيرة

لما عاد البرواناة وتقونوين ومن كان معهما من عند أبغا إلى بلاد الروم ، لم يلبث

(١) في اليونيني ٣ : ١١٣ « طغان » .

(٢) ضبطها ياقوت (١ : ١٥٠) بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وسكون النون وجيم (أو كاف) وألف ونون وهي « بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم ، غالب أهلها أرمن وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها » ووافقه القزويني (آثار : ٣٣١ ـ ٣٣٢) .

(٣) كذا ، وصوابه : ليستصرخوا .

(٤) هو ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به ، والمقصود لباس الرهبان .

(٥) (Sarâqûj) وهو لباس للرأس (قلنسوة) ، مخروطي الشكل طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى وكان خاصاً بالعسكريين ، لبسه بركة خان وكان يمثل إلى حد كبير الزي التتري المميز . (انظر : ماير ، الملابس المملوكية : ٥٦ ـ ٦١ . وراجع أيضاً : Dozy, op. cit., p. 379) .

(٦) في اليونيني ٣ : ١١٤ « وقال للبرواناه » .

(٧) في المصدر نفسه «لا يحمى » .

بهم المقام إلى أن ورد عليهم أمر أبغا بخروج البرواناة ومن في البلاد من عساكر المغل والروم وينزلوا على قلعة البيرة ففعلوا ، ورحلوا قاصدين البيرة فنزلوا عليها يوم الخميس الثامن من جمادى الآخرة ، وكانت عدة العساكر ثلاثين ألفاً منها خمسة عشر ألفاً من المغل مقدمهم تَابِشي وأتَباي نوين [١] وكان مقدم عساكر الرم [٢] معين // الدين البرواناة ومقدم عسكر ماردين وميافارقين شرف الدين عبد الله اللّاوي ، وكان معهم من عساكر الموصل وشهرزور [٣] والعراق طوايف . فلما وصلوا إليها ونزلوا عليها نصبوا ثلاثة وعشرين منجنيقاً [٤] من سبعين منجنيق [٥] كانوا استصحبوها معهم . ومن غرايب ما يحكى أنهم نصبوا منجنيقاً فرنجياً وكان الرامي به مسلماً ، ونصبوا من قلعة البيرة عليه منجنيقاً ليكسروه به ، فلم تصبه الحجر وكانت تقع زايدة عنه فقال له الرامي المسلم : « لو قطع الله من ساعدك ذراعاً كان أهل البيرة يستريحون [٦] منك لقلة معرفتك » . ففهم الرامي الذي بالقلعة إشارته ، فقطع ذراعاً من ساعد المنجنيق ورمى به ، فأصاب المنجنيق فكسره ، وخرج أهل البيرة في الليل وأحرقوا المنجنيقات وكبسوا العسكر فقتلوا ونهبوا ثم عادوا .

٧٢ ظ

---

(١) كذا ؛ في اليونيني ٣ : ١١٤ « اقتاي نوين » وفي بعض المصادر « أقطاي » (ابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٩ ، أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٩ ؛ ابن الوردي ٢ : ٣١٩) .

(٢) كذا ؛ ولعلها : الروم .

(٣) ضبطها ياقوت (٣ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦) فقال : بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة وزاي مضمومة (وقيل بضم الراء والزاء) هي كويرة واسعة من الجبال ، من الإقليم الرابع ، بين أربل وهمذان أهلها أكراد . وهي اليوم مدينة السليمانية بكردستان . انظر أيضاً : الجزري ، اللباب ٢ : ٢١٦

(٤) كذا في اليونيني ٣ : ١١٤ وابن كثير ١٣ : ٢٦٩ ؛ وفي شافع ابن علي : ١٥٨ « ثمانية عشر » . والمنجنيق : بفتح الميم وكسرها ، لفظ أعجمي معرب وهو آلة من آلات الحصار ، كانت مستعملة في القرون الوسطى . ولهذه الآلة وصف عند القلقشندي ٢ : ١٤٤ ، وذَكَر أنواعها (العربي وهو الأفضل ، والتركي الأقل كلفة والإفرنجي) الطرسوسي في كتابه « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسراء ... » : ورقة ١٢٥ و نشر وتحقيق Cl Cahen.

(٥) كذا ؛ وصوابه : منجنيقاً .

(٦) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١١٥ « يستتركون » .

ذكر رحيل التتر عن قلعة البيرة //

٧٣ و كان معين الدين البرواناة ، لما نزل على البيرة ، بعث أربع مائة فارساً يتجسسوا أخبار مولانا السلطان وشنوا الغارات على أطراف الشام ، وكان قصده بذلك أن يقع بهم مولانا السلطان فيقتلهم ويعمل السير إلى البيرة ، فإذا سمع بقدومه كبس عسكر المغل بمن معه من عسكر الروم ويتوجه [١] إلى الملك الظاهر ليفي له بما كان وعده من ملك الروم واستئصال من فيه من التتر ، فلما عبرت الأربعماية فارس الفرات إلى الشام ، وجدوا ثلاثة قصّاد قاصدين البيرة ومعهم كتب من السلطان الملك الظاهر إلى البرواناة تتضمن « أننا وقفنا على ما كتبت به إلينا ، وها نحن على أثر رسلك ، فكن على أهبة فيما عزمت عليه من اجتماع الكلمة على العدو المخذول » . فحملوا القصّاد وأحضروهم بين يدي أتبانوين [٢] فعزم على قتل من في العسكر من المسلمين ، فأشار عليه سمقان [٣] أن لا يفعل فإنه إن فعل ذلك استجاروا بأهل البيرة ففتحوها لهم وقووا [٤] بهم على قتالنا

٧٣ ظ والرأي أن تتركهم إلى أن ننفصل من هنا // لا غير ، ونرحل ونقتلهم في بعض الجبال والأودية ونقتل معهم البرواناة . ثم أمر بحملهم إلى البرواناة ، فلما رآهم أنكرهم وأنكر ما جاءوا فيه وقال : « هذه مكيدة من صاحب سيس يريد بها قتلي وما هذه منه بأولة » . فقبلوا ذلك منه وهم يعلمون منه خلافه حتى لا ينفر منهم وقالوا له : « شأنك والقصاد فافعل بهم ما تريد » . فأمر بقتلهم فقتلوا وطيف برؤوسهم في العسكر ، ثم أخذت الكتب وسيّرت إلى أبغا من غير أن يعلم بها البرواناة . فلما أعيا التتر أمر القلعة ولم يحتملوا ما لقوا من أهلها من النكاية ، أرسل أتباي نوين [٥] إلى الأمير سيف الدين

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١١٥ « وتوجه » .
(٢) في المصدر نفسه « أقتاى » .
(٣) أيضاً : « سمعان » .
(٤) أيضاً : « فيقووا » .
(٥) في اليونيني « اقتاى نوين » .

طرنطاي [١] البكلربكي وحسام الدين بيجار [٢] ليستشيرهما في المقام والرحيل « فإنّا قد أجهدنا القتال ، وفنيت العُدد والرجال ونحن نخاف الدرك علينا من أبغا » ، فأجاباه : « إن هذه القلعة حصينة وعساكر الملك الظاهر قريبة منها وفيها ذخاير كثيرة ، وعساكرنا قد ضعفت من الغلاء والوباء ، والرأي في الرحيل » . فرحلوا عنها يوم السبت السابع // عشر [٣] من الشهر بعد أن أحرقوا منجنيقاتهم ونهبوا أسواقهم بأيديهم . ٧٤ و

ذكر توجه مولانا السلطان إلى الفرات وعوده إلى القاهرة

لما بلغ مولانا السلطان ، وهو بدمشق ، نزول التتر على البيرة أنفق في العساكر فوق الستماية ألف دينار ، ثم خرج من دمشق يوم السبت سابع عشر الشهر ــ جمادى الآخرة ــ وهو يوم رحيل التتر عن البيرة ، فاتصل خبرهم به وهو نازل على القطيفة [٤] ، فما رأى الرجوع وقصد حمص . فلما ترادفت عليه الأخبار بتفريق شملهم أيدي سبأ ، عاد إلى دمشق فدخلها يوم الخميس سلخ الشهر ، ثم خرج منها يوم السبت ثاني شهر رجب ومعه جميع العساكر ووصل إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر المذكور وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً لم يشاهد مثله لأحد من الملوك الإسلامية ؛ وذلك أنه كان قد اجتمع بالقاهرة رسل الملك المظفر صاحب اليمن ورسل // الأنبرور [٥] ورسل الجنويين ٧٤ ظ ورسل منكوتمر بن تولي خان بن جنكيز خان ملك المسلمين من التتر والعلان ورسل الأشكري ، وكانت عدتهم خمساً وعشرين رسولاً ، فركبوا خيول السلطان وتلقوه على

---

(١) في اليونيني « طغان » .

(٢) الأمير حسام الدين بيجار بن بختيار اللاوي الرومي عمّر طويلاً وتعدى المائة سنة بسنين كثيرة توفي بالقاهرة في أوائل شهر شعبان سنة ٦٨١ هـ / ٤ تشرين الثاني ١٢٨٢ م (اليونيني ٤ : ١٦٨) . وعن علاقته هو وابنه بالملك الظاهر راجع ما ورد في المخطوط ما بين ورقة ٩٦ ظ ــ ٩٧ ظ .

(٣) كذا في اليونيني ٣ : ١١٥ ؛ وفي ابن كثير ١٣ : ٢٦٩ « تاسع عشر » .

(٤) عرّفها الحميري (ص ٤٦٦) بقوله : « القطيفة في الشام بينها وبين دمشق أربعة وعشرون ميلاً .. »

(٥) Rodolphe of Habsborg وقد جاء في ابن عبد الظاهر (ص ٤٢٨) العبارة التالية : « وفي سلخ شوال (٦٧٢ هـ) وردت كتب النصحاء بأن الفرنج أقاموا أنبروراً في بلد الألمانية اسمه المركيز رودلف دوريتركو » .

على بركة الجب ظاهر القاهرة . فلما وقع نظره عليهم ترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه فسلم عليهم وأمرهم بالركوب ، ثم رحل فدخل القلعة الساعة الخامسة من يومه الذي وصل فيه .

ذكر ما اعتمده البرواناة بعد رحيله عن البيرة

كان البرواناة ومن معه من العساكر الرومية قد استشعروا من أتباي [١] خوفاً على نفوسهم بسبب القصّاد ، فلما رحلوا عن البيرة فارقوا العساكر التترية وعبروا الفرات وقصدوا ملطية قاصدين بلاد الروم . فلما وصلوا مراكزهم من أوطانهم تيقنوا أن لا مقام لهم في الروم مع التتر ، فأجمعوا رأيهم مع البرواناة على منابذتهم ، فاستحلف الأمير ٧٥ و حسام الدين // بيجار البابيري [٢] وولده بهاء الدين [٣] مقطع ديار بكر ، وشرف الدين مسعود بن الخطير ، وضياء الدين محمود ، وأمين الدين ميكاييل ، على أن يكونوا مع الملك الظاهر وأن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه . فلما بلغ مجد الدين أتابك ختن البرواناة وجلال الدين المستوفي اليمين أنكرا عليه وقالا : « نحن لا نخرج عن أبليّة [٤] التتر » . ولما اطلع الأمير سيف الدين طرنطاي البكلربكي على ذلك لزم بيته ولم يشاركهم في أمر ، ثم إن البرواناة سيّر رسولاً بنسخة اليمين يدعى نور الدين بزيز ويطلب منه عسكراً يستعين به على دفع من يناويه ويعاديه ، وأن يكون السلطان غياث الدين على ما هو عليه من الجلوس على التخت ، على أن يحمل له ما كان يحمله إلى التتر ، فأجابه السلطان بالشكر والإعتذار بأن العسكر لا يمكنه الدخول لهذه البلاد في هذا الوقت

(١) ورد في المصادر المعاصرة برسم « اقتاى » و « أقطاى » ، وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً .

(٢) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١١٦ « النابتري » .

(٣) كان من أعيان الأمراء الروميين وأكابرهم وهو الذي سبب حضور والده ومن معه إلى بلاد المسلمين . توفي بغزة وهو متوجه صحبة العساكر إلى الديار المصرية يوم الجمعة رابع عشر شعبان (وقيل رابع شعبان) سنة ٦٨١ هـ / تشرين الثاني ١٢٨٢ م . ودفن بها وهو في عشر السبعين . (النويري : ١٢٣ ظ ـ ١٢٤ و ، اليونيني ٤ : ١٠٧) .

(٤) كذا ، ولعلها : أيليّة .

لقلّة الماء ، وإذا انقضى الربيع يقع العزم على التوجه إليه إن شاء الله . //

٧٥ ظ

ذكر استئصال شأفة النوبة

كان قد وفد على مولانا السلطان شكندة [١] ابن عم [٢] داود [٣] ملك النوبة متظلماً منه ، وزعم أن الملك كان له وأنه تغلّب عليه ، ووافق ذلك غرضاً في نفس السلطان الملك الظاهر ؛ فإن داود كان قد أغار على سرح عيذاب في سنة احدى وسبعين [٤] ، وقتل من فيها من التجار ونهب أموالهم . فلما استقر ركاب مولانا السلطان بالقلعة المحروسة بعد عوده من دمشق تقدم إلى الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني وإلى الأمير عز الدين أيبك المعروف بالأفرم [٥] بالمسير إلى النوبة وأصحبهما ثلاثمائة فارساً وشكندة ، وأمرهما أنهما إذا فتحا البلاد يسلمانها إليه على أن يكون النصف والربع له والربع [خالصاً] [٦] للسلطان . فخرجوا يوم الإثنين مستهل شعبان فوصلوا إلى دنقلة في الثالث عشر من شوال . ولما خيّموا بفنائها خرج إليهم ملكها // داود وأخوه جنكو [٧] ومن عندهما من عساكرهما على النجب الصهب ، وبأيديهم الحراب وليس عليهم ما

٧٦ و

(١) كذا في اليونيني ٣ : ١١٧ والمفضل : ٤٧ ظ وابن الدواداري ٨ : ١٨٣ ، مع أن هذا الاسم قد ورد عند ابن شداد في الورقة ٧٦ و « مشكندة » وفي المقريزي ١/٢ : ٦٢١ « مشكد » وترجمه Lane-poole "Shekenda" (A History of Egypt, p. 271) . راجع أيضاً ما ورد عند Quatremère (1, 2, p. 127,m. 157)

(٢) كذا في اليونيني والمفضل وابن الدواداري ؛ وفي المقريزي : « ابن أخت » .

(٣) ترجمه Quatremère "David" و Lane-poole "Dāwūd"

(٤) ذكرت هذه الواقعة وما تبعها من أعمال تأديبية في حوادث سنة ٦٧١ هـ / (ورقة ١٥ ظ وما بعدها .)

(٥) هو أحد كبار الأمراء كان أمير جاندار الملك الظاهر والسعيد والمنصور قلاوون وبعض سلطنة الأشرف خليل . ولد بمصر وتوفي بها سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م ، ودفن بتربته بالرصد . (اليونيني ٢٩٠٧/٣ : ٨٣ ظ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٢٢٧ و) .

(٦) ما بين الحاصرتين من المفضل : ٤٧ ظ ؛ وقد أورد المقريزي (١/٢ : ٦٢٢) تفصيلات عن ما قرره السلطان على « شكندة » .

(٧) كذا في اليونيني ٣ : ١١٧ والمفضل : ٤٧ ظ ، وفي المقريزي (١/٢ : ٦٢٢) « شكنو » وترجمه Quatremère "Schenkou".

يقي عنهم السهام غير أكسية سود تسمى الدَّكاديك ، وناوشوهم [١] القتال فلم يلبثوا أن انهزموا وقتل منهم ما لا يحصى وأسر أكثر مما قتل ، حتى بيعوا ، فيمن يزيد ، بثلاثة دراهم الرأس ، وأبقي منهم زهاء ألف نفس ليراهم السلطان فينشرح بهم صدره ، ويتواطى على شكر ما أنعم عليه سرّه وجهره ، وانهزم داود فيمن انهزم وقطع النيل بأمه وأخته إلى البر الغربي ثم هرب في أثناء الليل إلى بعض الحصون ، فبلغ خبره الأمير شمس الدين والأمير عز الدين فركبا ومن معهما من العساكر وسارا في طلبه ثلاثة أيام مجدّين . فلما أحس بهما ترك أمه وأخته وابنة أخيه جنكو ونجا بنفسه وابنه ، فأخذا حريمه ورجعا إلى دنقلة ، فأقاما بها إلى أن ملكوا بها شكندة [٢] ورتبّا على كل بالغ من البلاد دينارا [في السنة] جزية [٣] ، وأن يحمل إلى السلطان في كل سنة // من الهجن ومن البقر ومن العبيد ، وقررا مع أشي [٤] وهو صاحب بلاد الجبل ، وكان مباينا لداود ، أن تكون دوّ [٥] وإبريم وهما قلعتان حصينتان قريبتا [٦] من أسوان ، بينهما وبينها سبعة أيام ، خاصاً لمولانا السلطان وفوّضا إليه أمر نيابة السلطنة فيهما ، وشرطا له أنه متى قصده عدو نجدته العساكر السلطانية . ثم عادا [٧] الأميران إلى القاهرة فاجتمعا بالسلطان في خامس ذي الحجة ومعهما أخو الملك داود أسيراً ، فشكر سعيهما وخلع عليهما وحبس أخا داود في بعض أبرجة القلعة المنصورة . ثم وصل [٨] بعد ذلك بأيام أم داود وأخته

٧٦ ظ

---

(١) كذا في اليونيني ، وفي المفضل « فهاوشوهم » .

(٢) أثبت المفضل (٤٨ و ـ ٤٩ و) نسخة تحليف ولاء « شكندة » للسلطان مطلعه « والله والله والله وحق الثالوث المقدس والإنجيل الطاهر والسيدة الطاهرة ... » .

(٣) يشير موير Muir (تاريخ دولة المماليك في مصر : ٥١) أن هذه الضريبة قد فرضت على أبناء البلاد النصارى بعد أن رفضوا اعتناق الإسلام .

(٤) في المفضل : ٤٧ ظ « أكشى » .

(٥) ضبطها ابن شداد بفتح الدال وكسره وفي ترجمة Quatremère "Dawa"

(٦) كذا ؛ والصواب : قريبتان . وفي اليونيني (٣ : ١١٨) « وهما قلعتان بغرب أسوان » .

(٧) كذا ، والصواب : عاد .

(٨) كذا ، وصوابه : وصلت .

وابنة أخيه فحبسوا [١] ، ثم وصل السبي فبيع بماية وعشرين ألف درهم [٢] ، وتقدم مرسوم مولانا السلطان بأن لا يباع منهم شيء على نصراني ولا يهودي وأن لا يفرّق بين الآباء والأولاد [٣] . وكانت المرأة منهم تباع ومعها أولادها كثروا أو قلّوا صغاراً أو // كباراً . ولما هرب الملك داود قصد صاحب الأبواب وهو ملك من ملوك النوبة [٤] ٧٧ و له ناحية [٥] وجند ، فحمله الخوف من مولانا السلطان أن يظهر عنه أنه أجار عدوه ، فقبض عليه وسيّره إلى مولانا السلطان ، فوصل إلى مصر في قبضة الأسر يوم الثلاثاء ثاني المحرم [٦] من سنة خمس وسبعين وستمائة ، فحبس في بعض أبرجة القلعة وتقدم أمر السلطان إلى المولى الصاحب الوزير بهاء الدين في استخدامه [٧] عمالاً على ما يستخرج من الجزية والخراج في دنقلة وأعمالها ، وأن يحمل إليها من قوص الصنّاع والفلاحين والبيّاعين [٨] .

ذكر تسيير رسل إلى إشبيلية

كان السبب في تسييرهم أن أَلْفُنس [٩] صاحب إشبيلية ، قد سيّر إلى مولانا السلطان

(١) كذا ؛ وصوابه : فحبسن .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ١١٨ ؛ وفي المفضل : ٤٨ و وابن الدواداري : ١٨٤ . « فأبيع بماية ألف درهم وعشرة آلاف درهم » .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١١٨ « وأن لا يفرق بين المرأة وأولادها » .

(٤) كذا ؛ وفي المصدر نفسه « وهو ملك ملوك النوبة » .

(٥) كذا ؛ وفي المفضل وابن الدواداري « له إقليم متسع » .

(٦) في المفضل وابن الدواداري : « الثالث عشر من المحرم » .

(٧) ساقطة في متن الأصل ومستدركة على الهامش بالقلم نفسه ؛ لتصويب المتن : استخدام .

(٨) يؤكد موير Muir (ص ٥١) على أهمية هذه الحملة باعتبار « أن هذه أول مرة خضعت فيها بلاد النوبة حقيقة للنفوذ الإسلامي منذ ظهور الإسلام رغم الهجمات التي كانت تتوالى عليها من حين إلى حين » . ويلخص بروكلمان (Brockelmann) (تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ : ٣٤٢) واقع الحال في بلاد النوبة في ذلك الحين بقوله : « وفي الجنوب ألحق (الظاهر بيبرس) بلاد النوبة بمصر جاعلاً صلتها بها صلة التابع بالمتبوع » . ونقل السيوطي قولاً في المناسبة لابن عبد الظاهر :

« هذا هو الفتّح لا شيء سمعت به ... في شاهد العين لاما في الأسانيد »

(السيوطي . تاريخ الخلفاء : ٤٨١) .

(٩) هو Alphonse of Seville ، ملك إشبيلية ، وكان السلطان قد عقد معه معاهدة تجارية سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م . Lane-poole, op. cit., p. 266.

الملك الظاهر رسولاً يسمى ديناراً وعلى يده هدية سنية برسالة مضمونها استدعاء مودة
٧٧ ظ مولانا السلطان قبل هذا التاريخ ، فسيّر مولانا السلطان إليه رُسلاً // وهم الأمير سيف الدين بلبان الجَلدكي وعز الدين أيبك الكُبْكي الترجمان والفقيه العدل الحسين بن همام بن مرتضى المعروف بابن البيّع ، وعلى أيديهم هدية سنية وعقاقير . فخرجوا من القاهرة في العشر الآخر من شوال ، ووصلوا إلى الإسكندرية ، ثم أقلعوا منها في ذي القعدة ، فساروا ثلاثة أشهر ووصلوا إلى سنفريش فعوقهم أدّي دَراكون ، صاحب برشُنونَة [١] ، أياماً ، ثم هلك ، وولي ولده القنت ، فنقلوهم إلى جرونة ، ثم أفرج عنهم ، فساروا براً وبحراً فوصلوا إلى برشنونة ، ثم منها إلى بلنسية [٢] ، فأقاموا بها ثلاثة أيام وسيّر إليهم ملكها من أحضرهم إليه وسألهم على لسان وزيره بالعجمية عما يرسمون به ، فقالوا : « ما لنا مرسوم » . فأمر بعودهم إلى مكانهم ، فوصل رسول من زوجة ألفنش ، وهي أخت صاحب برشنونة ، يأمره بإكرامهم وتسييرهم إلى زوجها . فسيّرهم وسيَّر في خدمتهم جماعة من الخيّالة والرجّالة خدمةً وخفارة إلى أن وصلوا إلى مملكة ألفنش ، فقالوا لهم : « هذه بلاد صاحبكم الذي أرسلتم إليه » ، وودّعوهم //
٧٨ و وعادوا فسافروا براً وبحراً أيضاً إلى أن وصلوا بلداً يدعى بَرْغش [٣] [وهي من جملة مملكة ألفنش] [٤] فنزلوا بها وسيّروا من أعلم الملك بوصولهم ، فعاد رسوله يستدعيهم ، وهو يومئذ ببلد يقال له نبطورية ، فتوجهوا إليه . فكانوا كلما وصلوا بلداً خرج أهله وتلقوهم وفرحوا بهم ، إلى أن وصلوا إلى نبطورية ، فخرج جميع من بها من الخيّالة والرجّالة والتقوهم ظاهرها ، واستدعاهم الملك بعد ثلاثٍ وأكرمهم غاية الإكرام ، واستحضرهم ثاني يوم وأحضروا الهدية ففرح بها وقبلها وطابت نفسه ، ثم جهّز لهم مركباً إلى الإسكندرية ، فسافروا إلى برشنونة إلى أن حضر المركب ، فسافروا في آخر

---

(١) المقصود برشنونة أو برشلونة (Barcelone) وهي مدينة من الأندلس على البحر المتوسط . (أبو الفدا ، تقويم : ١٨٢ ـ ١٨٣ ؛ الدمشقي : ٢٤٦) .
(٢) (Valence)وهي مدينة واقعة في شرقي الأندلس . (أبو الفدا ، تقويم : ١٧٨ ـ ١٧٩ ؛ الدمشقي : ٢٤٥) .
(٣) مدينة إسبانية واقعة شمالي الجبل الكبير كانت دار صناعة السلاح (أبو الفدا ، تقويم ١٨٤ ـ ١٨٥) .
(٤) التكملة من النويري : ٥٦ و .

ذي الحجة منها ، فوصلوا إلى ثغر الإسكندرية فوصلوها ليلة (....) (١) من صفر من سنة خمس [وسبعين وست مائة] .

ذكر السبب الموجب لشنق الطواشي صدر الباز (٢)

كان الطواشي [شجاع الدين عنبر] (٣) المعروف بصدر الباز من خواص الخدام المباشرين لدور السلطان والمفوّض إليهم تربية المماليك الخاصكية ، فبلغ عنه (٤) وهو بالشام // أنه يشرب الخمر في القلعة (٥) مع جماعة من الخدّام المتعلقين به . فلما قفل السلطان وحلّ ركابه بالقلعة لم يكن له دَأب إلا أن أحضر الطواشي عزيز الدولة وعنفه وأغلظ له في القول بحيث أنه همّ أن يوقع به وقال له : « يشرب العبد السوء فلان في قلعتي الخمر ولا تطالعني بأمره ؟ » . فحلف له أنه لم يطّلع عليه ولو اطّلع عليه لطالع به . ثم أمر بالطواشي صدر الباز فأحضر إليه ليلاً ، فلما رآه قام إليه ولكمه وأمر بعض الفراشين بشد كتافه بطنب وأن ينزل به إلى الميدان الأسود (٦) ويشنقه . فأخذه كما رسم له واستدعى من والي الجهة خشبةً فنصبها وشنقه عليها بما فضل من الطنب ، وقد زعم بعض الناس أن (٧) السلطان هو الذي شنقه بنفسه ، وشنق أيضاً في تلك الليلة إلى جانبه خمسة من الأجناد كانوا تخلّفوا عن العرض بحمص وكانوا جماعة ، فشنق هؤلاء منهم وشفع في الباقين فحبسوا في خزانة البنود . ولما شنق الطواشي في العشر الآخر من رجب أمر بمن يَحضر معه على الشراب من الخدّام // فَقُطعت أيديهم وأرجلهم من خلافٍ وسُملت أعينهم وكانوا أربعة عشر نفراً ، فمنهم من مات ومنهم من سلم .

٧٨ ظ

٧٩ و

(١) بياض في الأصل .
(٢) وردت هذه الرواية مختصرة في اليونيني ٣ : ١١٨ ـ ١١٩ .
(٣) بياض في الأصل ، والتكملة من النويري : ٥٥ و .
(٤) لفظة « عنه » : مكررة في الأصل .
(٥) في اليونيني ٣ : ١١٨ « يشرب الخمر بالبلغة » .
(٦) ويقال له أيضاً ميدان القبق وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق ، موقعه خارج القاهرة من شرقيها (المقريزي ، الخطط ٢ : ١١١) .
(٧) لفظة « أن » : مكررة في الأصل .

ذكر ما تجدد للوزراء حفدة المولى الصاحب الوزير بهاء الدين

وفي يوم السبت الثاني من شهر ذي القعدة استدعي إلى القلعة الصاحب تاج الدين محمد وأخوه الصاحب زين الدين [أحمد] ولدا الصاحب فخر الدين (١) محمد بن المولى الصاحب بهاء الدين والصاحب عز الدين محمد (٢) بن عمهما الصاحب محيي الدين أحمد (٣) إلى القلعة المنصورة ، فحضروا في الإيوان لدى المقرّ الأشرف السلطاني الملكي الظاهري ، ورتّب الصاحب زين الدين والصاحب عز الدين في النيابة عن جدّيهما المولى الصاحب بهاء الدين ، وأقرّ الصاحب تاج الدين على قاعدته المستقرة وعادته المستمرة في وزارة الصحبة وخلع عليهم ، وباشر الصاحبان الوزيران // تنفيذ الأوامر السلطانية يوم الإثنين رابع الشهر المذكور بين يدي مولانا السلطان بالإيوان . ٧٩ ظ

ذكر إملاك مولانا السلطان الملك السعيد

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة عقد نِكاحُ السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن مولانا السلطان الملك الظاهر على ابنة الأمير الأجل سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي [غازية خاتون] (٤) بالإيوان في القلعة المحروسة على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار المعجّل منه ألف دينار معاملة ، وتوكل من مولانا السلطان الملك السعيد في قبول النكاح الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نايب السلطنة ، وتوكل عن الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني أستاذ الدار العالية السلطانية الملكية الظاهرية بعد أن ثبت توكيل كلّ واحد منهما عند قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن وهب // الحنفي ، وجرى العقد من الوكيلين ٨٠ و

(١) المكنى بأبي عبد الله توفي سنة ٦٦٨ هـ/١٢٦٩ ـ ٧٠ م . (الصفدي ، الوافي ١ : ١٨٥ ـ ١٨٦) .
(٢) توفي سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م . (النويري : ١٧٥ ظ ـ ١٧٦ و) .
(٣) ذكره المؤلف في وفيات سنة ٦٧٢ هـ (٣٩ ظ ـ ٤٠ و) .
(٤) اعتبر ابن إياس أن بيبرس « كان يظن أنه إذا زوّج ابنه ببنت الأمير قلاوون يكون من بعده عوناً على تقلب الزمان فجاء الأمر بخلاف ذلك .. » (ابن إياس ، بدائع الزهور ١ : ١٠٩) .

بالإيجاب والقبول بين يدي قاضي القضاة المذكور ، وحضر السلطان الملك الظاهر العقد والوزراء والقضاة وأعيان الشهود والأمراء وأعيان الأجناد ، وكتب الصداق القاضي محيي الدين عبيد الله بن الشيخ جمال القراء رشيد الدين عبد الظاهر [١] الموقع وقرأه [٢] في المجلس ، فخلع عليه وأعطي مائة دينار .

ذكر توجّه مولانا السلطان إلى حصن الكرك

كان قد اتصل بمولانا السلطان أن جماعة من العُشران الذين استخدمهم بحصن الكرك جرخيّة وجاندارية وخُراسانية واسباسلارية سوّلت لهم نفوسهم أن يثبتوا في الحصن ، ويقتلوا من فيه من نواب مولانا السلطان ، ويسلموه لأخ كان للملك القاهر ابن الملك المعظم من أمه [٣] لكونه ممن ينسب إلى الملك الناصر صاحب الكرك ، وكان مقيماً معهم بالكرك لا يؤبه له . // فخرج مولانا السلطان من القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة قاصداً الحصن مُشمّراً عن ساق الجهاد ، يلحق في طيّ التلاع بالوهاد ، حتى دخل الحصن بغتة يوم السبت ثاني عشرين [٤] الشهر . ثم استدعاهم [٥] وكانوا زهاء ستماية نفس وهو على سطح ، وأمرهم أن يلقوا أسلحتهم ليعرضوا ، فلما ألقوا أسلحتهم أمر بالقبض عليهم وشنقهم ، فشفع فيهم من كان في خدمته من الأمراء

٨٠ ظ

---

(١) ولد بالقاهرة في التاسع من محرم عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م وتوفي بها عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م . لعب دوراً هاماً أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل إذ كان صاحب ديوان الإنشاء . كتب سيرة للظاهر بيبرس (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) وسيرة ثانية للمنصور قلاوون (تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور) وثالثة للأشرف خليل .

J. Pedersen: art "Ibn ʿAbd al-Ẓāhir", EI 2, III, p. 701A-702A

(٢) وقد أثبت اليونيني (٣ : ١١٩ – ١٢٢) مضمون هذا الصداق كما أثبته النويري (٥٦ ظ – ٥٧ ظ) ومطلعه : « الحمد لله موفق الإملاك لأسعد حركة ، ومصدق الفأل لمن جعل عنده أعظم بركة .. » .

(٣) في النويري : ٥٧ ظ « لأبيه » .

(٤) كذا في اليونيني ٣ : ١٢٣ ؛ وفي المقريزي : ٥٧ ظ « ثالث وعشرين » ؛ وفي المقريزي ١/٢ : ٦٢٤ « فدخلها في ثالث عشرين وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبيه » .

(٥) عن هذه الرواية قارن بما ورد في المقريزي .

فعفا عنهم ، وأخرجهم من الحصن سوى ستة أنفس فإنه قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فإن النفاق كان معصوباً بروسهم ثم قال لهم : « ما لكم في بلادي شيء » . فتضرعوا إليه وسألوه في أن يعاد إليهم ما كان ارتجع الديوان السلطاني من أموالهم ، فأمر لهم بذلك ونفاهم إلى مصر ، فلم يعد بعد أحد منهم إلى ديارهم التي أخرجوا منها . ثم استدعى الطواشي شمس الدين صواب السهيلي الصالحي [(١)] ، وكان والياً على صناعة الإنشاء بمصر ، وسلّم إليه حصن الكرك ، وفوّض إليه النظر في حواصله وذخايره وكذلك استدعى أيضاً // * من مصر رجالاً رتّبهم في المواضع التي كانت العُشران مرتّبين لحراسة الحصن ، ثم خرج منه متوجهاً إلى دمشق يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي الحجة ، وسيأتي شرح السبب الموجب لتوجهه إليها مفصلاً في مواضعه ـ إن شاء الله ـ .

٨١ و

وفي هذه السنة كانت بخلاط [(٢)] زلزلة عظيمة أخربت الدور والخانات والأسواق ومات الناس تحت الردم ولم ينج من أهلها إلا النفر القليل ، واتصلت هذه الزلزلة إلى أرجيش [(٣)] فأخربتها وخسفت فيها مواضع ، ووصلت إلى ديار بكر فشعثت ميافارقين وماردين ، ورأى الناس من حادثها ما لم يشاهد مثله . وكسر الخليج [(٤)] يوم

---

(١) توفي بالكرك سنة ٧٠٦ هـ . (اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٣٢ و) .

(*) إشارة إلى بدء « العاشر من الجزء الثاني » .

(٢) بكسر أوله ويقال (أَخْلاط) بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة ، قال عنها ياقوت (٢ : ٣٨٠ ـ ٣٨١) « البلدة العامرة المشهورة .. في الإقليم الخامس وهي قصبة أرمينية الوسطى » . راجع أيضاً :
Dussaud, op. cit., p. 484-486 et 521. وقد ترجمها إلى Khelat (Akhlat)

(٣) مدينة في بلاد الأرمن قريبة من خلاط (الدمشقي : ١٨٩) .

(٤) يشير ابن دقماق ٤ : ١١٤ ـ ١١٥ إلى أن كسر الخليج كان يتم بواسطة المقياس الموجود في جزيرة الروضة ، وكان يقام لهذه المناسبة احتفالات توزع خلالها الخلع . وأورد مبارك (١٨ : ٣ ـ ٧) رسوماً لتطور نموذج المقياس عبر التاريخ ابتداء من أيام الفرس مروراً باليونان والرومان حتى أيام العباسيين . وللمزيد راجع : الخطط المقريزية ١ : ٥٧ ـ ٦٠ و ٢ : ١٨٥ ؛ القلقشندي ٣ : ٢٨٨ ـ ٢٩٦ .

الخميس ثامن عشري (١) صفر ، وانتهت الزيادة إلى ثلاثة أصابع (٢) من ثمانية عشر ذراعاً (٣) // .

٨١ ظ ذكر تسيير ابن أبي زكرى بكسوة الكعبة ـ شرّفها الله ـ

فيها جهّز مولانا السلطان في خامس عشر شهر شوال الكسوة (٤) برسم الكعبة الشريفة ـ شرّفها الله تعالى ـ صُحبة الأمير عماد الدين (٥) يوسف بن أبي زكرى (ابن زين الدين موسى بن جنكو بن كهوان) (٦) ، وخرج معه جماعة من الحجاج وسار إلى مكة ـ حرسها الله ـ وكانت الوقفة يوم الإثنين ، وأقاموا بمكة ثمانية عشر يوماً وبالمدينة عشرة أيام ، فذهب أكثر زاد الناس ، وعزموا على الرحيل ، فحصل لهم من أيلة إلى مصر مشقة عظيمة ، ومات منهم خلق كثير ، وبلغ القمح في أيلة جملة مستكثرة ، والشعير مايتي (٧) وستة دراهم نقرة الإردب (٨) ، ووصلوا إلى الديار المصرية يوم الإثنين سابع عشرين صفر من سنة خمس وسبعين . وفيها ، في ثالث شهر رمضان ٨٢ و المعظم ، ظهر بالموصل بحارة تعرف بسويقة بن خليفة ضريح شخص // من ولد

---

(١) في اليونيني ٣ : ١٢٣ « ثامن وعشرين » .

(٢) و (٣) الذراع ٢٤ إصبعاً والإصبع ٦ حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض ، وقيل خلاف ذلك . (ياقوت ١ : ٣٥ ـ ٣٦) .

(٤) تعوّد ملوك الديار المصرية تجهيزها في كل سنة « وهذه الكسوة تنسج بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزة بكتابة بيضاء في نفس النسج » ، فيها : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببَكّة » . « الآية » ولهذه الكسوة ناظر مستقل بها ولها وقف أرض بضواحي القاهرة .. » وقد درجت عادة الطواف بالمحمل وبكسوة الكعبة بالقاهرة في أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ . (القلقشندي ٤ : ٥٧ ـ ٥٨ ؛ مبارك ١ : ٢٩) .

(٥) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٢٣ « عز الدين » .

(٦) هذه العبارة ساقطة من متن الأصل ومثبتة في الهامش بالقلم نفسه .

(٧) صوابه : مائتين .

(٨) بكسر الهمزة وإسكان الراء وفتح الدال المهملتين وتشديد الباء الموحدة . وهو مكيال ضخم بمصر يضم ٢٤ صاعاً ، والصاع مكيال يأخذ ٤ أمداد والمد (Modium ou Modius) عند الرومان هو مكيال للسوائل والجوامد. (المقريزي . النقود : ١٠٣ ، ١٠٦ و ١٠٨) .

الحسن [١] بن علي ـ عليهما السلام ـ وكان سبب ظهوره أن شخصاً يقال له محمدون بن الأقفاصي فاعلاً رأى في منامه شخصاً من ولد الإمام الحسن [٢] بن علي بن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ وهو يقول له : « يا محمدون أنا متأذٍّ من تنور الخبز ومجرى الحمام الصغيرة » . فلما أصبح محمدون قصّ المنام على رجل من أكابر الحارة واستشاره في نبشه ، فأشار عليه أن لا يشرع في شيء من ذلك ، فإنّك إن نبشته من غير معرفة بمكانه خربت أملاك الناس وتعجز عن مقاومتهم ، فسكت [٣] الرجل . فلما كان في الليلة الآتية رأى الرؤيا بعينها وهو يقول له : « احفر ضريحي ولا تهمله ، وآية ما أقول لك أن تراب الضريح يشفي من جميع الآلام والأسقام » . فلمّا أصبح محمدون حفر المكان ولم يستشر أحداً فظهر الضريح ، وتسامع الناس وأقبلوا ينكرون على محمدون ما فعل ، وإذا برجل أعمى قد أخذ من تراب الضريح شيئاً وتركه على عينه [٤] فأبصر ، فكبّر وحمد الله ، ورأى الناس // تأثير الضريح فتهافتوا عليه وحظي محمدون بسببه ونجح عمله ، وتكاثرت على الضريح أصحاب الآلام والأوجاع والعاهات والأمراض وكل من جعل على ألمه شيئاً من ترابه برئ لساعته . واتفق أن شخصاً من الترك كان يعتاده [٥] الصّرع فسمع بهذا الضريح فأتى إليه كما أتى غيره وطلب معالجته ، فشرط عليه مَنْ بالمكان أن يترك الخمر ولحم الخنزير وقتل المسلمين فخرج عن ذلك ، وأخذ من تراب المكان فبرئ من ساعته ، وبقي أياماً لم يرَ ما كان يعتريه من الصّرع ففرح بذلك وخرج مسافراً ، فمرَّ في طريقه بمكان يقال له تل زمّار [٦] به ديرٌ للنصارى ، فنزل عندهم وحكى لهم ما اتفق له من زوال الصّرع عنه فقالوا [٧] له الناصري : « أنت ما برئت بهذا القبر وإنما برئت بما عولجت به وتداويت » . فبقي هذا الحديث في نفسه فعاوده

٨٢ ظ

(١) و (٢) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٢٤ « الحسين » .
(٣) كذا ؛ وفي المصدر نفسه « فأمسك » .
(٤) كذا ؛ وفي المصدر نفسه « عينه » .
(٥) أيضاً : « يعتريه » .
(٦) أيضاً : « تل زيار » .
(٧) كذا ، وصوابه : فقال .

٨٣ و الصّرع كما كان ، فجاء إلى الضريح وطلب من ترابه فقيل له : « ألم تك قد // أخذت منه وعوفيت مما كان بك ؟ » فقال : « بلى ولكني مررت بهذا الدير وبه هؤلاء النصارى ، فحكيت لهم ما كان مني فذكروا لي كيت وكيت ، فبقي ذلك في نفسي فعاودني ما كان بي » . فقالوا له : « تلك المرة انتقض حكمها ، وبطل ذلك الشرط ، والآن فما ينفعك شيء من هذا الضريح إلا أن تُسلم وتَشهد أنّ جد هذا السيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » . فأبى ذلك ، وبقي مدة على ما به من الصّرع ، وزاد به حتى أجاب إلى الإسلام ، فأتى إلى المشهد وأسلم وتناول شيئاً من تراب الضريح فبرئ ، ولم يعتاده [1] بعد ، فحسن إسلامه . هذا ما حكاه لي ناصر الدين أبو الثناء محمود بن عشاير بن محمود ابن حسين بن عبيد يعرف بابن ليالي الموصلي ، والعهدة عليه فيما حكاه ، وذكر أن جماعة كبيرة من التتر ومن نصارى البلاد أسلموا بسببه . //

٨٣ ظ

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة أربع وسبعين وستمائة

أحمد بن الشيخ الإمام الفقيه العالم جمال الدين عبد الله بن عبد الملك بن أبي أسامة الحلبي ، الشيخ الإمام العالم الفاضل ، مفيد الدين . توفي في مستهل جمادى الأولى بقرية حراجل من جبل لبنان ، من أعمال بعلبك ، ومولده في العاشر من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستماية ، كان علامة في علم الأصول وعلم المنطق والعلوم الحكمية وتصدّر وصنّف . كان اشتغاله في علم الأصول على والده وفي علم المنطق على الشيخ شمس الدين خسروشاهي العجمي والشيخ فخر الدين بن البديع البندهي [2] ، اشتغل

---

(١) كذا ؛ والصواب : يعتده .

(٢) توفي سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م . قال فيه أبو شامة : ٢٠٢ « وتوفي شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علوم الأوائل ويسكن مدارس فقهاء المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين ، فيما بلغني ، وكان يتجاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام ، لا رحمه الله ولا رضي عنه ولا عن أمثاله ، وهو يعرف بالفخر ابن البديع البندهي ... وفي حياة والده مات » .

في ذلك في شهور سنة خمس وخمسين وعمره إذ ذاك ثماني عشر سنة ــ رحمه الله ــ . //

٨٤ و **بَلَبَان** الأمير سيف الدين المعروف بالرشيدي عتيق الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب . توفي في السابع أو الثامن والعشرين من ذي القعدة بقلعة الجبل ودفن من يومه ، وكان قد بلغ من العمر خمساً وخمسين سنة . كان من أكابر أمراء البحرية وكان له معوّقاً ثلاث عشرة سنة لأسباب وقعت منه ــ عفا الله عنه ــ .

الحسن بن السيد الشريف النقيب نظام الدين أبي الحسن علي السيد الشريف فخر الدين (بن الحسن بن ماهد [١] بن طاهر بن عبيد الله بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ــ رضي الله عنه ــ) [٢] . توفي في شهر صفر [٣] ببعلبك ونقل إلى دمشق ودفن في الصالحية ، وكان قد نيف على السبعين سنة [٤] . وكان فاضلاً عالماً يعرف العربية وله النثر الرايق والنظم الفايق ، قرأ النحو على جماعة ، وكان والده متولّياً نقابة الأشراف // بدمشق في الأيام الظاهرية بعد النقيب بهاء الدين ، ولم يزل ٨٤ ظ متوليها إلى أن عزل عنها في سنة ثمان وستين بسبب وقوف الأشراف فيه ، [وخلّف له والده نعمة ضخمة فمحقها ولم يبق له إلا صبابة يسيرة] [٥] . ومن شعره في الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس صاحب الديار المصرية :

(بستان روحِ العـدلِ في أمانـهِ وفنـون طِيْب جنـاه في أفنائـهِ
يـأوي جميعهم إلى ركـن لـه الـ ـسّاع الشديد بسيفـه وسنانـهِ
ركن الدُنـا والديـن سلطانُ الـورى مَنْ بـارك الرحمن في سلطانـهِ
ولقـد غـدا المعتزُّ طايـع مُلكـه واشتدَّ منتصراً بجَوب عِنانـهِ

(١) كذا في اليونيني ٣ : ١٣٤ ؛ وفي ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٤٨ « ماهك » .
(٢) هذه العبارة ساقطة من متن الأصل ومستدركة على الهامش الأيسر بالقلم نفسه .
(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٣٤ ــ ١٣٥ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٤٨ « توفي سحر يوم الأحد تاسع ربيع الأول » .
(٤) كذا ، وفي المصدرين نفسيهما « مولده سنة ثمان وست مائة » .
(٥) الزيادة من اليونيني ٣ : ١٣٥ .

بشرى لدين محمد بعصابةٍ | لولاهم انهدّت قوى أركانهِ
وتراه في ليل الخُطوب إذا دجى | متيقّظاً لله عن وسنانهِ
تركَ الضّلالة من دَعاهُ إلى الهُدى | ما عاينتْ عيناه من برهانهِ
ورأى العباد الدّهر فيه ديانةً | من نكر عن خوف بطلاه؟مع عزاله) [١]

إبراهيم بن جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن شيث [أبو إسحاق] [٢] كمال الدين [القرشي الأموي] [٣] . توفي في خامس عشر من شهر صفر بحلب [٤] [ونقل إلى ظاهر بعلبك فدفن بتربة الشيخ عبد الله اليونيني] [٥] ، وقد تقدم ذكر والده [٦] ونسبه وشعره في سنة سبع وثلاثين ، وكان له من العمر قريب من ستين سنة . كان فاضلاً يعرف العربية وينظم النظم الحسن . اشتغل على والده وعلى فخر الدين بن بُصَاقة [٧] وسمع الحديث بدمشق على جماعة ، وكان والده مشهوراً بالكتابة والفضيلة والتقدم عند الملوك ، وهذا المذكور خدم أولاً الملك الناصر داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك جندياً وحجب عنده وتقدم ، ورسّله إلى جميع الملوك لمعرفته وذكائه ، ولما خرج الملك // عن الملك الناصر في سنة سبع وأربعين [٨] وقصد حلب ، وصل معه واتصل ٨٤ و

(١) هذه الأشعار ساقطة من متن الأصل ومستدركة على الهامش بالخط نفسه . وعجز البيت الأخير كذا ورد في الأصل وهو مضطرب .

(٢) و (٣) و (٤) التكملة من اليونيني ٣ : ١٢٥ .

(٥) في المصدر نفسه « كانت وفاته آخر نهار الخميس رابع عشر صفر بالقرب من حلبا من بلاد الساحل » . ويؤيد ذلك : الصفدي . الوافي ٦ : ٤٧ وابن الفرات ٧ : ٥٩ ـ ٦٠ .

(٦) توفي بدمشق في المحرم سنة ٦٢٥ هـ / كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٢٧ ـ ١٢٢٨ م . (أبو شامة : ١٥٣) .

(٧) نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي . أبو الفتح بن بصاقة المصري القاضي الحنفي وهو شاعر وكاتب ماهر . كان خصيصاً بالملك المعظم عيسى بن العادل ثم بابنه الناصر داود . ولد بقوص سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ ـ ١١٨٤ م . وتوفي بدمشق سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ ـ ١٢٥٣ م . من شعره ما قاله في المحفة المحمولة على البغال :

« وحاملــة محمولــة غير أنها | إذا حملت ألقت سريعاً جنينَها
وأكثر ما تحويه يوماً وليلة | وتضجر منه أن يدوم قرينَها
لها جسد ما بين روحين يغتدي | فلولاهما كان الترهب دينَها »

(ابن شاكر ، فوات ٤ : ١٨٧ ـ ١٩٢) .

(٨) في الأصل « وثلثين » والتصحيح ورد في أعلى اللفظة بالخط نفسه .

بخدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ، وكان من أعيان حلقته وما زال في (خدمة) [١] دولته إلى أن انقضت دولة الملك الناصر من أوايل سنة ثمان وخمسين . ودخل الديار المصرية وخرج صحبة الملك المظفر قطز وحضر المصاف [٢] ورُتّب بدمشق . ولما ولي السلطان الملك الظاهر استمر في حلقته بدمشق وولاه قلعة بعلبك ، وحكم في القلعة والبلد ، واستمر في الحكم والياً إلى أن توفي ، وهو الذي عمر ولاية قلعة بعلبك ، وكان السبب في موته بحلب أنه توجه لمحاقة صاحب [٣] طرابلس فتوفي بها .

سنجر الأمير علم الدين الحصني . توفي في العشر الأول من جمادى الأولى بدمشق ، وكان قد نيف على الستين سنة . كان من أعيان الأمراء الظاهرية // بدمشق ، وكان شجاعاً حازماً عاقلاً ــ رحمه الله ــ . ٨٥ ظ

عبد الله بن الشيخ شرف الدين أبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الأنصاري المعروف بابن الشيرجي ، الشيخ الصالح ، بدر الدين . توفي في ثالث عشر المحرم بدمشق ودفن بالتربة المعروفة ببني الشيرجي خارج دمشق ، ومولده سنة خمس عشرة وستمائة . سمع الحديث وصحب جماعة من المشايخ ، وتجنّد وخدم في حلقة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاحب الديار المصرية ، ثم تزهد وانقطع إلى الله تعالى وصحب أهل الخير فيه ، وحج عدة دفوع ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن (محمد بن عاد بن يوسف بن) [٤] أيوب صاحب الشام وأحسن إليه ، ثم احتاج في آخر زمانه

---

(١) ساقطة في المتن ومستدركة في الهامش بالقلم نفسه .

(٢) المقصود المعركة الفاصلة في عين جالوت بفلسطين التي انتصر فيها المماليك على المغول بقيادة قطز سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م راجع : B. Lewis: art."'Ayn Djālūt", EI 2, I, p. 810A-811A.

(٣) هو Bohémond VI وذكره المؤرخون المسلمون باسم « بيمند بن بيمند » توفي بطرابلس في أوائل رمضان سنة ٦٧٣ هـ / آذار ١٢٧٥ م ودفن بكنيستها . (اليونيني ٣ : ٩٢ ـ ٩٤) .

(٤) هذه العبارة ساقطة من المتن ومستدركة على الهامش بالقلم نفسه .

إلى أن تولى أموراً دنية وتوفي ــ رحمه الله ــ .

٨٦ و **عبد الملك** بن الشيخ شرف الدين أبي حامد // عبد الله [بن عبد الرحيم بن الحسن ابن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد] [١] بن علي [بن الحسن أبو المظفر زين الدين] [٢] بن العجمي الشافعي الحلبي الشيخ الفاضل زين الدين . توفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة بالقاهرة ، ودفن من الغد في تربة كان أنشأها غربي الشافعي وشماليه [بسفح المقطم] [٣] ، ومولده بحلب في [منتصف ذي القعدة] [٤] سنة احدى وتسعين وخمس مابة . كان من أعيان الصدور بحلب ، اشتغل بالفقه على قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ، وسمع عليه واشتغل بالفقه أيضاً على قاضي القضاة زين الدين أبي محمد عبد الله بن الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي وعلى الشيخ الإمام شمس الدين بن العميد بن أميري القزويني الشافعي ، وقرأ النحو على جماعة منهم الإمام العلامة موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي الحلبي ، وقرأ القرآن على ابن الزقّاق الأندلسي ، وسمع الحديث على قاضي القضاة بهاء الدين وعلى الحافظ عبد الرحمن بن علوان وعلى السيد //
٨٦ ظ الشريف الإمام العلامة افتخار الدين أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي الحنفي وغيرهم ، وأعاد بالمدرسة السيفية أول ما فتحت وعُدّل في سنة ست عشرة وستمائة ، وولي عقود الأنكحة نيابة عن قاضي القضاة زين الدين بن الأستاذ بحلب ، وولي تدريس النورية بحلب ، ومشيخة الشيوخ أيضاً بحلب ، في سنة ست وخمسين ، ولم يزل الأمر إليه إلى أن انقضت الدولة الناصرية ، فَسَلِم من وقعة التتر ، وبقي مستمراً على ما كان بيده إلى سنة تسع وخمسين ، لما عاد التتر إلى حلب ، فولي القضاء في شهر المحرم فيها مدة أربع شهور ، ثم انتجع إلى دمشق ، فولي قضاء بانياس نيابة عن قاضي القضاة

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) التكملة من اليونيني ٣ : ١٣٦ ــ ١٣٧ .

شمس الدين بن خلكان [١] ، وأقام بها إلى أن انتجع ، خوف التتر ، إلى الديار المصرية في سنة احدى وستين وستمائة ، فأجلسه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف ٨٧ و العلامي عدلاً بالشارع الأعظم بباب جامع الصالح بن رُزّيك [٢] . // ولما ولي قضاء القضاة بالقاهرة المحروسة القاضي تقي الدين محمد بن رزين الحموي الشافعي ، فوَّض إليه عقود الأنكحة والفسوخ والفروض بالقاهرة والشارع . وكان فقيهاً فاضلاً أديباً له شعر رايق ونثر فايق ، عمل كتباً ضاهى بها المقامات والخُطب النُباتية ، وله مصنَّف كبير في الألغاز والأحاجي من نظمه ، وله كتاب على طريقة الصوفية ونمطهم لما ولي مشيخة الشيوخ بحلب ، وله مدايح في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مجلد واحد ، وله مدايح في أصحابه وغيرهم سفر كبير ، لا على جهة الرفد ، فإنه كان ذا ثروة ومكانة ووجاهة ، خلع عليه بطيلسان في سنة سبع وأربعين في الأيام الناصرية بحلب . جمع بخطه ما كتب به إليَّ ، تفضلاً لا استرفاداً ، مجلداً كاملاً ، وله في الغزل مجلد كبير .

فمن شعره في اللِيْنُوفر :

لِيْنُوفرٌ خَضِرٌ يحكي لرامقه	عند الصباح إذا ما لاح م [٣] الورقِ
نجومُ جَوٍّ بَدَتْ في الأرض طالعةً	والماء من تحتها ينساب كالشَّفقِ

٨٧ ظ وقال في دُمّل أصابت الأمير شهاب الدين موسى بن مجلي بن مروان الهكّاري ، وكان من أعيان الأمراء بحلب ، في ركبته :

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي . ولد في ١١ ربيع الثاني عام ٦٠٨ هـ / ٢٣ أيلول ١٢١١ م ببلدة إربل . أصبح قاضي قضاة دمشق عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م ثم عزل عن منصبه ثم أعيد إليه ثم عزل عنه للمرة الثانية في المحرم سنة ٦٨٠ هـ / أيار ١٢٨١ م (وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق) . توفي يوم السبت ١٦ رجب سنة ٦٨١ هـ / ٢١ تشرين الأول ١٢٨١ وكان مدرساً بالمدرسة الأمينية . (بروكلمان : مادة « ابن خلكان » . دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٥٧ ب ـ ١٥٨ ب) .

(٢) هذا الجامع (الجامع الصالحي) يقع خارج باب زويلة (من أبواب القاهرة) ، بناه الصالح طلائع بن رزيك ، وزير الفائز والعاضد الفاطميين ، بقصد نقل رأس الحسين من عسقلان إليه . (القلقشندي ٣ : ٣٦٢) .

(٣) في الأصل : من ، ولا ينضبط به الوزن .

أظن دُمّلَ موسى عنـد رؤيتـه　　خافتـه فاجتمعت من عظم هيبتِـهِ
وعندما عايَنَتْـه عَينُهـا سَجَـدتْ　　وقبّلت شفتاهـا عـينَ ركبتِـهِ

وقال في غلام اسمه عيسى :

عـادةُ عيسى في الـورى لم تـزل　　تعيـدُ من مـات لهـم حيَّـا
والآن عيسى في الهـوى قـاتِـلي　　وهـو الـذي يُحيـي إذا حيَّـا

وقال في يوم غيم وثلج وريح شديدة باردة فانكشفت السماء وثبت الثلج على الأرض ، وذلك في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة :

وجهٌ تجلا [(١)] منيراً بـارزاً نـضراً　　وكـان عنّـا بنقب الغـيم محتجبا
أظن إذ صفّقتْ فيـه الريـاح رمى　　به على الأرض من إيقاعه طربا //

٨٨ و　وقال في غلام في عنقه خال :

العـزُّ بـدرٌ ولكـن ليس شامتُـهُ　　مسلوخةً [(٢)] من دُجى صُدغيه والغَسَقِ
وإنّمـا حَبَّـةُ القلب الـتي احترقـتْ　　في حبّهِ عُلّقت للظُّلم [(٣)] في العُنُقِ

وقال في غلامٍ في عنقه حِرز ذهب :

إشارة حـرز عز الـدين لّمـا　　بَـدا للنّاظِريـن مـن النضـارِ
وتَرْجَمـه بـأنّي سوف أرمـي　　قُلـوبَ العَاشِقين بسَهـم نـارِ

---

(١) كذا ؛ وصوابه تجلى .
(٢) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٣٧ وابن الفرات ٧ : ٦٠ وابن العماد ٥ : ٣٤٤ « مسروقة » .
(٣) كذا ؛ وفي اليونيني « للطّم » ووافق ابن الفرات وابن العماد ما ورد عند ابن شداد .

وقال في المعنى :

لا تَحسبوا حِرزَ عز الدين حين بــــدا في جيدِه من لُجينٍ صِيغ أو ذَهبِ
لكن شهابٌ وأنّ الحُسن أَرْصَـــده لرجمِ شيطان قَلبِ العَاشِق الوَصِبِ

علي الصدر علاء الدين أبو الحسن بن الشيخ منتجب الدين محمد بن نصر الله الحلبي الناصري . توفي يوم الخميس // سلخ المحرم [1] بحماة ، ودفن بها ، ومولده بحلب في سنة ثمان عشرة وستماية [2] . خدم أولاً ابنة السلطان الملك الكامل ، زوج الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف صاحب حلب ، ولم يزل في خدمتها إلى أن ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ، صاحب حلب ودمشق ، في سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فاستنابه والده عنه مشارفاً لجيش حلب . ولما توفي والده في سنة تسع وأربعين ، استقل بمشارفة الجيش ، وتقدم في الدولة الناصرية ، وتمكن بها ، ولم يزل إلى أن وقعت الوقعة ، وانتجع من الشام إلى الديار المصرية ، في صفر من سنة ثمان وخمسين ، فدخل الديار المصرية وسكنها ، وأقام بها إلى سنة ثلاث وستين وستماية . طلبه الملك المنصور صاحب حماة فتوجه إليه فاستوزره ، وأقام في خدمته ليرتّب أمور دولته ، ويدبّر أحوال مملكته إلى أن توفي في التاريخ المذكور . وكان ذا مرؤة وعصبية ، وكانت له اليد الطولى // في علم الحساب وأمور الجيوش ــ رحمه الله ــ .

٨٨ ظ

٨٩ و

علي بن محمد [بن علي بن محمد أبو الحسين المذحجي] [3] المعروف بالآمدي ، الشيخ موفق الدين . توفي في الثامن عشر من ذي الحجة بالكرك [ودفن قريباً من مشهد جعفر الطيار] [4] ، ومولده سنة تسع وثمانين وخمس مابة بآمد ، اشتغل بها ، وخدم الملك الصالح صاحبها [5] ، تولى الولايات الكبار ، وخدم الملك المسعود ولده . وفي

(١) في اليونيني ٣ : ١٤٨ « توفي بحماة في صفر » .
(٢) في المصدر نفسه « مولده سنة ثماني عشرة وست مائة بحلب » .
(٣) التكملة من اليونيني ٣ : ١٤٧ .
(٤) التكملة من المصدر نفسه ومن النويري : ٥٨ ظ .
(٥) الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل محمد بن أيوب .
(Cl. Cahen, art. "Ayyūbides"

سنة ثمان وعشرين ، لما قصد التتر الجزيرة ، خرج من آمد هو وأخوه ، فقصدا حمص ، وخدما بها . ثم عوّقهما صاحب حمص ، واتفق أن كان زين الدين أمير جاندار معوّقاً ، فجمع بينهم الاعتقال ، فحصل بذلك الاجتماع أنسة . فلما أفرج عنهما ، خدما الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، ثم عوّقهما الملك الصالح ، ثم أفرج عنهما ، فقصدا الملك الصالح بالديار المصرية . وكان زين الدين أمير جاندار قد عرفهما من الحبس ، فأوصلهما إلى السلطان ، واستخدمهما في عدة جهات بالديار المصرية . ثم انتقلا إلى الكرك ، ولم يزالا به في الولايات الكبار إلى // أن توفي كلٌّ واحد منهما في التاريخ المذكور . ٨٩ ظ

عثمان القاضي نفيس الدين أبي الكرم عبد الكريم بن رشيد الدين أبي العباس أحمد بن التَزْمَنْتي [١] ، القاضي الأجل ، سديد الدين . توفي في الليلة المسفرة عن صباح يوم الثلاثاء الثاني عشر ، وقيل الحادي عشر من ذي القعدة ، ودفن بالقرافة ، ومولده سنة خمس وستماية . كان فاضلاً مُتَفَنناً ، ولي نيابة الحكم عن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بالديار المصرية ، وولي أيضاً نيابة الحكم عن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين ، وولي مدرسة القاضي الفاضل . قرأ القرآن على الشريف النقيب شمس الدين الأرموي [٢] ، وعلى قاضي القضاة عماد الدين بن السُكري [٣] الفقه والأصول ، وعلى ابن اللهيب [٤] ، وعلى ابن عبد السلام ، وسمع الحديث وكان مفتياً .

٩٠ و **محمد** بن عبيد الله بن جبريل [٥] [أبو عبد الله] [٦] الكاتب // الفاضل زين

---

(١) بفتح التاء ، نسبة إلى تزمنت من بلاد الصعيد المصري . (السبكي ٥ : ٥٤) .

(٢) توفي في ٢١ صفر سنة ٦٦٤ هـ / ٢ كانون الأول ١٢٦٥ م . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٦٠ و) .

(٣) عماد الدين عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي المصري الشافعي ، ولد بمصر سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، وتوفي في شوال سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م . (عبر الذهبي ٥ : ٩٩ ؛ الأسنوي ٢ : ٦٧ ؛ السبكي ٥ : ٦٣ ـ ٦٤) .

(٤) شمس الدين أبو القاسم بن اللهيب . توفي بدمشق في شهر جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هـ / أيار ـ حزيران ١٢٥٨ م ودفن بجبل قاسيون . (أبو شامة : ١٩٩) .

(٥) كذا في المقريزي ٢/١ : ٦٢٤ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٥١ « حزيل » .

(٦) التكملة من المصدرين نفسيهما .

الدين [١] الموقّع . توفي [بالقاهرة] [٢] يوم الإثنين الثامن من شهر شعبان [ودفن بالقرافة الصغرى] [٣] ، ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة . قرأ القرآن الكريم على ابن الدّهان [٤] وعلى جماعة ، واشتغل بعلم الأدب ، وكتب في ديوان الإنشاء في الأيام المعزية والظاهرية ، وحصل له في عينيه ألم أوجب انقطاعه ، وبقيت الجامكية جارية عليه ، وكان يترسل جيداً وينظم جيداً ، فمن نظمه :

إنّما الشّكوى إلى الخَلْـ ـقِ هوانٌ ومَذلّهْ
فاترك الخَلْقَ وأنْزلْ كلَّ ما نَابَك باللهْ [٥]

وكتب إلى بعض أصحابه بالإسكندرية :

فَرطُ وُديّ لستَ تنكرُه وَحنِيني أنتَ تَعْلَمُهُ
مُذْ سَكَنْتَ الثَّغرَ يا أملي رَاق للأبصار مَبْسِمُهُ
كيف لا نشتَاقُهُ أبداً وهو ثغرٌ طابَ مَلثَمُهُ

وله يصف خطاً معلّقاً : //

٩٠ ظ

وكتابٍ كالبحر يَقْذف دُرّاً من مَعانٍ وجوهراً شَفّافا
أسْكَرتْني ألفَاظُهُ فكأنّي إذ تَصفّحتُه شَربتُ سُلافا
خَطُّهُ بالتّعليقِ قَدْ زَادَ حُسْناً فأرانا جَنّاتِهِ ألفَافا

(١) كذا في المقريزي ؛ وفي اليونيني : « بهاء الدين » .
(٢) و (٣) التكملة من اليونيني .
(٤) علي بن موسى بن الدهان ، الإمام أبو الحسن . توفي في ٢٤ رجب سنة ٦٦٥ هـ / ٢٠ نيسان ١٢٦٧ م . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٦٧ و) .
(٥) كذا ؛ وفي اليونيني :
« إنما أشكو إلى الخلق هواناً ومذله
فاترك الخلق واترك ما تارك الله »
(والثاني مضطرب مكسور الوزن) .

وله في مسواك ، وضمَّن فيه نصف البيت الذي استشهد به الحجاج بن يوسف على المنبر :

وَعــودٍ أراكـةٍ يَجلـو ثُغـوراً   من البيض الدُمَى جَلْيَ المَرايـا
يَقـول مُساجـلَ الأغصان فخـراً   أنا ابن جَلا وطَلَّاع الثَّنايـا

وله بيتان كتب بهما إلى بعض أصحابه وهو مقيم بمدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

يـا راحِـلاً قد كـدت أَقْضِي بَعـدَه   نحبي [١] وأحشائي عليه تَصَدَّعُ [٢]
شطّ المـزار فما القلـوبُ سواكـنٌ   لكنّ دَمْعَ العَين بَعدَك يَنْبـعُ

وله في حياصة :

لقـد غَـار منّي العَاشِقـون وأَظهـروا   قِـلايَ فـلا نـال الوِصَـالَ غَيـورُ //
ومـن ذا الـذي أَضحى لـه كعلايقـي   لـديه ولكـنَّ النفـوس غُـرورُ
[وقـد ضاع مني خصرُه فـوق رَدْفِـهِ   فـلا عجبٌ أنّي عليه أَدورُ] [٣]

٩١ و

محمود تاج الدين أبو الثناء بن عامد [٤] بن الحسين بن محمد بن عيسى التميمي العدل النحوي الصرخدي الأديب . توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر [٥] بدمشق .[بالمدرسة النورية ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر عند قبر شيخه جمال الدين الحصيري] [٦] ، ومولده ليلة النصف من شهر ربيع الأول سنة ست

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٥٢ « أسفاً » .
(٢) كذا ؛ وفي المصدر نفسه : « تقطّع » .
(٣) الزيادة من اليونيني ٣ : ١٥٣ .
(٤) كذا ، وفي جميع المصادر التي تحت أيدينا ورد برسم « عابد » .
(٥) في اليونيني ٣ : ١٥٤ ـ ١٥٥ « توفي ليلة الجمعة السادس والعشرين من ربيع الآخر » ووافقه ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٥٠ .
(٦) التكملة من اليونيني ٣ : ١٥٥ .

وثمانين وخمس مائة [١] . قرأ النحو على أبي الحسين يحيى بن معطي بن عبد النور الزواوي [٢] ، ودرس فقه أبي حنيفة ــ رضي الله عنه ــ على أبي المحامد محمود بن أحمد بن عبد السيد الحصيري النجاري الحنفي ، وسمع عليه صحيح مسلم ، وله أشعار رايقة يغني بها مشهورة ، وهو نعم الرجل كياسةً وبشراً وانقباضاً عن الناس ، عالي الهمة لا يقبل لأحد شيئاً ، شريف النفس ، طلبه ملوك بني أيوب ليخدمهم في كتابة الإنشاء فامتنع ، وكان مقيماً بالمدرسة النّوريّة يفيد الناس ، وينفعهم يقرأون عليه العربية والأدب والفقه وغير ذلك ، من نظمه : //

٩١ ظ

آياتُ سِحرِكَ من لحَاظِك تَنْـزلُ ... ما إن لهـا نَسْخٌ ولا تتبـدَّلُ

أنتَ النبيُّ بها وطرفُك لحظـهُ ... في فـترةٍ منـه لدَمعي مُـرسلُ

وَيَظـلّ يَهدي من جبينـك صُبحُـهُ ... ويَضلّ من صُدغيك ليـل أليـلُ

ودَليـلُ سحرك أن ليـلي مَالَـهُ ... سَحَرٌ وصِلٌ للـذؤابـةِ مُذهِـلُ

إن كنتَ أَهديْتَ الرقـادَ ولم تـزرْ ... بُخـلاً فطَيفـك بالزيـارة مبخلُ

يـا قلبُ كَم أَرسَلْتَ قَلبَكَ رايـداً ... حتى غَـدا للبـدْر فيـك المَنـزلُ

دَعْ مَنْ يَلُومَك في معاطِف ذابـلٍ ... بل كيفَ يَذبـل مَن يَلُومك يَذبلُ

فلقـد أَجَنَّ الصُّدغ عـارضَ خدِّه ... فهمـا عليـه مقيّـدٌ ومُسَلْسَلُ

ناصر الفقيه الأجل العالم ناصر الدين بن حسنا المغربي النحوي الشاعر المشهور .

---

(١) احتلفت المصادر في تحديد سنة ولادته ، ففي اليونيني وابن كثير ١٣ : ٢٧٠ وابن تغري بردي : « مولده سنة ثمان وسبعين وخمس مائة بصرخد » وفي الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢١ : ٢٣ و وابن شاكر ، فوات ٤ : ١٢١ « ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » . ويورد ابن أبي الوفاء (الجواهر ٢ : ١٥٨) على لسان صاحب الترجمة كلاماً مفاده أنه ولد « سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة بصرخد » .

(٢) توفي بالقاهرة في مستهل ذي الحجة سنة ٦٢٨ هـ / ٣٠ أيلول ١٢٣١ م ، ودفن بالقرافة في طريق قبة الشافعي . وكانت ولادته بدمشق سنة ٥٦٤ هـ . « والزواوي » نسبة إلى زواوة ، وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية ، من أعمال أفريقية ، ذات بطون وأفخاذ . (أبو شامة : ١٦٠ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ١١٢ ؛ اليافعي ٤ : ٦٦) .

توفي في شهر رمضان ، وكان له من العمر نيف وسبعين [١] سنة . أخذ النحو عن الأستاذ أبي علي الشلوبني [٢] ، وعن ابن عصفور [٣] مصنف المقرب وغيرهما ، وسمع الحديث على جماعة بالعرب ومكة والشام . فمن شعره : // *

٩٢ و

أَمِنَ المسْكِ عذارٌ رُقماً لمَّ في خدّيه لما نُمْنِمَا
أَمْ مِنَ الخزِّ بَدتْ زِيْبَرَةٌ تُشْبهُ الرَّيحانَ لما حَمْحَما
أم دَبيبُ النملِ قد أوحَى له فوقَ ذاك الخدِّ عن شُهد اللمُّا
بل عليه لأمةٌ من زَرَدٍ قد غَدا الوَهمُ بها مُتَّهمَا
كلما كَرَّ عليه نَاظِري أرسَلَتْ عَيْنَاه مِنْهَا أَسْهُمَا
ظَبْيُ أُنسٍ قد رَعَى قَلبي ولَمْ يَرعَ وُدّي وأَضَاعَ الذِّمَمَا
وأَنا الظالم إذْ حَكَّمْتُهُ وَجعلتُ الخَصمَ فِيَّ الحَكَما

يوسف بن القاضي شرف الدين محمد بن القاضي وجيه الدين عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن القاضي السَّعيد الأثير الصدر الكبير علم الدين أبو المفاخر . توفي في الثاني من شهر ذي القعدة ، وهو المقرئ المعروف بابن عثمان القرشي المخزومي ، ومولده في مستهل شعبان بالقاهرة سنة اثنتي عشرة وستماية . قرأ القرآن بالقراءات السبع على

(١) كذا ، وصوابه : وسبعون .

(٢) غير معجمة في الأصل . والمقصود الشلوبين ، وهو عمر بن محمد الأزدي ، أبو علي ، الأندلسي الإشبيلي . له شعر ومصنفات منها : « شرح الجزولية » ، « كتاب التوطئة » . ولد سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وتوفي سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م ، والشلوبين بلغة الأندلس معناه الأبيض الأشقر . (ابن كثير ١٣ : ١٧٣ ، ابن العماد ٥ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣) .

(٣) هو أبو الحسن بن عصفور علي بن مؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الإشبيلي . توفي في ذي القعدة سنة ٦٦٩ هـ / حزيران ـ تموز ١٢٧١ م . له مصنفات منها : « الممتع في التصريف » و « المقرب » . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٨٨ و) .

(*) إشارة إلى بدء « الحادي عشر من الجزء الثاني » .

الشيخ الصفراوي [١] ، وسمع عليه جملة من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

٩٢ ظ وسمع بميافارقين // من ابن العماد الحرّاني [٢] ، ومن الشيخ محمد بن التكريتي ، ومن ابن رواح [٣] ، ودفن بالقرافة قريباً من الشافعي ـ رضي الله عنه ـ .... [٤] // .

٩٣ ظ السنة السابعة عشرة من دولة مولانا السلطان الملك الظاهر وهي سنة خمس وسبعين وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة وملوك الطوايف على القاعدة المستقرة في السنة الخالية ، ومولانا السلطان بدمشق عايداً من الكرك .

متجددات الأحوال في هذه السنة

ذكر توجه مولانا السلطان إلى دمشق من الكرك

فيها ، في يوم الأربعاء الثالث من المحرم ، حلَّ ركاب مولانا السلطان الملك الظاهر بدمشق ، ولما حل بها استدعى الأمير بدر الدين بيسري وشمس الدين أقوش

٩٤ و خُطليجا ، // والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وعلم الدين سنجر أمير جاندار ، والأمير فخر الدين أياز المقرّي ، وخيلاً وغلماناً وخزانة ، فكان خروج الأمير بدر الدين بيسري وشمس الدين خُطليجا يوم السبت العشرين من المحرم .

---

(١) جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل المعروف بابن الصفراوي . المالكي الإسكندراني . ولد في أول عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . وتوفي بالإسكندرية في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٦٣٦ هـ / ٥ كانون الأول ١٢٣٨ م . (الذهبي . العبر ٥ : ١٥٠ ؛ ابن العماد ٥ : ١٨٠) .

(٢) محمد بن عماد بن حسين الحراني الحنبلي . توفي في صفر سنة ٦٣٢ هـ / تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٢٣٤ م وعاش ٩٠ سنة . (ابن العماد ٥ : ١٥٥) .

(٣) رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي (٥٥٤ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٥٩ ـ ١٢٥٠ م) . (ابن العماد ٥ : ٢٤٢) .

(٤) الورقة ٩٣ و ساقطة في الأصل .

ذكر وفود شكتاي [١] وأخيه جاورجي [٢] على أبواب مولانا السلطان

كان مولانا السلطان لما حل بدمشق ، وافق يوم دخوله إليها أن وفد عليه من أعيان المغل شكتاي وأخوه جاورجي ، وأخبراه أن الأمير حسام الدين بيجار البابيري مقطع خرتبرت [٣] وولده الأمير بهادر عازمون [٤] على قصد أبواب مولانا السلطان . وكان السبب في وصول شكتاي وأخيه أن بهادر كان متزوجاً بأختهما ، وكان لهما أخ كافر ، فوصل إليهما ومعه جماعة من أقاربهم وغيرهم ، وطلبوا منهما مالاً وقالوا لهما : « أنتما في الراحة بسكنى المدن ، ونحن في التعب بملازمة البيكار [٥] ، // فأعطونا مالاً [٦] نستعين به ، وإلا أحضروا [٧] معنا إلى الأردو بين يدي أبغا ليفصل بيننا وبينكم » . فشاوروا [٧] معين الدين سليمان البرواناة في ذلك فأشار عليهم [٧] ، فدفعوا [٧] لهم ما التمسوه وتوجّهوا . فلما توجّهوا ، قال البرواناة لبهادر : « هؤلاء قد توجهوا إلى أبغا ، وما نأمن أن يدّعوا علينا أننا باغية فلا نأمن من غايلته » . فاتبعهم بهادر وصهراه حتى لحقوا بهم فقتلوهم ، وأخذوا ما معهم . وكانت رسل أبغا ترد على البرواناة تحثه على المسير إليه ، وهو يسوّفهم ويمنّيهم كل ذلك منتظر [٨] لعسكر السلطان الملك الظاهر ، فلما يئس منه توجه إلى أبغا حادي عشر ذي الحجة من السنة الخالية ، وصحبته أخت السلطان غياث الدين ، ليدخل بها [إلى] [٩] أبغا ، وصحب

٩٤ ظ

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٦٤ وابن الدواداري ٨ : ١٨٨ ـ ١٨٩ والمقريزي ١/٢ : ٦٢٥ ـ ٦٢٦ « سكتاي » ؛ وفي المفضل : ٤٩ و « سكتامي » .

(٢) كذا في اليونيني والمفضل وابن الدواداري ؛ وفي المقريزي : « قرمشي » .

(٣) وتسمى أيضاً « حصن زياد » قيل عنها بأنها بلدة بأرمينية بين آمد وملطية . وهي اليوم مدينة تركية في أرمينية . (ياقوت ٢ : ٢٦٤ ؛ القلقشندي ٤ : ٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٤) كذا ؛ والصواب : عازمان .

(٥) كذا في اليونيني ، وفي المفضل : ٤٩ ظ « الأسفار » . والبيكار لفظة أعجمية معناها حومة القتال .

(٦) في اليونيني ٣ : ١٦٤ « شيئاً » .

(٧) كذا ؛ والصواب : أحضرا ، وسائر النص على التثنية .

(٨) الصواب : منتظراً .

(٩) الزيادة من اليونيني ٣ : ١٦٥ .

معه من الأموال والتحف ما لا يوصف كثرة ، وتوجه معه خواجا علي الوزير . ولما عزم على التوجه حضّ الأمير بهادر على التوجه إلى مولانا السلطان مع أبيه ، لأنه إن أقام بالبلاد نقم عليه أبغا قَتْل مَنْ قَتَله من التتر ، // فتكون سبباً في هلاكه . فتقدم بهادر ٩٥ و لشكتاي وأخيه بالمسير بين يديه إلى السلطان ، ليعرفاه بعزمه وعزم أبيه على التوجه ، ويذكّراه بما تقدم للأمير حسام الدين من اليمين . ولما وصلا إليه أكرمهما وأحسن إليهما ، وبعث بهما إلى القاهرة ليجتمعا بالسلطان الملك السعيد ، ويفوزا بتقبيل الأرض بين يديه ، فوصلاها يوم الجمعة ثاني عشر المحرم ، فأقبل عليهما السلطان الملك السعيد ، وأحسن إليهما ثم ردهما إلى أبيه بعد أن أقاما عنده ثلاثة أيام .

ذكر توجه الأمير بدر الدين بَكْتُوت الأتابكي إلى أطراف بلاد الروم كاشفاً ومغيراً

فيها ، في أواخر العَشر الأوايل من المحرم [١] ، سيّر مولانا السلطان الملك الظاهر بدر الدين بكتوت الأتابكي [٢] ومعه ألف فارس ، وأمره أنه إذا وصل حلب يستصحب معه منها عسكراً آخر ، ويتوجه إلى بلاد الروم ، وكتب على يده كتباً إلى أمراء الروم // يحرّضهم فيها على طاعته والإنقياد إليه ، بما مضمونها : ﴿ يأيّها الذين آمنوا أَطِيْعوا الله ٩٥ ظ وأَطيعوا الرسول وأُولي الأَمر مِنْكم ﴾ وَمَنْ أَطاعني حَقَن دمه وماله ، وربح الجنّة ، ومن عصاني فلا يلومَنَّ إلاّ نفسه ، فإني إن أَبقيتُ عليها فَلي عليه المِنَّةَ » . وكان السبب لهذه المكاتبة أن شرف الدين مسعود بن الخطيز ، بعد سفر البرواناة في السنة الخالية إلى أبغا ، كتب إلى السلطان الملك الظاهر يحثّه على الوصول إلى الروم بعساكره لينضمّ [٣] إليه والسلطان غياث الدين ومن في بلاد الروم من العساكر ، وبعث كتابه إلى الأمير سيف الدين جندر [٤] ، مُقْطَع البلستين ، ليبعث به إلى السلطان الملك الظاهر . فلما

(١) كذا في المفضل : ٥٠و وابن الدواداري : ١٨٩ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٦٥ « في أواخر المحرم » .

(٢) توفي بالقاهرة سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ : ٧٣ ظ) .

(٣) في الأصل : لينظم .

(٤) كذا في اليونيني ٣ : ١٦٥ والمقريزي ١/٢ : ٦٢٥ وترجمة Quatremère وفي المفضل : ٥٠ و وابن =

وصل إليه دفعه لولده الأمير بدر الدين قوس ، وأمره أن يتمسك به ولا يبعثه ، فلم يقف عند أمره ، وبعث بالكتاب إلى السلطان الملك الظاهر ، وكان الأمير شرف

٩٦ و الدين ، لما بعث بالكتاب ، داخله الندم وخاف إن هو خرج من الروم ألاّ // يعود إليه ، فأردفه بكتاب إلى سيف الدين جندر يأمره بأن لا يبعث بالكتاب ، فاستدعى بولده ، وطلب منه الكتاب ، فأخبره أنه بعث به إلى السلطان ليكون له بذلك يد عنده . ولما وصل بدر الدين [بكتوت] إلى البُلُستين ، صادف من عسكر الروم جماعة ، وكانت العادة أن يبعثوا كلّ سنة عسكراً برسم حفظ الطرق من عساكر الشام ، واتفق أن كان في العسكر الرومي الأمير مبارز الدين سُوري [١] أَجَاشْ نكِير [٢] وسيف الدين جندر ، وبدر الدين ولده [٣] ، وبدر الدين ميكاييل ، وعند وقوع نظره عليهم لم ينزل عن ظهر فرسه وكذلك من معه من العسكر ، فبعثوا إليه بإقامة جليلة ، وركبوا إليه وسألوه في الإبقاء عليهم على أن يقتلوا من بالبُلُستين من التتر ، وأن يسيروا معه إلى أبواب مولانا السلطان ، فأجابهم إلى ذلك . فلمّا وفوا بما تكفلوا به قفل بهم على مولانا السلطان ، فوافاه بحارم [٤] ، فأقبل عليهم وأحسن إليهم . //

٩٦ ظ ذكر وفود الأمير حُسام الدين بيجار وولده على أبواب مولانا السلطان

كنا قدمنا أن مولانا السلطان اتصل به ما عزم عليه الأمير حسام الدين وولده بَهادُر

= الدواداري : ١٨٩ « ابن جندر » ، وذكره D'Ohsson (op. cit. III, p. 480) باسم (Haïdar-Bey) .

(١) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٦٦ « شورى » ؛ وفي المفضل : ٥٠ ظ وابن الدواداري : ١٩٠ « سواري » .

(٢) وترسم متصلة (الجاشنكير) . قال في صبح الأعشى (٥ : ٤٦٠) : الجاشكير « هو الذي يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يُدَسّ عليه فيه سم ونحوه ، وهو مركب من لفظين فارسيين : جاشناً ومعناه الذوق . وكير بمعنى المتعاطي لذلك . ويكون المعنى . الذي يذوق » .

(٣) كذا في المفضل وابن الدواداري ؛ وفي اليونيني « لؤلؤ » وهو خطأ .

(٤) حصن في شمال الشام ذكره الإفرنج باسم (Castrium Harenc or Harench) على مسيرة ٢٢ ميلاً شرقي انطاكية . S. Ory: art. "Ḥārim", EI 2, III, p. 214 (A-B).

من الوفود على باب السلطان . فلما تواترت الأخبار بقربه من البلاد ، بعث إلى نايبه بحلب الأمير نور الدين علي بن مجلّي بالإهتمام بالإقامة له ، ثم الخروج إلى لقائه إذا شارف البلاد . فلما بلغ مولانا السلطان أن خيله ورجله جاسوا خلال ديار الشام شايمين برْق امتنانه عليهم ، ومستمطرين سحاب أنعامه إليهم ، أمر الأمير جمال الدين محمد ابن نهار [١] بالخروج لتلقيه ، لمّا شارف أرض دمشق ، فكان وصوله إليها واجتماعه بمولانا السلطان بظاهرها ، وكان قد خرج إليها يوم الأربعاء التاسع عشر [٢] من المحرم ، وأنزله في النيرب [٣] ، ثم أردفه الأمير بَهادُر ولده ، فوصل إلى دمشق يوم السبت والعشرين [٤] // من الشهر ، وكان السبب في تأخره عن أبيه جمع ما له في البلاد من الطارف والتلاد . وكان مهذب الدين [علي] [٥] بن معين الدين البرواناة نايباً عن أبيه في البلاد يومئذ ، فلما بلغه رحيلهم أنفذ خلفهم عسكراً من التتر ، وقدم عليهم نَبْجي [٦] فساق خلفهم [٧] حتى وصل إلى خَرتبرت ، فلم يلحق منهم عيناً ولا أثراً ، ولا وجد من يُودع أذْنَه عنهم خبراً ، غير أنه عثر على خيل (عراب) [٨] ، مسوّمة أغراب ، عريقة الأنساب ، كان الأمير بهادر قدمها بين يديه ، فضلّت عن الطريق وكانت زهاء خمس ماية فارس [فأخذها وعاد إلى مهذب الدين] [٩] . فلما (قضى) [١٠] مولانا السلطان وطره من الإجتماع بهما ، بعث الأمير بهادر إلى القاهرة مع الأمير بدر الدين

٩٧ و

(١) ساقطة في اليونيني ٣ : ١٦٦ .

(٢) كذا في اليونيني ؛ وفي المفضل : ٥٠ ظ وابن الدواداري : ١٩٠ « السابع عشر » .

(٣) بالفتح ثم السكون وفتح الراء وباء موحدة ، هي قرية مشهورة بدمشق (ياقوت ٥ : ٣٣٠) .

(٤) في المصادر الثلاث السابقة « التاسع والعشرين » .

ملاحظة : وردت على الهامش الأيمن عبارة « بهاء الدين مقطع ديار بكر راجع ص ١٥٣ » مذيلة بما يلي : « كاتبه محمد شرف الدين » . وعند مراجعتنا للورقة ١٥٣ و وما يليها لم نقع على ما يفسر هذا الإبهام .

(٥) التكملة من اليونيني ٣ : ١٦٦ .

(٦) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٦٧ « نيجى » ، وفي المفضل : ٥٠ ظ « قنحى » .

(٧) لفظة « خلفهم » : مطموسة في الأصل وما أثبت بعد مراجعة اليونيني والمفضل .

(٨) وردت على الهامش بخط مختلف .

(٩) ما بين الحاصرتين من المفضل : ٥١ و .

(١٠) مطموسة في الأصل ومستدركة على الهامش بقلم مختلف .

بيسري وخُطليجا ، فخرجا [١] من دمشق يوم الخميس تاسع شهر صفر ، فوصلا [٢] إليها يوم السبت الثالث من شهر ربيع الأول ، ثم بعث أباه الأمير حسام الدين بيجار مع الأمير شرف الدين الجاكي إلى القاهرة ، فوصلاها يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر ، فخرج السلطان الملك السعيد لتلقيه واحتفل به // وكرّمه ، وأنزله وحمل إليه أموالاً وخلعاً . ٩٧ ظ

ذكر ما أثّرت كتب مولانا السلطان الواردة على بلاد الروم

كان الأمير بدر الدين بَكتُوت لما اتفق له مع الأمراء الذين كانوا في البُلُستين ما اتفق ، بعث بالكتب التي معه إلى أربابها المقيمين في بلاد الروم ، فلما وصلت إلى شرف الدين بن الخطير ، وتاج الدين كيوي [٣] ، وكانا مقدمين على العسا [٤] الرومية من جهة معين الدين البرواناة ، ووقفا عليها ، جمعا أرباب الكتب ، وأمرا سنان الدين بن سيف الدين طُرنطاي أن يقرأها عليهم ويترجمها لهم . ثم ردف الكتب قاصداً آخر بكتب أُخَر في ذلك الوقت ، وأخبرهم أن السلطان واصلٌ في أثره ، فأجالوا قِدَاح الرأي في الجواب ، فقال تاج الدين كيوي : « المصلحة أن يكتب كلٌّ واحد منا جوابَ كتابه إلى السلطان ، ويبعثه على يد قاصد من جهته يعرّفه // فيه أنه مملوكه ، وأن البلاد بلاده ، وأن معين الدين قد توجه إلى أبغا ، والسلطان غياث الدين في قيصرية ، ونحن نتوجه إلى قيصرية ونجتمع بمن فيها من الأمراء ونعرّفهم بما وقع الاتفاق عليه [٥] ثم نسارع إلى المثول بين يدك مع السلطان غياث الدين ـ حفظه [٦] الله تعالى ـ » . ٩٨ و

(١) كذا ؛ والصواب : فخرجوا .

(٢) كذا ؛ والصواب : فوصلوا .

(٣) كذا ؛ وفي المفضل : ٥١ و « كنوي » .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعلها « العساكر » .

(٥) لفظة « عليه » : مطموسة في الأصل ؛ وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٦) لفظة « حفظه » : مطموسة في الأصل ، ولعلها ما أثبتناه .

وفي الرابع والعشرين من صفر غلق ماء [١] السلطان ، وكسر الخليج بكرة السبت الخامس والعشرين منه ، الموافق خامس عشر توت [٢] القبط ، وركب مولانا السلطان الملك السعيد ، وباشر كسر الخليج بنفسه ، وسيّر الأمير شمس الدين الفارقاني على [٣] المقياس ، وانتهت الزيادة إلى أربع عشرة إصبعاً من تسعة عشر ذراعاً .

ذكر توجه مولانا السلطان إلى حلب ووصول ضياء الدين إليه رسولاً

كان توجه مولانا السلطان [من دمشق] [٤] إلى حلب يوم الخميس تاسع شهر صفر ، // وهو اليوم الذي بعث فيه بهادر بن الأمير حسام الدين بيجار ، فدخل إلى حمص في الثالث عشر [٥] ، وأقام بها إلى الثامن عشر من صفر ، فوافاه عليها يومئذ الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير ، وأمير [٦] سنان الدين بن الأمير سيف الدين طرنطاي البكلربكي . وكان السبب في وصولهما إليه أن أمراء الروم لما جاوبوا مولانا السلطان عن كتبه الواصلة إليهم من جهته ، شرع شرف الدين بن الخطير في تفريق العساكر الرومية ، وأذن لهم في نهب من يجدونه من التتر وقتله ، وانحاز شمس الدين [٧]

٩٨ ظ

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٦٧ « علق مشاء »

(٢) لفظة « توت » : مطموسة في الأصل ؛ ولعلها ما أثبتناه . وللاطلاع راجع : القلقشندي (٢ : ٣٦٨ ـ ٤٠١) حيث تجد مقابلة بين الأشهر العربية وما يقابلها من شهار القبط والفرس واليهود والروم والسريان الروم .

(٣) لفظة « على » : مطموسة في الأصل .

(٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٦٧ .

(٥) كذا في اليونيني ٣ : ١٦٧ ؛ وفي المفضل ٥١ ظ وابن الدواداري : ١٩٢ « ثالث صفر » .

(٦) كذا ، والصواب : الأمير .

(٧) اللقب « شمس الدين » : مطموس في الأصل ومستدرك على الهامش الأيمن بقلم مختلف ومذيل بالعبارتين : « راجع صفحة ٢٣٢ ؟ كاتبه محمد شرف الدين المدّرس » مع الإشارة إلى أن هذا اللقب ساقط في اليونيني ، أما في المفضل وابن الدواداري فقد ورد برسم « بدر الدين » .

محمد بن قرمان [١] وإخوته وأولاده بمن معه من التركمان إلى [٢] السواحل [٣] [بالروم] [٤] ، وباينوا التتر ، وأغاروا على من جاورهم منهم ، ثم كاتب السلطان الملك الظاهر يعرفه مباينته للتتر ، وإخراج الساحل من أيديهم باستيلائهم عليه . فبلغ السلطان غياث الدين ومهذب الدين ما اعتمده شرف الدين من إظهار العداوة للتتر ، بعثا في طلبه ، فلما وصل إليهما ، أمر مهذب الدين أن يحضر جميع رسل التتر ونوابهم ، ومن كان من المغل بقيصرية ممن كان // مع نبجي وتقونوين على أسوأ حال ، ٩٩ و فأحضروا مكشّفين الروس مكتّفين ، وبسطت الرعية أيديهم فيهم ، وحبس من قبض عليه منهم ، وبعث مهذب الدين إلى شرف الدين مسعود ، وكان بظاهر المدينة بعسكر ، ليحضر ، فأبى ، فخرج إليه تاج الدين كيوي ، وسيف الدين طرنطاي ، فتأخر سيف الدين لحاجة عرضت له ، وسبق تاج الدين . فلما اجتمع بشرف الدين عنّفه وأغلظ له في القول على تأخره عن الموافقة ، فأمر به فقتل وقتل معه سنان [الدين] [٥] ابن أرسلان طُغمش زوباشي قونية . ولما قتلهما أوجس في نفسه خيفة من مهذب الدين ومن وافقه ، فتوجه قاصداً أبواب مولانا السلطان ، وكان ذلك يوم الجمعة ثالث عشر صفر ، والناس في الجامع ، فلم يُصَلِّ أحد يومئذ جمعة ، فأدركه الأمير سيف الدين طرنطاي ، فلما رأى السيوف مجردة أنكر عليه فقال شرف الدين : « فات ما فات ، فأشر عليّ بما فيه المصلحة » . فقال : « من الرأي عندي أن أرجع إلى بيتي » . فرجع وتركه ، فلما بلغ مهذب الدين قتل // تاج الدين ورجوع سيف الدين إلى بيته ، بعث ٩٩ ظ إلى سيف الدين يستدعيه إليه ، فأبى فتخيل مهذب الدين أنه مع شرف الدين ، ثم

---

(١) هو ابن كريم الدين قرامان بن نورا صافي مؤسس دولة بني قرمان بجهات أرمناك وقسطموني بجنوبي آسيا الصغرى في أواسط القرن السابع الهجري ، وبعد وفاته سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م خلفه ابنه محمد بن قرامان .
F. Sumer: art. "Ḳaramān Oghullari", EI 2, IV, p 643B-650B

(٢) لفظة « على » : مطموسة في الأصل وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٣) لفظة « السواحل » : مطموسة في الأصل ومستدركة على الهامش الأيسر بقلم مختلف ومذيلة بالعبارتين المشار إليهما في الحاشية رقم ٧ ، ص ١٥٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين من المفضل وابن الدواداري .

(٥) التكملة من اليونيني ٣ : ١٦٨ والمفضل : ٥١ ظ .

بعث شرف الدين إليه ، فلما اجتمع به سأله أن يوفق بينه وبين مهذب الدين ، فعاد سيف الدين إلى مهذب الدين ، وسأله في ذلك فأجاب . وخرج السلطان غياث الدين إلى ظاهر قيصرية ، فنزل بجمال طاسي في عشية النهار المذكور . فلما رآه شرف الدين وضياء الدين ومن معهما ترجّلوا وقبّلوا الأرض بين يديه ، ونادوا في البلد بشعار السلطان الملك الظاهر ، واتفقوا على أن السلطان غياث الدين والعسكر يتوجهوا [١] إلى مدينة بكيدة [٢] يقيموا [١] بها ، ويبعثوا [١] قصاداً إلى السلطان يستوثقوا [١] منه باليمين لغياث الدين وأنفسهم . فاستأذنهم مهذب الدين في أن يدخل قيصرية ليحمل أثقاله ، ثم يخرج إليهم ، فأذنوا له ، فدخل قيصرية وحمل منها أثقاله وحريمه ، ثم خرج منها ليلاً وقصد دوقات [٣] ، فلما تحقّقوا توجهه إلى دوقات ، بعث شرف الدين بن الخطير أخاه ضياء الدين // محمود ومعه سبعة وثلاثين [٤] نفساً من أصحابه ، وبعث الأمير سيف الدين طرنطاي البكلربكي ولده سنان الدين ومعه عشرين [٤] نفساً إلى أبواب مولانا السلطان الملك الظاهر ، وسار شرف الدين وسيف الدين والسلطان غياث الدين إلى بكيدة [٥] وقرروا مع رسلهم أن يحثّوا السلطان الملك الظاهر على المسير إليهم ، بعد أن يستحلفاه على ما تقرر . فلمّا وصلا إلى مولانا السلطان واجتمعا به في حمص ، وأخبراه بما طراشاه [٦] على المسير ، فكان جوابه : « أنتم استعجلتم في المباينة فإنّي كنت قد وعدت معين الدين [البرواناة] ، قبل توجهه إلى الأردو [٧] ، أني في أواخر هذه السنة أطأ البلاد بعساكري ، فإنها بمصر ، وما يمكنني أن أدخل البلاد بمن معي من

١٠٠ و

(١) كذا ؛ والصواب : يتوجهون ، يقيمون ، يبعثون ، يستوثقون .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ١٦٨ ؛ وفي المفضل : ٥٢ و وابن الدواداري : ١٩٣ « مكندة » .

(٣) كذا في اليونيني ٣ : ١٦٩ ؛ وفي المفضل : ٥٢ و وما يليها وابن الدواداري : ١٩٣ « دُوقاق » ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٦٣ « تُوقات » ، وهي مدينة في بلاد الروم ، بينها وبين قيسارية مسيرة أربعة أيام ، وقيل ثلاثة أيام . (راجع : المخطوط : ١١١ و ؛ والمفضل : ٥٦ و) .

(٤) كذا ؛ والصواب : وثلاثون ، عشرون .

(٥) في المفضل : « مكيدة » .

(٦) كذا في الأصل .

(٧) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٦٩ « الأرد » ؛ وفي المفضل : ٥٢ ظ « الأردوا » .

العساكر الآن لقلتها وضعفها ، وأما انفصال مهذب الدين إلى دوقات فنعم ما فعل ، فإنه كان مُطّلعاً على ما بيني وبين والده » . ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم . فلما استقر بهم القرار طلب ضياء الدين أن يجتمع بالسلطان خلوة ، فأجابه . فلما اجتمع به // قال له : « متى لم يقصد مولانا السلطان البلاد في هذا الوقت ، لم نأمنْ على أخي أن يُقْتل ومن معه من الأمراء الذين حلفوا ، وإن كان ولا بد من تربص مولانا السلطان فيبعث إلى البلاد من فيه قوة من عسكره حتى يكونوا درءاً للسلطان ولأخي ، فيتمكنوا من الخروج من البلاد » . فقال لهم : « أرى من المصلحة أن ترجعوا إلى بلادكم ، وتُحَصِّنوا قلاعكم ، وتحتموا بها إلى أن أرجع إلى مصر ، وأربع خيلي ، وأعود في زمن الشتاء ، فإن آبار الشام في هذا الوقت قد غارت ، وقلّتْ مياهها » . ثم استصحبهم معه إلى حلب في العشرين من صفر ، فلما وصل حماة ، استصحب معه صاحبها ، وسار إلى حلب ، فوصل إليها في الخامس والعشرين من صفر ، فلما حلّ بها ، جهز الأمير سيف الدين بلبان الزيني في عسكر ، وبعث به إلى الروم ليحضر السلطان غياث الدين ، وشرف الدين بن الخطير ، وسيف الدين طُرنطاي ، وبقية من حلف له من الأمراء . فلما وصل كينوك [١] ، وهي الحدث الحمراء ، وردت [٢] // القصّاد إليه بعود البرواناة إلى الروم في خدمة منكوتمر وإخوته في ثلاثين ألف فارس ، وكان الأمر راجعاً إلى تناوون ، فكتب إلى السلطان يعرفه بذلك ، فظنّ أن التتر إذا سمعوا أنه في عسكر قليل يقصدونه ، فرحل من حلب إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، ثم عاد الأمير سيف الدين . ولما نزل السلطان حمص ، قدم عليه رسل من صاحب سيس ومعهم هدية ، فقبل الهدية ، ولم يجتمع بالرسل ، وكان دخوله إلى مصر يوم الخميس ثاني عشر شهر ربيع الآخر [٣] .

(هامش: ١٠٠ ظ — ١٠١ و)

---

(١) بلدة من بلاد الروم في آسيا الصغرى ، سماها العرب « الحدث الحمراء » لأن سيف الدولة الحمداني قد بناها من حجر أحمر . وقد أنشد المتنبي ، الشاعر المشهور ، قصيدة في المناسبة ، يمدح فيها سيف الدولة ، مطلعها :

« على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم »

(٢) مكررة في الأصل .

(٣) في اليونيني ٣ : « ثاني عشر ربيع الأول » ؛ وفي ابن الفرات ٧ : ٦٧ ـ ٦٨ « رابع عشر شهر ربيع الأول » .

ذكر هروب شرف الدين بن الخَطِير

قد تقدّم القول بوصول مُعين الدين البرواناة ومَنكوتمر أخي أبغا ومن معهم من العساكر إلى الروم في أوايل شهر ربيع الآخر ، ولما قدموا البلاد أظهر لهم شرف الدين المباينة وعزم على أن يلتقيهم ، فَسفَّه من معه رأيه وقالوا له : « كيف تلتقي بأربعة آلاف [فارس] (١) ثلاثين ألفاً [من المغل] (٢) ؟ » . فعلم أنه مقتول لا محالة ، فقصد // قلعة لؤلؤة ليتحصّن بها ، فلم يُمكّنه واليها أن يدخلها بجماعته بل بمفرده ، فدخل إليها وحده ومعه أمير علمه (٣) ، وكان شرف الدين قد آذاه من مدة تزيد على ست عشرة سنة ، فقال لوالي القلعة : « احتفظ بهذا حتى تسلمه إلى أبغا ليكون لك عنده اليد البيضاء » . فقبض عليه وبعث به إلى البرواناة ، فلما وقع نظره عليه سبّه وبصق في وجهه ، ثم أمر بالإحتياط عليه . ١٠١ ظ

ذكر ما حدث في البلاد الرومية عند وصول التتر إليها

لما عاد معين الدين البرواناة ـ كما قلنا ـ بمن معه من العساكر التترية والمقدمين ، جلس تتاوون مقدم العساكر وكَراي وتُقو (٤) والبرواناة في الإيوان مجلساً جامعاً ، وأحضروا السلطان غياث الدين ومن وافقه على الإنقياد إلى طاعة السلطان الملك الظاهر من الأمراء ، وقالوا له : « ما حملك على ما فعلت من خلعك لطاعة أبغا وركونك إلى صاحب مصر ؟ // * فقال : « أنا صبيّ وما علمت الصواب حتى أتبعه ، ولما رأيت أكابر دولتي قد فعلوا ذلك خفت أن يسلّموني إذ أنا لم أوافقهم » . فنهض معين الدين إلى شجاع الدين ١٠٢ و

(١) و (٢) ما بين الحاصرتين من المفضل : ٥٣ و .

(٣) أمير علم (العلم هنا بمعنى الراية) ، فيكون هذا الأمير مسؤولاً عن حمل راية السلطان أو الأمير . (القلقشندي ٥ : ٤٥٦) .

(٤) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٧١ والمفضل : ٥٣ ظ « تقوا » .

(*) إشارة إلى بدء « الثاني عشر من الجزء الثاني » .

قايباً الخصي اللّالا [١] فقتله بيده ، ثم أحضروا سيف الدين طرنطاي ومجد الدين أتابك [٢] وجلال الدين المستوفي ، وسألوهم عن سبب انقيادهم إلى صاحب مصر وخلعهم طاعة أبغا ، فقالوا : « شرف الدين أمرنا بذلك ، وخفنا إن نحن لم نجبه فعل بنا كما فعل بتاج الدين [كيوي] » . فأحضروا شرف الدين ، وسأله البرواناة عن ذلك ، فقال له : « أنت الذي حرّضتني على ذلك » ، وذكر له المكاتبات التي كاتب بها الملك الظاهر ، واتفاقه معه إلى ذلك التاريخ الذي عزم شرف الدين على قصده السلطان فيه . فأنكر ما ادعاه عليه ، فكتبوا ما قاله شرف الدين وإنكار البرواناة . ثم سألوا شرف الدين عن الأمير سيف الدين طرنطاي ، وعن مجد الدين الأتابك ختن البرواناة هل كانا موافقين لك على الإنقياد إلى الملك // الظاهر ، فأنكر وقال : « أنا ١٠٢ ظ كلّفتهم [٣] ذلك وألزمتهم [٣] بإرسال الرسل إليه » . فأمر تتاوون بضربه بالسياط على أن يقرّ بمن كان معه ، فأقر على نور الدين بن جيجا [٤] ، وسيف الدين بن قلاوز [٥] ، وعلم الدين سنجر الجمدار [٦] وغيرهم . فلما تحقق البرواناة أنه يقتل بإقرار شرف الدين عليه ، بعث إليه يقول له : « متى قتلوني لم يبقوك بعدي ، [فاعمل] [٧] على خلاص نفسك وخلاصي بحيث أنك إذا أُحضرتَ مرة ثانية وضُربت وسُئلت عن الحال فارجع عما قلته ، واعتذر بأنك لما آلمك الضرب قلت ما لم يكن » . فلما أُحضر وضُرب ، وسُئل ، قال ما أمره به البرواناة ، فبُعث إلى أبغا وعُرّف ما اتفق لشرف الدين

---

(١) وفي اليونيني ٣ : ١٧١ « شجاع الدين قاسا الحصني اللالاء » ؛ وفي المفضل : ٥٣ ظ « شجاع الدين قابيا الحصني الالا » .

(٢) المقصود الأتابك وهو « الأب الأمير » أو « أبو الأمير » ؛ القلقشندي ٤ : ١٨ ، ٦ : ٥ - ٦ و ٢٠٨ .

(٣) كذا ؛ والصواب : كلفتهما ... وألزمتهما .

(٤) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٧٢ والمفضل : ٥٤ و وابن الدواداري « ججا » ؛ وفي ابن عبد الظاهر ٤٦٢ والحنبلي ، نزهة الناظرين : ٨٣ ظ « جاجا » .

(٥) كذا ؛ وفي اليونيني والمفضل وابن الدواداري « سيف الدين قلاووز » .

(٦) في المفضل وابن الدواداري « الجمقدار » . والجمدار ، كلمة فارسية مؤلفة من لفظتين (جاما ودار معناهما ممسك الثوب) وهو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ويحمل خلفه البقجة في الموكب . (القلقشندي ٥ : ٤٥٩ . راجع أيضاً المخطوط : ١٧١ و) .

(٧) ساقطة من الأصل ، وما أثبت من المفضل : ١٧١ و وابن الدواداري : ١٩٦ .

من إقراره وإنكاره . ثم رسم بأن يضرب كلَّ يومماية سوط إلى أن يعود الجواب ، فعاد الجواب بقتله ، في أواخر شهر ربيع الآخر ، فقُتل ، وبُعث برأسه إلى قونية ، وإحدى يديه إلى أنكورية [١] ، والأخرى إلى أرزنجان ، وفرقوا أعضاءه في ساير البلاد التي ١٠٣ و للروم ، وقتل معه سيف الدين بن قلاوز // وعلم الدين سنجر أمير جاندار [٢] ، والأمير شرف الدين محمد قاتل شمس الدين الأصبهاني [٣] نايب الروم ، وجماعة كثيرة من التركمان ، وأثبتوا ذنباً على سيف الدين طُرنطاي ففدى نفسه بمائتي فرس وأربعماية ألف درهم لأبغا ، وأقام بألف نثري من المغل زمن الشتاء ، وصانع جماعة من أمراء المغل حتى أبقوا عليه حشاشة نفسه . ثم خرج البرواناة إلى البلاد ، فطاف بها بعسكر ، وقتل من قتل [٤] في ضواحيها من المفسدين .

ذكر قبض مولانا السلطان على جماعة من الروم

لما قتل شرف الدين اتصل خبره بأخيه ضياء الدين محمود ، وهو إذ ذاك في حرم السلطان الملك الظاهر في القاهرة ، فدخل عليه في ثوب غيار ، فسأله عن سبب ذلك ، فذكر أن أخاه قتل . وكان السبب في قتله أنه شهد عليه بمتابعة السلطان ومبايعته ، ومنابذة أبغا ، ومباينته الأمير سيف الدين طرنطاي ومجد الدين الأتابك ، ختن // ١٠٣ ظ البرواناة ، وجلال الدين المستوفي وأصحابهم . فأمر السلطان بالقبض على سنان الدين

---

(١) مدينة في بلاد الروم من الإقليم الخامس حيث الطول ٥٤ درجة والعرض ٤١ درجة وهي واقعة بين الجبال ، ويقال لها أيضاً « أنقرة » (الحميري : ٣١ ــ ٣٢ ، القلقشندي ٥ : ٣٥٣ ــ ٣٥٤) ، وهي العاصمة الحالية للجمهورية التركية .

(٢) ورد في الورقة ١٠٢ ظ « الجمدار » ؛ وفي المفضل : ٥٤ و ؛ وابن الدواداري : ١٩٦ « الجمقدار » وأمير جاندار هو لقب فارسي (الأمير الممسك لروح السلطان أو الأمير ، لا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يأمن عاقبته) ولهذا الأمير مهام أخرى كتقديم البريد للسلطان أو للأمير وتسلم الزدخاناة .. إلخ . (القلقشندي ٥ : ٤٦١ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٢٢) .

(٣) كذا في اليونيني : ١٧٣ ؛ وفي المفضل : ٥٤ و وابن الدواداري : ١٩٦ « شريف الدين محمد الأصبهاني » .

(٤) في اليونيني ٣ : ١٧٣ « وجد » .

موسى بن طرنطاي ، ونظام الدين يوسف أخي مجد الدين الأتابك ، والحاجي أخي جلال الدين المستوفي ، وحبسهم في بعض أبراج القلعة ، وحبس أتباعهم في خزانة البنود ، وذلك في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى . ولم يزالوا محبوسين إلى شهر ربيع الآخر من سنة سبع وسبعين [وستمائة] (١) فأفرج عنهم الملك السعيد بحكم وفاة أبيه ــ رحمه الله تعالى ــ .

ذكر حرب جرت بين أبي نُميّ وجَمّاز

فيها في التاسع عشر (٢) من شهر ربيع الآخر كانت الوقعة بين نجم الدين أبي نُمَيّ (٣) [صاحب مكة] (٤) وبين جَمَّاز (٥) ، صاحب المدينة ــ صلوات الله على ساكنها ــ . وكان السبب فيها أن إدريس بن حسن بن قتادة ، صاحب الينبع (٦) ، اتفق هو وجمَّاز ، وقصد نجم الدين أبا نُميّ ، فخرج // إليهما والتقى بهما [على] (٧) مَرّ الظَّهرانْ (٨) فكسرهما ، وأسر إدريس بن حسن ، وهرب جَمَّاز إلى المدينة ، وكان ١٠٤ و

(١) ساقطة في الأصل والتكملة من اليونيني ٣ : ١٧٣ .

(٢) في المصدر نفسه : « تاسع » .

(٣) السيد الشريف نجم الدين أبو نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي الحسني ، صاحب مكة . كان أمير الحجاز لأربعين سنة تقريباً . توفي في ٤ صفر سنة ٧٠١ هـ / ٩ تشرين الأول ١٣٠١ م . (اليونيني ٢٩٠٧/٣ : الورقة ٢٣٧) .

(٤) ساقطة في الأصل والتكملة من اليونيني .

(٥) الأمير جَمَّاز بن شحنة بن المهنا الحسني . توفي بالمدينة المنورة سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م ، ودفن بقبة العباس بن عبد المطلب . (المصدر نفسه ٢٩٠٧/٤ : ٣٩ ظ) .

(٦) مدينة ساحلية من الحجاز على تسعة برد من المدينة في طريق مكة . (ابن كثير ١٤ : ٢٧ ؛ الحميري : ٦٢١) .

(٧) ساقطة في الأصل ، وما أضيف من اليونيني ٣ : ١٧٤ .

(٨) بفتح أوله ، موضع بينه وبين البيت الحرام ستة عشر ميلاً . (الحميري : ٥٣١ ــ ٥٣٢) .

عدة من مع أبي نُميّ مائتي فارس وماية وثمانين راجلاً ، ومع إدريس وجَمَّاز مايتي [١] وخمسة عشر فارساً وستماية راجلاً [٢] .

ذكر عُرس مولانا السلطان الملك السَّعيد

لما قفل مولانا السلطان من الشام ، [و] دخل القاهرة يوم الإثنين ثالث شهر ربيع الآخر ، أمر بالاهتمام بالعرس لولده السلطان الملك السَّعيد . فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الأولى ، أمر السلطان ، الملك الظاهر ، العسكر المنصور أن يركب إلى الميدان الأسود ، الذي تحت القلعة ، في أبهى أثاث وزيّ ، وأشهى لباسٍ وزيٍّ ، وأوفر عَدَد وأنمى عُدَد . وتارة يركبون من الخيول أسبقها ، ويلزمون من الشكول أليقها ، ويجرّون من الصعاد أفاعياً ، وينتضون البروق // مَواضِيا ، ويلبسون على الأجساد جواشن كالغُدران جَعَّدها النسيم ، ويتوّجون المفارق ببيض تلمع في النقع لمعَ البرق في الليل البهيم ، وتارة يلبسون من مُوشّى الدمقس ما يربى على قوس قُزح من التلوين ، ويفوق ريش الطواويس في حُسْن التكوين ، فحسنوا في القلب والعين مخبراً ومنظراً ، ورأت منهم الأولياء والأعداء ظباءَ كناسٍ وأسودَ شرى ، وكانوا زهاء ألفي مملوك ، ذكر أن قيمة كل خوذة مما لبَّسه السلطان لمماليكه ، من ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم ، هذا قيمة الخوذ خارجاً عن الجواشن . وأقاموا يركبون كلَّ يوم كذلك ويتراكضون في الميدان خمسة أيام . فلما كان اليوم السادس ، افترق الجيش فرقتين ، وحملت كل فرقة على الأخرى بحيث أن قتل في تصادم الخيل فارس ، وكسرت رجل آخر ، وتهشم كثير من الناس . ثم لما كان يوم الثلاثاء [٣] وهو السابع خلع على ساير الأمراء والوزراء والقضاة // والكتّاب والأطباء وخواص الحاشية ، الأمثل فالأمثل ، مقدار ألف وثلثماية خلعة ، وبعث إلى دمشق الخلع ، ففرّقت فيمن فرق عليه بالقاهرة ،

(١٠٤ ظ) (١٠٥ و)

(١) كذا ؛ وصوابه : مائتين (أو مائتان) .

(٢) كذا ؛ وصوابه : راجل .

(٣) مصححة على الهامش بالخط نفسه « الأربعا » .

ولم يرجع أحد من الجند إلى بيته منذ خرج إلى الميدان ، حتى انقضت السبعة أيام . وفي يوم الخميس مدّ الخوان في الميدان المذكور ، في أربع دهاليز السلطان ، وجمع لهذا الصنيع جميع ما في القلعة والمِصْرين من قدور الطبيخ ، وأكل من هذا الطعام من علا ومن دنا ، ونِيْل بالتمكن منه غاية المنى ، وحضر السماط من كان في خدمة السلطان ، من رسل الملوك ، وهم رسل منكوتمر ورسل الفرنج ، وخلع عليهم فيمن خلع عليه . وجلس مولانا السلطان يومئذ في صدر الخيمة على تخت أبنوس وعاج مصفّح بالذهب مسمَّر بالفضة ، أنفق على عمله ألف دينار . ولما انقضى وأكل الناس على طبقاتهم ، قدم الأمراء للسلطان الهدايا والتحف ، ما يليق بمثله من الخيل والسلاح والمتاع وساير // الملابس ، فلم يقبل لأحد منهم ما له قيمة ، سوى ثوب واحد جبراً له . فلما كان العصر ركب إلى القلعة ، وأخذ في تجهيز ما يليق بالزفاف والدخول ، ولم يمكن أحداً من نساء الأمراء من الدخول إلى البيوت ، ولا أحداً من حاشية حموه ، ولا من حاشية الأمير بدر الدين الخزندار ، بل دخل مع الملك السَّعيد الحمام ، ثم دخل به إلى بيته الذي هُيِّء لدخوله فيه بأهله ، وكانت قد حُملت [الجارية] (١) إليه فدخل عليها ، وكان هو الماشطة له .

١٠٥ ظ

ـ فصل ـ

وكل ما صرفه السلطان في هذا المهمّ ، مما يليق بالجند السلطانية ، من العدد على اختلاف أنواعها ، وما تزهو به البيوت من الفرش والآلات التي تأنقت فيها أيدي صناعها ، وما أنعم به من الخلع التي شرّفت بها الأعيان والأماثل ، وما فرق من الصلات التي شكرتها ألسن المحافل والجحافل ، وما صنع من الطعام الذي لآكله الشبع والشرف ، وما سال به وادي الجود حتى ظُنَّ بأتيّه السرف ، من اهتمام // وزيره الذي عين عزمه فيما يُؤمِّل مجده ساهرة ، وَيدُ حَزْمِهِ ممتدة لنيل ما لم تزلْ يد غيره عنه قاصرة ، وَهِمَّتُهُ

١٠٦ و

(١) التكملة من اليونيني ٣ : ١٧٥ .

التي تُستصغر في جنبها هِمَمُ الملوك الصِيد ، وهَمَّتُهُ التي تضاهي في مضيّها عضباً أُتيحَ له قَطْعُ الجِيْد ، ونيّته التي أعملت الفِكر في هذا الصَّنيع الذي لا يوقف على تحديده ، وقصده الذي ضمن لما يَبلى من الذكر (الجميل) [١] بتجديده .

ذكر بروز مولانا السلطان للأهرام

فيها ، في سلخ جمادى الآخرة ، برز السلطان الملك الظاهر للفرجة ، وأقام بها في خواصه وحاشيته وأعيان أمرائه ، إلى العشر الأخر من شعبان ، فخلع على من كان في صحبته خلعاً سنّية ، وأنعم عليهم بالعطايا الهنيّة ، ثم انتقل إلى بهتيم ، وأقام بها إلى سلخ شعبان ، ثم دخل القاهرة .

ذكر وفود الملك المنصور صاحب حماة //

١٠٦ ظ لما بلغ الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة تعريس السلطان الملك السَّعيد ، أعمل السير إلى القاهرة مهنياً له بذلك ، ومعه هدية سنيّة ، فوصل إليها في الثامن عشر من جمادى الآخرة ، فركب السلطان الملك السَّعيد إلى لقائه ، ونزل [الملك المنصور] في الكبش المطل على بركة الفيل ، وأقام مدة يسيرة ريثما استراح ، ثم عاد [إلى بلده] [٢] .

ذكر وصول رسولٍ من ملك الكُرْج إلى مولانا السلطان الملك الظاهر

كان قد قدم القدس لزيارته رجل من أهل داود ملك الكُرْج متنكّراً ، وكان وصوله إليه من عكا ، فاطلع السلطان الملك الظاهر على ذلك ، وهو بالشام ، فأمر بالقبض عليه وعلى من معه ، فلما مثلوا بين يديه أنعم عليهم ، وتقدم بإكرامهم

---

(١) ساقطة في متن الأصل ومستدركة على الهامش بالخط نفسه .

(٢) التكملة من اليونيني ٣ : ١٧٥ .

وتجهيزهم ، فلما توجهوا ووصلوا إلى داود ذكروا له ما اتفق ، فبعث رسولاً إلى السلطان
١٠٧ و يشكره على صنيعه الحسن // ومعه هدية سنية ، فقبلها وخلع على الرسول وأعاده .

ذكر قتل مَرْحَسْيَا المقيم بأَرْزَنْجان

قد قدمنا أن مَرْحَسْيا النصراني هذا كان أثيراً عند أبغا ، وكانت دالّته وتمكنه منه تحمله على المسلمين بما يسيء بهم عنده ، ويذكر له من بواطنهم فيه ما يغريه بهم ويلفت وجهه عنهم ، ويرغبه في الإيقاع بهم ، حتى ضاقوا به ذرعاً ، لا سيما معين الدين البرواناة ، فلما قوي جأش معين الدين بالسلطان الملك الظاهر ، وتيقن أنه إن قتل مرحسيا لا يصل إليه تَعْنيفُ أبغا على قتله ، إلا وجيوش السلطان الملك الظاهر قد وافته وحمته منه ، فكتب إلى قطب الدين محمود أخي أتابك [1] مجد الدين ختن البرواناة ، وكان نايباً عن أخيه بأَرْزَنْجان ، يأمره بقتل مرحسيا القسيس ، فقتله وولده جنس وسبعة أنفر من أهله واثنين وثلاثين من حاشيته ، وذلك في الخامس والعشرين من شهر
١٠٧ ظ رمضان ، وكان مرحسيا هذا كثير العصبية // على المسلمين ، عضداً لأهل ملّته ، محرّضاً للملوك النصرانية المتاخمين لبلاد الروم والمجاورين لها على موافقة التتر من قصد بلاد المسلمين واجتماع الكلمة عليهم ، وجدّد الله عليه ما لقي . //

١٠٨ و ذكر توجُّه مولانا السلطان إلى الروم بالعساكر المنصورة

فيها برز السلطان الملك الظاهر إلى بركة الجب ، ظاهر القاهرة ، يوم الخميس العشرين من شهر رمضان المعظم ، بعد أن رتّب الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني أستاذ الدار نايباً عنه في خدمة ولده السلطان الملك السعيد ـ أعزَّ الله أنصاره ـ وترك معه من العسكر بالقاهرة لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس ، واستصحب في ركابه الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب المرحوم فخر الدين محمد بن المولى الصاحب

(١) المقصود : الأتابك .

الوزير بهاء الدين علي بن محمد وزيراً للصحبة [(١)] وجميع كُتّاب الإنشاء ، خلا طايفة يسيرة منهم ، وفوّض يومئذ للقاضي الأجل عز الدين بن شكر [(٢)] النظر في ديوان الجيش [(٣)] ، وللقاضي شمس الدين الأرمنتي [(٤)] شاهداً في الديوان ، واستصحبهما معه ، ثم رحل على بركة الله ويُمنه ، من البركة يوم السبت الثاني والعشرين [(٥)] من الشهر ، وسار إلى دمشق // فدخلها يوم الأربعاء سابع عشر شوال ، وخرج منها متوجهاً ١٠٨ ظ إلى حلب يوم السبت العشرين منه ، فلما اجتاز حمص وعبر على قلعتها من غربيّها ، فرأى السفح متهدماً ، فرسم بعمارته ، فشُرِع من عمارته ، وتُمّم في أيام ولده السلطان الملك السّعيد . ثم سار فدخل يوم الأربعاء مستهل [(٦)] ذي القعدة ، وخرج منها ، في يوم الخميس [ثاني ذي القعدة] [(٧)] إلى حَيْلان [(٨)] ، فترك فيها بعض الثَّقَل ، وتقدَّم إلى الأمير نور الدين علي بن مجليّ [(٩)] ، النايب عنه بحلب ، أن يتوجه إلى الساجور [(١٠)] ويقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب ، ليحفظ معابر الفرات ، لئلا يعبر منها أحد من التتر قاصداً الشام . ووصل إلى الأمير نور الدين علي بن مجليّ الأمير شرف الدين

(١) صاحب هذا المنصب يرافق السلطان في أسفاره وحروبه ويقوم مقام الوزير الأصيل كي يتسنى لهذا الأخير أن يقيم في القاهرة حيث مقر عمله . Quatremère, op. cit., 1, 2, p. 139, n. 171

(٢) عز الدين إبراهيم بن مقدم بن أحمد بن شكر . توفي سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م . (النويري : ١٣١ و) .

(٣) وظيفة جليلة يكون صاحبها متحدثاً في أمر الإقطاعات في الديار المصرية والشامية والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان وأخذ خطه عليها . (القلقشندي ٤ : ٣٠ ـ ٣١) .

(٤) نسبة إلى أرْمَنت ، بالفتح والسكون وفتح الميم ، وهي مدينة بصعيد مصر على مرحلتين من أسوان . (ياقوت ١ : ١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٥) كذا في اليونيني ٣ : ١٧٥ والمفضل : ٥٤ ظ والمقريزي ١/٢ : ٦٢٧ ، بينما ورد في ابن فضل الله العمري ٢٧ : ٣٣٩ « خامس عشر » .

(٦) كذا في اليونيني ٣ : ١٧٥ والمقريزي ١/٢ : ٦٢٧ وما يستفاد من ابن عبد الظاهر : ٤٥٦ ؛ وفي المفضل : ٥٤ ظ « عاشر ذي القعدة » .

(٧) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر : ٤٥٦ .

(٨) قرية من حلب . (ياقوت ٢ : ٣٨٢) .

(٩) كذا في اليونيني وابن الدواداري : ١٩٨ ؛ وهو في المفضل « محلّي » .

(١٠) اسم نهر بمنبج (ياقوت ٣ : ١٧٠) .

عيسى بن مهنّا ، فبلغ نواب التتر بالعراق نزولهم على الفرات ، فجهزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكبسهم ، فحشدوا وتوجهوا نحوهم ، فاتصل بالأمير نور الدين الخبر فركب إليهم والتقى بهم ، فكسرهم ، وأخذ منهم ألفاً ومايتي جملاً [١] ، ورحل
١٠٩ و مولانا السلطان من حيلان يوم الجمعة ثالث الشهر إلى // عين تاب ، ثم إلى دلوك [٢] ثم إلى مرج الدِيباج [٣] ، ثم إلى كَيْنُوك ، وهي الحدث الحمراء المذكورة في شعر أبي الطيب المتنبي ، ثم رحل منها إلى كوكصو [٤] وهو النهر الأزرق الذي وصل إليه السلطان الملك [الظاهر] [٥] ، وعاد عنه لما أراد قصد الروم ، ثم رحل عنه إلى أقجادربند [٦] ، فوصله يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة ، فقطعه في نصف نهار . فلما خرج منه انتشرت عساكره فسدّت الفضاء وملكت المفاوز ، ومن حينئذ قدّم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر على جماعة من العسكر ، وأمره بالمسير بين يديه ، فوقع على كتيبة للتتر عدّتها ثلاثة آلاف فارس ، مقدّمهم كراي ، فهزمهم وأسر منهم طايفة ، وذلك يوم الخميس تاسع الشهر ، ثم وردت الأخبار على السلطان الملك الظاهر ، بأن عسكر المغل والروم ، مع تتاوون والبرواناة ، على مقربة من العسكر ، وأنهم نازلون على نهر جيحان [٧] . فلما توقّل العسكر المنصور الجبال ، أشرف على صحراء [٨] البُلُستين ،

(١) كذا ؛ والصواب : جمل .

(٢) (بضم أوله) ، بلدة من أعمال حلب بين حلب وانطاكية . (ياقوت ٤ : ١٧٦ ، الدمشقي : ٢٠٥) .

(٣) واد بين الجبال في ناحية المصيصة . (اليونيني ٣ : ١٧٦) .

(٤) ترجمه E. Blochet (Histoire des sultans Mamlouks, p. 422, n. 6, Patrologia Orientalis XIV, II) إلى "Gueuk Souk"

ويجد القارئ عند ابن عبد الظاهر (ص ٤٥٧) وصفاً حياً لهذا النهر والطريقة التي اعتُمدت في عبوره ، إذ أن المؤرخ كان مرافقاً للسلطان في حملته على بلاد الروم .

(٥) ساقطة في الأصل .

(٦) كذا في ابن عبد الظاهر : ٤٥٨ واليونيني ٣ : ١٧٦ ؛ وفي المفضل : ٥٥ و وابن الدواداري : ١٩٨ . « أقشادربند » . وفي هذا الإطار يمكن مراجعة : E. Blochet, op. cit., p. 422, n. 7.

(٧) كذا في اليونيني ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٥٨ « جهان وجيجان » ؛ وفي المفضل : ٥٥ و « صيحان » . والحقيقة أن هذا النهر يسمى جيحان (جهان أيضاً) ، "Jaihan" ou "Jâhân" يخرج من بلاد الروم ماراً بالمصيصة ويصب في البحر الأبيض المتوسط .
Demombynes, op. cit., p. 18-19.

(٨) وهي صحراء هوتي أو هوني . (راجع المخطوط : ١٧٣ ظ والمقريزي ١/٢ : ٦٢٨) .

فشاهد التتر قد رتّبوا عسكرهم أحد عشر طُلباً [١] ، في كل طُلبٍ ألف فـارس // ،
١٠٩ ظ وعزلوا عسكر الروم عنهم ، خوفاً أن يكون لهم مع السلطان الملك الظاهر باطن عليهم ، وجعلوا عسكر الكُرْج طُلباً واحداً ، فلما تراءى الجمعان حملت ميسرة التتر حملة واحدة ، فصدموا سنجقيّة [٢] السلطان ، ودخلت منهم طايفة بينهم وشقّوها ، وساقت إلى الميمنة . فلما رآهم السلطان ردفهم بنفسه ، ثم لاحت منه التفاقة ، فرأى الميسرة قد أنحت عليها ميمنة التتر ، فكادت أن تتفلّل [٣] ، فأمر جماعة من حُماة أصحابه وكُماتهم بإردافها [٤] . ثم حمل فحملت العساكر برمتها حملة رجل واحد ، معتمد على الله لا على يد وساعد . فلما رأت التتر أن لا ملجأ لهم من القتل والأسر ، ولا منجا عن القهر والقسر ، نزلوا عن [٥] خيولهم ، وقاتلوا فلم يُغنِ ذلك شيئاً ، وأنزل الله بأسه بهم ، فقتلوا وفرّ من نجا منهم ، فاعتصم بالجبال ، فطلبوا وقصدوا ، فلما رأوا العساكر محيطة بهم ، نزلوا عن خيولهم وقاتلوا فقتلوا ، وقتل حينئذ ممن قاتلهم الأمير
١١٠ و ضياء الدين محمود بن الخطير . ولما أحاط الله بهم دايرة القتل والفتك ، // لم ينج منهم إلا من ضنّ بنفسه عن الفوات ، ودرأ عنها كأس الموت ، فغدا طريداً للعوام ، جريحاً بسيوف الملام . واستشهد من أمراء العسكر المنصور ، الأمير شرف الدين قيران

---

(١) طلب (بضم الأول والثاني) جمعه أطلاب ، لفظ كردي ، معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس في ساحة المعركة . وأول ما استعمل هذا اللفظ في الديار المصرية والشامية ، أيام صلاح الدين الكبير ، ثم عدّل مدلوله فصار يطلق على الكتيبة من الجيش . (Bataillon).
Dozy: Suppl. Dict. Ar., II, p. 51.

(٢) بفتح الأول ومنها سنجق ومعناه الرمح . والمراد هنا الفرسان المكلفون حمل رايات السلطان (الأعلام) في أعلى الرماح ، ومهمتهم رفع معنويات العسكر ويكونون عادة في الوسط . (القلقشندي ٥ : ٤٥٨ ؛ E. Blochet, op. cit., p. 424, n. 1) .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٧٧ « تثقل » ؛ وفي المفضل ٥٥ ظ وابن الدواداري : ١٩٩ « تتأخر » .

(٤) كذا في اليونيني ؛ وفي المفضل « فأمر صاحب حماة أصحابه وكماته بإردافها » ووافق ابن الدواداري ما جاء عند المفضل .

(٥) لفظة « عن » : مكررة في الأصل .

العلّاني [١] [أحد مقدمي الحلقة] [٢] والأمير عز الدين أخو الأمير جمال الديـن المحمدي [٣] ، ومن المماليك السلطانية [٤] سيف الدين قليجُق [٥] الجاشنكير ، وعز الدين أيبك الشقيني [٦] . وأسر من كبراء الروميين مهذب الدين بن معين الدين البرواناة ، وينعت بكلاربكي ، يعني أمير الأمراء ، وابن بنت معين الدين [ولد خواجا يونس] [٧] والأمير نور الدين جبريل بن جاجا [٨] ، والأمير قطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابك ، والأمير سراج الدين إسماعيل بـن جاجا [٩] ، والأمير سيف الدين سنقرجاه الزُوباشي ، والأمير نُصرة الدين بَهْمَن أخو تاج الدين كيوي صاحب سيواس [١٠] ، والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش ، والأمير حسام الدين كياوُك [١١] ، والأمير سيف الدين بن الجاويش ، والأمير شهاب الدين غازي بن علي شير التركماني . // ومن مُقدّمي التتر على الألوف والمئين : زِيرك [١٢] صهر أبغا وسرطق [قرابته] [١٣] وحبرْكر [١٤] وسَركده [١٥] وتُماديه وتتاوون . ١١٠ ظ

(١) كذا في الأصل واليونيني وابن عبد الظاهر : ٤٦٠ ، وفي المفضـل : ٥٥ ظ والمقريـزي ١/٢ : ٦٢٩ وترجمة E. Blochet « العلائي » "al-ʿAlayyi" .

(٢) التكملة من ابن عبد الظاهر .

(٣) كذا في الأصل وابن عبد الظاهر والمفضل ؛ وفي اليونيني « المجدي » .

(٤) كان لهم شأن عظيم عند السلطان ويشكلون وأجناد الحلقة فئة الأجناد . (القلقشندي ٤ : ١٥ ــ ١٦) .

(٥) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٧٧ « قلعق » وفي المفضل : ٥٥ ظ وابن الدواداري : ١٩٩ « قليج » ، ورسم في المقريزي ١/٢ : « قفجاق » .

(٦) كذا في الأصل واليونيني ، وفي المفضل : « السنقري » ، وفي ابن الدواداري : « السقسيني » .

(٧) التكملة من ابن عبد الظاهر : ٤٦٢ .

(٨) و (٩) كـذا في الأصـل وابن عبـد الظاهـر ، وفي اليـونيـني ٣ : ١٧٧ والمفضـل : ٥٦ و وتـرجمـة E. Blochet « خاجا » "Khadja" .

(١٠) كذا في جميع المصادر التي تحت أيدينا . باستثناء ابن عبد الظاهر حيث ورد فيه بصورة « سويس »

(١١) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني « كاول » وفي ابن عبد الظاهر « نولناول » ؛ وفي ابن الـدواداري : ٢٠٠ « كيكاوك » .

(١٢) كذا في الأصل واليونيني والمفضل والحنبلي : ٨٣ ظ بينما في ابن عبد الظاهر : « يربزك » .

(١٣) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر .

(١٤) كذا في الأصل واليونيني ؛ وفي ابن عبد الظاهر « جركر » ؛ وفي المفضل « حركر » ؛ وفي الحنبلي « جُوديه » .

(١٥) كذا في الأصل واليونيني ؛ وفي ابن عبد الظاهر « سردلر » وفي المفضل « شركده » ، وفي الحنبلي « سردكيه » .

ذكر فرار معين الدين البرواناة وتوجهه إلى قيصرية مخرجاً السلطان غياث الدين منها

لما دارت رحى الحرب على عسكر التتر والروم ، وقتل من قتل وأسر من أسر ، نجا معين الدين برأس طمرّة وَلجام ، يقطع المفاوز والآجام ، حتى دخل قيصريّة ، في سحر يوم الأحد ثاني عشر ذي الحجة ، واجتمع بالسلطان غياث الدين ، والصاحب فخر الدين ، والأتابك مجد الدين ، والأمير جلال الدين المستوفي ، والأمير بدر الدين ميكاييل النايب ، [والطغرائي وهو ولد أخي البرواناة] (١) ، فأخبرهم بأن عسكر الملك الظاهر التقى بعسكرهم ، فتقسم بالطعن والضرب ، بين قتيل وأسير ومنهزم ، وأوحى إليهم أن المغل المنهزمين متى دخلوا قيصرية ، فتكوا بمن فيها ، حنقاً على المسلمين ، وأشار عليهم بسرعة الخروج منها ، وأنذر نفوسهم // عذاباً قريباً لا محيد عنها . فخرج السلطان غياث الدين بأهله وماله ، وتوجهوا إلى دوقات ، وبينها وبين قيصرية أربعة (٢) أيام . ١١١ و

ـ الذين حضروا تحت المواعيد الجميلة من الإحسان ـ

وذلك بعد الوقعة ، وهم : الأمير سيف الدين جاليش بن إسحاق [النائب بالروم ، وهو ذو نباهة ، وهو أميردار يعني أمير للعدل عن المظالم] (٣) [و] الأمير ظهير الدين متوّج ، شرف الملك (٤) ، [ومرتبته دون الوزارة] (٥) ، [و] الأمير نظام الدين [أوحد] (٦) بن شرف الدين بن الخطير [وإخوته ، وقاضي القضاة بالروم حسام الدين] (٧) ، وولد الأمير ضياء الدين وأخوه ، والأمير سيف الدين بلبان المعروف

(١) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر : ٤٦٣ .
(٢) كذا في اليونيني ٣ : ٧٨ ؛ وفي المفضل : ٥٦ و « ثلاثة » .
(٣) الزيادة من ابن عبد الظاهر . ٤٦٢ والحنبلي : ٨٣ ظ .
(٤) كذا في اليونيني ٣ : ١٨٠ . وفي ابن عبد الظاهر والحنبلي « مشرف الممالك » .
(٥) الزيادة من ابن عبد الظاهر .
(٦) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر والحنبلي .
(٧) ما بين الحاصرتين من المصدرين نفسيهما .

بكجكنا [١] [الجاشنكير] [٢] ، والأمير سيف الدين شاهنشاه ، والأمير مظفَّر الدين جحّافي [٣] ، ونُصرة الدين بن جاليش عارض مَلطية ، [ونور الدين المنجنيقي ، وأولاد رشيد الدين ، صاحب ملطية كمال الدين وإخوته ، وأمير علي صاحب كركر ، وأكثر هؤلاء أحضروا بيوتهم وأولادهم] [٤] .

ـ ذكر توجه مولانا السلطان الملك الظاهر [٥] إلى قيصريَّة ـ

١١١ ظ لما ظفر بأعدائه ، ونال منهم بغية سُويدائه ، جرد الأمير // شمس الدين سنقر الأشقر في جماعة لإدراك من فات من المغل ، والتوجه إلى قيصريَّة ، وكتب معه كتاباً بتأمين أهلها ، وإخراج الأسواق ، والتعامل بالدراهم الظاهرية [٦] . ثم رحل مولانا السلطان بكرة يوم السبت حادي عشر ذي القعدة قاصداً قيصرية ، فمر في طريقه بقرية أهل الكهف ، ثم على قلعة سَمَنْدو [٧] ، فنزل إليه واليها ومتسلّمها مذعناً لطاعته ، فشكر له ذلك ، ثم على قلعة دَرَندا [٨] ، وقلعة دَوالو [٩] ، ففعل من فيها كما فعل

(١) كذا في اليونيني ٣ : ١٨٠ والحنبلي : ٨٣ ظ ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٦٢ « كحلماء » .

(٢) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر والحنبلي .

(٣) كذا في اليونيني ؛ وفي المصدرين نفسيهما « جحاف » .

(٤) الزيادة من ابن عبد الظاهر والحنبلي .

(٥) في الأصل « ذكر توجه مولانا السلطان غياث الدين إلى قيصريَّة » وما أثبتناه بقتضيه السياق .

(٦) ورد في المقريزي (النقود : ٣٠ ـ ٣١) أن الملك الظاهر قد ضرب دراهم عرفت باسمه ، وجعلها كل مئة درهم من سبعين درهماً فضة خالصة وثلاثين نحاساً ، وجعل رنكه على الدرهم ، وهو صورة سبع . ويشير مبارك (الخطط التوفيقية ٢٠ : ٤٠ و ١٤٧) إلى أن الفرنسيين قد حرروا عيار الدرهم الظاهري سنة ١٢١٣ م فوجدوا قيمته تساوي ٤٧,٢٠ سنتيم من الفرنك الفرنسي (47,20 Centimes) .

(٧) كذا في اليونيني ٣ : ١٨١ وابن عبد الظاهر : ٤٦٤ ؛ وفي المفصل : ٥٦ ظ وابن الدواداري : ٢٠١ «سمند» . وهذه القلعة تقع في وسط بلاد الروم غزاها سيف الدولة الحمداني سنة ٣٣٩ هـ ، وهي التي ذكرها المتنبي بقوله :

« فـإن يقـدم فقـد زرنـا سمنـدو وإن يحجم فموعـده الخليـج »

انظر : ابن عبد الظاهر : ٤٦٤ وياقوت ٣ : ٢٥٣ .

(٨) تقع في جهة الغرب من ملطية ، على مقربة من قيسارية ، وبينها وبين حلب عشرة أيام . (القلقشندي ٤ : ١٣٢) .

(٩) كذا في الأصل وابن عبد الظاهر : ٤٦٥ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٨١ والمفضل : ٥٦ وابن الدواداري : ٢٠١ =

من تقدّم . وما زال يُغِذّ مُستظهراً جبلاً ومستبسطاً وادياً ، حتى نزل ليلة الأربعاء الخامس عشر من الشهر بقرية قيصريَّة [شرْقي جبل عسيب] (١) ، فبات بها . فلما أصبح رتَّب عساكره المنصورة ، وأمر أجناده أن يضيف كل منهم كمال الشارة إلى حسن الصورة . ولما أحسَّ أهل قيصريَّة منهم الوصول ، خرجوا إليه بجملتهم مستبشرين بلقائه ، مستمطرين اليمن والبركة من تلقائه ، وكانوا قد أعدوا لنزوله الخيام بوطأة تعرف بكيخسروا (٢) [قريباً من المناظر التي للملوك الروم] (٣) . فلمَّا // *

١١٢ و قرب منها ، ترجّل وجوه الناس على طبقاتهم ، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها ، وتبوأها . فلما كان يوم الجمعة السابع عشر من الشهر ، ركب صبيحته لصلاة الجمعة ، فدخل قيصريَّة ، ونزل دار السلطنة ، وجلس على التخت ، ووفى له بما وعده البخت ، وحضر بين يديه القضاة والفقهاء والصوفية والقرّاء ، وجلسوا في مراتبهم على عادة ملوك السلجوقية . فأقبل عليهم وأصغى إليهم ، ومدّ لهم السماط فأكلوا وانصرفوا . ثم تهيأ لصلاة الجمعة ، وحضر الجامع ، فرقّم الخطيب حُلَّةَ خُطبته بنعوته الشريفة ، وأعلن السامعون لها بأدعية أضحت الإجابة بها مُطيفَة . فلما قضيت الصلاة ، وفرّقت على المصلين من خزاين رحمة الله الصِلّات ، أُحضرتْ بين يديه الدراهم التي وُسِمْت وجوهها باسمه ، وضُربت سكتها (٤) برسمه ، وحمل إليه ما كانت زوجة البرواناة كرجي خاتون تركته من الأموال التي لم تستطع استصحابها حين خروجها ، وما خلَّفه سواها

= « دالوا » .

(١) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر : ٤٦٥ ويقول فيه المؤرخ أنه جبل « يضرب المثل بتساميه ... لا ينسحب السحاب إلا دون سفحه ولا يعرف من ثلوجه ومن الأبخرة المتصاعدة به شتاء ولا صيفاً ولا عشاؤه من صبحه ».

(٢) كذا ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٦٥ واليونيني ٣ : ١٨١ ، « كيخسرو » ووافقهما :
E. Blochet, op. cit., p.428, n.1.

(٣) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر : ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(*) إشارة إلى بدء « الثالث عشر من الجزء الثاني » .

(٤) السكة ، بكسر الأول ، « هي الختم على الدنانير والدراهم بطابع جديد تنقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة وتضرب بها على الدنانير أو الدراهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة » . (المقريزي ، النقود : ٦٦) .

١١٢ ظ ممن انتزح معها . // حكى لي من أثق به أن البرواناة بعث إلى السلطان الملك الظاهر ، لما دخل قيصريَّة ، يهنيّه بالجلوس على التخت ، فكتب إليه يأمره بالوفود عليه ليولّيه مكانه ، ويوالي عليه إحسانه ، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يوماً ، وكان مراده أن يصل إلى أبغا ، ويحضّه على المسير ليلتقي بالسلطان في البلاد ، فلم يتمّ ذلك في حدس السلطان ، فاجتمع تاوون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وعرّفه مكر البرواناة في طلبه الانتظار من السلطان ، وأنه يريد بتربُّصه أن يلحقه أبغا في البلاد . فكان ذلك سبباً لرحيل السلطان عن قيصريَّة .

ذكر رحيل مولانا السلطان من قيصريَّة متوجهاً إلى الشام

لما ألقى السلطان بقيصريَّة عصا التسيار ، واختار التوجه إليها دون ما عداها من ١١٣ و الأمصار ، فكر في مصالح جنده // فعلم أن الأقوات التي كانت معهم قد قلَّتْ ، وليس في البلاد ما يقوم بإقامتهم فيها لكثرتهم ، وعزم على الرحيل ، وقيل في سبب رحيله ما حكيناه آنفاً [١] ، فرحل يوم الإثنين ، وكان يومئذ على اليَزَك الأمير عز الدين أيبك الشيخي [٢] ، وكان قد ضربه مولانا السلطان بسبب سبقه للناس ، فتسحّب يومئذ إلى التتار . (وكان أولاد قرمان التركماني قد رهنوا أخاهم الصغير علي بك بقيصريَّة ، فلما حلّ بها مولانا السلطان خرج إليهم ، فأنعم عليه ، وطلب منه تواقيع وسناجق له ولإخوته ، فأعطاه ، فتوجّه نحو إخوته ، وكانوا مقيمين بجبل لأَرَنْدا ، إلى أرمناك [٣] ، إلى السواحل) [٤] . وأعطى مولانا السلطان وجوه أمرائه وأجناده ما غنمه من الأزمَّة والأعنَّة ، ونزل بقيرلو [٥] ، فورد عليه فيها رسول من جهة البرواناة ، ومن معه يسمى

(١) في هذا المجال انظر : ابن عبد الظاهر : ٤٦٧ واليونيني ٣ : ١٨١ ـ ١٨٢ والمفضل : ٥٧ و .

(٢) كذا في الأصل والمفضل : ٥٧ و ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٨٢ « علاء الدين السبخي » .

(٣) كذا في اليونيني ؛ وفي المفضل « بجبل لارتدال أومناك » ؛ وفي ابن الدواداري « بجبل لارندا إلى أوشاك » . وترجمها Quatremère "Dans la montagne de Lartadal Oumnak"

(٤) ما بين القوسين ساقط من متن الأصل ومستدرك على الهامش الأيمن بالقلم نفسه .

(٥) كذا في اليونيني ؛ وفي المفضل : ٥٧ ظ « بقيرلوا » وترجمها Quatremère "Kirlou" أنظر : Quatremère, op. cit., p. 430 et n. 4. ولعل الصيغة الواردة في الأصل هي الصحيحة .

ظهير الدين الترجمان ، يستوقف السلطان عن الحركة ، وما كانوا يعلمون أين يريد ، وكان الخبر شايعاً أن الحركة إلى سيواس [١] . فلما أحاط علم السلطان بالرسالة ، أجابه أن معين الدين ومن كانت تأتيني كتبهم ، شرطوا شروطاً لم يفوا بها ، ولا وقفوا عندها ، وقد عرفت الروم وطرقه ، وما كان جلوسنا على التخت رغبة فيه إلا لنُعلّمكم أنه لا عائق لنا عن شيء نريده بحول الله وقوته ، // ويكفينا أَخْذُنَا أمه وابنه وابن بنته ، وما مُنحناه من النصر الوجيز : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾. ثم رحل ونزل خان كيقباذ [٢] فلما نزل به ، بعث الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري إلى رُمَّانة ، ومعه عسكر ، فحرقها ، وقتل من بها من الأرمن وسبى حريمهم ، لأنهم كانوا أخفوا عندهم جماعة من المغل لما جاز السلطان عليهم . ثم رحل وأعمل السير في جبال وأودية وخوض أنهار مجهداً نفسه الكريمة ، باذلاً لها فيما يعود نفعه على عسكره ، حتى نزل ، ليلة السبت السادس والعشرين ، عند قرا حصار [٣] قريباً من بازار [بلو] [٤] ، وهو السوق الذي يجتمع إليه الناس منساير الأقطار . ثم رحل يوم السبت فعبر بالمعركة التي أعين فيها بالملائكة ، وكشف عن بصيرة المحامي عن دينه فرأى في الجنة سرره وأرايكه ، فرأى أشلاء من قتل فيها ، فسأل عن عدتهم ، فقيل له إن عدة من قتل من المغل خاصة ستة آلاف وسبعماية وسبعون نفساً . فلما بلغ // أقجادربند [٥] ، بعث الخزاين والدهليز والسناجق صحبة الأمير بدر الدين بيليك الخزندار ليعبر بها

١١٣ ظ

١١٤ و

(١) كانت مدينة هامة من بلاد الروم ، وهي اليوم ولاية تركية بين خطي عرض ٣٨ درجة و ٣٠ دقيقة و ٤١ درجة شمالاً وخطي طول ٣٥ درجة و ٣٠ دقيقة و ٣٩ درجة شرقاً . صبحي [E. Rossi] : مادة « سيواس » ، دائرة المعارف الإسلامية ١٣ : ٢٣ ب ـ ٢٥ ب .

(٢) كيقباذ هو اسم للعديد من سلاطين سلاجقة الروم .

(٣) قلعة حصينة في آسيا الصغرى تدعى القلعة السوداء . "Black fortress"

(Mordtmann-[De phanhol]): art. "Karā Hiṣār", EI 2, IV, p. 601 B-604 A.

(٤) ما بين الحاصرتين من ابن عبد الظاهر : ٤٦٩ .

(٥) كذا في اليونيني ٣ : ١٨٣ وابن عبد الظاهر : ٤٧٠ ؛ وفي المفضل : ٥٨ و « أمشادربند » ولعل الصيغة المثبتة في النص هي الصحيحة . وأقجادربند هي قرية على فم الطريق الجبلي بين نهر كوكصو (النهر الأزرق) والبلستين . (القلقشندي ١٤ : ١٤٣) .

الدربند ، وأقام في ساقة العسكر بقية اليوم ويوم الأحد ، ورحل يوم الإثنين فدخل الدربند الذي دخل منه الأمير بدر الدين ، فحصل لمن معه مشقة ، وبَعُدت عليهم الشُقّة ، لما قاسوه من الأوعار ، وكابدوه من الهول الذي هو من الرفق عار [1] . ولما خلص منه نَجيًّا ، عبر النهر الأزرق الذي يُسمى كُكْ صُو ، وبات في قُنّة جبل ، ثم رحل فنزل قريباً من كَينُوك ، ثم رحل يُعمل الحركة سيراً وسرىً ، إلى أن نزل يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة قريباً من حارم ، فوردت قُصّاد الأمير شمس الدين محمد بن قرمان بما يأتي بيانه وشرحه إن شاء الله . ولما نزل حارم ركب لوقته يرتاد منزلة يُرَفّه فيها من معه من العساكر والخيول ، فلما حصل له غرضه استدعى بالعساكر ، وأنزلهم حيث اختار لهم ، وذلك في السابع من الشهر ، وعيّد هناك ، ووافاه جماعة من أمراء التُركمان المقيمين بالروم ، ومعهم خلق كثيرة ، فخلع // عليهم ، وأحسن إليهم ، ١١٤ ظ وأقام حتى قضى العيد ، ورحل إلى دمشق فوصلها في سابع [2] المحرم سنة ست وسبعين وستماية .

ذكر ما اعتمده شمس الدين محمد بن قرمان التُركماني في بلاد الروم

قد كنا قدمنا أن شمس الدين محمد بك بن قرمان ، ومن معه من التركمان ، انحاز إلى السواحل منابذاً متابعة أبغا ومشايعته (والروم) [3] ، لما خلع شرف الدين ابن الخطير ربقة الطاعة للتتر . فلما بلغه كسرة السلطان الملك الظاهر لعسكر المغل في العاشر من ذي القعدة ، حشد وجمع [4] وقصد أَقصرا فلم ينل منها طايلاً فرحل عنها

(١) في ابن عبد الظاهر : ٤٧١ وصف دقيق لما قاساه الملك الظاهر وجيشه في طريق العودة من بلاد الروم ، مع الإشارة إلى أن المؤرخ كان شاهد عيان لما حصل .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ١٨٣ والمفضل ٥٨ و ؛ وفي ابن عبد الظاهر : ٤٧٢ وابن فضل الله العمري ٢٧ وأبو الفدا ، المختصر ٤ : ١٠ « خامس » .

(٣) ساقطة من المتن ومثبتة على الهامش بالقلم نفسه .

(٤) ورد في ابن عبد الظاهر : ٤٧١ والمقريزي ١/٢ : ٦٣٣ أن ابن قرمان قد « حضر في عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل » .

وقصد قُونية في ثلاثة آلاف فارس ، ونازلها فغلق أهلها أبوابها في وجهه ، فرفع على رأسه سناجق السلطان الملك الظاهر (التي سيرها مع أخيه علي بك من قيصريَّة) [١] ، وبعث إليهم يعرفهم أن السلطان الملك الظاهر كسر التتر ، ودخل قيصريَّة فملكها وخطب له فيها ، وضربت فيها سكة الدراهم باسمه ، وأنه من قبله . فلم يركنوا إلى قوله ، //

١١٥ و فأحرق باب الفاخراني وباب سوق الخيل ، ودخل قونية يوم عرفة [٢] الظهر ، وهو يوم الخميس ، وكان النايب بها إذ ذاك أمين الدين ميخاييل ، فقصد من معه داره ودار غيره من الأمراء والأسواق والخانات فنهبوها ، ثم إنهم ظفروا بأمين الدين فأخرجوه إلى ظاهر البلد وعذبوه حتى استأصلوا ماله ، ثم قتلوه وعلّقوا رأسه داخل البلد ، ولما لم يسلّم أهل البلد القلعة رُتِّبَ أن يَلقى رجل شاباً ، عينوه في الطريق ، فيرمي نفسه عليه ، ويقبل رجليه ، فيقول له الشاب : « من أين تعرفني ؟ » . فيقول له : « ما أنت علاء الدين كيخسرو بن عز الدين كيقباذ ؟ أنسيت تربيتي لك وحملي لك على كتفي ؟ » ، وليكن ذلك بمشهد من العامة . فلما فعل ذلك ، وسمعت العامة ما دار بين الرجل والشاب فازدحموا عليه ، وإذا بجماعة من التركمان ، كان قد رُتِّب معهم أنهم إذا رأوا العامة محدقين به ، يأخذونه من بين أيديهم ، ويحملونه إلى شمس الدين محمد بك .

١١٥ ظ فلما فعلوا ذلك ، أقبل عليه وضمه إليه ، وعقد له لواء السلطنة ، // وحمل السناجق على رأسه ، وذلك في اليوم الرابع عشر من ذي الحجة . فلما رأى أهل قونية ما فعلوه ، حملتهم المحبة في آل سلجوق على المتابعة والمبايعة . ثم إنهم نازلوا القلعة ، فامتنع من فيها من تسليمها ، فحاصروها حتى تقرر بينهم الصلح على تسليمها ، ويُعطى من فيها سبعون ألف درهم ، فدخلوها وأجلسوا [٣] علاء الدين فيها على تخت الملك . ثم بلغ شمس الدين بن قرمان والتركمان أن تاج الدين محمد ونصرة الدين محمود ابنا الصاحب فخر الدين خواجا علي قد حشدا وقصداهم ، فسار إليهما وعلاء الدين معه ، فالتقى

(١) ما بين القوسين ساقط من المتن ومثبت على الهامش بالقلم نفسه .

(٢) يصادف يوم التاسع من ذي الحجة .

(٣) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٨٥ « وجلّسوا » .

بهما على آق شهر [١] ، فكسرهما ، وقتلهما ، وقتل خواجا سعد الدين يونس بن سعد الدين المستوفي ، صاحب أنطاكية ، وهو خال معين الدين البرواناة ، وقتلوا جلال الدين خُسرو بك بن شمس الدين يوتاش بكلاربكي ، وأخذوا رؤوسهم ، وعادوا بهم إلى قونية في آخر ذي الحجة ، واستمروا بقونية إلى أن دخلت سنة ست وسبعين ، فبلغهم فيها أن أبغا وصل بعد خروج السلطان الملك الظاهر من الروم إلى مكان الوقعة // ، فرحلوا عن قونية وطلبوا الجبال ، وكان مقامهم بقونية سبعة وثلاثين يوماً . ١١٦ و

ذكر قصد أبغا الروم لأخذ الثأر

كان البرواناة ، لما رأى الدايرة على التتر في الوقعة التي كانت بينهم وبين السلطان الملك الظاهر ، كتب إلى أبغا يعرفه بذلك ، ويستصرخه ويستحثه على المبادرة والمسارعة ليدرك البلاد قبل أن يستولي عليها الملك الظاهر . ثم كان من دخوله قيصريّة وخروجه منها إلى دوقات ما قدمناه . فلما قضى غرضه من حفظ ما كان معه من الذخاير والأموال ، وترتيب أمر السلطان ، بلغه توجه أبغا طالباً بلاد الشام ، فخرج إليه فوافاه في الطريق ، وسار معه بمن بقي معه من العساكر ، إلى أن وصل إلى البلستين . فلما شارف [أبغا] المعركة ورأى القتلى بكى وتأسف عليهم . ثم قصد منزلة السلطان الظاهر ، // فقاسها بعصا الدبّوس ، فعلم عدّة من كان نازلاً فيها من العساكر . فأنكر على البرواناة كونه لم يعرّفه بجلية أمرهم . فأنكر أن يكون عنده علم منهم ، وأنه ما أحسَّ بهم إلا عند دخولهم . فلم يقبل منه هذا العذر وأراه وجه الحنق عليه والتغيظ منه وقال : « بحقٍ ما قالوا إنّ لك باطناً مع صاحب مصر » . ثم بعث أكثر عسكره إلى الشام ، وكان عز الدين أيبك الشيخي [٢] قد عاد في خدمته ، فقال له : « أرني مكان ١١٦ ظ

(١) آق شهر (أخ شهر) بفتح الهمزة ، مدينة في بلاد الروم ، تقع في الإقليم الخامس حيث الطول ٥٥ درجة والعرض ٤١ درجة . (القلقشندي ٥ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣) .

(٢) في المفضل : ٥٨ ظ « الشيخ » والمقصود « الشيخي » كما يقتضي السياق .

الميمنة والقلب والميسرة » . فأوقف له في كلّ منزلة رمحاً . فلما رأى بعد ما بين الرماح ، قال : « ما هذا عسكرٌ تكفيهم الثلاثون ألفاً الذين جاءوا معي ! » ثم سيّر خلف العسكر الذي توجه إلى كَينُوك ، وطلبه إليه . ثم بلغه أن الملك الظاهر وعساكره بالشام ، وهو مهتم للقائك . وكان [أبغا] قد نفق أكثر خيله ، فرأى من نفسه الضعف ، فردّ إلى قيصريّة [١] . فلما وصلها ، سأل أهلها : « هل كان مع صاحب مصر جمال أم لا ؟ »

١١٧ و فقالوا : « لم يكن معه إلا خيل وبغال » . فقال : « هل نهب منكم // شيئاً ؟ » . فقالوا : « لا إلا مشترى بالذهب [والفضة] » [٢] . فقال : « كم لهم عنكم يوم ؟ » فقالوا : « خمس وعشرون يوماً » . فقال : « هم الآن قد وصلوا إلى جمالهم وأموالهم ونعمهم » . ثم عزم على قتل من في قيصريَّة من المسلمين ، فاجتمع إليه القضاة والفقهاء وقالوا : « هؤلاء رعية ، لا طاقة لهم بدفع عسكر إذا أنزل عليهم ، وهم مع الزمان عبيد من ملك ، لا يختص بذلك ملك دون ملك » . فلم يقبل ، وأمر بقتل جماعة من أهل البلد ، وقتل قاضي قضاة قيصريَّة جلال الدين حبيب . وأمر العسكر أن انبسط في البلد ، فقتل عالماً عظيماً من الرعية ما ينيف على مائتي ألف على ما قيل ، (وقيل خمس مائة ألف ، من فلاح إلى عامي إلى جندي ، من قيصريَّة إلى أرزن الروم) [٣] [وما بينهما] [٤] ، وعاد إلى بلاده وأردوه .

---

(١) أثبت لنا رشيد الدين في كتابه « جامع التواريخ » (٢/٢ : ٦٣ ـ ٦٤) نص الرسالة التي بعث بها أبغا إلى الملك الظاهر ، بعد رجوعه عن قراره بالسير نحو الشام ، هاكم بعضها : « إنكم تنقضّون فجأة كاللصوص ، وتطاردون فرساننا وطلائعنا وتقتلون بعضهم ، فإذا ما بلغتنا الأخبار وتحركنا لصدكم تفرّون كاللصوص . فإذا كنتم تريدون لقاءنا وقتالنا ، فادخلوا الميدان كالرجال وثبتّوا الأقدام ... وإن لم تأتِ فإن جيوشنا مستعدة لقتالك في طليعة الشتاء ... » .

(٢) ما بين الحاصرتين من المفضل : ٥٩ و .

(٣) ما بين القوسين ساقط من المتن ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

(٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٨٦ .

ذكر قتل معين الدين سليمان البرواناة

قد تقدم لنا عود أبغا إلى أردوه وأنه استصحب معه معين الدين البرواناة . وكان أبغا
١١٧ ظ عند عوده فرق عساكره في البلاد للنهب والغارة على ضواحيها ، ولم يبق // منها مدينة حتى بعث إليها ، فنهبوا وقتلوا ما لا يدخل تحت حصر من الضواحي . ومر في طريقه على قلعة تسمى كوغرنيا [١] ، وكانت خاص البرواناة ، وفيها أكثر ذخايره وأمواله ، وبها والٍ من جهته يسمى سيف الدين بارباره . فطلب أبغا من البرواناة تسليم القلعة إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إلى سيف الدين المذكور ، يأمره تسليم القلعة إلى نواب أبغا ، ويحمل ما فيها من الأموال إليّ . فلم يجبه إلى ما سأل ، واستعصى عليه . فلما بلغ امتناع سيف الدين من تسليمها قال للبرواناة : « أنت يا باغي » . فرغب إليه في أن يسيّره إليها ، فيتسلمها من سيف الدين ، ويسلمها إلى نوابه ، فأذن له في ذلك ، ووكّل به جماعة من المغل يمنعونه من الوصول إلى القلعة والاعتصام بها . فلما وصلها وطلبها من سيف الدين امتنع عليه . فقال له [البرواناة] : « لهذا الوقت خبّأتك ، سلم إليّ القلعة وما فيها لأدرأ بها عن نفسي القتل ، فإني مقتول لا محالة إن لم أسلمها إلى أبغا » .
١١٨ و فقال : « إنما أسلمها لمن سلمها إليّ » . فقال : « أنا سلمتها // إليك » . فقال له : « إنما سلمها إليّ معين الدين البرواناة » . فقال : « أنا هو ! » . فقال له : « أنت أسير وما لك حكم في شيء ، وما أسلّمها إلا بأولادي الذين في مصر أسراء ، أنت كنت السبب في أسرهم وأسر غيرهم » . فعاد البرواناة إلى عند أبغا وأخبره بذلك ، فضاعف الموكلين عليه وزادهم . فلما رأى من معه من المماليك والأتباع ذلك تفرقوا عنه ليتقنهم [٢] بأنه مقتول لا محالة . ثم سار أبغا إلى أردوه . فلما ألقى عصا التسيار عن عاتق الدّأب في العشيّ والأبكار ، اجتمع إليه الخواتين وبكوا [٣] ، وصرخوا [٣] ، وشقوا [٣] الجيوب

---

(١) كذا في الأصل ؛ وفي المفضل : ٥٩ و « كوعرىا » صححها Quatremère وأثبتها بصورة « كوغونيا » وترجمها إلى "Koghonia" Quatremère, op. cit., p. 437.

(٢) كذا في الأصل ومصححة على الهامش بصيغة « لتيقنهم » بخط مختلف .

(٣) كذا ، والصواب : وبكين وصرخن وشققن وقلن (وهكذا على التأنيث) .

بين يديه وقلن : « هذا الذي أعان على قتل رجالنا ولا بد من قتله » . فسوّفهن أياماً ، وهم [١] يحرضونه في كل وقت على قتله . فلما أعياه دفاعهن أمر بعض خواصه في أن يأخذ معين الدين البرواناة ، وينطلق به إلى مكان يقتله فيه . فلما اجتمع به قال : « إن أبغا يريد الاجتماع بك لكي يصطنعك ويعيدك إلى البلاد » . فقال له : « لو كان ١١٨ ظ يريدني في خير بعث إليّ أحد معارفي ، ولكنه يريد قتلي ! » . فخادعه في // القول حتى انصرف معه في جماعة من أصحابه عُينوا للقتل ، وهم ثلاثون نفساً . فلما بلغ به الجهة التي عيّن له قتله فيها ، قتله ومن استصحبه معه ، منهم : سيف الدين بلاكوش الجاويش، ومنكورس الجاشنكير ، وسيف الدين ابن اكسى .

أعجوبة لم يُسطّر مثلها

وهي أن المذكور [٢] لم يَحِكْ فيه السيفُ الذي ضُرب به ، وتوهم ضاربه أنه قتله ، فلما انفصل عنه واتصل بأبغا قتلهم ، وجد سيف الدين في نفسه قوة نهض بها قايماً عرياناً ، وقصد سوق العسكر وهو مجروح ، وسأل منهم ثوباً يستتر به ، فأخذه السوقة لما عرفوه ، وحملوه إلى أردوا أبغا ، فسأله عن قاتله هل يعرفه ، فقال : « نعم ! » فأمر بإحضار جميع من باشر قتل معين الدين وأصحابه ، فحضروا . فلما رأى سيف الدين المباشر لقتله عرفه ، فأشار إليه ونبّه عليه ، فسأله أبغا عن ذلك ، فأقر ، فأمر ١١٩ و سيف الدين بقتله ، وكان // من أمراء المغل ، فقام إليه وقتله ، ثم أمر بجمع موجوده وما ملكته يده ، فتسلمه وكتب له كتاباً بإقطاعه الذي كان له في بلاد الروم وأضعفه . وكان قتلهم في العشر الأوسط من المحرم سنة ست وسبعين ، وإنما ذكرناه في هذا المكان لاستصحاب الحال ، والضرورة الملجئة إلى الاتصال ، وتعلق الأذيال بالأذيال .

(١) الصواب : وهن .

(٢) أي سيف الدين ابن أكسي .

ذكر سبب وزارة مهذّب الدين علي والد البرواناة

كان مهذب الدين علي بن محمد بن حسن الكازي ، أصله من كاز من عراق العجم ، قد حفظ القرآن العزيز وأتقنه ، واشتغل بالعربية ، بحيث أنه تعيّن للتصدر . فلما استولوا [1] التتر على عراق العجم ، خرج منها وقصد الروم ، فرتّب مقرئاً ببعض ١١٩ ظ الترب ، فطلب معين الدين مستوفي الروم في أيام السلطان علاء الدين [2] // من يعلم أولاده ، فتوسط له شخص كان يعرفه ، فاتصل بخدمته ، وعلّم أولاده ، وكان يحضر مجلسه في بعض الأوقات ، فرآه معين الدين بارعاً في علم العربية ، فقال له : « لو تعلّمتَ الحساب لكان أنفع لك في المكانة والرزق ! » . فاشتغل بالحساب على معين الدين المستوفي . فلما رأى أنه قد برع في علم الحساب ، وكان معين الدين يطلب الإقالة في كل وقت من السلطان علاء الدين ولم يُجَب ، فاستناب لمهذب الدين المذكور ، وأظهر أنه قد [3] أضرّ في بصره . ولم يزل معين الدين إلى أن رتّبه مستوفياً مستقلاً ، فاستقل بالإستيفاء ، فرأى منه السلطان علاء الدين الكفاية ، فاستوزره وعظم شأنه ، وتقدّم عنده . ولم يزل إلى أن توفي السلطان علاء الدين وولي ولده غياث الدين كيخسروا ، فاستمر في الوزارة إلى أن توفي في سنة اثنتين وأربعين وستماية . //

١٢٠ و وفي أوايل هذه السنة ، تقدم فخر الدين طغان [4] البحري على جماعة من الغيارة ، وكبس دنيسر [5] ونهب من بها ، وقتل نحواً من ثلاثين نفراً ، وأسر جماعة من النصارى . وفي رجوعه حصل بين مقدّمي العسكر مشاجرة على المكاسب ، ولم يظهر

---

(١) كذا ؛ والصواب : استولى .

(٢) السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو السلجوقي صاحب بلاد الروم . توفي في أول شوال سنة ٦٣٤ هـ / ٢٨ أيار ١٢٣٧ م . (ابن واصل ٥ : ١٢٤) .

(٣) لفظة « قد » : مكررة في الأصل .

(٤) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٨٦ « ظغاي » .

(٥) مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة قرب ماردين ، لها اسم آخر هو : « قوج حصار » ، واقعة على خط عرض شمالاً . ٤٠ درجة و ٥٦ دقيقة وطول شرقاً ٣٧ درجة و ١٠ دقائق . وهي اليوم من البلاد التركية (ياقوت ٢ : ٤٧٨) .

سوى القليل ، وغضب صاحب ماردين [الملك المظفر قرا رسلان ابن الملك السعيد الأرتقي] (١) لكونه حصلت الغارة على بلده . //

١٢٠ ظ

ذكر توجّه الحاج وتسيير الكسوة

انتهت الكسوة برسم الكعبة الشريفة ، وطيف بالمحمل يوم الخميس حادي عشر شوال ، وتوجّه بها الطواشي جمال الدين محسن الصالحي ، مشدّ الخزانة (٢) ، أمير الركب (٣) ، وتوجّه المولى الصاحب تاج الدين [محمد] ولد المولى الصاحب فخر الدين محمد ووالدته وولده الصاحب قطب الدين [محمد] (٤) وتوجّه صحبته الشيخ عبد المؤمن (٥) ، والشيخ أبو القاسم المراغي ، والشيخ ... (٦) الكوفي ، وتقي الدين بن دقيق العيد (٧) ، وكان صحبتهم عالم عظيم لا عدد له ، وطريقهم على أيلة . وفي التاسع عشر من شوال (٨) خرج جماعة إلى دير القصير ، ويعرف الآن بدير البغل ، ظاهر مصر ، وهم ..... (٩) // فرأوا أثر باب جوار الدير ، فدخلوا المكان ، فرأوا آثار محاريب المسلمين ، فعادوا إلى المدينة ، وعرّفوا مولانا الصاحب [بهاء الدين ابن حنا]

١٢١ و

---

(١) التكملة من المفضل : ٦٠ و .

(٢) ويقال له أيضاً ناظر الخزانة ، وهو المشرف على أموال المملكة وله أتباع (القلقشندي ٤ : ٣١) .

(٣) هو المسؤول عن طائفة من الناس تحمل المشاعل أمام ركاب السلطان أو الخليفة في المواكب الرسمية كالأعياد وغيرها . J. Deny: art. "Rikābdār", EI, III, p. 1159B-1161B

(٤) التكملة من اليونيني ، توفي في ٢ ذي الحجة سنة ٧٠٩ هـ/٣ أيار ١٣١١ م . (اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٧٨ و) .

(٥) الشيخ الإمام شرف الدين أبو محمد ، عبد المؤمن بن خلف بن حسن ... بن الخضر الدمياطي . توفي بالقاهرة سنة ٧٠٥ هـ/١٣٠٦ م . (المصدر نفسه : ٥٦ و ـ ٥٩ و ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩) .

(٦) ساقط في الأصل بمعدل كلمة واحدة .

(٧) تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب المنفلوطي الصعيدي المالكي الشافعي ، المعروف بابن دقيق العيد . ولد في شعبان بساحل الينبع من الحجاز سنة ٦٢٥ هـ/ تموز ـ آب ١٢٢٨ م ، ولي القضاء بالديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ . توفي في صفر سنة ٧٠٢ هـ/ أيلول ـ تشرين الأول ١٣٠٢ م . ودفن بالقرافة . (الذهبي ، تذكرة ٤ : ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ؛ الإدفوي : ٥٦٧ ـ ٥٩٩ ، الإسنوي ٢ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣) .

(٨) في اليونيني ٣ : ١٨٧ « سابع عشر » .

(٩) ساقط في الأصل بمعدل سطر واحد .

بذلك ، فتقدم مرسومه إلى القاضي بهاء الدين ناظر الأحباس [١] ، بأن يجمع الحكام والمهندسين والبنائين ، فامتثل ذلك ، وخرج ومعه من المدرسين وجيه الدين [٢] البهنسي ، وظهير الدين [٣] التزمنتي ، وعلم الدين السمنودي [٤] كاتب الحكم بمصر [٥] . ومن أعيان العدول نظام الدين بن الخليلي ... [٦] والمهندسين . فرأوا المكان ، فيه آثار تدل على أنه كان مسجداً ، وشهدوا عند علم الدين السمنودي ، فأثبتوه ، ونقلوا الحكم إلى قاضي القضاة محيي الدين بن عين الدولة [٧] ونقلوه إلى الحكام بالقاهرة ، وتقدموا إلى مولانا الصاحب بعمارته . فأمر بعمارته فعمر ، وفتح وأقام به مؤذنين // وإماماً وقَومة ، وأجرى عليه راتباً ، ورتّب له ما تحتاج إليه المساجد . فهذه منقبة تعد في صحايف حسناته ، والدليل على أنه كان مسجداً أن الحاكم [٨] ، في أيام ولايته بالديار المصرية ، بنى جوار كل كنيسة مسجداً بباطن مصر وظاهرها ... [٩] //

١٢١ ظ

---

(١) هو المتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس وما هو من دلك على سبيل البر والصدقة ، ويكون عادة من كبار القوم . (القلقشندي ٤ : ٣٨) .

(٢) الأصل : ظهير الدين والتصحيح بالقلم نفسه ، وهو قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن الحسين المهلبي المعروف بابن البهنسي ، قاضي قضاة مصر والوجه القبلي . توفي سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م . (النويري : ١٣٥ و ، الإسنوي ١ : ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(٣) الأصل : وجيه الدين . والتصحيح بالقلم نفسه ، وهو الشيخ الإمام ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر القرشي التزمنتي . مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة . توفي سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م . (النويري : ١٣٢ و) .

(٤) نسبة إلى سمنود من مدائن الوجه البحري بالديار المصرية . (المقريزي ، الخطط ١ : ١٢٩) .

(٥) الأصل : بالديار المصرية ، والتصحيح بالقلم نفسه .

(٦) فراغ في الأصل بمعدل سطر ونصف تقريباً .

(٧) عبد الله بن محمد ، أبو الصلاح ، محيي الدين ، قاضي مصر ، المعروف بابن عين الدولة الصفراوي الإسكندراني الأصل ، المصري الشافعي المولود سنة ٥٩٧ هـ . باشر الحكم بمدينة مصر والوجه القبلي ، عقيب وفاة ابن بنت الأعز ، مدة سنتين ، ثم أصيب بالفالج ، فعزل سنة ٦٧٦ هـ . توفي في أحد الجمادين سنة ٦٧٨ هـ/ أيلول ـ تشرين الثاني ١٢٧٩ ، ودفن بالقرافة الصغرى . (اليونيني ٤ : ٢٩ ـ ٣٠ ، الإسنوي ١ : ٥٤٥) .

(٨) هو الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي . ولد بالقاهرة ليلة الخميس ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ/ ١٣ آب ٩٨٥ م ، أتمّ بناء الجامع الكبير بالقاهرة بعد أن كان قد شرع فيه والده . خرج في ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ/ ١٠ شباط ١٠٢١ م إلى ظاهر مصر ولم يعد . (ابن خلكان ٥ : ٢٩٢ ـ ٢٩٨) .

(٩) الورقة ١٢٢ و بياض في الأصل باستثناء عبارة وردت في أعلاها وهي التالية : « الرابع عشر من الجزء الثاني » .

١٢٢ ظ

ذكر وفاة الأمير محمد صاحب تونس

في الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة [١] ، انتقل إلى الله تعالى الأمير محمد بن أبي زكريا يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهِنْتاتي ، صاحب تونس بها . وكان سبب موته أنه خرج إلى الصيد ، وحصل له من كثرة الحركة انزعاج ، فتغلَّث [٢] مزاجه ، وزاد به [الألم] [٣] ، فعاد إلى المدينة ، وهو ضعيف ، فبقي على ذلك مدة إلى أن توفي وله من العمر اثنتان وخمسون سنة تخميناً لا يقيناً ـ تغمده الله برحمته ، وبوّأه غرف جنته ـ .

ذكر لمع من سيرته وما اتفق له

كان ـ رحمه الله ـ كريماً جداً ، كثير العطاء يستقل ما يعطيه ، ويعجبه فعل المعروف وينافس فيه . وكان // ـ رحمه الله ـ كثير الإستهتار ، مُغرى بالعماير والجوار[ي] منهمكاً في اللذات ، يُزف عليه في كل ليلة جارية ، وكان وليَّ عهد والده في حياته ، فلما توفي والده في سنة سبع وأربعين ، ببلد العُنَّاب بمدينة يقال لها بونا ، وكان صحبته ، ترك والده على حاله ، والناس مهتمون بجنازته ، وركب بغلاً يسمى الجيش ، ودخل به تونس في خمسة أيام ، والمسافة عشرون يوماً ، ومات ذلك البغل في تلك السفرة . وكان الباعث له على حمل هذه المشقة خوفه من عميّه أن يسبقاه فإنه كان له عمّان ، أحدهما مجدور الوجه يدعى بأبي إبراهيم ، والآخر رجلاً صالحاً (يدعى أبو عبد الله محمد) [٤] ، كث اللحية يُعرف باللحياني ، فخاف منهما . ولما وصل إلى تونس وجد الخبر قد سبقه ، والنواح في القصر ، فأبطله ، وأمر بضرب البشاير ،

١٢٣ و

---

(١) يشير اليونيني (٣ : ٢٠٩) إلى الاختلاف في تحديد تاريخ وفاته « فقيل في اليوم الثاني من شوال سنة خمس وسبعين وست مائة ، وقيل في يوم عيد النحر منها ، وقيل في الثالث والعشرين من ذي الحجة » .

(٢) في المصدر نفسه « تغيّر » .

(٣) التكملة من المصدر نفسه .

(٤) ما بين القوسين ساقط في المتن ومستدرك على الهامش .

وقال : « افرحوا بي فيَّ خلف عن الماضي » . وسيّر علجاً [١] ، أي مملوكاً من علوجه ، يقال له هلال ، ويكنى أبا القمر ، إلى مدينة بونا ، يستدعي من بها من العسكر ، وأمره أن يسوق عمه أبو [٢] عبد الله // اللحياني في مقدمة الجيش ، وعمه أبو [٢] إبراهيم في ساقته . فتوجه العلج إلى أن وصل المكان ، وذكر لعميه ما ذكر له ، فعملوا عشرين يوماً إلى أن وصلوا إلى مكان يعرف برأس السبخة ، على يوم من تونس ، فتقدم لهم مرسومه بأن يترجل العسكر بأسره ، خلا عميّه ، ليكشف بذلك الطايع منهم من العاصي. فكشف منهم في ذلك اليوم خمسين مزوراً أي مقدماً طايعين ، وسبعين مزوراً مخامرين . فلما دخلوا تونس مدَّ لهم سماطاً وهو أول سماط أمدّ للجيش والرعية والفلاحين ، فدخل الخلق طايفة بعد طايفة ، والكوسات [٣] تضرب ، والخلع تفرّق ، والإنعام يشمل البعيد والقريب . واستقل على هذا المنهج سنةً ونصفاً ، وهو مع ذلك خايف من عمّيه وثلاث [٤] رجال آخرين مشتدّين [٥] إلى عمومته ، يقال لأحدهم ابن الريمان [٦] ، والآخر أبو إسحاق بن يوجّان والآخر إبراهيم بن تميم بن إسحاق . فكان في مدة تلك السنة ونصف يجتمع كلّ ليلة بهؤلاء الخمس [٧] المذكورين ، وينعم عليهم // لكلّ واحد منهم بألف دينار ومركوباً وسيوفاً ومماليك ، ويضبط ذلك أولاً [٨] فأولاً . فلما كان بعد السنة ونصف ، حصل لأبي إبراهيم ، أحد عمّيه ، تغيّر في خاطره وغيظ [٩] كونه رأى غيره في منزلته ، ورأى أعلاج ابن أخيه ، الذي هو السلطان يومئذ ، على

(١٢٣ ظ) (١٢٤ و)

---

(١) جمعه عُلُوج ، يطلق على « الجند من الإفرنج ، ويعبر عنهم بالعلوج ، وهم لخاصة السلطان لا يطمئن إلا إليهم » . (القلقشندي ٥ : ١٣٨) .

(٢) كذا والصواب : أبا .

(٣) هي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق بإحدها على الآخر حسب إيقاع معين ويشارك في ذلك طبول وشبابه . (القلقشندي ٤ : ٩) .

(٤) كذا ؛ وصوابه : وثلاثة .

(٥) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١٠ « مستبدين » .

(٦) كذا ؛ وفي المصدر نفسه « ابن البرنمال » .

(٧) الصواب : الخمسة .

(٨) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١١ « ارقالاً » .

(٩) كذا ؛ وفي المصدر نفسه « وعبط لونه » .

رؤوسهم قياماً بأسلحتهم من غير عادة تقدمت في البلاد . فقال أبو إبراهيم لأخيه اللحياني والثلاثة الذين معهما : « إن هذه حيلة علينا لنقتل في وسط [المكان] (١) » . ثم أخذوا منه دستوراً بالركوب للنزهة ، فأذن لهم ، ثمّ ركب متخفياً يسارقهم النظر من ورائهم ، إلى أن دخلوا بستاناً يقال له الحريرية ، فدخل الأخوين (٢) . وتحيل الأمير محمد إلى أن دخل بحيث لم يشعروا (٣) [به] ، وطلع إلى شجرة خروب مطلّة على المكان الذي جلسا فيه . فلما أن دخلا تعانقا وتباوسا ، وقال أبو إبراهيم : « إما أن تأخذها أو آخذها » . فقال اللحياني : « إني قد أزوجته ابنتي ، وحلفت له سراً من خلفك » . وإذا ١٢٤ ظ بالثلاثة قد دخلوا عليهما ، وقالوا : « المُلْكُ// عقيم ما فيه نسب تولى ! » . فقال : « أخاف منكم » . فحلف الثلاثة للحياني ، والملك محمد مشاهدهم من الشجرة . وخرجوا من البستان على اتفاق منهم إلى دار اللحياني ، وهي بمعان يسمّى باب القصر ، فسيّروا النقباء في الوقت ، وجمعوا العساكر ، ولم يكن عندهم كوسات ، فعملوا عوضها طاسات ، واستحلفوا الجماعة خفية .

ذكر ما اعتمده الملك محمد بعد خروجهم

لما خرجوا من البستان ، نزل الملك محمد من الشجرة المذكورة ، فرآه الخولي فحلّ حياصته ودفعها له ، وأخذ يحادثه إلى أن وصل إلى جانب ساقية في البستان ، فرفسه برجله [و] رماه في الساقية فمات . ودخل هو من ساعته ، فأركب من مماليكه الترك والأعلاج والسودان ستة آلاف فارس ، [و] أخرج ألفي حجرة (٤) عراب أركبها السودان ، وطلب علجاً يدعى ظافراً فقدمه على ألفي فارس ، وعلجاً من أعلاج والده

---

(١) ساقطة من المتن وما بين الحاصرتين من اليونيني .

(٢) كذا ؛ والصواب : الأخوان .

(٣) كذا ؛ والصواب : يشعرا .

(٤) في اليونيني ٣ : ٢١١ « حجيرة » .

١٢٥ و يدعى مظفّراً // فقدمه على ألفي فارس من الترك ، وخادماً يقال له مصباح [١] الطويل ، فولاه على السودان ، وقال لهم : « البسوا سلاحكم ! » . قالوا : « لبسنا ، من أين نخرج ؟ » فقال : « يفتح لكم باب المدينة وتشقوا وسط السوق ، وتمضوا إلى باب الدار ، ثم تديروا أكفال خيلكم إلى الباب فتكسروه ، وتهجموا عليهم ، وتقطعوا رؤوسهم » . فرجع العلج مظفّر وقال : « العفو يا مولاي ، رؤوسهم ؟! » . فقال : « رؤوسهم ! » ، فراجعه فقال له : « يا كلب كأنك معهم ، رؤوسهم ، ورأسك معهم ! » ، فخرجوا .

ذكر ما تجدّد لعمّيه والثلاثة المذكورين

وأما عمّيه [٢] والثلاثة المذكورين [٢] ، فإنه وافقهم من الموحدين [٣] أربعة آلاف فارس ، وهم في منزلهم جلوس في لعب ولهو ، غير عالمين بما تجدّد ، ولا عندهم علم أن ابن أخيهما علم بهما وبما دبراه . فما أحسّا إلا وقد أحيط بهم من كل جانب ، ١٢٥ ظ وأخذت عليهم الدار من جميع جهاتها . فقال ابن اللحياني : // لأبيه : « نُقْتَلُ يا أبي ؟! » . فقال له : « شرعاً ! » . فهرب حينئذ الأولاد ، واختفوا ، وقطعت رؤوس الأعمام وجعلت [٤] في طشت فضة وتسلمهم [٥] علج يقال له نبيل الشلوّقي [٦] فدخل على الملك بالرأسين ، وهو على مدورة سوداء وبيده قضيب من الذهب عادته حمله دائماً ، فقال : « أين بقيتهم ؟ » . فقيل له إنهم واصلون بالقطاين أي الزناجير . فقال :

(١) وفي اليونيني ٣ : ٢١١ « مفتاح » .

(٢) كذا ؛ والصواب : عماه ... المذكورون .

(٣) فئة من الجند التونسي تنتمي إلى الطبقتين الأولى والثانية من الطبقات السبع التي يتألف منها الجيش التونسي في ذلك الحين (القلقشندي ٥ : ١٣٨) وتسمية هؤلاء بالموحدين نسبة إلى مصلح ديني مراكشي يعرف بابن تومرت (مهدي الموحدين) المتوفي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ، ويقال سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م . وهو من قبيلة هنتاتة ، إحدى قبائل جبال أطلس الهامة . (رينيه باسيه René Basset) : مادة « ابن تومرت » دائرة المعارف الإسلامية ١ ، ص ١٠٦ أ ـ ١٠٩ ب .

(٤) كذا ؛ والصواب : وقطع رأسا العمين وجُعلا ...

(٥) كذا ؛ والصواب : وتسلمهما .

(٦) وفي اليونيني ٣ : ٢١٢ « السلوقي » .

« أنزلوا الرأسين من على الفضة ، فما يستأهلوا [١] الفضة ، إلى التراب » . وكان عن يمينه القاضي وعن يساره أربعة من عدول تونس وفقهائها ، فقال للقاضي : « تركب أنت وهؤلاء بغالكم ، وتحفظوا [١] خزاينهم وموجودهم ، وتحضروا [١] لي ما في هذه الورقة مما أصرف إليهم » . فقبضها القاضي وسار إلى ما رسم له ، ودخل الباقون بالقطاين ، فضرب أعناق السبعين مزور [٢] المخامرين بعد أن قال لهم : « والله لقد ١٢٦ و علمت ببواطنكم من يوم أمرتكم أن تترجلوا عن خيولكم » . ثم إنه // استدعى بالثلاثة ، وقطع من لحمهم وشوى وأطعموه . وهرّب أولاد عميه فقراء من فقراء المسلمين ، واختفوا عند الناس ، واحتيط على ما كان لهم من الأملاك والمال والخيول والأسلحة والأمتعة ، كل ذلك في ثلاثة أيام . ثم صعد الملك محمد على منبر من العاج ، كان سيّره له الأنبرور ، مصفّح بالذهب ، فذكر الله وأثنى عليه ، وذكر نبيّه صلوات الله وسلامه ، وقال في آخر كلامه : « عفا الله عنكم الآن ، المجرم وغير المجرم » . ثم أمر بهدم دور المخامرين إلى الأساس ، وكذلك بساتينهم ولم يبق لهم أثراً ، ولم يظهر لهم بعدها غلام ولا مملوك ، ومن ظهر قُبض عليه .

ذكر ما اعتمده بعد قتل عمّيه

أقام الملك محمد ، بعد مقتل عمّيه ، سنة واحدة ، ثم جمع المسلمين إليه العلماء والأكابر وقال لهم : « أنتم مؤمنون أم لا ؟ » . فقالوا : « مؤمنون » . قال : « وأنا ١٢٦ ظ أميركم أم لا ؟ » فقالوا : « أميرنا » // قال : « فإذا اجتمع نعتي ونعتكم كيف يكتب ؟ » . قالوا : « أمير المؤمنين » . قال : « فاكتبوه » . فكتبت الكتب إلى ساير بلاده ومسيرتها أربعة أشهر براً دوراً ، وشهران في البحر المالح . ثم أنه فصّل الخلع من الثياب الصوف والحرير والعمايم المهدوي والأحارم التلمسانيات ، وخلع على

---

(١) الصواب : يستأهلون ... وتحفظون ... وتحضرون .

(٢) الصواب : مزوّراً .

مقدّمي العسكر والأعيان من الرعية ومتميّزي الناس ، وعلم ذلك الوقت المحبّ من المبغض ، فسمّ المبغضون فماتوا واستمر المحبّون .

ذكر مخامرة العربان بأفريقية وعصيانهم

كان بأرض أفريقية من العربان خلق كثير ، وكان لهم مقدم يعرف بسبع بن يحيى ، وفخذه يقال لهم بنو كعب ، وهم أشد العربان بأفريقية ، فعصوا عليه ، وخلعوا ربقة الطاعة ، ولم يدخلوا فيما دخل فيه الجماعة ، فلم يظهر لهم تغيّراً ، ولا ١٢٧ و بدأ منه تنكر ، بل رسله تتردد إليهم // بالملاطفة ، إلى أن حضروا إليه ، فضرب رقابهم عن بكرة أبيهم . فبلغ ذلك قوماً من العربان يقال لهم الخلوط ، والدبّابيّين والعوفيّين ، وفخذ [١] من المعقل ، يكون مجموعهم ستين ألف راكب ، لم يعطوا طاعة لأحد فزاد نفارهم بذلك وعصيانهم . فجمع الموحدين وضرب مشورة ، وقال : « كيف المعمول في تزويل هؤلاء من البلاد ، وإلا فما يصفو لنا عيش ؟ » . فأجمع الموحدون على أن يخرج العسكر بأسره ويلقاهم في البرّ ، ويكسرهم ، ولو اعتمد هذا لتمّ . لكن عمل حساب الخزائن ، وأنها تذهب وما يظفر بالجميع ، ويستمر السالمين [٢] ، ويقطعون الطريق ويخيفون السبيل ، ويتلاشى معهم الأمر إلى صعوبة . فقال للموحدين : « إن هذا لرأي لولا ما فيه مما ذكرناه ، لكن أنا أخذتهم بالرفق والملاطفة دون العدواة والمكاشفة من غير عسكر » .

ذكر ما اعتمده في حق العربان من المكايد //

١٢٧ ظ أول ما اعتمد معهم أن أعطاهم خمس بلاد كانت للمخامرين ، إقطاعات يستغلونها من غير عادة تقدمت لهم ، وهي أطرابلس ، وجربا ، وزَوارا ، وزواغا ،

(١) الصواب : وفخذاً .

(٢) الصواب : السالمون .

وقرقنا ـ وقرقنا فهي الإسم الصحيح ، وإنما كان إذا كتبها كتبها « قرقهم » ، فإنّها كلمة معناها قبيح ـ ثم إنه ضرب سيوفاً جدداً وزغايات جدداً وهي الرماح ، وأحضر الخياطين وفصّل جباباً منوعة الألوان ، ودراريع بيضاً ، ومعارق للنساء ، وحملت على البغال . وخرجت هدية للعربان صحبة رجل يعرف بأبي يحيى بن صالح من كبراء دولته معروف بالصدق عند العربان ، بعد أن حلف لأمير المؤمنين أنه لا يخرج عن طاعته ، فقال له : « تحلف لهم أن جميع ما عيناه لهم لا يُغيَّر عليهم ، وإن أرادوا أن يحضروا إلينا ، وإن اختاروا المقام ببلادهم لا نكلّفهم ما لا يختارونه » . فسار الرجل ، فلما قدم عليهم فرحوا به . وكان هذا أبو يحيى عارفاً بشيء من السيمياء [1] فسيّر الملك وراءه علجاً يقول له : « أظهرهم شيئاً من علمك تستميلهم به ، وأنا // أعطيك بجاية » . ثم إن العربان قدموا له الخيل والنياق ، وأحضروا المغاني ، وعفّروا قدامه . وبقي عندهم ثلاثة شهور يركب في جمهور القوم ، وهو عندهم في غاية الإكرام . ١٢٨ و

ذكر خطبة الملك محمد بنات أمراء العربان

ثم إن الملك محمد ، صاحب تونس ، كتب إلى الشيخ أبي يحيى يأمره أن يخطب له ثلاث بنات من الثلاثة أفخاذ ، من كل أمير بنتاً ، كايناً ما كانت مليحة أو قبيحة ، فقرئ الكتاب على العربان ، فقال بعضهم لبعض : « أنتم الظالمون وإلا أمير المؤمنين رجل جيد وكريم » . ورفعت الرايات ، وزفت البنات في أحياء العربان فرحاً باتصالهم إلى الملك . وكان الشيخ أبو يحيى قد احتوى على عقول العربان وخلبهم ، واستولى على الرفيع منهم والوضيع ، مما كان يحدثهم به من علم السيمياء ، بما يعتمدون عليه مما يطرأ لهم وعليهم ، ويستتر في ذلك بعلم الرمل . فاشتد ميلهم إليه ، وكتبوا إلى الملك بأن يكون مقدمهم // وحينئذ نعطيك بناتنا ، وإن مات فيكون ولده مكانه . ١٢٨ ظ

---

(١) السيمياء (La Chiromancie) ضرب من السحر . (خورشيد [مكدونالد Macdonald] : مادة « السيمياء » ، دائرة المعارف الإسلامية ١٣ ، ص ٢٠ ب ـ ٢٣ ب) .

فلما وصل الكتاب إلى الملك صاحب تونس ، طرب لذلك طرباً شديداً ، لعلمه بتمكنه منهم ، وأمر لمحضر الكتاب بألف دينار عيناً ، وعشرة أكسية حمر ، وعشراً من الإبل ، وخمسة من الخيل ، وخمس جوار خدامات [1] ، وجعل جامكية وجراية لمن يلوذ به . وقال : « تكون رسولاً بيني وبينهم ، وذلك مقدماً كما طلبوا ، وقد أعطيتك بلداً يقال لها الحَمّا تستغلها لتقوى بها » . فسار الرجل ، وقد رفع راية بيضاء لأمير المؤمنين صاحب تونس . فلما وصل إلى العرب المذكورين ، ورأوا ما معه ، وسمعوا بما وعد به ، فتمنى كل واحد منهم أن يكون مكانه ، وانكفَّ شرهم عن البلاد ، وحصل بها من الأمن أضعاف ما كان بها من الخوف .

ذكر عود أبي يحيى وأولاد أمراء العربان صحبته

١٢٩ و ثم إن الملك محمد صاحب تونس كتب إلى الشيخ أبي يحيى بن صالح // يستدعيه إليه ، وقال له : « من اختار من أمراء العربان أن يصحبك فاستصحبه معك » . فصحبه من العربان تسعة نفر من كل فخذ ثلاثة ، وهم أولاد الأمراء المذكورين . فدخل إلى تونس ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، خرج الملك بنفسه من غير عادة تقدمت له لذلك لأحد ، ففزع أبو يحيى من هذا التجاوز في الاحترام الحدَّ ، فأقام ثلاثة أيام يسأل العفو من هذا الذي عامله به ، فقال له : « لا عليك إنها داهية في حق العربان ! » . ثم أنزل التسعة المذكورين ومن معهم ، وصاروا كل ليلة يحضرون مجلس صاحب تونس ، ويشربون وينصرفون بالخلع والمال . ثم إن الملك أحضر يهودياً نقاشاً وقال له : « افتح لي سكة يضرب عليها دينار ماية مثقال » . فقال له : « السمع والطاعة ، غير أنها إذا أفرغت يتصدق الملك عليّ وعلى عائلتي بما علينا من الجالية ! » . فقال : « نعم ! » . فذهب وفتح السكة ونقشها ، فضرب عليها عشرة آلاف ديناراً . ثم دخل دار الحرير ، وهي دار الطراز ، فأبطل ما كان بها من أشغاله ، وأمر أن يعمل بها //

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١٤ « جمار خدمات » .

١٢٩ ظ ثياب برسم بنات العربان الذين خطبهم [١] ، وأن يعمل شوار كل بنت رنك [٢] أبيها . وأخرج الذهب ، وجعل في الصناديق مقسوماً سوية ، وأخرج ستة من العدول صحبة الذهب ، وسيّر الجميع إلى العربان ، ليكون كتبة الكتاب عندهم ، وقيل لهم فيما قيل : « من شاء منكم أن يحضر ، ومن شاء يقيم مكانه » . فلما رأت أمراء العربان أن أولادهم عادوا سالمين ، ورأوا ما معهم من الأموال ، ورأوا أيضاً تلك الأموال ، والقماش وقد فرش في البرية ، فذهلت عقولهم ، واشتدت أطماعهم ، ولم يبق لهم حديث إلا فيه ، ولا لهم فكر ينصرف عنه . فلما كتب الكتاب عادت العدول إلى تونس ، وتنوسي ذلك الأمر قليلاً . ثم كتب كتباً تتضمن أنه قد طرأ [٣] أمر نحتاج فيه إلى المشورة ، فمن أراد منكم أن يحضر المشورة فليحضر ، فأول من سارع إلى ذلك التسعة المقدم ذكرهم ، ثم وصل معهم نحو السبعين رجلاً من كبارهم . فأركب الملك ولده للقائهم ، وأنزل كل عشرة منهم في دار ، وأوسع عليهم في النفقات والمأكول

١٣٠ و والمشروب ، وصاروا // معه حيث كان فأقاموا على ذلك عشرة أيام . ثم قال لهم : « إن الأمر الذي أحضرناكم فيه قد قضي من غير احتياج إلى مشورة فيه وذلك ببركاتكم فارجعوا إلى بلادكم » . فخرجوا رافعي الرايات داعين للملك شاكرين . فأخذ رجل منهم في الطريق عشرة أرؤس بقراً ، فقطعوه بالسيوف ، وسيروا رأسه إلى تونس . فشق ذلك على الملك وقال : « البقر بقري ، ولعل قد كانت له حاجة بها فلم فعلتم به ما فعلتم ؟ » . ثم أمر أن تعمل له جنازة ويدفن . فأمنت العرب بذلك غاية الأمن ، واطمأنوا غاية الطمأنينة ، وأقاموا على هذه الحال سنة كاملة ، فحصل لصاحب تونس ، بسبب أمن البلاد ، أضعاف ما أنفق من [٤] في العربان من المال .

(١) كذا ؛ والصواب : اللواتي خطبهن .

(٢) جمعه رنوك ، وهي الشارات التي اختص بها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة . والرنك : كلمة فارسية بمعنى لون ، وقد استعمل المماليك هذه الكلمة في الديار المصرية والشامية للدلالة على الشارة ، أو الشعار أو العلاقة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وذلك عند تأمير السلطان له . (المجلة التاريخية المصرية ٢١ : ٦٧ ـ ١٠١) .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١٥ « طرى » .

(٤) لفظة « من » : لعلها زائدة .

ذكر وفود ابن غمراص ملك البربر

ورد على صاحب تونس ، من أكابر ملوك البربر ، ابن ملك منهم يعرف بابن
١٣٠ ظ غمراص [١] فاحتفل به الملك ، واستدعى أهل // البلاد والعربان ، فبادرت أمراء
العربان ، قبل جميع الناس ، وهم يومئذ سبعون أمير [٢] . فخرج إلى لقائهم بنفسه ،
وضربت لهم الخيم ، وقيل لهم : « أنتم معتادون البرّ ، وما تطيب لكم العماير ، فاقعدوا
على عادتكم ، ومن أحب منكم أن يدخل البلد فليدخل ! » . وأخلى لهم عشر [٣] دور
برسم راحتهم في النهار واحترمهم الحرمة التامة ، بحيث أنه كان الرجل من أهل البلد
يقتل قتيلاً ويلم بأبياتهم ، فلا يؤذى . ثم إن ابن غمراص ركب قاصداً الملك ، فركبوا
في خدمته ، وذخلوا تونس ، فقام لهم صاحب تونس ، وجعل يثني عليهم وعلى ابن
غمراص أيضاً ، وأمراء العربان يقبلون الأرض عقيب كل شكر . ثم طلبهم أن يدخلوا
قصره ليلة واحدة ليشربوا معه ، فدخل منهم الأكثر ، وتوقف منهم نحو العشرين نفراً
لم يدخلوا . فسير لهم من المأكول والمشروب وغرايب ما عنده ، وقال لهم : « إنما
١٣١ و طلبتكم لأريكم زخرف ما عندي ، فمن خطر له الدخول إلى عندي // دخل ، ومن
اختار المقام فليقم » . ثم إنه أظهر لأولئك الذين دخلوا القصر من أنواع الزينة ما أذهل
عقولهم ، وأخرج من جواريه نحو الخمسين جارية ، يرقصن بين أيديهم ، ومن خطر
له جارية منهن أُعطيها ، وأنعم على الحاضرين بالذهب ، ولم يُسير للبرانيين شيئاً . فلما
أصبح ركب معهم ، وخرجوا إلى عند الجماعة المتأخرين ، وسلّم عليهم وثنى رجله على
مَنْسَج جواده ، وقال لهم : الغدرُ باقٍ فيكم ، فلهذا تأخرتم ، ولكن ما نواخذكم بل
نعمل لكم قبة في وسط القصر جديدة ، ونسميها قبة العرب ، تجتمعوا [٤] فيها على
اختياركم ، ومن أول يوم نضع أساسها نشرب فيها » . فرضوا بذلك ، فقال رجل

---

(١) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١٥ « بابن عمراض »
(٢) كذا ؛ والصواب : أميراً .
(٣) كذا ؛ وصوابه عشرة .
(٤) كذا ، والصواب : تجتمعون .

منهم ، يقال له صابر الدبابي ، « افتخر بنا يا أمير المؤمنين ، فمن أعمارنا ما قبلنا يد ملك ، ولقد كان والدك يحسن إلينا وما نشتهي نراه » . فتبسم وقال : « إن العرب يتكلمون بما يريدون » . ثم أمر لهم بمثل ما أعطى من كان معه من الذهب . ثم ساق بخيله // ومماليكه وقال : « لي شغل فاستريحوا في مواضعكم » . ثم سار إلى أن دخل قصره . ١٣١ ظ

ذكر مكيدة صنعها للعربان تمّت

وعندما دخل قصره استدعى معماراً يقال له عمرون القرطبي ، وقال : « أريد أن تبني لي في هذه الرحبة قبة أربعين ذراعاً في مثلها تكون جميعها حجراً صامتاً ويكون لها ثلاثة أبواب ، باب يختص بالعرب ، وتكتب عليه أسماؤهم ، وباب سر أدخل منه وأخرج ، وباب آخر للحاشية » . فرسمت القبة بالجير ، وأمر بقطع الحجارة فقطعت في أسرع وقت . ثم إن الملك عانق عمرون المعمار ، من غير عادة تقدمت ، وقال له : « إني وقفت على سيرة بعض الخلفاء ، فرأيت فيها أنه قتل جماعة في قبة أساسها ملح سُيّب عليه الماء فسقطت ، فهل لك في ذلك حيلة ؟ » فقال : « إنني أشدّ الناس حيلة // * في ذلك » . فتقدَّم بعمل فرن حيلة لإحضار الملح ، لئلا يتهم في إحضاره . ثم شقَّ الأساس ، وردم ملجأ في الليل ، فلم يصبح إلا وهو قد دار بالحجارة دوراً واحداً . ثم طلب العرب فحضروا ، وبسط المكان وجلس الملك والعربان يشربون ، والصناع تعمل إلى العصر ، فركب وتركهم بالمكان ، فمنهم من خرج بعده ، ومنهم من تأخر إلى المغرب ، وبقي على هذا الحال يشرب في ناحية القبة ، والصناع تعمل في الجهة الأخرى مدة أربعين يوماً . وكملت القبة ، فرسم ببياضها وتصوير العربان منها ، فكان البدوي منهم ينظر إلى صورته كأنها تنطق ، فيعجب من حذق الصانع . وكان بالقصر حمام عتيقة ، مجرى مائها حاكم على أساس القبة ، فخزن الماء ، من حين الشروع في بنايها ، ١٣٢ و

(*) إشارة إلى بدء « الخامس عشر من الجزء الثاني » .

في بركة معدّة له . فلما تمت القبة قال لهم الملك : « إني الليلة بايت بالقبة معكم ، فلا ينصرف منكم أحد » فشربوا من آخر النهار ، واستقبلوا الليل بالسرور والأفراح . //

١٣٢ ظ وكان قد حصل عند العربان في هذه المدة الأمنُ الزايد الذي لا يرتابون معه ، فهم على غاية الطمأنينة ، وأمر الملك أن يحفر التراب من على الأساس ، إلى أن يظهر الملح ، ويطرّق إليه طريق من الحمام ويستر بالبسط . ثم أحضر منجماً يقال له أبو الرقيقة من أهل إشبيلية ماهراً في صناعته ، وقال له : « إذا أطلق ماء سخن على أساس ملح ، ففي كم يذوب ؟ » . فقال له : « في تسع ساعات » . فصرفه ، وعلّق الأصطرلاب [1] على عشر ساعات من الليل . ثم إنه دخل بهم في ثالث ليلة ، ولم يغب منهم أحد إلا بكمالهم وجلسوا على عادتهم ، وأطلق الماء من المغرب في الأساس ، فساح الماء على الملح إلى ثامن ساعة ، فقام أمير المؤمنين ، بعد أن جهز من يعزّ عليه ، في اشتغال ، وترك من لا يريده معهم وخرج ، فأوسع طريق الماء بالأسياخ إلى أن ذاب أكثر الملح ، وقوي عليه الماء ، فسقطت يداً واحدة ، فلم يسلم منهم أحد ، وكان قد

١٣٣ و أمرهم أن يكتبوا إلى أولادهم ليحضروا البنات ، ويحضروا أَخْذَ الذهب ، // فكتبوا من حال وصولهم ، فاتفق أن الأولاد [تأخروا] إلى أن نجزت أشغالهم وتوجهوا ، [و] وافق وصولهم صبيحة الليلة التي سقطت فيها القبة . فلما حضروا رأوا الملك باكٍ [2] ، وعليه ثوب قطن ، والحزن ظاهر عليه ، فقال لهم : « ما ترون ما قد جرى على هؤلاء يعزّ والله عليّ ، ولكن هذا أمر سماوي ما لأحد فيه حيلة ! » . ثم إنه طلب المعمار فضرب عنقه ، لئلا يشيع هذا الأمر ، ونبش العربان فدفنوا ، وحلف الأولاد وبايعوا مبايعة جديدة ، واستقر له الملك من يومئذ ، واستعاد من العربان ما كان أعطاهم من البلاد الخمس المذكورة ، وعوّضهم عنها بالغلال . وكان من سيرته أن سلاح جنده جميعه وآلة الجهاد والحرب عنده مخزونة في خزاينه ، وعلى كل سلاح اسم صاحبه لا يمكن

(١) الأسطرلاب ، ويكتب أيضاً بالصاد ، لفظ يطلق على عدة آلات منها آلة تستعمل لتحديد الوقت .
(W. Hartner: art. Asṭurlāb". EI, 2 I, p. 744A-749B)

(٢) الصواب : باكياً .

أحداً من التصرف في شيء منه ، فإذا اتفق حرب حملت العُدد على الجمال وأخرجت
ففرقت على الرجال ، فإذا قضي الشغل أعيدت إلى الخزاين ، وكلما عتق منها شيء
١٣٣ ظ جدد ، وكلّما // فسد شيء أصلح من ماله ، وإن مات الرجل ورثت لولده ، وإن لم
يكن له ولد ولا وارث تركت لرجل غيره . ولم يعتمد هذا في تونس غير أمير المؤمنين
أبي عبد الله محمد هذا بعد عمومته ، وقتله إياهم خوفاً من الخروج عليه ، فلم تطمئن
نفسه إلا بما ذكرناه آنفاً . وأما الأجناد ، فلم يكن لأحد خبز [١] بل نقد ، ولا لأحد
من الناس في البلاد شيء إلا من كان له ملك من أجداده فهو باق عليه . وارتفاع البلاد
بأسرها يجمع ويحمل ، ثم يفرّق في السنة ، أربع مرات كل ثلاثة شهور نفقة ،
ومجموع المال ؛ فالربع والثمن لأمير المؤمنين ، والنصف والثمن لبيت المال ، فما يصرف
على الشواني للجهاد والعماير وإصلاح ما يجب إصلاحه من البلاد من النصف والثمن
بأمر قاضي القضاة ، وما يخص أمير المؤمنين من خيل وسلاح ولباس وعدة ومماليك
ونفقات ، فهو من الربع والثمن ، ومن خامر من الجند أو مات وليس له وارث عاد
١٣٤ و ما ترك إليه مع الربع والثمن ، // فيصير له نحو من النصف والثمن ، فيكون له من
هذا الوجه نصف وثمن ، ولبيت المال نصف وثمن [٢] .

١٣٥ ظ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
وهي سنة خمس وسبعين وستمائة

إبراهيم بن محمد بن علي الرّباني المالكي ، المعروف بالبوشي ، القاضي برهان
الدين . توفي يوم الإثنين الحادي عشر من شهر شعبان ، ودفن بتربة المولى الصاحب
بهاء الدين علي بن محمد ، ومولده في شهر رمضان المعظم سنة إحدى وثمانين وخمس
ماية . قرأ الفقه على جماعة منهم الفقيه جلال الدين بن شاس المالكي ، والفقيه أبو

---

(١) جمعه أخباز ، ومعناه إقطاع من الأرض ، ويقابله Apanage في أنظمة العصور الوسطى في غرب أوروبا .
Dozy· Supp. Dict. Ar. I, p. 348.

(٢) الورقتان ١٣٤ ظ ـ ١٣٥ و ساقطتان في الأصل .

المنصور الكبير ، والفقيه جمال الدين بن رشيق ، والفقيه العالم تقي الدين المقترح ، وسمع الحديث على جماعة من أصحاب السلفي وابن المقدسي وغيرهم ، وولي عقود الأنكحة والفروض بالديار المصرية في أيام القاضي شرف الدين بن عين الدولة [١] ، واستمر في أيام القاضي بدر الدين أبي المحاسن يوسف // السنجاري [٢] ، في سنة تسع ١٣٦ و وثلاثين وستماية . ولم يزل مستمر المباشرة إلى أن ولي قضاء ثغر الإسكندرية المحروس ، في أوايل سنة أربع وسبعين وستماية ، ووصل إلى مصر وانقطع في بيته بمصر ، إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ .

أحمد بن الإمام شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن قاضي القضاة شرف الدين عبد الله بن أبي عُصرون الشافعي ، الشيخ الفاضل قطب الدين . توفي [يوم الأربعاء] [٣] في السادس عشر من جمادى الآخرة بحلب ، ومولده [بحلب] [٤] في [شهر رجب] [٥] سنة اثنتين وتسعين وخمس ماية . اشتغل بالفقه على [٦] الفقيه الإمام سُرْخاب [٧] ، وعلى والده شهاب الدين [٨] وعلي ابن عساكر [٩] ، وقرأ القرآن على جماعة ، ودرَّس نيابة عن أبيه بالمدرسة العصرونية [١٠] بحلب ، واستقل بالتدريس

---

(١) شرف الدين ، أبو المكارم ، محمد بن عبد الله بن الحسن ، المعروف بابن عين الدولة ، قاضي القضاة . ولد بالإسكندرية سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م ، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٣٩ هـ/ أيار ١٢٤٢ م . (الأسنوي ١ : ٥٤٤ ـ ٥٤٥) .

(٢) توفي بالقاهرة في ١٤ رجب سنة ٦٦٣ هـ/ ٢ أيار ١٢٦٥ م ، تولى قضاء القضاة بالديار المصرية عدة مرات . (أبو شامة : ٢٣٤) .

(٣) و(٤) و(٥) التكملة من اليونيني ٣ : ١٩٠ .

(٦) لفظة « على » : مكررة في الأصل .

(٧) و (١٠) الإمام فخر الدين سرخاب بن الحسن بن الحسين الأرموي مدرّس المدرسة العصرونية الشافعية بحلب . توفي بإربل في ١١ جمادى الآخرة سنة ٦٠٧ هـ/ ٣٠ تشرين الثاني ١٢١٠ م . (ابن شداد ١/١ : ٩٩) .

(٨) عبد الله بن المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون ، أبو العباس ، شهاب الدين . توفي ليلة ٢٨ محرم سنة ٦٣٢ هـ/ ٢٣ تشرين الأول ١٢٣٤ م . (أبو شامة : ١٦٢) .

(٩) علي بن القاسم بن علي بن عساكر ، أبوالقاسم ، عماد الدين توفي ببغداد في ٣ جمادى الآخرة سنة ٦١٦ هـ/ ١٦ آب ١٢١٩ م . (المصدر نفسه : ١٢٠) .

١٣٦ ظ بعد وفاة والده ، ثم خرج من حلب في سنة // سبع وثلاثين وستماية . ونجع إلى دمشق المحروسة ، وقصد الديار المصرية واجتمع بالملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأحسن إليه ، ودرّس بالمدرسة [(١)] المعروفة بإنشاء جدّه بدمشق ، ثم درّس بالمدرسة الأمينية [(٢)] ولم يزل مدرساً بها في الأيام الصالحية النجمية ، والأيام الناصرية ، والأيام الظاهرية ، إلى سنة تسع وستين وستماية ، فخرجت عنه وبقي بيده مدرسة جدّه بدمشق المحروسة ، إلى أن توفي . كان شيخاً فاضلاً عالماً زاهداً صالحاً كثير الخير ــ رزقنا الله بركاته ــ .

إسماعيل بن محمد بن محمد القيرواني ، مدرّس مدرسة [(٣)] الصاحب صفي الدين عبد الله (بن علي) [(٤)] بن شكر ، وجيه الدين . ذكر أنه يَعدّ من أجداده أحد عشر محمداً بن محمد متوالياً . توفي يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان المعظم ، ودفن ١٣٧ و بتربة بني صدر الدين بالقرافة . وسئل عن مولده فقال : « لا أعلم » ، وقال : // « سئل مالك عما لا يعلم ، فقال لا أعلم » ، وكان قد قارب الثمانين سنة ، أصله من القيروان ، اشتغل بها وبتونس على أبي عبد الله التونسي ، وعلى ابن زيادة الله وابن عَوانة ، وعلى جماعة من علماء أفريقية ، ورحل إلى مصر والشام والعراق . كان عدلاً عاقداً للأنكحة بالقاهرة المحروسة نيابة عن قاضي القضاة شرف الدين أبي حفص عمر المالكي السبْكي [(٥)] ــ رحمه الله ــ .

---

(١) هي المدرسة العصرونية (شافعية) ، بناها قاضي القضاة شرف الدين عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (٤٩٢ ــ ٥٨٥ هـ / ١٠٩٩ ــ ١١٨٩ م) داخل بابي الفرج والنصر ، شرقي القلعة وغربي الجامع بمحلة حجر الذهب (ابن شداد ٢/١ : ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ؛ النعيمي ١ : ٣٩٨ ــ ٤٠٣) .

(٢) مدرسة شافعية ، بناها أتابك العسكر بدمشق أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكي ، المتوفى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ ــ ١١٤٧ م ، قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي (ابن شداد ٢/١ : ٢٣١ ، النعيمي ١ : ١٧٧ ــ ١٧٨) .

(٣) تقع « هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين وموضعها من جملة دار الديباج » وتسمى بالمدرسة السيفية . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٣٦٨) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من المتن ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

(٥) توفي بالقاهرة في ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٦٩ هـ / ٥ تموز ١٢٧١ م ، ودفن من الغد بمقابر باب النصر . مولده بالصالحية ، من الأعمال القليوبية ، في ذي الحجة سنة ٥٨٥ هـ / كانون الثاني ــ شباط ١١٩٠ م . والسبْكي نسبة إلى سبْك من أعمال المنوفية . (النويري : ٤٦ و ؛ الإسنوي ٢ : ٧٥) .

أيد غدي الأمير علاء الدين الرمح دار الصالحي الحِلّي . توفي في الثالث والعشرين من ذي القعدة ولي الحرب بقوص وإخميم وأعمالهما من سنة احدى أو اثنتين (وستين) [١] وستماية إلى حين وفاته . وكان عظيم المقدار في ولايته ، أباد جماعة من العربان المنافقين المفسدين بالصعيد ــ رحمه الله ــ . //

١٣٧ ظ **جعفر** بن محمد [بن علي أبو محمد المذحجي] [٢] الآمدي ، القاضي بدر الدين . توفي في السادس والعشرين من شهر شوال [٣] بدمشق ، وكان عمره يومئذ ثمانين سنة ، ومولده بآمد [في سنة سبع وتسعين وخمس مائة] [٤] . كان ناظراً بديوان دمشق في الأيام الصالحية (العمادية) [٥] ، وولي الولايات الكبار بدمشق وحمص ، ثم انتقل إلى الديار المصرية (في أيام السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب) [٦] ، وولي بها أكبر الأعمال ، ثم عاد إلى دمشق ، وولي النظر بها (في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ــ رحمه الله ــ) [٧] ، ولم يزل بها ناظراً إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ .

خالد بن القاضي علم الدين عبد الرحمن بن موفق الدين معدّ بن البوري ، نسبه متّصل بعُمر بن عبد العزيز الأموي القُرشي ــ رضي الله عنه ــ القاضي قطب الدين . توفي يوم الأربعاء سلخ ذي القعدة ، وكان عمره إذ ذاك تسعة وستين سنة ، ومولده بدمياط . ولي النظر بثغر دمياط مدة عشر سنين ، ثم نقل إلى نظر الشرقية [٨] والشمور . ثم ولي ١٣٨ و نظر الرباع والأحكار // بمصر والقاهرة المحروستين ، ولم يزل مستمراً إلى أن توفي .

سليمان بن الخطيب عماد الدين داود بن عمر بن يوسف بن يحيى بن عامر بن كامل ، فخر الدين ، خطيب بيت الآبار من أعمال دمشق . توفي سابع صفر بدمشق ، وكان في عشر الستين .

---

(١) ساقطة من المتن ومستدركة على الهامش بالخط نفسه .

(٢) و (٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٩٠ والنويري : ٥٩ ظ .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني : « رابع عشرين شوال » وفي النويري : « رابع عشر شوال » .

(٥) و (٦) و (٧) ساقطة من المتن ومستدركة على الهامش بالخط نفسه .

(٨) عمل هام من أعمال الوجه البحري من الديار المصرية ، قاعدته مدينة بلبيس (بكسر الأول وسكون الثاني) . (القلقشندي ٣ : ٤٠٠ ــ ٤٠١) .

رضوان الشيخ رضي الدين الفارقاني الأصل والمولد المصري الدار . توفي في الحادي والعشرين من شهر رجب الفَرْد شهيداً ، وسبب موته أنه كان مقيماً بالرصد ظاهر مصر منقطعاً به متزهداً ، وكان يصحبه ويتردد إليه رجل يقال له يوسف بن أخي البدر [(١)] النحاس ، فحصل بينهما شنآن فحقد عليه الشخص المذكور باطناً ، ولم يره شيئاً من ذلك ، وتردَّد على حاله إلى تلك الليلة المتوفى بها ، أحضر طعاماً قد جعل فيه البنج ، فلما // أكله غاب عن الحس ، فخنقه وقضى عليه ، وخنق ولده ورمى به في بيت الماء ١٣٨ ظ وفيه روح ، فافتقدوه ، فسمعوا صوت الصغير في بيت الماء ، فأصعدوه ، فقال لهم صورة الحال ، وعاش ومات والده ــ رحمه الله ــ .

رمضان بن قُطلو أبا السُّرماري الحنفي ، المدرس بالمدرسة السيفية بالقاهرة المحروسة ، صاين الدين . توفي يوم الثلاثاء رابع شهر شعبان ، ومولده في سنة أربع عشر وستماية . سمع الحديث من الشيخ الحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الأدمي الدمشقي بحلب ، واشتغل بالفقه في الروم على الإمام نجم الدين القبر شهري وعلى الإمام صدر الدين الخلاطي ــ رحمه الله ــ .

عبد الله بن الفقيه زكي الدين أبي الفتح نصر بن ظافر بن هلال ، المعروف بابن الفقيه نصر ، عماد الدين . توفي في الليلة المسفرة عن صباح الأحد سلخ جمادى الأولى ، ودفن // بالقرافة الكبرى ، وكان عمره نيف [(٢)] وسبعين سنة . كان رجلاً ١٣٩ و عاقلاً ديناً كثير المرؤة صالحاً ، وكان تاجراً من المترددين إلى اليمن وغيرها من البلاد .

عبد العزيز بن أبي القاسم عبد الله بن الفضل ، الهاشمي العباسي الحلبي المعروف بابن ملكة ، السيد الشريف بهاء الدين أبو هاشم . توفي في الخامس عشر من ذي القعدة بدمشق ، وقد استوفينا نسبه في وفاة والده سنة ست عشرة وستماية ، ومولده سنة ثلاث عشرة وستماية بحلب . كان حنفي المذهب ، اشتغل بالفقه على تاج الدين بن الإفتخار ،

(١) الشيخ بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن النحاس . توفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ ــ ١٢٤٠ م . (ابن شداد ١/١ : ١١٧) .
(٢) الصواب : نيفاً .

وعلى جمال الدين خليفة بن سليمان القرشي الحنفي . كان عدلاً من عدول القاضي كمال الدين [١] قاضي قضاة حلب ، وكان ملازماً للخير والعفة والنزاهة كثير الرياسة ـ رحمه الله ـ . //

١٣٩ ظ **عثمان** بن رمضان بن أبي الكرم بن إبراهيم بن عبد الخالق الشيخ الفقير الفقيه رشيد الدين . توفي في السادس من ذي القعدة ، بعد صلاة الظهر ، بالمعشوق خارج مصر ، وصلّي عليه بجامع راشدة [٢] ، ودفن نهار الثلاثاء بتربة الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفايزي ، وكان له من العمر تسعون سنة . قرأ على الإمام العالم سيف الدين الآمدي وصحبه، وسمع من جماعة ، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، وصحب الشيخ علي الحريري [٣] وجماعة من المشايخ ، وكان زاهداً عابداً كثير الورع ، ومن جملة زهده أنه لم ينكح يوماً قط ، ومولده بدمشق . وانتجع الديار المصرية في سنة ثمان وخمسين ، وانقطع إلى الصاحب فخر الدين بن المولى الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن محمد . ولما توفي الصاحب فخر الدين انقطع إلى ولديه ، الصاحب تاج الدين

١٤٠ و والصاحب زين الدين ولم يزل في خدمتهما إلى أن // توفي . سمع الحديث بالموصل من الشيخ علي بن هبل [٤] المتطبب وحدث عنه بمصر .

عثمان بن حسن المعروف بابن دحية ، كمال الدين ، توفي في شهر جمادى الآخرة

---

(١) كمال الدين ، أبو القاسم ، عمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم . مؤرخ مشهور ، جمع تاريخاً كبيراً لمدينة حلب (بغية الطلب في تاريخ حلب وزبدة الحلب في تاريخ حلب) . ولد بحلب سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م .

B. Lewis: art. "Ibn al-'Adīm", EI 2, III, p. 717B-718A

(٢) كان هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط في خطة راشدة (قبيلة من المغرب) . أنشأه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وتم بناؤه سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، ثم هدم وعمر بعد الأربعمائة وجدد بعد ذلك مراراً ، وقد زال هذا الجامع ولم يبق له أثر . (مبارك ، الخطط ٤ : ١١٤) .

(٣) توفي في رمضان سنة ٦٤٥ هـ / كانون الثاني ١٢٤٨ م . كان هذا الشيخ يستخف بأمور الشريعة مما جعل جماعة من علماء المسلمين يفتون بقتله (أبو شامة : ١٨٠) .

(٤) الطبيب العلامة مهذب الدين علي بن أحمد بن علي البغدادي نزيل الموصل ، المشهور بابن هبل . توفي سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ ـ ١٢١٤ م . (ابن العماد : ٤٢) .

قريباً من مدينة قوص ، ودفن بالصعيد ، وكان عمره إذ ذاك سبعة وأربعين سنة . سمع الحديث على جماعة ، وكتب بخطه الكثير ، وكان رجلاً عاقلاً محدِّثاً ، أخذ عن أبيه [(١)] وعمه مجد الدين أبي الخطاب عمر [(٢)] وجماعة من مشايخ مصر ، وحصل أشياء حسنة ورواها وحدث بها . وكان ابن عمه الشيخ الإمام العلامة شرف الدين [(٣)] ابن دحية المشهور لم يزل مجتهداً في عبادة الله إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ .

١٤٠ ظ علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري // القاضي شمس الدين . توفي في سادس عشر شوال ليلة الثلاثاء ، وصلّى عليه مجد الدين بن العديم [(٤)] ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر بدمشق ، ومولده بشهرزور سنة خمس وستمائة . اشتغل على الشيخ شرف الدين ابن عم الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، ثم على الشيخ تقي الدين المذكور ، وله سماع عال ، وحدّث . ولي تدريس المدرسة القيمرية بدمشق ، وولي الإعادة بمدرسة زين التجار ، التي أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الكبير قريب [(٥)] من الجامع العتيق [(٦)] بمصر ، ثم ولي الإعادة بالمدرسة الأسدية [(٧)] بحلب ،

---

(١) توفي بالقاهرة سنة ٦٣٤ هـ ودفن بسفح المقطم . كان يعرف بأبي عمرو عثمان بن دحية . (أبو شامة : ١٦٤ ؛ ابن واصل ٥ : ١٦٨ ، المقري ، نفح الطيب ٢ : ٩٤ ـ ٩٥) .

(٢) توفي بالقاهرة في ربيع الأول سنة ٦٣٣ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٢٣٥ م ، ودفن بسفح المقطم له مصنفات عدة منها كتاب « التنوير في مولد السراج المنير » و « العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور » ، وكتاب « النبراس في خلفاء بني عباس » (أبو شامة : ١٦٣ ؛ ابن خلكان ٣ : ٤٤٨ ـ ٤٥٠ ، ابن واصل ٥ : ١٦٧ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك ٣ : ٤٣٠ ـ ٤٣١ ، المقري ٢ : ٩٩ ـ ١٠٤) .

(٣) محمد بن عمر بن حسن المعروف بابن دحية شرف الدين (٦١٠ ـ ٦٦٧ هـ / ١٢١٣ ـ ١٢٦٩ م) (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٧٧ ظ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ٣٥٣) .

(٤) مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم ، قاضي قضاة الحنفية بدمشق . ولد في جمادى الأولى سنة ٦٠٤ هـ / وتوفي بدمشق في ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ / آب ـ أيلول ١٢٧٨ م . (النويري : ١٠١ ظ ـ ١٠٢ و) .

(٥) الصواب : قريباً .

(٦) بناه عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وسمي بجامع الجوامع . وقد خرب مع الوقت وأمر الملك الظاهر بعمارته من بيت المال ، وتم ذلك في شهر رجب سنة ٦٦٦ هـ / آذار ـ نيسان ١٢٦٨ م . (ابن دقماق ٤ : ٥٩ ـ ٧٤) .

(٧) أنشأها أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان . (ابن شداد ١/١ : ١٠٣) .

وصحب بني عصرون [١] وسافر معهم ، وصحب الصاحب كمال الدين ابن العديم وسافر معه لما كان يتوجه في الرسائل إلى بغداد وغيرها من البلاد . وولي نيابة الحكم عن القاضي شمس الدين ابن خلكان بدمشق ، ولم يزل مدرساً بالمدرسة التي أنشأها الأمير ناصر الدين // * الحسين بن عزيز القيمري إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ . ١٤١ و

علي بن عمر بن شبل الصنهاجي المعروف باليغموري . توفي في العشرين من ربيع الأول بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم بالقرافة الصغرى ، وكان قد نيف على الخمسين سنة . كان في مبدأ عمره جندياً مع الأمير جمال الدين موسى بن يغمور ؛ فلما توفي تزهد واشتغل بعلم الحديث وسماعه واقتنى كتباً كثيرة ـ رحمه الله ـ .

فرج بن الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب جمال الدين . توفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي الحجة بمصر ، ودفن من الغد بالقرافة جوار تربة الإمام عز الدين بن عبد السلام ، وكان // مولده بسميساط [٢] سنة ثمان وستمائة . كان سبب موته أنه كان قد حصل له عرق النسا ، وضعف بسببه ، فدخل الحمام وأطال مكثه بها ، فأخذت منه فمات . كان من عقلاء الناس ، لم يزل مقيماً بسميساط إلى سنة اثنتين وثلاثين فتوفي والده فيها ، فقصد هو وإخوته خدمة الملك الكامل ، فأقبل عليهم ورتب لهم راتباً بالرها . ولم يزالوا في خدمته إلى أن توفي الملك الكامل في سنة خمس وثلاثين وستمائة ، فنقلوا إلى حلب ، وأبى المذكور الخدمة ، بل انقطع إلى منزله يعاني المتجر . فلما جرت الكاينة ، سنة ثمان وخمسين وستماية ، نجع إلى الديار المصرية ، وأقام بقلوسنا منقطعاً إلى أن حصل له ما ١٤١ ظ

(١) ينسب إلى هذه العائلة العديد من القضاة وأهل العلم كما تنسب إليهم مدرسة . نذكر منهم على سبيل المثال : القاضي محيي الدين المتوفي سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م وشهاب الدين عبد الله المتوفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥ م ، وولده معين الدين المتوفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وقطب الدين أحمد بن عبد السلام المتوفي سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧ م . (أبو شامة : ٢ ، ٥٢ ، ١٦٢ ـ ١٩٤ . وانظر أيضاً ما ذكره المخطوط الذي بين أيدينا من مشاهير هذه العائلة المتدينة) .

(*) إشارة إلى بدء « السادس عشر من الجزء الثاني » .

(٢) ضبطه ياقوت بضم أوله وفتح ثانيه ... وتُرجم إلى الفرنسية (Samosate) وهو اسم لمدينة تقع على التاطئ الغربي لنهر الفرات ، سكانها أرمن . (ياقوت ٣ : ٢٥٨ ؛ Dussaud, op cit., p. 489, n 1) .

ذكرناه من المرض ، فقصد مصر ليتداوى بها فمات .

١٤٢ و **الفضل** بن محمد بن يحيى بن عقل البهنسي [١] // القاضي جمال الدين . توفي في مستهل جمادى الآخرة ببلبيس ، ودفن بها ، ومولده في سنة أربع وستماية . ولي قضاء بلبيس نيابة عن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين الشافعي ، ولم يزل بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور . كان فقيهاً عالماً شافعياً ــ رحمه الله ــ .

قَيران الفخري الأمير شرف الدين . توفي بحلب في شهر جمادى الآخرة . كان المذكور عتيق الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، وتقدم في الدولة المعزية . ولي أستاذية الدار [٢] للأمير فارس الدين أقطاي الجمدار الصالحي ، ورسَّله إلى الملك الناصر صاحب الشام وإلى حماة لإحضار زوجته بنت الملك المظفر صاحب حماة ، فاتفق قتل الفارس أقطاي في شهر شعبان سنة اثنتي [٣] وخمسين وستمائة ، فعاد المذكور ودخل

١٤٢ ظ الديار المصرية . واستمر في خدمة // الملك المعز عز الدين أيبك التركماني إلى أن توفي ، وخدم ولده الملك المنصور نور الدين علي إلى حين قبض عليه . وولي الملك المظفر سيف الدين قطز ، ففوض إليه أستاذية الدار ، فلم يزل إلى أن ملك السلطان الملك الظاهر بالديار المصرية ، فعوقه ثم أخرجه من السجن ، وأَمّره بحلب ، فتوجه إليها ولم يزل بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، وكان قد نيف على الخمسين سنة ــ رحمه الله ــ .

محمد بن عِوضَة [٤] بن علي بن عوضة العُرضي [الأصل] [٥] الدمشقي المولد والمنشأ ، عماد الدين . توفي يوم الإثنين بعد صلوة العصر خامس عشر المحرم بدمشق ،

---

(١) نسبة إلى بهنسا (Bahnessa) ، مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل . (ياقوت ١ : ٥١٦ ــ ٥١٧ ، Aboul Féda, Géographie, II, p. 152-153) .

(٢) وصاحبها أستاذ الدار ، ويقال أستادار ، وهو المتولي لشؤون بيوت السلطان أو الأمير من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان ، وإليه أمر الجاشنكيرية وكل ما تحتاج إليه هذه البيوت من النفقات ، ويكون هذا الموظف عادة أمير ألف . (القلقشندي ٤ : ٢٠ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٢٢) .

(٣) الصواب : اثنتين .

(٤) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢٠٨ « عوض » .

(٥) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه .

ودفن من الغد بسفح قاسيون ، ومولده يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وستماية . كان قد لبس الخرقة ، وصحب المشايخ وله سماع ، وكان من صلحاء الناس .

١٤٣ و حدث عن القاضي جمال الدين // أبي القاسم الحرستاني [١] ، وأبي بكر عبد الله بن عمر بن الخضر القرشي المعروف بالنعنع وغيرهما .

محمد وقيل أبو إسحاق إبراهيم بن مهلهل بن صارم بن شداد الفزاري المنعوت بنسيب الدين الأجهُوري الفقيه الأجل العالم المحدّث الأديب المؤرخ . توفي يوم الإثنين رابع عشر المحرم بالقاهرة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، ومولده سنة خمس وستماية . كان أحد المحدثين بدار الحديث الكاملية [٢] بين القصرين سمع على الشيخي الإمامي الحافظي الصدري الكبيري زكي الدين أبي محمد عبد العظيم المنذري ، وأبي الحسن يحيى بن علي بن عبد الله القرشي المصري وغيرهما ، وكان رجلاً فاضلاً ـ رحمه الله ـ . //

١٤٣ ظ **محمد** بن إبراهيم بن أبي المحاسن [بن رسلان أبو عبد الله] [٣] المعروف بالكُلّي المتطبب الحكيم شمس الدين . توفي في شهر المحرم [٤] بالقاهرة ودفن ظاهر باب النصر ، ومولده سنة سبع وتسعين وخمس ماية بدمشق . كان مشهوراً بالطب ، [وله مشاركة في الأدب والتاريخ] [٥] ، وروى الحديث عن قاضي القضاة جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني ، وحدث عنه بدمشق والقاهرة ، وكتب عنه جماعة من الفضلاء . نجع إلى الديار المصرية بسبب استيلاء التتر على البلاد الشامية في سنة ثمان وخمسين ، ثم لما استعاد المسلمون الشام ، وكسر العدو المخذول ، عاد

---

(١) نسبة إلى قرية قرب دمشق تسمى حرستا . ولد بدمشق سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، وتوفي يوم السبت رابع ذي الحجة سنة ٦١٤ هـ / ٤ آذار ١٢١٨ م ، ودفن بجبل قاسيون . (أبو شامة : ١٠٦ ـ ١٠٨) .

(٢) بناها الملك الكامل محمد بن العادل بين القصرين سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، وقرر بها مذاهب الأئمة الأربعة ، وجعل شيخها أبا الخطاب عمر بن دحية . (ابن تغري بردي ، النجوم ٦ : ٢٥٨ ؛ السيوطي ، حسن ٢ : ١٥٩) .

(٣) و (٥) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٤) في المصدر نفسه : ١٩٤ « رابع عشر المحرم » .

إلى الشام لتعلقات كانت له به ، ثم عاد إلى الديار المصرية واستوطنها . ولم يزل بها طبيباً إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

١٤٤ و **محمد** وقيل [١] أبو محمد عبد الله بن نصر بن سعيد // بن أبي الفخر المعروف بالهَزِيع القُوصي الأصل ، المصري الدار ، النحوي المشهور المحدث ، القاضي رشيد الدين . توفي يوم الجمعة سلخ ربيع الأول وصلي عليه بعد صلاة العصر ، ودفن بالقرافة الصغرى ، ومولده بقُوص في غرة المحرم سنة ستماية . اشتغل بالقرآن العزيز بالقراءات والحديث والأدب على جماعة من أجلاء العلماء ، وقرأ القرآن على الشيخ علم الدين السخاوي ، وقرأ الأدب على الشيخ سيف الدين الآمدي ، وصحب شرف الدين ابن عُنَين [٢] ، وانقطع إليه مدة طويلة ، واشتغل عليه بالأدب ، وسمع الحديث والفقه على الشيخ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن الصلاح الشافعي ، وكان له إجازة عامة . رحل إلى دمشق في سنة أربع وعشرين وستمئة ، وأقام بها إلى سنة اثنتين وأربعين وستماية ، ١٤٤ ظ وعاد إلى الديار المصرية وخدم في عدة ولايات دينية وديوانية // وتصدر بالجامع العتيق بمصر ، وأسمع الحديث ، وأقرأ الأدب ، وتولى نظر الكرك ونظر الشرقية ونظر مدينة الفيّوم ، وغير ذلك من الولايات الكبار إلى أن توفي . وكان سبب تسميته بالهزيع أنه قال لشيخه شرف الدين ابن عُنين : « خرجتُ البارحة هزيعاً من الليل » ، فسمي بذلك . وكان قرأ ديوان المتنبي على الشيخ علم الدين السخاوي ، فلما كتب له الإجازة كتب تحتها :

جَلا أحمد بن الحُسين القريض ... في حُلَل الحُسن إذْ أَبرَزَهْ
وصاغ الرشيدُ له حِيلةً ... بألفاظه الحُلوة المُوجَزَةْ
فذاك تنبَّا به ناظِماً ... وهذا قِراءاته مُعجِزَةْ

(١) في الإدفوي : ٢٨٢ ـ ٢٨٣ « عبد الله بن نصر بن سعد » .

(٢) محمد بن نصر بن الحسن بن عنين الأنصاري ، أبو المحاسن الملقب شرف الدين ، الكوفي الأصل الدمشقي المولد ، الشاعر المشهور . ولد في شهر شعبان سنة ٥٤٩ هـ / تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١١٥٤ م ، وتوفي بها في ربيع الأول في سنة ٦٣٠ هـ / كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٣٢ ـ ١٢٣٣ م ، ودفن في مسجده في المزة (ابن خلكان ٥ : ١٤ ، ابن الفوطي ، الحوادث : ٥١ ـ ٥٢ ؛ الصفدي ، الوافي ٥ : ١٢٢ ـ ١٢٧) .

محمد بن الزكي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن [بن حافظ أبو عبد الله بدر الدين] (١) السُّلَمي الحنفي الدمشقي المعروف بابن الفُويرة . توفي يوم السبت حادي عشرين جمادى الأولى ، ودفن من يومه بجبل قاسيون ، ومولده في سنة ست وثلاثين // ١٤٥و وستماية . اشتغل على قاضي القضاة صدر الدين سليمان [بن وهيب الحنفي] ، وعلى الشيخ أحمد المصري (٢) ، وفي العربية على الشيخ جمال الدين ابن مالك (٣) ، وكان مدرساً بمدرسة القصاعين بدمشق . كان رجلاً فاضلاً ـ رحمه الله ـ [وله شعر منه :

وشاعـرٍ يَسحِـرني طرفُـه ورقّـة الألفاظ مـن شِعْـرِهِ
أَنشدَني نَظْمـاً بَديعـاً فمـا أحسنَ ذاك النظم من ثَغْـرِهِ] (٤)

محمد بن مشكور القاضي شرف الدين . توفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى ، ودفن من يومه بالقرافة الصغرى ، ومولده على ما قيل في سنة ست عشرة وستماية . كان أولاً في خدمة الأمير ركن الدين الهَيْجاوي ، ثم انتقل إلى خدمة الأمير فخر الدين البانياسي ، ثم انتقل إلى المعاملات الكبار بالديار المصرية . وفي آخر عُمره ولي نظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، وتوفي وهو ناظر بها ـ رحمه الله ـ .

محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق بن خلف بن مُفرّج بن سعيد المعروف بابن الجَنّان (٥) الكافي الأندلسي الحنفي النحوي ، مدرس الإقبالية (٦) بدمشق ،

---

(١) التكملة من اليونيني ٣ : ٢٠٣ .

(٢) أحمد بن سالم المصري النحوي نزيل دمشق توفي في شوال سنة ٦٦٤ هـ / تموز ـ آب ١٢٦٦ م . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٥٧ ظ ـ ٢٥٨ و)

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني . ذكره المؤرخ في وفيات سنة ٦٧٢ هـ .

(٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٥) الأصل بدون نقط ، وما أثبتناه من اليونيني ٣ : ١٩٧ والصفدي ، الوافي ١ : ١٧٥ .

(٦) تقع داخل باب الفرج وباب الفراديس شمالي الجامع العمري بدمشق . أنشأها إقبال خادم نور الدين زنكي سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ ـ ١١٧٨ م . وإليه نسبت مدرستان الإقبالية الكبيرة « شافعية » والإقبالية الصغيرة « حنفية » . (ابن شداد ٢/١ : ٢١٠ ـ ٢١١ و ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ؛ النعيمي ١ : ١٥٨ ـ ١٥٩ ، كرد علي ، خطط الشام ٦ : ٧٥) .

الفقيه فخر الدين أبو الوليد . توفي في يوم الأربعاء الثامن عشر من جُمادى الأولى [١] بدمشق ، [ودفن بسفح قاسيون] [٢] ؛ قيل إنه سقط من سطحٍ فمات على الشرف الأعلى القبلي ، ومولده في منتصف شهر شعبان [٣] سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة . كان فاضلاً متميزاً تصدر بحلب المحروسة لأقراء النحو ، وصحب الشيخ الإمام الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم ، وأعاد بحلب ، وولي التدريس بالمدرسة التي بالقدس الشريف ، ثم انتقل إلى دمشق وولي تدريس الإقبالية ، ولم يزل بها إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ كان شاعراً مجيداً فمن نظمه :

دارت على الشرب أَفلاكٌ من الطَّرب ... والكاسُ قُطبٌ عليه أنجمُ الحَبَبِ
والرَّوضُ يهدي لنا من زَهره أرجاً ... يُحيي المسرَّة مِنْ بُعدٍ ومِنْ كَثَبِ
والقُضْبُ ترقصُ والأنداءُ ناثرةٌ ... من فوقها دُرراً من صنعةِ السُّحُبِ
والنهرُ يخفق والأطيارُ صَادِحةٌ ... لم يَبْرحا مُذْ تولّى الليلُ في صَخَبِ
قُمْ فاسْقِنِيْها [٤] وجَيْشُ الليلِ مُنهزِمٌ ... والصبحُ أَعلامُه مُحمرّة العَذَبِ //
١٤٥ ظ والسُّحْبُ قد نَثرتَ في الأرضِ لُؤلؤها ... فَضمه الشمس في ثوبٍ من الذَّهبِ
قابلْ بها مِثْلها من كَفِّ ذِي هَيَفٍ ... بالغُنْج مُكْتَحِلٍ بالرَّاحِ مُخْتَضِبِ
بَدْرٌ أطال سِراراً في الحِجابِ فقد ... جادَتْ عليك به مزْرُورة الحُجُبِ
كم من رقيبٍ [٥] حَماني عن مطالعة ... والآن ليس عليه عَيْنُ مُرتَقِبِ
مَنْ لازم الصَّبر لم يُخْفِقْ له طلبٌ ... وأَمْكَنتهُ لياليه من الأَرَبِ

(١) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٩٧ « توفي يوم الأحد رابع عشرين شهر ربيع الآخر » .
(٢) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه .
(٣) كذا ، وفي اليونيني ٣ : ١٩٧ : « منتصف شوال » .
(٤) كذا في الأصل وابن شاكر ، فوات ٣ : ٢٦٦ ؛ وفي اليونيني ٣ : ١٩٩ « فاسقينا » .
(٥) في الأصل : رقيت .

محمد بن الشيخ الإمام كمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن سراج الدين عبد الغني قاضي دمياط شرف الدين أبو عبد الله . توفي ليلة الجمعة سابع شهر رمضان المعظَّم ، وكان في عشر الستين . مشايخه : بهاء الدين بن الجُميِّزي [١] ، وأجازه ضياء الدين بن السَّقطي [٢] بالفُتيا والتدريس ، وولي الحكم بالأَشمونين [٣] ومُنية بني خصيب والأعمال الأَسيوطية [٤] ، وكان عاقداً بمصر ـ رحمه الله ـ .

محمد بن مُؤمِّل بن شجاع بن شاور السَعدي ، شرف الدين ، وزير الدولة العزيزية المعروف بابن كامل . توفي في العاشر من شهر رمضان ، وكان عمره ثمانين سنة . كان شاهد بيت المال المعمور ، وكان من أعيان أبناء جنسه ـ رحمه الله ـ .

محمد بن علي [بن الحسين بن حمزة] [٥] الخلاطي [أبو الفضل] [٥] الفقيه نجيب الدين . توفي يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رمضان المعظم بالقاهرة ، ودفن خارج باب النصر ، وأخبر ولده أن عمره كان احدى وثمانين سنة . كان معيداً بالمدرسة المسرورية بالقاهرة . صنّف على التنبيه كتاباً في مجلدين [٦] ذكر فيه الصحيح من القولين في جميع المسائل التي فيه ، وبيَّن اختلاف الفقهاء في الصحيح من القولين والوجهين ، وتقدّمت له ولايات ونيابات في المقس [٧] والشارع [٨] .

(١) علي بن هبة الله بن الجميزي ، بهاء الدين ، شيخ شافعي . توفي بالديار المصرية سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ ـ ١٢٥٢ م (أبو شامة : ١٨٧) .

(٢) الخضر بن أسد بن السقطي ، أبو العباس ضياء الدين ، شيخ مصري . توفي في رجب سنة ٦٦٦ هـ / آذار ـ نيسان ١٢٦٨ م . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٧٢ و) .

(٣) بضم الألف ، مدينة قديمة أزلية من مدن الصعيد غربي النيل ، تقع في الإقليم الثالث . (ياقوت ١ : ٢٠٠ ؛ أبو الفدا ، تقويم : ١١٤ ـ ١١٥ ؛ المقريزي ، الخطط ١ : ٢٣٨) .

(٤) بفتح الأول وقيل بضمه ، منها مدينة أسيوط الواقعة غربي النيل من صعيد مصر . (ياقوت ١ : ١٩٣ ـ ١٩٤ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٩٥) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن الفرات ٧ : ٩٧ ؛ والسبكي ٥ : ٣٢ .

(٦) ذكر له السبكي ٥ : ٣٢ كتابين هما : « قواعد الشرع وضوابط الأصل » و « الفرع على الوجيز » .

(٧) ويقال أيضاً « المقسم » (المكان الذي كانت تقسم فيه غنائم الفتوح) ، وهو قرية في ضواحي القاهرة في بر الخليج العربي وينسب إليها باب كان يعرف بباب المقسم ويعرف اليوم بباب الحديد . (المقريزي ، الخطط ٢ : ١٢١ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٥٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٦ ، حاشية رقم ٥) .

(٨) عرّفه المقريزي في خططه ١ : ٣٧٣ بأنه « قصبة القاهرة من باب زويلة إلى بين القصرين » .

محمد بن يوسف بن مَسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله بن جسّاس بن قيس بن مسعود بن محمد بن خالد بن محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زايد بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان ، الأديب شهاب الدين أبو عبد الله الشيباني المعروف // بابن التَّلَّعْفَري . توفي في عاشر شوال بحماة [١] ، ومولده على ما أخبرني في الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة بالموصل [٢] . اشتغل ببغداد على جماعة من فضلائها ، وخدم صاحب الموصل ، ثم انتقل إلى خدمة الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب ، ثم انتقل إلى خدمة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ، وتمكن ولم يزل في خدمته إلى أن توفي في سنة ثلاث عشرة وستماية ، وخدم ولده الملك العزيز محمد ، إلى أن توفي ، واستمر في خدمة ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، ولم يزل في خدمته مكيناً مُقدّم الشعراء في المجالس والأعياد ، ومجالس مدايح الملوك إلى أن انقضت الدولة الناصرية ، فدخل الديار المصرية ، ثم خرج منها صحبة الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب // حماة ، ولم يزل في خدمته إلى أن توفي بحماة ودفن بظاهرها . كان رجلاً فاضلاً أديباً جيد النظم والنثر سريع البديهة ، إلا أنه كان منهمكاً في اللذات والشرب والأمور الدنيانيَّة كثير الخلاعة ، وله ديوان [٣] شعر كبير يشتمل على جليل المعاني ودقيقها ورايق الأشعار ورقيقها ، فمن شعره من قصيدة يمدح فيها الملك الرحيم أبا الفضايل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل :

١٤٦ و / ١٤٦ ظ

لا تَلُمْه على الهَوى فافْتِضاحُه ... صَوْنُه فيه والفساد صَلاحُه
كُلكم مَعْشَرَ العَواذِلِ في نَهْـ ... ـجٍ على العاشِقين ضاق انفساحُه

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢١٩ « توفي في ثالث عشر المحرم ... بنصيبين » .
(٢) كذا في الأصل وجميع المصادر التي تحت أيدينا ، وأخطأ في اليونيني فقال : « مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ستين وخمس مائة بتل يعفر » .
(٣) صدر هذا الديوان بعنوان « ديوان محمد بن يوسف ... التلعفري » . نشر محمد سليم الأنسي ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٣١٠ هـ .

خنتم المستهامَ ظُلماً وجُرْتُم وادّعَيْتم بأنّكم نُصَّاحُهْ
عَذُبَت طِيبَةٌ مُطارَحةُ العِشْـ ـقِ فَصَعْبٌ على المُحِبِّ اطّراحُهْ
وقليلٌ إلى مَراسِمه بالعَيْـ ـنِ منهُ غُدُوُّهُ وَرَواحُهْ
يا خَليلي سِرْ بي إذا ما تبدَّت لمعٌ منه هانَ لي إيْضاحُهْ
سَلْ نَسيمَ الصَّبا إذا رِيضَ في مِسْـ ـكي رَوضِ الحِمَى الأريض جَماحُهْ //
١٤٧ و أَلِرَيَّا هذا الذي فيه مِنْ ريّـا أم الزّهرُ فتّحتْهُ رياحُهْ
جادَهُ صَيّبٌ من المُزن يَحكي صَوبُه دَمع مُقلتي وانْسِفاحُهْ
وَرعَى اللهُ عَهد ذاتِ جمالٍ جال في كشحِها الهَضِيم وشاحُهْ
غادَةٌ خالُ خَدِّها أين لَثمي منه في خَدّها وأين امّسَاحُهْ ؟
شَعرُها والظَّلامُ مِنْه كَسا جِسْـ ـمي سَقَاماً أم وَجْهُها وصَبَاحُهْ !
رَبّة المَبْسَم الذي راحةُ الأر واح في أن يريحَها منه رَاحُهْ
هَبكِ بالوْصلِ تَبْخَلين وشرطُ الـ ـحب أن تَهجُرَ السّماحَ مِلاحُهْ

وقال من قصيدة يمدح فيها القاضي بهاء الدين الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشّاب [1] الحلبي من أكابر الأعيان بحلب :

مِلْ معي حيثُ مالت الأَظْعَانُ وأَعِنّي إنَّ المُحبَّ يُعانُ
واستَعِر لي قَلباً فما لِيَ قلبٌ وجَناناً ثبتاً فما لي جَنانُ
وَاسأل الركبَ عن خُدورٍ على العِيْـ ـسِ أيدنُو منها شجٍ وَلْهَانُ
أم حَمَتْها من القُدودِ رِماحٌ فوقَها من لواحظٍ خِرصَانُ //
١٤٧ ظ كِلَلٌ سُجْفُها تُكِنُّ بُدوراً مُشرقَاتٍ تُقِلّها أغصانُ
ما رَأينا من قبلُ مَنْ حَلَّ فيها كيف تُردي أُسْدَ الثّرى الغِزْلانُ ؟

(١) توفي ليلة السبت ١٨ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ هـ / ١٧ أيلول ١٢٥٠ م بحلب ودفن بها بمحلة الجرن الأصفر (ابن العديم ، بغية الطلب ٤ : ١٣٢ أ ـ ٣٣ ب) .

لا تُطالبْ حُـداتهـم يـا خليـلي بُوقـوفٍ إنْ بـان ذاك البَـانُ
لي وللـدَوح والحِمَـى والحمامَـا تِ وتغريدِهـا وللنـوَّحِ شانُ
وبِروحي أفـدي وقلَّـتْ فِـدَى مَنْ لهـمُ في القُلـوب مِنَّـا مَكـانُ
يَسْتطيلـون عـزةً كلمـا هُنْـ ـنَا عليهم إنَّ الهـوى لَهَـوانُ
ويَصُولـون غـير أنَّهـمُ أَسْـ ـيَافهم حـين تُنْتَضَـى أجفـانُ
علمـوا أنَّنـا نميـلُ إليهـم فَلَـوَتهـم عَنَّـا الوُجُـوهُ الحِسَانُ
ودروا أنَّ صَدَّهـم فيـه حَتْـفٌ وتَـلافٌ لنـا فَصـدُّوا وَبانُـوا
لا تُرجِّي الجميـلَ مِـن ذي جمـالٍ فمـع الحسن يُعـدَمُ الأحسانُ
وغَـريـرٍ كالبـدرِ أبدتـه سِتٌّ خاليـاتٌ مِـن شُهـرةٍ وثَمـانُ

وقال من قصيدة يمدح فيها القاضي الأشرف ابن سناء الملك [(١)] :

هـذا العـذُولُ عليكمُ مـا لي ولـهْ أنا قد رَضيتُ بذا الغَرام وذا الوَلهْ //
١٤٨ و شَرطُ المحبّـةِ أنَّ كـلَّ مُتيَّـمٍ صَبٌّ يُطيع هَواه [(٢)] يعصِي [(٣)] عُذَّلَهْ
وأخذتُمـوني [(٤)] حـين سار بحُبّكم [(٥)] مَثَلي [(٦)] وَمِثْلي سرُّه لن [(٧)] يَبْذُلَـهْ
مـا أَعرَبتْ واللهِ عن وجَدي بِكـم [(٨)] وصَبابتي إلاَّ دُمُـوعي المُهْمَلَـهْ [(٩)]

(١) أبو القاسم هبة الله بن جعفر المصري . ولد بالقاهرة حوالي سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥ م . وتوفي بها سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م . Art. "Ibn Sanā' al-Mulk", EI 2, III, p. 953B-954A
وهذه القصيدة في الديوان : ٢٣ واليونيني ٣ : ٢٢٢ وابن الفرات ٧ : ٧٦ ـ ٧٧ .
(٢) الديوان « هوى » .
(٣) الديوان واليونيني « ويعصي » .
(٤) اليونيني « آآخذتموني » .
(٥) الديوان : « محبكم » ؛ اليونيني : « بذكركم » .
(٦) الديوان : « مثلاً » .
(٧) ابن الفرات : « لم » (وهو خطأ) .
(٨) الديوان : « لكم » .
(٩) اليونيني : « المنهملة » (وهو خطأ) .

جُزتُم مداكم في قطيعتِكم فَــلا عطف لعايدِكـم يُــرام ولا صِلَـهْ

أألــومُكُمْ في هَجركـم وصُدودكــم ما هذه في الحُبّ منكُم (١) أوَّلَـهْ

قسماً بكـم قـد جِرت ممّا أشتكـي حَسْبِي الدُجى فعدمتُه مـا أطولَهْ (٢)

ليلي كيـوم الحَشْر مَعنـىً إن يكـن لا ليل لـه فَذا لا يوم لــهْ (٣)

يـا سايلي عـن حُبّهـم وصَبَابـتي (٤) تركُ الجـواب جَوابُ هـذي المسئلَهْ

حـالي إذا حَـدّثْتُ لا لُمَعَــاً ولا جُمَلاً لإيضاحي لها من تكمِلَهْ (٥)

شَرحي لها يَـذر الفَصِيح مُبلّـداً (٦) فاتـرك مُفَصَّلـة وَدُونـك مُجَمَلَـهْ

القلبُ ليس من الصّحَـاحِ فيُرتَجـى إصلاحُـه والعَين سُحبٌ مثقلـهْ

يـا نازحين وفي أكِلَّــة عيسِهــم رُشاً عليـه حَشا المحبّ مَقَلْقَلَـهْ

قَمرٌ لـه في القَلب بـل في الطـرف بـل في النَّثْرَةِ الحَصْداءِ أشرف مَنْزِلَـهْ

الصُدغ منــه عَقربٌ (٧) ولحاظــهُ أسَدٌ وخَلف الظهـر منـهُ سُنُبُلـهْ

أسرَت لــه العشاقُ نـضرة وَجَنــةٍ بسوى النواظر لا تبيت مُقبَّلـهْ (٨) //

١٤٨ ظ لـو لم يُصِب صُدغَيه عارضُ خدِّهِ (٩) ما أصبحتْ في سالِفيـه مُسَلسَلَـهْ

مـا أجـورَ الألحـاظ منــه إذا رَنـا وإذا انثَنى فقَـوامُـه مـا أعدَلَـهْ

لو كنتُ فيـه قبلتُ نُصح عَــواذلي مـا أدبرَتْ أيـامُ حَظّي المُقبِلَـهْ

مـا فـاز غـيرُ مُحبّـهِ وفتـىً لـه مِدَحٌ إلى الحُسن اغتدَتْ مُتحَمَّلَـهْ

---

(١) الديوان واليونيني « فيكم » .

(٢) الديوان « حسبي الرجاء عدمته ما أطوله » .

(٣) الديوان واليونيني وابن الفرات : « وذا لا صبح له » .

(٤) الديوان « يا سائلي عن حالتي من بعدهم » ؛ اليونيني وابن الفرات : « يا سائلي من بعدهم عن حالتي » .

(٥) اليونيني : « يشكله » (وهو خطأ) .

(٦) الديوان وابن الفرات : « عندي جوى يذر الفصيح مبلداً » ، اليونيني :« عند [ي] جوى يدع الصحيح مبلداً » .

(٧) الديوان : ٣٤ « معقرب » .

(٨) اليونيني : « أسرت في الألحاظ نضرة وجنة تسوى .... » .

(٩) الديوان : « لولا هواه ومهجتي وجنونها » .

مروان بن فيروز بن حسن ، الفارقاني الأصل والمولد ، الشيخ الفقيه الفاضل بدر الدين . توفي ، في الليلة المسفرة عن صباح الأربعاء سابع عشر شوال ، بمصر المحروسة ، ودفن يوم الأربعاء بعد الظهر بالقرافة الكبرى ، ومولده في سنة ثمان وستماية . كان رجلاً صالحاً تقياً ورعاً حافظاً للقرآن العزيز ، كثير التلاوة له . قرأ بميافارقين على جماعة ، ورحل منها سنة ثمان وعشرين ، وقصد دمشق وولي بها مشارفة دار الحديث الأشرفية [١] . سمع الحديث على الشيخ الإمام تقي الدين عثمان بن الصلاح وغيره ، ١٤٩ و وأقام إلى سنة ثلاث وأربعين ، خرج منها وقصد حلب ، واستشهده // قاضي القضاة كمال الدين ابن الأستاذ قاضي قضاة حلب ، وكان من أعيان العدول والأمناء بحلب ، وأقام بها إلى سنة ثمان وخمسين ، وخرج منها في وقعة التتر قاصداً الديار المصرية ، فوصلها ، واستشهده قاضي قضاتها تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز ، ورتبه بالشارع ، وفوّض إليه عقود الأنكحة ، ولم يزل قاضياً بالشارع إلى أن توفي في التاريخ المذكور . كان ــ رحمه الله ــ كثير الخير والصلاح كثير المعروف ، يحب إسداءه إلى أهله ــ رحمه الله ــ .

مظفّر بن [رضوان بن أبي الفضل أبو منصور] [٢] ، المنبجي الحنفي الفقيه ، بدر الدين . توفي ليلة الخميس ثاني شهر ذي القعدة [بمدرسته] [٣] بدمشق ، ودفن من [الغد] [٤] بسفح قاسيون ، ومولده بمنبج ، كان في حدود السبعين سنة . كان فقيهاً عالماً حنفياً ، ولي نيابة الحكم بدمشق المحروسة [٥] عن قاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي إلى أن توفي [٦] ــ رحمه الله ــ . //

١٤٩ ظ **ميلاد** بن إبراهيم بن عدلان ، الأمير فخر الدين ، الهشتكي . توفي يوم الثلاثاء

(١) نسبة إلى بانيها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، اكتملت سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ، بعد عمل دام سنتين . وهي واقعة جوار باب قلعة دمشق غربي المدرسة العصرونية . (النعيمي ١ : ١٩) .

(٢) و (٣) و (٤) التكملة من اليونيني ٣ : ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(٥) في الأصل : المحرسة .

(٦) في اليونيني : « ناب عن عبد الله بن عطاء الحنفي ــ رحمه الله ــ بعد وفاة تاج الدين النخيلي ، واستمر في النيابة إلى حين وفاته » .

رابع عشر شهر صفر بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكان قد نيّف على السبعين سنة . كان من الأمراء الشجعان الأجواد ، خدم أول عمره السلطان الملك الصالح صاحب آمد ، ثم ولده الملك المسعود من بعده ، ثم انتقل إلى خدمة الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، ثم خدم أخاه الملك الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية ، فأمّره بالرها على عشرة طواشية ، ولما استولى السلطان علاء الدين صاحب الروم على الرّها ، وافق جميع من كان بالقلعة خلا المذكور فإنه لم يوافق ، وعاد إلى خدمة الملك الكامل ، ثم انتقل إلى خدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الكبير ١٥٠ و الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام ، فأمره بخمسين طواشياً ، // * ولم يزل في خدمته إلى أن قدّر الله ما قدّره في سنة ثمان وخمسين ، وانقضت الدولة الناصرية وأخذوه [1] التتار مع من أُخذ من قلعة حلب ، فهرب منهم وأقام بالشام إلى أن كسر الملك المظفر التتار على عين الجالوت ، فتعلق بخدمة الملك المظفر ، ودخل الديـار المصرية ، ولم يزل إلى أن ولي مولانا السلطان الملك الظاهر ، فاستمرَّ في خدمته راضٍ بما قسم الله له إلى أن توفي في التاريخ المذكور ـ رحمه الله ـ .

يغان الأمير الكبير عز الدين الركني الظاهري [المعروف بسُم الموت] [2] توفي يوم الأربعاء سابع عشر شهر جمادى الآخرة بالسجن بقلعة الجبل بالقاهرة ، وكان له معوّقاً خمس سنين ، وكان سبب تعويقه أنه بلغ السلطان الملك الظاهر عنه أشياء غير مرضية ، وأكدها ما نقل عنه نوبة حصن الأكراد فأعاقه . كان من أمراء مصر الأعيان ، وكان قد نيّف على الخمسين سنة ـ رحمه الله ـ . //

١٥٠ ظ **يمن** الخادم غرس الدين ، شيخ الحرم النبوي ـ صلوات الله على ساكنه ـ وشيخ الخدّام النبوية . توفي في التاسع عشر من ربيع الأول بالمدينة ـ صلوات الله على ساكنها ـ

(*) إشارة إلى بدء « السابع عشر من الجزء الثاني »

(١) كذا ، والصواب : فأخذه .

(٢) ما بين الحاصرتين من المقريزي ١/٢ : ٦٣٣ .

وكان قد نيف على الثمانين . كان من الصلحاء الأتقياء الزهاد والعباد ، وكان له زاوية بالقرافة ، وعمل حوضاً للسبيل . صحب المشايخ الكبار الصلحاء ، وكان سبب موته أنه صلى العشاء الآخرة ، ثم قام لبعض أشغاله ، فسقط فمات . أعتقه الأمير عزيز الدولة بلال لالا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية ، وينتمي إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ـ رحمه الله ـ وسمع الحديث على الحافظ شمس الدين بن خليل الأدمي وعلى الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، وعلى ابن رواحة ، وغيرهم وحدّث . //

١٥١ و **يوسف** بن صدقة بن المبارك بن سعيد [أبو المظفر] [١] البغدادي التاجر تاج الدين . توفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان [٢] المعظم ، ودفن بالقرافة من الغد بتربة ابتاعها ، ومولده [بالقاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة تسعين وخمس مائة] [٣] . [سمع من جماعة ، وأجاز له من مشايخ نيسابور وغيرها] [٤] ، وله سماع عالٍ . كان من أرباب البيوتات بالعراق ، وأعيان التجار المتمولين ـ رحمه الله ـ [٥] . //

١٥٢ ظ **بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه**

السنة الثامنة عشرة من دولة مولانا السلطان الملك الظاهر ـ قدس الله روحه ـ وهي سنة ست وسبعين وستمائة

دخلت هذه السنة يوم الجمعة ، والخليفة وملوك الأطراف على ما استمرت عليه قاعدتهم في السنة الخالية ، خلا صاحب تونس أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى

(١) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
(٢) في اليونيني : « كانت وفاته يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة بالقاهرة » .
(٣) فراغ في الأصل بمعدل سطر واحد وما أثبتناه من المصدر نفسه .
(٤) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه .
(٥) الورقتان ١٥١ ظ ـ ١٥٢ و ساقطتان في الأصل .

ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي ، المنعوت بنعوت الخلافة ، فإنه توفي في السنة الخالية ، كما تقدم ، وملك بعده ولده أبو زكريا يحيى .

ذكر متجددات الأحوال في هذه السنة

فيها دخل السلطان الملك الظاهر دمشق ، يوم الخميس السابع من المحرم ، بعساكره المنصورة ومواكبه الموقورة ، // وأعلامه التي هي للنصر منشورة ، ونزل بالجوسق [١] المعروف بالأبلق [٢] ، بجوار الميدان الأخضر . ١٥٣ و

ذكر ما اعتمده مولانا السلطان عند ورود الخبر عليه بوصول أبغا إلى البُلُسْتين

لما حل ركاب السلطان الملك الظاهر بدمشق ، تواترت عليه الأخبار بوصول أبغا إلى مكان الوقعة ، وتأسفه على من قتل من فرسانه ، وتلهفه على من أسر من أماثل عسكره وأعيانه ، وأنه لما شاهدهم صرعى ، وليس لأحد منهم يد تبطش ، ولا قدم يسعى ، فتّ ذلك في عَضُدِه ، وأسقط في يده ، ونكص على عقبيه خايفاً مذعوراً ، وتيقن إن هو أبطأ في سيره إما أن يكون مقتولاً أو مأسوراً ، فأخذ من البُلُسْتين إلى أرزنجان في سبعة أيام ، ومسافتها عشرون يوماً ، على ما حكاه لي قاضي القضاة بديار بكر حسام الدين الوافد على الأبواب // السلطانية الملكية السعيدية ، فجمع مولانا السلطان الملك الظاهر أرباب مشورته ، وأجال معهم قداح الرأي ، فوقع الإتفاق على الخروج من دمشق بالعساكر وملاقاته حيث كان من البقاع ، وأن يكال له المصاع بذلك الصاع ، فتقدم بضرب الدهليز على القصير . وفي أثناء هذا العزم ، وصل إلى أبوابه العالية رجل من التركمان أخبره أن أبغا أوغل في الهرب ، واستبدل عن الجوشن السَّرَب ، ثم ردفه ١٥٣ ظ

---

(١) معرّب كوسك بالفارسية ، جمعه جواسق وجواسيق ومعناه القصر . (محيط المحيط ١ : ٣١٨) .

(٢) قصر عظيم بناه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م تحت قلعة دمشق ، في الميدان القبلي (النويري : ٣٣ ظ ، ابن فضل الله العمري ١ : ٤٣٧ ، كرد علي ٥ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

وصول الأمير سابق الدين بيبرس [١] ، المعروف بأمير مجلس [٢] الملك الناصر ، بمثل ذلك ، فتقدم أمره برد الدهليز .

وألقتْ عَصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

ذكر مرض السلطان الملك الظاهر ووفاته

١٥٤ و لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم ، جلس بالجوسق ، على عادته ، // لشرب القمز ، وبات على هذه الحالة ، وحمله شدة السرور والفرح وحصول البُغْيَة والمقترح ، على أن زاد على نفسه ، وتعدّى القدر الذي يحصل للنفس غرضها ، ويدواي مرضها ، فأحسّ منها فتور التوعك في صبيحة يوم الجمعة ، فشكا ذلك للأمير شمس الدين سنقر الألفي السلاح دار ، فأشار عليه بالقيء ، فاستدعاه ، فاستعصى عليه . فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته ليزيل عن نفسه خدر التململ ، وفتور التكسّل ، والألم مع ذلك يقوى ويزيد . ولم يزل كذلك إلى أن جنحت الشمس للغروب ، فعاد إلى الجوسق ، فلما أصبح اشتكى حرارة في باطنه ، فصنع له بعض خواصه دواء لم يكن عن رأي طبيب ليسكّن عنه ما به من لهيب ، فلم ينجع ، وتضاعف ألمه ، فأمر بإحضار الأطباء ، فلما رأوه أنكروا على من صنع له الدواء ، وأجمعوا رأيهم

١٥٤ ظ على أن يعالجوه // بدواء مسهّل يدفع ما في جسمه من الفضلات ، فسقوه فلم ينجع ، فحركوه بدواء آخر كان مسبباً للإفراط في الإسهال ، ودفع دماً مجتمعاً فتضاعف حماه ، وضعفت قواه ، فتخيل خواصه أن كبده تتقطع ، وأن ذلك عن سمّ سقيه ، فعولج

(١) في اليونيني ٣ : ٢٣٣ « الأمير سابق الدين بيسري » ، ويشير ابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٧٤) أن هذا الأمير هو غير الأمير بدر الدين بيسري الكبير ، أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس ، المتوفي سنة ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٩ م .

(٢) هو رئيس ديوان التشريفات والمسؤول عن حراسة مجلس قعود السلطان وفرشه .. ثم أسند إليه أيضاً أمر التحدث على الأطباء والجراحين : D. Ayalon: art. "Amīr Madjlis", EI 2, I, p. 457B-458A

بالجواهر [١] ، وذلك يوم الثلاثاء عاشره ، ثم جهده المرض إلى أن قضى نحبه [٢] ، وفارق صحبه ، وانتقل إلى رحمة ربه ورضوانه ، وحل في بحبوحة جنانه يوم الخميس ، بعد صلاة الظهر ، الثامن والعشرين من المحرم . فلما نزل به القضاء المحتوم والأمر المعلوم ، اتفق رأي الأمراء على إخفاء ذلك [٣] ، وحمله إلى القاهرة ليلاً لئلا يشعر العامة بوفاته ، فيطرقهم من الذعر طوارق آفاته ، ومنعوا من دخل من المماليك من الخروج ، ومن خرج منهم من الدخول . فلما كان آخر الليل حمله من كبراء الأمراء الأمير سيف الدين قلاوون // الألفي ، والأمير بدر الدين بيسري الشمسي ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر العلائي ، والأمير بدر الدين بيليك الخزندار ، والأمير عز الدين أيبك الأفرم ، [وعز الدين الحموي [٤] ، وعلم الدين سنجر الحموي أبو خرص] [٥] ، (وأكابر خواصه) [٦] ، وتولى غسله وتحنيطه وتصبيره وتكفينه المهتار [٧] شجاع الدين عنبر ، والفقيه كمال الدين الإسكندري المؤذن المعروف بابن المنبجي [٨] ، والأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار ، ثم جعل في تابوت ، وغلق في بيت من بيوت

١٥٥ و

(١) في الأصل واليونيني ٣ : ٢٤٥ والمفضل : ٦٠ ظ « بالجوهر » ، وما أثبتناه بعد مراجعة : E. Blochet, p. 441, n. 7 والمقريزي ١/٢ : ٦٣٥ .

(٢) حول موت الظاهر بيبرس هناك روايات عدة منها رواية تفيد بأنه مات بسبب دوزنطارية أصابته وأخرى تشير إلى أنه سُم . وللاطلاع على ظروف موته راجع : ابن عبد الظاهر : ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ، ابن واصل : الورقة ٤٤٠ ، شافع بن علي : ١٦٣ ، ابن العبري : ٥٠٣ ، أبو الفدا ، المختصر ٤ : ١٠ ـ ١١ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام (وفيات سنة ٦٧٦ هـ : في ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى بن محمد بن أيوب) .

(٣) أخفي موت بيبرس عن العامة مدة شهر من الزمن . (موير Muir ، تاريخ دولة المماليك في مصر : ٥٤) .

(٤) الأمير عز الدين أيبك الحموي ، كان نائباً للسلطنة بدمشق ثم نقل إلى صرخد تم إلى حمص وتوفي بها في ربيع الآخر سنة ٧٠٣ هـ / تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٣٠٣ م . ونقل إلى تربته بسفح قاسيون . (اليونيني ٤/٢٩٠٧ : ٣١ و ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الألباب : ١٨٤ و ؛ ابن كثير ١٤ . ٣٠) .

(٥) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٤٦ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من متن الأصل ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

(٧) لقب فارسي يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت (مهتار الشراب الخاناه ، ومهتار الركاب خاناه ...) (القلقشندي ٥ : ٤٧٠) .

(٨) الأصل : المتحى وما أثبتناه بعد مراجعة اليونيني ٣ : ٢٤٦ والمفضل : ٦٠ ظ .

البحرية بقلعة دمشق إلى أن يحصل الإتفاق على موضع يدفن فيه ، ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخزندار إلى ولد السلطان الملك السعيد مطالعة بذلك بيده ، وسيّرها على يد الأمير بدر الدين بكتوت [١] الجوكان داري الحموي والأمير علاء الدين أيدغمش [٢] الحكيمي الجاشني كير ، ولما وصلا وأوصلا المطالعة ، وأنهيا ما معهما من الرسالة ، خلع عليهما وأعطي كل واحد منهما خمسة آلاف درهم على أن ذلك //
١٥٥ ظ جزاء لبشارتهما بعود السلطان إلى الديار المصرية . ولما كان صبيحة يوم السبت ركب الأمراء ، على عادتهم إلى سوق الخيل ولم يظهروا شيئاً من زي الحزن ، بل كانوا عاقدين على قلوبهم عقدة الصبر ، رابطين الجأش ثقة بتوفير الأجر ، مع أنه لم يخف لكن منعت من إظهاره الهيبة ، وأمن عراها من الإنفصام في الحضور والغيبة .

ذكر دفنه ــ رحمه الله وبرّد مضجعه ــ

كان ــ رحمه الله ــ قد أوصى [٣] أنه إذا مات يدفن في جهة ، عيّنها لأمرائه ، قريبة من داريا على السابلة [٤] ، وأن يبنى عليه بناء يبقى أثره على مرّ الزمان ، ويستوهب له من مرَّ عليه من الله العفو والأمان . فلما توفي ــ رحمه الله ــ أجمع رأي الملك السعيد على أن يدفنه داخل دمشق أسوة غيره من الملوك المدفونين بها ، فكتب إلى الأمير //
١٥٦ و عز الدين أيدمرْ [الظاهري] ، نايب السلطنة بدمشق ، يأمره أن يختار مكاناً في جوار الجامع قريباً من تربة السلطان الملك الكامل وأخيه الملك الأشرف ، فتتبع المواضع التي

(١) كان نائباً للأمير بدر الدين بيليك الخزندار الظاهري بالشام . توفي في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م . (اليونيني ٤ : ١٠٦) .
(٢) أيدغمش بن عبد الله الحكيمي التركي . كان أحد أمراء الملك الظاهر وابنه السعيد . قتل في بيسان من فلسطين سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ ــ ١٢٨٢ م . (ابن الفرات ٧ : ٢٣٦) .
(٣) كما أنه بعث بتذكرة إلى ولده السعيد من جملتها : « إنك صبي ، وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبي ، فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحققت ذلك عنه ، فاضرب عنقه في وقته ولا تعتقله ، ولا تستشر أحداً في هذا ، وافعل ما أمرتك به وإلا ضاعت مصلحتك » . (ابن واصل : ٤٤٠ و) .
(٤) كذا في اليونيني ٣ : ٢٤٦ ، وفي ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٧٦ « السالكة » .

اقترحت عليه ، فوجد إيواناً مجاوراً لتربة الملك الكامل ، وبه بركة ماء ومحراب يصلح أن يكون مدفناً ، فكتب إليه يطالع علمه الشريف بذلك ، فاستشار المولى الصاحب الوزير [بهاء الدين ابن حنا] فيه ، فأحضر قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ، وسأله عنه ، لكونه من أهل البلاد الشامية ، فلم يكن عنده من خبره شيء ، فاستدعاني وسألني عنه ، فعرفته أنه وقف لأن يصلى فيه الصلوات الخمس ، وكتاب وقفه عندي وأشرت عليه بدار العقيقي [1] ، وعرّفته من أمرها ما رغّبه فيها ، وذلك بمحضر من الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني ، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ، فاستصوبا ما رأيت لمعرفتهما بما وصفت ، فتقدم لي بشرائها من // ملّاكها ، فاجتهدت في تحصيل حصصها المتفرقة ، وتتبعتها حتى تكملت ، فابتاعها السلطان الملك السعيد من أجرة ملكه الموقوف عليه ، والخمس الموخوذ [2] من الفرنج ، بثمانية وأربعين ألف [3] درهماً [4] نقرة . فلما تنجّز بيعها تقدم إلى الأمير عز الدين نايبه بدمشق بتغيير معالمها ، وأن تبنى مدرسة يدرّس فيها مذهب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، ومذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ وأن تبنى فيها قبة شاهقة سامته يكون بها الضريح ، وأن ينفق فيها ما يتحصل من الجوالي وأجر الملك الملكي السعيدي ، وأن ينصف صناعها بحيث أن لا يبيت أحد منهم وقد تأخر له من أجرته شيء ، فكملت على هذه الشروط وتمت في أحسن صورة وتقويم ، جنة أعد فيها لمن يحل بها النعيم المقيم . فلما تمّت خرج الأمر المطاع العالي السلطاني الملكي السعيد للأمير علم الدين سنجر المعروف بأبي خرص // الحموي الظاهري ،

(١٥٦ ظ) (١٥٧ و)

---

(١) أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي العقيقي توفي في جمادى الأولى سنة ٣٧٨ هـ / آب ـ أيلول ٩٨٩ م ، ودفن خارج باب الصغير . (النعيمي ١ : ٣٤٩) .

(٢) كذا ، وصوابه : المأخوذ .

(٣) كذا في الأصل واليونيني ٣ : ٢٤٦ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٧٦ . وفي المفضل : ٦١ ظ والمقريزي ١/٢ : ٦٤٦ « بستين ألف درهم » .

(٤) كذا ، وصوابه : درهم .

والطواشي الأجل الزاهد صفي الدين جوهر الهندي [1] بأن يتوجها إلى دمشق لدفن السلطان . فلما دخلاها ، واجتمعا بالأمير عز الدين أيدمر ، عرّفاه ما جاءا بسببه ، فامتثل الأمر وحمل السلطان من القلعة إلى التربة ليلاً على أعناق الرجال ، وكانت ليلة الجمعة خامس شهر رجب ، وهي ليلة الرغايب من هذه السنة .

ذكر ما وقف على التربة والمدرستين

ثم إن المولى الصاحب الوزير بهاء الدين استدعاني وقال لي : « إن مولانا السلطان قد تقدم بوكالتك [2] في وقف (الدار) [3] مدرستين وتربة ووقف ما يوقف عليها ، وتقدم بتعيين من يرتب فيها من المدرّسين وغيرهم ، وتعيين ما يعين لكل منهم » . فلما ١٥٧ ظ كان اليوم السادس عشر من ذي القعدة حضرت إلى المقر الأشرف // السلطاني ـ أعز الله أنصاره ـ بالمُخيّم على مسجد التين ، في خدمة المولى الصاحب الوزير بهاء الدين علي ابن محمد ، وقاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ، وجماعة من العدول وقرئ كتاب الوقف الذي رتّب ، ومضمونه ، بعد الخطبة ، أن مولانا السلطان الملك السعيد ، ناصر الدنيا والدين ، محمد بركة قان ، أعز الله سلطانه وكلّني أن أقف عنه الدار المعروفة بدار العقيقي قديماً ، وما تجدد فيها من العماير ، تربة تكون مدفناً لمولانا السلطان الملك الظاهر ـ قدّس الله روحه ـ وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات ، وقراءة القرآن العزيز ، والإعتكاف ، وباقي الدار مدرستين شافعية وحنفية إحداهما شرقي الدار ، وهي الشافعية ، والأخرى غربيّها ، وهي الحنفية ، وأوقف على ١٥٨ و ذلك ، بتاريخ السادس عشر من ذي القعدة من سنة ست وسبعين // جميع قرية

(١) كذا في الأصل واليونيني ٣ : ٢٤٦ والمقريزي ١/٢ : ٦٤٦ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٧٦ ؛ وفي المفضل ٦١ ظ « الآمدي » .

(٢) يؤكد حقيقة هذه الوكالة لابن شداد ما ورد في اليونيني ٣ : ٢٤٧ والمقريزي ١/٢ : ٦٤٧ .

(٣) ساقطة من المتن ومستدركة على الهامش بالخط نفسه .

الصرمان من شَعْراء بانياس ، وجميع قرية بيت أم الترع من بلد الجبدور [١] ، وسهمين [٢] من بيت رامة ، من أعمال الغور ، ومزرعيتها الزّراعة وشويهة ، وجميع تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من قرية الأشرفية من الغوطة ، وبساتين ابن سلام الثلاثة ، والحانوت وبستان السبتية [٣] وطاحونه ، والحمام الداثر على الشرف الأعلى الشمالي ، وكرم طاعة من بلد بانياس ، وخان بيت جن من عمل بانياس ، وخان [بنت جزوخان] [٤] بحكر الفهّادين .

ذكر من رتّبه بالتربة والمدرستين

جعل في التربة إماماً [شافعياً] [٥] ، وجعل له في كل شهر ستين درهماً ، وزمامين ، من عتقاء السلطان الملك الظاهر ، ناظرين في مصالح التربة وحفظ ما بها من الآلات ، // لكل واحد منهما ستين [٦] درهماً ، ومؤذناً له في الشهر عشرين درهماً ، وفراشين لخدمة التربة لكل منهما عشرين درهماً ، وبواباً على بابها له في الشهر عشرين درهماً ، وستة عشر مقرئاً يقرأون ليلاً ونهاراً ، كل نفرين منهم ثلاث ساعات ، لكل واحد منهم خمساً وعشرين درهماً ، منهم تقيان يزاد كل واحد منهما عشرة دراهم ، وأن يشترى في كل شهر شمع وزيت وما تحتاج إليه التربة من الفرش والقناديل وآلات الوقيد ، في كل شهر بثمانين درهماً . ١٥٨ ظ

ذكر ما رتّب بالمدرستين

رتّب في كل مدرسة مدرس له ماية وخمسين درهماً في الشهر ، ومعيدان لكل

(١) في اليونيني ٣ : ٢٤٧ « أم نرع من الحيدور » .
(٢) في المصدر نفسه « وبهمين » .
(٣) في المصدر نفسه « الستسة » .
(٤) و (٥) التكملة من المصدر نفسه .
(٦) لا يخفى التصرف بالأعداد في هذه القطعة وما يليها من حيث الإعراب .

واحد منهما أربعون درهماً ، وثلاثون فقيهاً لأعلاهم عشرون درهماً ، ولأدناهم عشرة دراهم ، وأن يصرف الناظر ما تدعو الحاجة // إليه من أجرة شاوي الماء وإصلاح قني وغير ذلك مما تحتاج إليه ، ويصرف الناظر ما يحتاج إليه من ثمن زيت وقناديل وآلة الوقيد بالمدرستين ، في كل شهر أربعين درهماً ، وبواباً لحفظ المدرستين له في الشهر عشرين درهماً ، وشاهداً ومشارفاً وعاملاً وجابياً وعرمم [١] ، لكل [٢] واحد منهم في الشهر ما يراه الناظر ويستصوبه ، والنظر لمولانا السلطان [الملك السعيد] ــ خلّد الله ملكه ــ مدة حياته ثم لولده وولد ولده . ولما توجه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى دمشق ، في العشرين من ربيع الأول من سنة سبع وسبعين ، رأى الوقف مختلاً وهو عاجز عن كفاية من به من القراء والفقهاء . فلما عاد إلى الديار المصرية أنهى ذلك إلى مولانا السلطان الملك السعيد ، فسيّر اثني عشر ألف دينارٍ برسم تتمة العماير ومصالح الوقف // في جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين . ولما عزم مولانا السلطان الملك السعيد على المسير إلى دمشق ، كان قد فصل ناظر أملاكه بدمشق عماد الدين محمد بن الشيرازي [٣] ، فاستعلم منه المولى الصاحب الوزير بهاء الدين حديث الوقف ومغلّه ، فأخبره أن فيه اختلال [٤] ، فأوقف عماد الدين المذكور عن مولانا السلطان جميع أحد عشر سهماً وربع سهم وثُمن سهم من قرية الطُّرة ، من ضياع الجبل من إقليم أذرعات [٥] من عمل دمشق ، على المدرستين والتربة ، بعد أن ابتاع السلطان ما يخص إخوته وأخواته من هذه الحصة الموقوفة ، وصارت ملكاً له ، فأوقفها بتاريخ السبت ، ثالث ذي القعدة من سنة سبع وسبعين على ثمانية نفر من القراء لتكملة أربعة وعشرين مقرئاً ، منهم أربعة في الليل ، وأربعة في النهار ، مضافين إلى القراء الستة عشر ، لكل

١٥٩ و

١٥٩ ظ

---

(١) كذا ، وصوابه : عرمماً .

(٢) لفظة « لكل » : مكررة في الأصل .

(٣) توفي سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ ــ ١٢٨٤ م ، ودفن بسفح قاسيون . (النويري : ١٣٠ ظ ؛ الصفدي ، الوافي ١ : ٢٠١ ــ ٢٠٢) .

(٤) الصواب : اختلالاً .

(٥) في ياقوت ١ : ١٣٠ ــ ١٣١ ، بكسر الراء ، وهي « بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان » .

مقرئ منهم خمسة وعشرين درهماً ، ويزاد كل مدرّس [١] رطلين خبز مثلث [٢]
١٦٠ و بالدمشقي ، ولكل // واحد من المعيدين الأربعة ، من الخبز ، رطل واحد ، ولكل إمام من الأيمة الثلاثة رطل واحد ، ولكل واحد من الخادمين بالتربة ، في كل يوم من الخبز ، رطلين [٣] ، ولكل واحد من القراء بالتربة المذكورة والفقهاء والمؤدبين والفراشين والبوابين ، في كل يوم من الخبز ثلثي [٤] رطل ، ويجعل لكل مدرسة تقياً [٥] ، ويزاد في جامكيته عشرين درهماً ، ويجعل في المدرستين فراشين ، لكل واحد منهما ، في الشهر ، عشرين [٦] درهماً ، وفي كل يوم من الخبز أسوة الفراشين بالتربة ، ويصرف إلى مباشر الأوقاف المذكورة والشاهد والمشارف ، في كل يوم من الخبز ، لكل واحد رطلين [٧] . //

١٦٠ ظ وجميع ما وقف كان مخلّفاً عن الأمير بدر الدين بيليك الخزندار ـ رحمه الله ـ انتقل إلى السلطان الملك السعيد وأخويه الملك خضر وسلامش : منه ما هو بالإرث ، ومنه ما هو بالبيع ؛ فأما الإرث فنهم واحد من أربعة وعشرين سهماً استحقوه بالولاء ، وإلى زوجته بنت الأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي ، وجهة الأمير سيف الدين بلبان
١٦١ و الرشيدي الثُمن ، وإلى والدته // السدس وإلى ابنته الثلثان ، فالذي ناب الزوجتين والأم انتقل إلى بيت المال بالتعويض ، فوكل مولانا السلطان الملك السعيد ، في بيع ما جرّه الإرث إليه ، وما حصّل لبيت المال من الزوجتين والأم ، وما تحصل من الإبنتين ، لمجد الدين عيسى بن الخشّاب الشافعي ، ولنور الدين علي الشرابيشي ، فيما يخص

---

(١) هناك اضطراب في الجملة عند اليونيني فقد ورد : « ... بعد أن انتقلت الحصة إلى مُلك الملك السعيد على ثماني قرى مضافين إلى القرى الست عشرة ، وتقر لكل منهم خمس وعشرون ويزاد لكل مدرس رطلان خبزاً مثلثاً بالدمشقي .. » وتتمة الجملة نفس ما ورد عند ابن شداد . (اليونيني ٣ : ٢٤٨) .

(٢) الصواب : رطلان خبزاً مثلثاً .

(٣) الصواب : رطلان .

(٤) الصواب : ثلثا .

(٥) الصواب : تقي .

(٦) الصواب : عشرون .

(٧) صوابه : رطلان .

السلطان وأخويه . ووكلني ، فيما يخص بيت المال ، في البيع للأمير بدر الدين كيكلدي [١] ، أحد مماليك الأمير بدر الدين الخزندار ، فاشترى المذكور بماله الحصص ، وحمل الثُّمن إلى بيت المال ، ثم وكَّلني مولانا السلطان في أن أبتاع منه جميع ذلك ، وأن أوقف الدار على ما رتبت ، وأن أوقف عليها ما ابتعته من الأملاك ، وأشهدت على نفسي بذلك ، واتفق الرأي على أن يكون النظر فيه لمولانا السلطان الملك السعيد ، وأسجل الحكام على نفوسهم بثبوت ذلك عندهم في يوم الإثنين السادس عشر من ذي القعدة من السنة . //

١٦١ ظ

ذكر اهتمام المولى الصاحب الوزير بتمام السنة من دفنه ـ تغمده الله برحمته ـ

لما قفل العسكر المنصور من دمشق ، بعد وفاة مولانا السلطان الملك الظاهر ـ قدس الله روحه ونوّر ضريحه ـ ودخل القاهرة ، لم يكن لمولانا السلطان الملك السعيد ، أعز الله أنصاره ، ولمولانا الصاحب بهاء الدين ، فراغ لما جرت به العادة عن عمل الأعزية للملوك في الجوامع ، بل كان دأبهما في توطيد قواعد المملكة وتمهيدها ، وإعلاء أركانها وتشييدها ، إذ ذلك من المهمات التي يعود نفعها على الخاص والعامّ ، ويستدر بها ما تكفل به لطف الله من الإفضال والإنعام . فلما استتب لهما الأمر على ما اختاراه ، واستقرت القواعد على ما قرراه ، واتسق باجتماع الكلمة قمر السعد ، وأنجزت الأيام ما في ضمانها من صدق // الوعد ، وانقضت سنة ست وسبعين والدولة في إقبالها ، والأنفس قد بلغت من انتظامها غاية آمالها ، اهتم مولانا الصاحب بهاء الدين بعزاء السلطان الملك الظاهر ، وفاء بعهده ، وتذكاراً لمصاب فقده ، وجرياً على ما جرت به العادة من سنة الملوك ، من القيام في أعزيتهم بما يعم نفعه الغني والصعلوك ، فشرع فيه يوم السبت سابع

١٦٢ و

(١) ضبطه Zettersteen بفتح الحرفين الأول والثالث وسكون الثاني والرابع وكسر الخامس وياء .

صفر [١] سنة سبع وسبعين وقرر أن يكون أحد عشر يوماً في أحد عشر موضعاً نصبت فيها الخيمة العظمى السلطانية ، وفرشت بالبسط الجليلة ، وصنعت بها الأطعمة الشهية ، واجتمع عليها الخواص والعوام ، وحمل منها إلى الربط والزوايا ، فإذا كانت ليلة اليوم الذي عمل فيه المهم ، حضر القرّاء والوعّاظ ، فانقضى الليل ما بين قراءة ووعظ ، فإذا كان وقت السحر وصلي الفجر ، ختم المجلس من الوعّاظ عز الدين الشارعي [٢] ومجد الدين الواسطي // وعلاء الدين بن موسى الدّاعي أحد مؤذنيه ـ رحمه الله ـ وكل هذه السحريات يحضرها المولى الصاحب والأمراء والقضاة والشهود والفقهاء والصوفية .

١٦٢ ظ

وكان أول هذا الجمع بالبقعة [٣] المعروفة بالنقعة بجوار مسجد يعرف بالأندلس ، والثاني بالحوش السلطاني الملكي الظاهري ، والثالث بالمدرسة المجاورة لقبة الشافعي ـ رضي الله عنه ـ والرابع بجامع مصر ، والخامس بجامع ابن طولون [٤] ، والسادس بالجامع الظاهري [٥] بظاهر القاهرة ، والسابع بالمدرسة التي أنشأها بالقاهرة ، والثامن بمدرسة الملك الصالح [٦] ، والتاسع بدار الحديث الكاملية ، والعاشر بالخانقاه [برحبة العيد] [٧] والحادي عشر بالجامع الأنور الحاكمي [٨] ، وهو يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الأول ، وحضر في هذا اليوم الشعراء وأنشدوا المراثي ، وخلع فيه على من

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢٤٩ « في يوم الإثنين سادس عشر ذي القعدة » .

(٢) توفي سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٣ م . (ابن العماد ٥ : ٤٣٨) .

(٣) في هذا المكان مسجد ، بناه الأمير أبو منصور صافي الأفضلي ، يعرف بمسجد البقعة . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٤٤٧) .

(٤) بناه الأمير أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، وفرغ من عمارته سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، وقيل ٢٦٥ هـ وبلغت نفقات بنائه ١٢٠ ألف دينار . (ابن دقماق ٤ . ١٢٢ ـ ١٢٤) .

(٥) أمر السلطان الملك الظاهر بيبرس ببنائه في ربيع الآخر سنة ٦٦٥ هـ / كانون الثاني ١٢٦٧ م ، وانتهت عمارته في شوال سنة ٦٦٧ هـ / حزيران ١٢٦٩ م . (ابن عبد الظاهر . ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) .

(٦) بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ هـ بجزيرة الروضة بين القصرين والقلعة . (السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ٤٦٣) .

(٧) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٤٩ .

(٨) بناه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٦ هـ . (القلقشندي ٣ : ٣٦٠) .

١٦٣ و كان // * متكفّلاً به ، وهم الطواشي ناصر الدين العزيزي ، وشمس الدين مروان ، وسابق الدين المشدّ ، والمهتار شجاع الدين عنبر ، ومهتار الفراش خاناه ، والقاضي أمين الدين ناظر ديوان المهمات وشاهد صندوق النفقات ، والسابق المُديد [١] والذي خلع عليه من الوعاظ عز الدين الشارعي ، ومجد الدين بن الواسطي لا غير ، وكانوا اثني عشر واعظاً ، والذين خلع عليه من الشعراء الأديب جمال الدين أبو الحسين الجزار [٢] ، والأمير ناصر الدين ابن النقيب [٣] لا غير ، وكانوا اثني عشر شاعراً ، وأعطي من بقي من الوعّاظ والشعراء جوايز بحسب مراتبهم ، وكانت جملة المصروف على هذا الهمّ قريباً من ماية ألف درهم ليس فيها شيء من بيت المال .

ذكر أولاده وأزواجه

١٦٣ ظ وُلد له من الذكور مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة // قان ، كان مولده بالعش ، من ضواحي القاهرة ، في صفر من سنة ثمان وخمسين وستماية ، أمه بنت حسام الدين بركة خان بن دولة خان الخوارزمي اليمكي ، وولد له الملك

(*) إشارة إلى بدء « الثامن عشر من الجزء الثاني » .

(١) كذا في الأصل .

(٢) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى أبو الحسين جمال الدين المصري المعروف بابن الجزّار . ولد سنة ٦٠١ ﻫ وقيل بعد ذلك بقليل ، وتوفي في شوال بمصر سنة ٦٧٩ ﻫ / شباط ١٢٨١ م ودفن بالقرافة . (اليونيني ٤ : ٦١ ؛ ابن شاكر ، فوات ٤ : ٢٧٧ ـ ٢٩٣) .

(٣) حسن بن شاور بن طرخان أبو محمد الكناني ناصر الدين ويعرف بابن الفقيسي وبابن النقيب الشاعر المشهور . توفي في ١٥ ربيع الأول سنة ٦٨٧ ﻫ / ١٩ آذار ١٢٨٨ م ، ودفن من يومه بسفح المقطم ، ومولده سنة ٦٠٨ ﻫ / ١٢١١ ـ ١٢١٢ م ، له ديوان شعر وكتاب سماه « منازل الأحباب ومنازه الألباب » (اليونيني ٢٩٠٧/٢ : ٢٦٠ و ـ ٢٦٢ و ؛ ابن شاكر ، فوات ١ : ٣٢٤ ـ ٣٣١) .

[المسعود نجم الدين] [١] خضر ، وكان مولده ...... [٢] أمه أم ولد ، وولد له الملك [العادل بدر الدين] [٣] سلامش ، وكان مولده ... [٤] ، وولد له ولدان لم يقع لي مولدهما لأنهما ماتا طفلين في شهر واحد سنة ثمان وستين ، ولكل واحد من العمر سنتان ، وأمه أم ولد ، وولد له [٥] من البنات سبع بنات ، منهن واحدة ولدت قبل سفره إلى الشام ، وأخرى شقيقة الملك سلامش واثنتان من بنت سيف الدين دماجي التتري ، وتحقق الآخرين [٦] // فأما زوجاته : فالستر الرفيع والحجاب المنيع الملكة أم مولانا السلطان الملك السعيد بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي ، وبنت الأمير سيف الدين نوكاي [٧] التتري ، وبنت الأمير سيف الدين كراي التتري ، وبنت الأمير سيف الدين دماجي التتري ، وشهرزورية تزوج بها لما قدم غزة ، وحالف الشهرزورية فلما دخل القاهرة ملكاً طلقّها .

١٦٤ و

---

(١) و (٣) ما بين الحاصرتين من المفضل : ٦٤ ظ ، توفي خضر سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م دون أن يلي السلطنة . (المصدر نفسه : ١٥٣ و) أما سلامش فقد تسلطن إثر خلع أخيه الملك السعيد سنة ٦٧٨ هـ ، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ، ولما تسلطن الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٩ هـ جهزه هو وأخاه خضراً وأهلهما إلى إسطنبول من بلاد الأشكري ، وتوفي بها سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ، وكان له نحو عشرين سنة . (النويري : الورقة ١٠٤ ؛ المفضل : الورقة ٨٩ ؛ ابن كثير ١٣ : ٣٢٦ ؛ ابن العماد ٥ : ٤١١ ـ ٤١٢) وقد ورد على هامش الصفحة عبارة بخط مختلف وهي التالية : « سلامش عاش وملك الديار المصرية بعد الملك السعيد ، ثم خلع ، والملك خضر عاش إلى سنة ثمان وسبعمائة » .

(٢) فراغ في الأصل ، ولم نهتد إلى تحقيق تاريخ ولادته .

(٤) فراغ في الأصل ولم نهتد إلى تحقيق تاريخ ولادته ، لكن يستفاد من الحاشيتين ١ و ٣ إلى أنه ولد حوالي سنة ٦٧٠ هـ .

(٥) لفظة « الآخرين » : مكررة في الأصل .

(٦) كذا في الأصل ، ولعلها : ولم أتحقق الآخرين .

(٧) كذا في الأصل واليونيني ٣ : ٢٥٠ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٧٩ ؛ وفي المقريزي ٢/١ : ٦٤٠ « نوكلى » .

ذكر وزرائه

ولي السلطنة وزين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير [١] وزيراً للملك المظفر قطز ، فاستمر به إلى أن وطئ أخمص سعادته قمة السِّماك الرامح ، وتَرقّت إلى رتبة لا يرقى إليها طرف أملٍ طامح ، فصرفه وأمره أن يلزم كِسْرَ المنزل ، وأن يكون عن الناس بمعزل ، واختار لوزارته من وقع عليه عين اختياره ، وصدق فيه توسم اختياره ، الصاحب // الوزير بهاء الدين أبا الحسن علي بن (القاضي سديد الدين) [٢] محمد بن سليم ، فساس الأمور ، وكفل الجمهور ، ودرّت ببركته الأرزاق ، وعمرت بيمن نقيبته الآفاق ، وشيدت بتدبيره أركان المملكة ، وتضاعفت بحسن رأيه الخيرات فلا تحصى بالفذلكة ، ورتّب في وزارة الصُحبة ولده الصاحب الوزير فخر الدين أبا عبد الله محمد ، فساس بصايب رأيه الخاص والعام ، وكاد الأعداء فخنست أنوفهم بالأرغام ، ولصقت خدودهم ذلة بالرغام ، ولم يزل وزيرَ صحبته إلى أن توفي في شعبان سنة ثمان وستين وستماية ، فرتّب مكانه [ولده] الصاحب الوزير تاج الدين محمد ، فبرَّ بالرعية وعمهم بالرأفة والعطيّة ، وضاهى صوب نواله شؤبوب الحيا السكوب ، وورث السُؤدد كابراً عن كابر ونشأ كالرمح أنبوباً على أنبوب ، ووزر له أيضاً في الصُحبة أخوه الصاحب الوزير زين الدين [٣] أحمد ، فأقر بحسن تدبيره العيون ، وحَقّق // فيما فوّض إليه الظُّنون ، وجعل العِلم عَلَماً يَهتدي به في حلّ مشكلات الأمور ، والميل إلى العباد والزهاد جنة تقيه المحذُور ، ووزر له الصاحب عز الدين محمد بن الصاحب محيي الدين أحمد بن المولى الصاحب الوزير بهاء الدين نيابة عن جدّه ، فسلك في تدبير الرعيّة الرأي الأحزم ، وأرى الشِّنْشِنةَ التي حكمت التجربة أنها من أخزم [٤] .

(هامش: ١٦٤ ظ ، ١٦٥ و)

---

(١) ولد سنة ٥٨٦ هـ وقيل غير ذلك . وزّر للملك المظفر قطز ثم للملك الظاهر بيبرس أول دولته ثم عزل ببهاء الدين ابن حنا . توفي سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ ــ ١٢٧٠ م . (ابن فضل الله العمري ٧ : ١٤١ ــ ١٤٥) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من المتن ومستدرك على الهامش بخط مختلف .

(٣) كذا وهو خطأ ، والصواب : محيي الدين .

(٤) في الأصل : الحزم ، والإشارة إلى المثل المشهور « شنشنة أعرفها من أخزم » .

ذكر قُضاته بمصر والقاهرة

ملك ـ تغمده الله برحمته ـ وقاضي القضاة بالعملين القاضي بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن علي السنجاري وأخوه برهان الدين الخضر [١] نايب عنه بمصر والوجه القبلي ، فاستمر به إلى أن صرفه يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى سنة تسع
١٦٥ ظ وخمسين ، وولي قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي الأعز // أبي القاسم خلف بن القاضي رشيد الدين محمود بن بدر العلامي ، على العملين ، ثم أفرد له القاهرة وعملها ، وولّى برهان الدين مصر وأعمالها في الثالث من شوّال من السنة ، ثم صرفه عنها في ثالث صفر من سنة ستين وأعادها إلى قاضي القضاة تاج الدين ، ولم يزل مستمراً على العملين إلى أن مات في شهر رجب من سنة خمس وستين ، والسلطان إذ ذاك غايباً بالشام ، فاستمرت نوابه في الحكم إلى أن وردت المراسيم السلطانية بتولية قاضي القضاة تقي الدين محمد بن عفيف الدين الحسن بن رزين القاهرة وعملها ، فباشر في تاسع شعبان ، وبتولية قاضي القضاة محيي الدين أبي محمد عبد الله بن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة الإسكندري الصفراوي (مصر وعملها) [٢] ، واستمر إلى أن توفي السلطان ، وولي له من القضاة على مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ
١٦٦ و قاضي القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان // ابن أبي العز بن وهيب يوم الإثنين ثاني وعشرين ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وعلى مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد بن صالح السبكي ، في التاريخ المذكور ، واستمر إلى أن توفي في ذي القعدة سنة تسع وستين ، فلم يولّ عوضه من المالكية ، ثم ولي قاضي القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص

---

(١) ولد سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م . وتوفي يوم الأربعاء عاشر صفر بمنزله بالمدرسة المعزية بمصر سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ، ودفن بالقرافة الصغرى . (اليونيني ٤ : ٣١٩ ـ ٣٢١ ؛ ابن كثير ١٣ : ٣١٠) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من متن الأصل ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

ضياء الدين أبي الفخر بقيّة بن شكر [١] ، واستمر إلى أن توفي السلطان ، وعلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عماد الدين إبراهيم المقدسي [٢] ، ولي في التاريخ المذكور ، ولم يزل متولياً إلى أن قبض عليه وحبس في ثاني شعبان سنة اثنتين وسبعين ، ولم يولّ بعده أحد على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل بإقليم مصر .

ذكر قضاته بالشام //

١٦٦ ظ ملك - تغمده الله برحمته - دمشق وقاضي القضاة بها نجم الدين محمد [٣] بن قاضي القضاة صدر الدين أبي العباس أحمد بن أبي البركات يحيى بن هبة الله بن سني الدولة الشافعي ، واستمر به إلى أن صرفه في ثامن ذي الحجة سنة تسع وخمسين فكانت إقامته في الحكم سنة . وتولى قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلكان ، ثم صرف في تاسع عشر شوال من سنة تسع وستين ، وتولى قاضي القضاة عزّ الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصاري المعروف بابن الصايغ ، واستمر إلى أن توفي السلطان .

وولي القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - بدمشق قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عطاء الحنفي ، واستمر إلى أن توفي ، وولي بعده قاضي القضاة مجد الدين أبو محمد عبد

---

(١) عاش ما بين ٦٠٥ هـ - ٦٨٠ هـ (النويري : ١٢٣ ظ) .

(٢) ولد في صفر سنة ٦٠٣ هـ بدمشق وتوفي بالقاهرة سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٨ م ودفن بالقرافة ، وهو أول من درّس بالمدرسة الصالحية لمذهب الإمام أحمد بن حنبل وأول من ولي قضاء القضاة من عائلته ، وولي مشيخة خانقاه سعيد السعداء . (اليونيني ٣ : ٢٧٩ - ١٨٠ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ٩ - ١٠ ؛ ابن رجب ٢ : ٢٩٤ - ٢٩٥) .

(٣) توفي بدمشق في ثامن المحرم سنة ٦٨٠ هـ / ٢٩ نيسان ١٢٨١ م ، ودفن بتربة جده بسفح جبل قاسيون جوار المدرسة الصاحبية ، ومولده سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (النويري : ١٢٣ ظ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ١٢٧ - ١٢٨) .

١٦٧ و الرحمن // بن الصدر كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ، المعروف بابن العديم الحلبي ، فحكم في أوايل سنة أربع وسبعين وستماية ، واستمر إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله تعالى ـ .

وعلى مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ قاضي القضاة الزاهد العابد زين الدين (١) أبو محمد عبد السَّلام بن علي بن عمر الزواوي واستمر إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ .

وعلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، قاضي القضاة شمس الدين (٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمرو محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي واستمر إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ . وملك ـ رحمه الله ـ وقاضي القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن (٣) أبي محمد عبد الله بن الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ، ولم يزل إلى أن توفي في شوال سنة اثنتين وستين ، وتولى بعده

١٦٧ ظ ابن عمه قاضي القضاة محيي الدين أبو المكارم محمد بن جمال الدين محمد بن // عبد الرحمن ، ولم يزل إلى أن توفي في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين . وولي قاضي القضاة تقي الدين (٤) أبو عبد الله محمد بن أبي البقاء حياة بن محمد الرقي ، ولم يزل بها إلى أن طلب الإقالة ، فأجيب إليها وصرف . وولي قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة الخوَيـي (٥) ، فحكم في الثالث عشر من ذي

(١) ولد سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ، وقيل في السنة التي قبلها بظاهر بجاية من أعمال أفريقية ، وتوفي بدمشق في ٨ رجب سنة ٦٨١ هـ / ١٢ تشرين الأول ١٢٨٢ م ، ودفن من يومه بمقابر باب الصغير . (اليونيني ٤ . ١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٢) ولد في المحرم سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م بالدير بسفح قاسيون ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٦٨٢ هـ / تموز ١٢٨٣ م ودفن في تربة والده بسفح قاسيون . (النويري : الورقة ١٣١ ؛ اليونيني ٤ : ١٨٦ ـ ١٩١ ، ابن رجب ٢ : ٣٠٤ ـ ٣١٠) .

(٣) لفظة « بن » : مكررة في الأصل .

(٤) تولى الحكم بعدة جهات منها حمص والقدس وناب بدمشق ، ثم تولى قضاء القضاة بحلب وأعمالها ، ودرّس في مدارس عدة ثم استعفي وحضر إلى دمشق وقنع بإمامة المدرسة العادلية الكبرى . توفي في طريق العودة من ديار الحج في تبوك ودفن هناك سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م . (الصفدي ، الوافي ٣ : ٢٩ ـ ٣٠) .

(٥) الخويي : غير معجمة في الأصل ، ولد بدمشق سنة ٦٢٦ هـ / ١١٢٩ م ، وتوفي في رمضان سنة ٦٩٣ هـ / =

الحجة من سنة ثلاث وسبعين ، ولم يزل مستمراً إلى أن توفي السلطان ــ رحمه الله ــ .

قضاته بثغر الإسكندرية

ملك السلطان الملك الظاهر ــ رحمه الله تعالى ــ الديار المصرية ، وقاضي الإسكندرية يومئذ ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنيّر (١) ، ثم عزل وولي الحكم بعده بالإسكندريّة القاضي زين الدين محمد بن علي بن أبي الفرج الخطيب ، ثم عزل وأعيد ناصر الدين المذكور ، ثم عزل ناصر الدين المذكور ، // ١٦٨ و وولي القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن علي الربّاني المالكي البوشي ، ثم عزل ، وولي الفقيه معين الدين أبو بكر بن عبد الوهّاب المالكي .

كتّابه في ديوان الإنشاء

ملك ــ رحمه الله ــ وفي ديوان الإنشاء من الكتّاب القاضي فخر الدين إبراهيم (٢) ابن لقمان الأسعردي (٣) ، والقاضي محيي الدين عبيد الله بن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر ، وشمس الدين يوسف بن قريش ، وبدر الدين حسن بن علي الموصلي وأخوه جمال الدين حسين بن علي ، وولدا عبيد الله زين الدين وأخوه ، ثم استكتب في أيامه كمال الدين أحمد (٤) بن عز الدين عبد العزيز بن أبي جعفر محمد بن العجمي

= تموز ــ آب ١٢٩٤ م . صنّف كتاباً كبيراً يحتوي على عشرين علماً ، وشرح « الفصول » لابن معطي ، ونظم « علوم الحديث » لابن الصلاح وغير ذلك . (ابن شاكر ، فوات ٣ : ٣١٣ ــ ٣١٤ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ١٣٧) .

(١) توفي بالإسكندرية في مستهل ربيع الأول عام ٦٨٩ هـ / ١٤ آذار ١٢٩١ م . (النويري : ١٤٣ ظ) .

(٢) توفي بمصر عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م . ولي وزارة الصحبة للملك السعيد ثم وزّر مرتين للمنصور قلاوون . (النويري : ١٧٢ ظ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : الورقة ٢١١ ؛ ابن شاكر ، فوات ١ : ٤٣ ــ ٤٥) .

(٣) نسبة إلى اسعرد (سعرت) مدينة من ديار ربيعة وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة (أبو الفدا ، تقويم : ٢٨٨ ــ ٢٨٩ ؛ الدمشقي : ١٩١) . وهي اليوم من مدن الجمهورية التركية .

(٤) توفي ظاهر صور في ذي الحجة سنة ٦٦٦ هـ / آب ــ أيلول ١٢٦٨ م ، ونقل إلى دمشق فدفن بمقابر الصوفية . (الذهبي ، تاريخ الإسلام ٢٠ : ٢٦٩ ظ ــ ٢٧٠ و ؛ الصفدي ، الوافي ٧ : ٥٦ ــ ٥٧) .

الحلبي ، وفتح الدين عبد الله [١] بن القيسراني الحلبي ، ثم استدعي الصدر الكبير العالم الفاضل تاج الدين أحمد [٢] بن الصدر شرف الدين أبي البركات سعيد بن شمس الدين أبي جعفر محمد بن // الأثير من دمشق ، وفوّض إليه أمر المترجم على عادته في الأيام الناصرية ، وسعد الدين سعد الله [٣] بن مروان الفارقي ، وفتح الدين محمد [٤] بن القاضي محيي الدين (عبيد الله) [٥] بن عبد الظاهر ، وعلاء الدين أحمد [٦] بن قاضي القضاة محيي الدين يحيى [٧] بن قاضي القضاة زكي الدين ، المعروف بابن الزكي ، قاضي قضاة دمشق ، ثم صُرف ، وعز الدين عبد العزيز [٨] بن كمال الدين أحمد بن العجمي بحكم وفاة والده .

١٦٨ ظ

ذكر من ناب عنه بالشام وديار مصر

ناب عنه ـ تغمده الله برحمته ـ حين ملك بالديار المصرية ، الأمير عز الدين أيدمر الحِلّي واستمر إلى أن توفي في مستهل شعبان سنة سبع وستين وستماية بدمشق ،

---

(١) توفي بمصر في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٧٠٣ هـ / العشر الأول من شهر كانون الأول ١٣٠٣ م . (اليونيني ٤/٢٩٠٧ : ٣٢ و ، ابن كثير ١٤ : ٣١) .

(٢) توفي بالديار المصرية في ١٩ شوال سنة ٦٩١ هـ / ٣ تشرين الأول ١٢٩٢ م . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ . الورقة ٢٦) .

(٣) توفي بدمشق سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م ، ودفن بسفح قاسيون . له شعر ، منه :

قف بي على نجد فإن قبضَ الهوى روحي فطالبْ خدّ ليلى بالدمِ
وإذا دجا ليلُ الوصالِ فناده يا كافراً حَلّلتَ قتلَ المسلمِ

(ابن شاكر ، فوات ٢ : ٤٧ ـ ٤٨) .

(٤) توفي بدمشق في ١٥ رمضان سنة ٦٩١ هـ / ٣٠ آب ١٢٩٢ م . (النويري ٠ ١٦٢ ظ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من متن الأصل ومستدرك على الهامش بخط مختلف .

(٦) كتب الإنشاء مدة ودرّس بالمدرستين العزيزية والتقوية وناب القضاء عن أبيه . ولد سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥ م ، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ ـ ١٢٨٢ م . (الصفدي ، الوافي ٨ : ٢٥٠ ـ ٢٥١)

(٧) توفي سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ م . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ . ١٤٣ و ؛ ابن شاكر ، فوات ٤ : ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(٨) توفي بدمشق يوم الأحد في ١١ ذي الحجة سنة ٦٩٩ هـ / الأحد ٢٨ آب ١٣٠٠ م ودفن نهار الإثنين بتربة العائلة بسفح قاسيون . (اليونيني ٣/٢٩٠٧ : ١٩٣ ظ) .

١٦٩ و وكان السلطان ــ رحمه الله ــ قد استصحبه معه . // وناب عنه الأمير بدر الدين بيليك الخزندار عتيقه ، وناب عنه في الأمور الجيشية أيضاً ، ولم يزل إلى أن توفي السلطان ــ تغمده الله برحمته ــ . وناب عنه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني . وناب عنه بالكرك الأمير عز الدين أيدمر عتيقه إلى أن نقله منه إلى دمشق في صفر من سنة سبعين ووَلي بعده الأمير علاء الدين [1] أيدكين الشهابي فاستمر به إلى أن مات السلطان ــ رحمه الله ــ . وناب عنه بدمشق ، لما ملكها ، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار [2] ثم صرفه عنها ، وولي بعده الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري ، ولم يزل إلى أن قبض عليه في شوال من سنة ستين ، وحكم فيها بعده علاء الدين أيدغدي [3] الركني إلى أن قدمها ، نايباً عن السلطان ، الأمير جمال الدين آقوش النجيبي الصالحي ، في ذي الحجة من السنة ، واستمر بها إلى أن عزله في صفر سنة سبعين ، وولي بعده الأمير
١٦٩ ظ عز الدين أيدمر عتيقه // الذي كان نايباً عنه بالكرك ، ولم يزل مستمراً بها إلى أن توفي السلطان ــ رحمه الله ــ . وناب عنه ــ رحمه الله ــ بحمص الأمير بدر الدين [4] بكتوت العلائي ، ثم الأمير علم الدين سنجر الباشقردي [5] ، ثم الأمير عز الدين أيبك

---

(١) أحد الأمراء الأعيان بدمشق . تولى نيابة حلب ثم نقل إلى دمشق وتوفي بها ليلة الإثنين ١٥ ربيع الأول سنة ٦٧٧ هـ / ٦ آب ١٢٧٨ م . ودفن بسفح قاسيون وهو في عشر الخمسين . (اليونيني ٣ : ٣٠١) .

(٢) الأصل : البندقداد . وهو الأمير علاء الدين أيدكين بن عبد الله البندقدار الصالحي النجمي . أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي كان . قبل أن يتسلطن . لا يُعرف إلا بالبندقداري . وقد وفى له بيبرس وقرّبه وكان علاء الدين يبالغ في خدمة السلطان والنصح له توفي بالقاهرة في ربيع الآخرة سنة ٦٨٤ هـ / حزيران ــ تموز ١٢٨٥ م ، ودفن بالقرب من بركة الفيل بتربته ، وقد ناهز السبعين من العمر . (النويري : ١٣٣ ظ ، اليونيني ٤ : ٢٦٢ ــ ٢٦٣) .

(٣) ورد في الصفدي (تحفة الألباب : الورقة ١٧٦) « الأمير علاء الدين أيدغدي الركني ويقال أيدكين والأول أصح » .

(٤) توفي بالقاهرة يوم الخميس ١٥ جمادى الآخر سنة ٦٩٣ هـ / ١٣ أيار ١٢٩٤ م ، ودفن بالقرافة . (النويري : ١٧٢ ظ ؛ اليونيني ٣/٢٩٠٧ : ٦٠ و) .

(٥) هو أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب . ولي نيابة السلطنة بحلب . توفي بالقاهرة في ١٩ رمضان سنة ٦٨٦ هـ / ٢٨ تشرين الأول ١٢٨٧ م . ودفن بالقرافة . (النويري : ١٣٩ ظ) . والباشقردي نسبة إلى بلاد الباشقرد الواقعة في الأقاليم السابع بين القسطنطينية وبلاد البلغار . (ابن سعيد : ١٢٧ ، ابن تغري بردي ، نجوم ٧ : ١٠٠ . حاشية رقم ٨) .

المشرفي [١] السلاح دار ، ثم الأمير جمال الدين آقوش الجوكان دار الظاهري ، ثم الأمير عز الدين أيبك الكردي ، ثم الأمير عز الدين أيبك الموصلي [٢] ، ثم الأمير سيف الدين باسطي . وناب عنه في حصن الأكراد ، عندما فتحه ، الأمير صارم الدين قايماز الكافري ، ولم يزل إلى أن مات ، فولي بعده الأمير عز الدين أيبك الموصلي ، نقله من حمص إليه ، واستمر إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ . وناب عنه بصفد عند فتحها الأمير عز الدين أيبك العلائي [٣] بقلعة صفد ، واستمر به إلى أن توفي السلطان ـ رحمه ١٧٠ و الله ـ ورتّب مقدماً على ما ذكره فيه من العسكر علاء الدين // * أيدغدي الكبكي [٤] ، وتوفي السلطان ـ رحمه الله ـ وهو مستمر على ما ولاه . وناب عنه بحلب الأمير علم الدين سنجر الحلبي المشدّ ، ثم صرفه بعد مدّة قريبة ، وولي بعده الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، نقله إليها من دمشق ، ثم صرفه ، وولي بعده الأمير علاء الدين أيدكين الشهابي ، ثم صرفه ، وولي بعده الأمير نور الدين [٥] علي بن مجلّي الهكاري ، واستمر بها إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ .

ذكر من ولي الأستاذ داريّة

ولي لـه الأستاذ داريّة ، لما ملك ، ـ رحمه الله ـ الأمير جمال الدين آقوش

---

(١) توفي سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠ م . (ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٢٢٩) .

(٢) ناب السلطنة بحمص مدة ، ثم نقله الملك الظاهر إلى حصن الأكراد وجعله نائباً للسلطنة هناك . قتل بحصن الأكراد بداره وهو في عشر الخمسين سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ م . (النويري ، ٩٩ و ؛ اليونيني ٢/٢٩٠٧ : ١٧٩ ظ) .

(٣) توفي بالقاهرة سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ م . (النويري : ٩٩ و) .

(*) إشارة إلى بدء « التاسع عشر من الجزء الثاني » .

(٤) توفي بالقدس في شهر رمضان سنة ٦٨٨ هـ / أيلول ـ تشرين الأول ١٢٨٩ م . ولي الولايات العظام أيام الملك الظاهر وولده السعيد كصفد وأعمالها ثم نيابة السلطنة بحلب وأعمالها . (النويري : ١٤٢ ظ ؛ اليونيني ٢/٢٩٠٧ : ٢٧٢ ظ) .

(٥) ولي نيابة السلطنة بحلب وأعمالها لفترة طويلة من ٦٥٩ ـ ٦٧٨ هـ / ١٢٦١ ـ ١٢٧٩ م ، وانتهى الأمر بأن عزل عنها قبيل وفاته بالأمير علاء الدين أيدغدي الكبكي . توفي بحلب نهار الأربعاء ٢٧ ربيع الآخر سنة ٦٧٨ هـ / ٦ أيلول ١٢٧٩ م ، ودفن بها ، وكان قد نيّف على السبعين . (اليونيني ٤ : ٣١) .

النجيبي ، ثم صرفه ، وولي الأمير عز الدين أيدمر السعدي ، ثم صرفه ، ونقله إلى الكرك ، وولي الأمير جمال الدين موسى بن يغمور ، واستمر إلى أن توفي ، وولي بعده ١٧٠ ظ الأمير شمس الدين آق سنقر // الفارقاني ، واستمر إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ .

ذكر من ولي أمير جانداريّته

لما ملك ـ رحمه الله ـ ولي أمير جان داريّته الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي ، وعلم الدين [١] سنجر الصالحي ، ثم ولي معهما الأمير ركن الدين بيبرس المغيثي ، واستمروا إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ .

ذكر دواداريّته

وهم الذين يقرأون له كتب الأسرار الواردة عليه من الملوك ، وهم الذين يجيبون عنها ويسفرون بينه وبين وزرائه وكتّابه . ولي ذلك له ، لما ملك ، الأمير سيف الدين بلبان الرومي ، والأمير حسام الدين [٢] لاجين الأيدمري المعروف بالدرفيل ، والأمير ١٧١ و عز الدين أيدمر الظاهري ، والأمير عز الدين أيبك // الخطائي الألدكزي ، وكان هذا المذكور دوادار السلطان ـ رحمه الله ـ في حال إمرته ، فكان في حال سلطنته دواداراً داخلاً .

ذكر من جعله أمير سلاحه

لما ملك ـ رحمه الله ـ جعل أمير سلاحه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري [٣] ،

---

(١) توفي يوم السبت ٢٢ رجب سنة ٦٨٢ هـ / ١٦ تشرين الأول ١٢٨٣ م . (النويري : ١٤٢ و) .
(٢) توفي في ١٤ رمضان سنة ٦٧٢ هـ / ٢٤ آذار ١٢٧٤ م ببستان الخشّاب ظاهر القاهرة ، ودفن من يومه بسفح المقطم وهو في عشر الأربعين ، وينسب إليه أحد أبواب قلعة الجبل (باب الدرفيل) . (اليونيني ٣ : ٦٧ ـ ٦٨) .
(٣) توفي في ١٥ ربيع الآخر سنة ٧٠٦ هـ / ١٤ تشرين الأول ١٣٠٧ م . وكان أولاً مملوكاً لفخر الدين بن الشيخ . =

والمضاف إليه من السلاح دارية ما يناهز مابة نفس كلهم تحت كلمته .

ذكر من جعله جمداراً

وهو الذي يحمل خلفه البقجة في الموكب ، لما ملك ــ رحمه الله ــ ولي ذلك الأمير حسام الدين كرزي وتحت يده طايفة ولهم نوبة ، والأمير جمال الدين آقوش القليجي وتحت يده طايفة ولهم نوبة أيضاً ، ومقدار عدد الطايفتين ، كباراً أرباب إقطاعات // مابة نفس ، وصغاراً ثمانون نفساً ، وفوّض إليهما النظر فيمن كان محبوساً في خاصته ممن لا يطلع عليه غيرهما ، فاستمرا إلى أن توفي ــ رحمه الله ــ .

١٧١ ظ

ذكر حجّابه [١]

لما ملك ــ رحمه الله ــ ولي حجابته الأمير سيف الدين بكجري ، والأمير ركن الدين بيبرس أباجي الحلبي ، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسي ، والأمير فخر الدين أياز المقري ، والأمير شمس الدين سنقرجا الكنجي ، والأمير جمال الدين ابن الإمام [٢] ، والأمير شمس الدين خضر الناصري [٣] .

= ثم انتقل إلى الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده ، وعظم شأنه لا سيما أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون . واستمر أميراً ما يقارب الستين سنة . (اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٢٧ ط ، المقريزي ، الخطط ٢ : ٣٣) .

(١) مفرده حاجب ، وهو من يحجب الناس عن الدخول إلى الخليفة أو الأمير بدون إذن (البواب) ، وعظم شأن الحاجب أيام الظاهر بيبرس حيث تعدت وظيفته إلى الحكم بين الناس والأمر والنهي ، وفي أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون عادلت الحجوبية النيابة . (ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٨٥ ــ ١٨٦ ، القلقشندي ٤ : ١٩ ــ ٢٠ ، ٥ : ٤٤٩) .

(٢) لعله الأمير خضر بن الإمام المستكفي بالله المتوفي بالكبش في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ هـ/ ١٧ تشرين الثاني ١٣١١ م . (اليونيني ٢٩٠٧ / ٤ : ١٩١ ظ ــ ١٩٢ و) .

(٣) توفي سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ ــ ١٣٠٨ م . (المصدر نفسه : الورقة ١٤٤) .

ذكر ما كان له من المماليك

كان له من المماليك أربعة آلاف مملوك ، منهم أمراء اسفهسلاريّة [١] ، ومفاردة ، و ١٧٢ وخاصكيّة [٢] // داخل الدور ، وخاصكيّة خارجها ، وجمداريّة وسلاح داريّة ، وكتّابيّة . //

١٧٢ ظ

ذكر ما وقع عليه الإختيار من المراثي التي رثي بها ـ رحمه الله ـ

قول القاضي الأجل الإمام العالم العلامة محيي الدين عبيد الله بن عبد الظاهر يرثيه ـ قدس الله روحه ـ :

ما مثل هذا الرُّزء رزءٌ [٣] يُحْمَلُ ... كلاّ ولا صبرٌ جميلٌ يَجمُلُ

كيف السبيلُ ولا سبيلَ لِسَلْوةٍ ... في ذا المُصابِ ولا جفون تقبلُ

اللّهُ أكبر إنها لمصيبةٌ ... فيها الرواسي خفّةً تتزلزَل [٤]

عَزّ العَزاءُ لأن رُزءاً مثلَ ذا ... ما كان في ذِهن أمرئ يتشكلُ

ما للوجودِ عَلَت عليه كآبةٌ ... أتُرى القيامَة عن قريبٍ تُقْبلُ !

ما للجيادِ كئيبةٌ محزونةٌ ... أفَذا الحنينُ أنينها إذ تَصهُلُ [٥] !

ما لِلقِسِيِّ تئنُ أنّةَ فاقدٍ ... إن القِسيَّ لَفيه أيضاً ثُكَّلُ !

---

(١) مفرده اسْفهسلار ، وهو من ألقاب أرباب السيوف ومعناه « مقدم العسكر » وهو مركب من لفظين : فارسي (اسفه بمعنى مقدم) ، وتركي (سلار بمعنى العسكر) . (القلقشندي ٦ : ٧ ـ ٨) .

(٢) مماليك مقربون من السلطان يدخلون عليه في أوقات خلواته وفراغه بغير إذن ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين ، ويواكبون السلطان عند ركوبه ، ويتأنقون في ركوبهم وملبوسهم بما يميزهم عن غيرهم ، ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة . (Quatremère, op. cit., II, p. 159, n. 3)

(٣) كذا ؛ وفي ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور : ٢٣ وشافع بن علي : ١٦٤ « قلب » .

(٤) كذا ؛ وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت في ابن عبد الظاهر وشافع كما يلي : « منها الرواسي خيفة تتزلزل » .

(٥) كذا ؛ وفي شافع : « أفذا الأنين حنينها إذ تصهل » .

مـا للسيُوفِ قد انحنَت أتُـرى دَرَتْ ... أنّ المنـون لحدّهـا ستفلّـلُ !
مـا للرمـاحِ تَخَوّلتها رعـدةٌ ... أَلِتَرْكِها أنْ ليس تُعقَل تَعقِلُ !
الخطبُ أعظمُ أن يُقال فجيعةٌ ... إنّ الفجايع رُبّما تتسهّلُ //
١٧٣ و هـذا هـو الرزءُ الـذي فُدِحتْ به الـ ... ـدنيا فأحشاءُ الزّمان تقلقلُ
هيهاتِ يُرجى للوجُود إفاقةٌ ... مِنْ شُرب كأسٍ مُهلها لا يُمهلُ
لَهفي على الملكِ الذي كانت به الـ ... ـدُنيا تَطِيبُ وكلُّ قَفرٍ مَنْزِلُ
بَيبرس ركُن الدين والسَّمحُ الذي ... من جُوده جودُ السّحايبِ يخجَلُ
الظاهر السلطان مَن كانت له ... مِنَنٌ على كلِّ الوَرى وتَطَوُّلُ
لهفي على آرائه تلك التي ... مثل السِهّام إلى المَصالح تُرسَلُ
لهفي على تلك العَزايم كيف قد ... غفلت وكانت قبل ذا لا تَغْفلُ
لهفي على شُمّ الحصُون وَكونها ... مِن بَعدِه قد أصبحَتْ تَتَململُ
أين الذي أسَر الملُوكَ فأصبحوا ... في أسره من بعض ما يُتَخَوَّلُ !
أين الذي فَتح البلاد فَسيْفُهُ ... مفتاحُ ما بيَدِ الأعادِي يُقْفلُ !
أين الذي عمرَ القلاعَ فأصبحَتْ ... من دون رِفْعتِها السِمَاك الأعزَلُ !
أين الذي كمْ أنشَدَت عزماته ... « قُل للسحّابِ إذا حَدَتْهُ الشمْأَلُ » !
أين الذي في أرض عكة [1] مُرْمِلٌ ... منه وفي أرجاء مَكةَ مرقِلُ !
والله مَاتَ وفَاتَ منه كلُّ ما ... كُنا له طُولَ الزمّان نُؤَمِّلُ
تَعْساً لها من نَكبَةٍ وافَى بها ... يوم الخَميسِ إلى الخميس تُوَلوِلُ //
١٧٣ ظ سَهمٌ أصَابَ وما رُئِي من قبله ... سهمٌ له في كلِّ قلب مقتلُ
ثكلَتكَ أُمُّك يا جَبانُ أمَا ترى ... قِرْنَ الفوارس في الفِرَاشِ يُعَلّلُ ؟!
من بَعد ما قَتَل الألوفَ وصارعَ الـ ... أبطالَ حيلتُه الشّديدة تبطُلُ
من بعد ما فَلَّ الجيوشَ وفلّل الـ ... أسيافَ تَصرعُهُ المَنُونُ وَتقتُلُ

(١) المقصود مدينة عكا .

مـا راعـهُ سيفٌ يُجَـرَّد حَـدُّهُ ... كلّا ولا رُمحٌ [١] قَويمٌ يُعمَـلُ
بـل راعـهُ القـدرُ الـذي لم تَحْمِـه ... منـهُ الجُيوشُ ولا الحُسَام المُنْصَـلُ
للهِ موقفـه الـذي فيـه غـدا ... للنصر يذهبُ حيثُ كُـلٌّ يَذهَـلُ
وإذا التّتـارُ تألَفـت وتألّفـت [٢] ... في مـرج هُـوفي [٣] والكناين تُنَثَـلُ
حيثُ العِـدَى قد أصبحتْ أجسادُهُم ... مـا شاءت الفَتَكاتُ فيهـا تَفعَـلُ
في كـلِ رأسٍ ضَربـةٌ لا تنثـني ... حتى تُقَّـدَ بمُنتهاهـا الأرْجُـلُ
وَبكُـلِّ صدرٍ طَعَنَـةٌ تحكي فمـاً ... فيـه الأسنّةُ كالثُغـور تكلّـلُ
كـم بالسِهام لهـا سِواكُ قـد بـدا ... ولكم بنَبلٍ [٤] أصبحت تتخلّـلُ !
حيث الصفوفُ على الصفـوف ومالـه ... عن موقفٍ يُرضي الأعنّة [٥] معـدلُ
والكُفر قـد بَهتُـوا لـه إذْ أبـصْروا ... حُجباً عليه من الوقايـة تُسبَـلُ
ولديـه كـل مهنّدٍ قـال العِـدا ... لمـا بَـدا : هـذا القضـاءُ المُنزَلُ //
١٧٤ و وإذا الذّوابـل ترتـوي فَـيُرى لهـا ... بعـد الظمّا في كـل قلـبٍ مَنْهَـلُ
والسيف يَشْتفُّ الدمـاءَ فكم لـه ... في كـل نحرٍ منـزلٌ مُستوبـلُ
والطيرُ تشكُـر مُولِـاً بـل مُولَمـاً ... منـه بمـا للوحش عنهـا يَفضـلُ
أسني عليـه وقـد اتى مـن غـزوِهِ ... كالليْث أقبـلَ للفريسةِ يَنْقُـلُ
أو لا كمثل السَّيـل يخـترق الفـلا ... ولـه نَـوالٌ للأبـاطِـح يَشمُـلُ
وأتـى دمشقَ وكـلٌ قايـد جَحفَـلٍ ... مُتَـدلـلٌ في أسرهِ مُتَـذلِّـلُ
تَحَـذوا السلاسلَ في الرّقـاب قلايـداً ... وبمِثلِهـا مَـنْ مِثلـه يتجمّـلُ

---

(١) كذا ؛ وفي ابن عبد الظاهر ، تشريف : ٢٣ « لدن » .
(٢) كذا ؛ وفي المصدر نفسه ' « تألبت » .
(٣) أيضاً : « هوتي » .
(٤) أيضاً : « بقتل » .
(٥) أيضاً : « الخليفة » .

كم ذات حَجَلٍ قد رأت مَولى لها (١)   في القيد ما بين المواكب يحجلُ !
قالت له : « هذا هو الملكُ الذي   ما كان يَحمي مِنه يوماً مَعقِلُ
هذا الذي لنهابه ما تجمع الـ   أعدا له ولسيفه ما تنسلُ »
وَلرُب مملكةٍ بَكَتْه بمدمعٍ   مثل السحّايب ذات جفن تهمُلُ
ناح الحمامُ لها فناحت مثلهُ   ثم انثنت في بثِّها تَسترسِلُ
ولّت وقد عُذِلَتْ وقيل لها [أقصري] (٢)   ما آن أن يثني الشكيمةَ معولُ
أنا إن بكيتُ فإنّ عذريَ واضحٌ   ولئن صبرتُ فإنّني أتمثّلُ
خلف السعيدُ لنا الشهيدَ فأدمعٌ   منهلّةٌ في أوجهٍ تتهلّلُ //
١٧٤ ظ ما كان هذا راحلٌ وثناؤه   باقٍ وذا باقٍ ثناهُ يُؤَجّلُ
للناس من هذا ربيعٌ آخرٌ   ومن الشَّهيدِ لهم ربيعٌ أوّلُ
قَمران هذا طالعٌ لإنارةٍ   يَهدِي الأنام بها وهذا يأفلُ
هذا إلى الرضوان راح وذا له   من بَيعَةِ الرضوان حَبلٌ يُوصَلُ
أكرِمْ به من ميّتٍ وبنجله   حيّاً بدا في دَستِه يتمثّلُ
ملكٌ سعيدٌ في مخايل مُلكه   نصرٌ به صُنْعُ الإله مُوكَّلُ
قد جاءه الملك العقيم معجّلاً   وليأتين إليه منه مؤجّلُ
بعِصَابةٍ شُمّ الأنوف سُيوفُهم   سَبَقَتْ في قتل العِدَا لا تُعذَلُ
بدرٌ وشمسٌ للصلاح تناوبَا   فبذا وذا أمرُ الهُدى مُتأصّلُ
قَامَا بعبءِ الملك حتى ما بقي   من أمره لِسواهُما ما يُحمَلُ
واستوثقا بحَزامةٍ كفلتْ له   بالنصرِ فيما قد غدا يستقبلُ
وَخَليّةٍ من حُزنِ قلبي أقبَلَتْ   عن شَرْحِ أحوالي الخفيّة تَسأَلُ

(١) ابن عبد الظاهر : ٢٤ « مولاها » (وهو خطأ) .
(٢) نقص في الأصل ؛ وما أثبته قراءة تقديرية .

أَفْهمتُهـا بَـثّي [١] وحزني بَعْـدَ مَـنْ — كانت لدَيـه مَكـانـتي تَتَـأثَّـلُ
وشنئت آمـالي وأنّـي بعـدهُ — لـو أستطيعُ رحلتُ في مَنْ يرحلُ
قالتْ : « لك القَلَم الذي كم [٢] طرّزت — سِيَرٌ بـه وقصايـد وتَـرسُّلُ ! » //
١٧٥ و نـاديتُهـا [٣] لا شيء مـن ذا نـافـعٌ — « قلمُ البليغِ بغَير حـظٍّ مُغْـزَلُ »
قالتْ : « لك السلطانُ يَرعى مثـل ما — يَرعى أبـوه كما تَشَاءُ وأَفْضَـلُ »
قُلت : « الوسايطُ عنده مَـنّ لي بهـم — لـو أنـني بعُلاهُـمُ أَتـوَصَّـلُ »
قالتْ : « فذكّرْهُم [٤] بحُرمةٍ من مضى — فَلعَلهم أن يُجملُوا أو يُفضِلوا ! »
والآن قـد ذكّـرتكـم ولأنـتُمُ — في كـلِ أمـرٍ للخلايـقِ موئـلُ
فـارعُـوا حُقـوقي إنـني لي عنـدكُـم — خِدماً بأيسرهـا الإرادةُ تَحصُـلُ
لا زال يَعتـذرُ الزّمـانُ إليكُـمُ — مما جنى وإليكُمُ [٥] يَتَنَصَّلُ //

١٧٥ ظ وقال الأمير ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني العسقلاني :

لـلأرضِ بَعـدكَ رَجّةٌ وتَزلـزُلُ — لم يستقِـرَّ بمـن عليهـا مَنْـزِلُ
والخلـقُ بَعـدكَ في صعيـدٍ واحـدٍ — جُمِعـوا وكـلٌّ ذاهـلٌ لا يَعقِـلُ
والخلـقُ فيـك فقـد أصيبـوا كلهم — إذ كـان كلّهـمُ عليك يعـوّلُ
وَأرى الفُحـولَ من الرِّجـالِ عليك قـد — صاحـوا وَناحوا كالنساءِ وأعولوا
والحَربُ منـك تأيَّمتْ والخيـلُ منـ — ـك تيتّمتْ وكـذا الظبـاء الذُّبَّـلُ
ولطـالَ مـا أَبكيتَهـا بـدمٍ عـلى — مُغـلِ التَتـار وهمْ بهـا قد قُتِّلـوا
قـد كُنتَ راميَهـا المُصِيبَ بسهْمـهِ — وبظنّـهِ مـا لا إليـه يُـوصَّـلُ

(١) ابن عبد الظاهر ، تشريف : ٢٤ « شيني » (وهو خطأ) .
(٢) في المصدر نفسه : « قد » .
(٣) المصدر نفسه : « فأجبتها » .
(٤) أيضاً : « نذكركم » .
(٥) أيضاً : « ولديكم »

وأخـا الخـداع وصاحبَ الحِيل الـتي ... قـد أعجز البُطّـالَ منـهُ تحيُّـلُ
حيـلٌ يكيـدُ بهـا العَـدوَّ بأرضِـهِ ... تتسابـقُ الأنفـاسُ منـه وتَعجلُ //
١٧٦ و حتـى أتـى المـوتُ الـذي لا حيلـةً ... فيـه لمن يحتـالُ أو يَتَـأَوَّلُ
فاليـومَ قرّتْ مِن عِداك عُيونُهم [1] ... وتَـوطنـوا أوطانهـم وتأَهَّـلُوا
وتمتعـوا بالنـوم بعـد سُهادِهـم ... واستَقْصَرُوا من نومِهم ما استَطْوَلُوا
وصفـا لهـم بعـد التكـدّر مشربٌ ... وهَنـا لهـم بعـد التنغّص مأكَـلُ
يـا آخـذَ الدُنيـا ومُعطِيهـا ولا ... مَنٌّ لما يُعطِي ومـا يَتَطـوَّلُ
يـا ظاهـراً أنسَى المُلـوكَ حديثُـهُ ... عَزماً ويُنْسخُ بالأخيـرِ الأولُ
ولـه الفتوحـاتُ التي فَتَحت لـه ... جَنَّـاتِ عـدنٍ فهو مِنْها يَدخلُ
أنتَ الذي قَتَلتْ عِداهُ نُفُوسَهـم ... من عُظمِ ما مِن وَهمِها تَتَخيّلُ
والخوفُ عَونٌ للشجـاع على الجَبَـا ... ن مُساعِدٌ والوَهْمُ مِما يقتُـلُ
يـا مُكثرَ الغـاراتِ في أقطارِهـا ... لم يَخلُ منه مُعلَمٌ أو مُجْهَـلُ
لم تَبـقَ أرضٌ أو أتـرت تُرابهـا ... فَعليـك منـه عِثيَرٌ أو قَسْطَـلُ
يومـاً ببرقـةَ ثم يومـاً آخـراً ... بالـرّوم تَطّلِبُ التتـارَ وتَقْتُـلُ
وكـذا الحجـاز سلكتـه وملكتـه ... وقضيتَ حجّاً [2] فرضُهُ مُتقبّلُ //
١٧٦ ظ فعليك يبكي المسلمون ويأسفُ الـ ... إسلام والدُنيـا لفقـدِكَ تَذْهَـلُ
ولطالمـا ثكلُـوا ومثـل الظاهِـرِ الـ ... ـمَلكِ الهمـام فإنّهم لم يَثكَلُـوا
يـا غايبـاً في غَـزوه وجهـادِهِ ... وإذا أقـامَ ففكـرُهُ مُـترحِّـلُ
مـا لي أراك أطلت غيبـةَ غـايبٍ ... مـا يُرتَجَى مِنـه كتـابٌ يُرسَلُ
وكـذاك مـن أمسَى بلحـدٍ ثاويـاً ... سيُقيمُ في غيبَـاتِـهِ ويُطَـوِّلُ
ولقـد تأملتُ البريـدَ وقـد أتَـى ... ولسانُـه مُتَلَجلـجٌ إذ يُسْأَلُ

(١) فوق هذا اللفظ إشارة الخطأ « صـــ » وقابله على الهامش اللفظ « قلوبهم » بالقلم نفسه .

(٢) حج الملك الظاهر سنة ٦٦٧ هـ . فكان أول سلطان من سلاطين مصر الأيوبيين والمماليك قصد الحجاز الشريف حاجاً . (ابن عبد الظاهر ، الروض : ٣٥٤ــ٣٥٧ ؛ المقريزي ، الذهب المسبوك : ٨٦ــ٩٢) .

وعليـــهِ مِـن أثـرِ الكآبـــةِ شاهِـــدٌ بالحَـالِ وهـو مُصَـــدِّقٌ ومُعَـــدِلُ
وقـد افتقَدتُـك والعَساكـرُ عنـدمـــا نَزلُـوا عـلى عاداتِهـم وتَرجَّلـــوا
فـإذا المواكبُ ليس فيهـا رُكنُهـا الـــ ـعَالي الـذُرَى أو بَـدرُهـا المُتَهلِّـلُ
فَقَطَعـتُ ثَمَّت مـا قَطعتُ وقُلـتُ وا أسفـاهُ أيـن الغَـايبُ المُـترحِّـلُ
أين الـذي كـانت لبُـودُ خُيُولِـــهِ ليستْ تجف وليس عنها ينـزِلُ !
أيـن الهمـامُ الظاهرُ المَلِكُ الـــذي كم أعمـل الأفكارَ فيمـا يعمَـلُ !
فَأجابَ صوتُ الموتِ : حيٌّ قد مَضى لسَبيلهِ وإلى القبُـورِ الموئِـــلُ
هـذا هـو النَّبـأُ العظـيمُ وإنّـه الـــ أمـرُ الجَسيمُ لكلِ مَنْ يَتَعقَّـلُ //
١٧٧ و خـبرٌ تفـوه بـه العُيـونُ بدمعهـــا إذ لا لسانَ يُقِلُّـــهُ أو يَنقُــــلُ
ومُصيبَــةٌ عظمَى وخطبٌ فــــادحٌ ورزيّـةٌ كُبرى وأمــرٌ مُعضِـلُ
قـد هـدَّ رُكنَ المسلمينَ وقـد هَـوى جَبَـلٌ لهـم مـا إن يُـرامُ ومَعقِـلُ
لم أنْسهُ في يَـوم عَـرضِ جُيـوشِهِ وأمـامـهُ الوَلـدُ السعيـدُ المُقبِـلُ
طـوراً يُعلِّمــه الطــرادَ وتـــارةً يُنبيــهِ كيـف على الأعــادي يحمـلُ
وكـأنـه أسدٌ يُفـرّسُ شِبْلَـــــه وأشدُّ في الوَثبَـاتِ ليـثٌ شُبَّـلُ
والمُلك ممـــدودُ الـرّواق عليهمــا ولـه جَمـال منهمــا وتجمُّــلُ
مُلـكٌ يُورِّثُـــهُ ولي العَهـــد سُلــــ ـطان البـــلاد المُنعـمُ المتَطـولُ
خلَفَ السَّعيــدُ بـهِ الشهيـدَ فأدمــعٌ مُنهلَّــةٌ في أوجُـــهٍ تَتَهلَّــــلُ
مَلِكـــانِ هـذا راحِـلٌ وثَنـــاؤه باقٍ وذا بـاقٍ ثنـاه يَـرْحَـلُ
ومحمـدٌ خَلَفٌ يقـومُ بمُلـك بيبــــ ـبَرسٍ ويُصْلِـحُ أن يكـون ويكفُـلُ
فكـأن والـــده بـــهِ متصّــــورٌ وبـذاتـهِ وصِفَاتِـهِ مُتَمثِّـلُ
وكـأنـــهُ مـا غـاب إلا شَخصُـــهُ عـن دَستِـه لا مـا يقُـولُ ويفعـلُ //
١٧٧ ظ قـد قـام بالأمـر الجَسيمِ وَدَبَّـر الـــ ـمُلكَ العَقيمَ وهكـذا المُتكفِّـلُ
وامتـدت الأيـدي لبيعـةِ مُلكـــه مُتسارِعـاتٍ نحوهـا لا تُمهـلُ
والتُرك بَعـدَ أبيـه قـد حَفِظُـوا لــه عهـداً وكانـوا فوق مـا هُـو يأمـلُ

وَهُم الأسودُ الضارياتُ لدى الوَغَى   لم يثنِهنَّ عن الفرائس جَحفَلُ
واستحلفوا طُرّاً وقد حَلَفُوا له   أن يَنْصُرُوه وأنّهم لن يَخْذُلُوا
وَسَلِ التَّتارَ تُجب بشدةِ بأسِهم   وسيُوفُهُم فيهم تُعَلّ وَتُنْهَلُ
فَلْيَهنِ مولانا السَّعيدَ سعادةٌ   يقضى بها مُلك له متأثِلُ
والله يُبقِيْهِ ويَرْحَمُ من مَضى   لِسَبيلهِ وهو السَّبيل الأمثَلُ

وقال أيضاً يَرثْيه ـ تغمده الله برحمته ـ : //

١٧٨ و أبدى بك الدهرُ ما أبداهُ واعتَذَرا   ولم يهدَّ بناءَ المُلْكِ أَو عَمَرا
أخفَى أباك وأبداك الزّمانُ لنا   ما غَيَّبَ الشمسَ حتى أطلعَ القمرا
لم يَظمِنا أو سَقَانا الريَّ من عَطَشٍ   ما غَيَّضَ البَحرَ حتى أنزل المطرا
ولا مَحا صُورَةً حتى أتى عجلاً   بصورةٍ بَعدَها أبقت لنا صُورا
ولا مَضى سَلفٌ حتى أتى خَلَفٌ   ولا ذَوى الدَّوْحُ حتى أخرجَ الثمرا
مَلْكٌ مضى وأتى من بعده مَلِكٌ   من نَسلِهِ مُقْتفٍ من إثره الأَثَرا
فالعَينُ باكيةٌ والسّنُ ضاحكةٌ   يا من رأى مأتماً والعُرسَ فيه نرى
فنحن ما بين حُزنٍ في القُلوب ثوىً   وبين فَرْطِ سُرورٍ للنفوسِ سَرَى
فَإن مضى الظاهر المَلكُ الشهيدُ فقد   أبْقَى الشَّهيدُ السعيدَ الرأي والنظرا
مَلْكٌ إذا ما بَدا في دَسْتِ مملكةٍ   وحَولَهُ التُركُ تلك السادةُ الكُبَرا //
١٧٨ ظ شاهدتَ بَدرَ تَمام حلَّ في فَلَكٍ   من آل خاقان يحوي أنجُماً زُهُرا
أو لَيْثَ غابٍ وقد حَفَّتْ به زُمَرٌ   منها بساقِر جوٍ أو ليوث شرا
أحْبِب به وَلداً شِبْهاً لوالِدِه   خَلقاً وخُلقاً وفيما عَنَّ أو خَطَرا
فلم يَغبْ عن عيونِ الناظِرين له   مِن وَصفِ والِدِهِ شَيءٌ إذَا حضَرا
فلا يُغرَّ الأعادِي مَوتُه فَعَلى   رُؤوسِهم سَلَّ منه صارماً ذكَرا
مُستيقظُ الطَّرفِ ماضي العزم مُطَّلِباً   أعداءَهُ لا يَمَلُّ السَّيْرَ والسَّهرا

مُسافِرُ الفكـرِ في سَهْلٍ وفي وَعَــرٍ وليسَ يسأمُ يومــاً فيهمـا سَفَرا
سَاسَ الرعيَّةَ فانْقَـادُوا لطاعَتِـه فيمـا نَهـى عنـه أو فيمـا بـه أَمَـرا
وقَـام يَحمـل عِبءَ المُلكِ مُضْطَلِعـاً بأَمْـرِهِ ولـدين الـدين منتَـصِرَا
وقد رَعى مـا رَعَـاهُ مـن مَصالِحِـه [....] (١) وشمة يومـاً ولا دثَـرا
وقـد أطاب قُلوبـاً مـن عَسَاكِـرِهِ وَعَمَّهم أَنْعُمـاً منـه وقـد غمَـرَا
فناصَحُـوه وغَالـوا في نَصِيْحتِـهِ حتى استوَى السِّر منهم والذي ظَهَرا
وقَد تَكَفَّـلَ خِضْراً بعـد والـده فـلا غدَا اليأسُ منه يصحبُ الخَضِرا
وأصلحَ الحَـال مـن دورٍ وحاشيـةٍ حتى لقـد أَنَّسَ القَلْبَ الـذي نَفَـرا //
١٧٩ و واستَجلبَ الدعـواتِ الصالحاتِ لـه وبالثَّنـاء عليـه استَنْطَـقَ الشُّعرا
فالله يَعفُـو ويَرضى عن مُخلِّفِـهِ وأن يُطيـلَ لـه مِن بَعـدِه العُمُـرا
الله يَجعـلُ مـن أولادِه أبـداً مُستَخلفاً قَايمـاً فينـا ومُنْتَظَـرَا

وقال الأديب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم المعروف بالجزّار :

أَيَطْمَـعُ خلـقٌ أن يَكُـونَ مُخلَّـدا وقـد قَضَتِ الأيام أن يَـرِدَ الـرَّدَى !
ومـا زالَ هـذا الدَّهـرُ يَهـدِم ما بَنَى ويُخلِقُ مـا قـد كـان بالأمس جَـدَّدَا
أَرى الدَهـرَ يَنحُـو المرءَ حتى يُعيـدَهُ لنـا خبراً مـن بَعـدِ ما كـان مُبتَـدا
وَما زالتِ الدُنيـا مُقدمـةً وهـل نَتيجتُهـا إلاّ الضَّلال أو الهُـدى ؟!
وأجْهَـلُ خَلْـقِ الله مَـنْ [......] (٢) من الأمـاني تُنجِـزُ النفسُ مَوعِـدا
وكم قَـايـل إني سَأَفعَـلُ في غـدٍ غَـدَا في الثَّرى مِنْ قَبـلِ إدْراكه غدَا
كفـى الظاهـرَ السلطانَ بيبرسَ أنّـه أجـلُّ ملوكِ الأرضِ مجداً وسُؤدَدا
وأنّ سلاطـينَ البـلاد بأسرِهـا تُقِـرُّ لـه بالفَضْلِ في النَّاسِ والنَـدَى

(١) مطموس في الأصل .
(٢) مطموس في الأصل .

أَيُنسى لــه في كُــل ثغـرٍ عَزَايـــمٌ جَلت بمسَاوِيك الفَنَا فَلَـجَ العِـدَا ! //
١٧٩ ظ أَتاهـا وقـد جَاسَ العَـدوُّ خِلالهــا بجيشٍ يُحاكي جَمْعُـهُ البَحـرَ مُزبدَا
فَأنْقَذَهـا والسَّيفُ يَبْسِم ثَغْــــرهُ هنـاك وقَـدُّ الرُّمحِ يُزهَى تـأوُّدَا
فَلَـو لم يَـذُدْ لا ضَيَّـعَ اللهُ سَعيَـــهُ عن الدين ما شَاهَدتُـمُ مُتَشهِّـدَا
وكم بِيعَــةٍ قـد جـاءَهــا وكنيسةٍ فَغَادَرَهــا بالمشرفيَّــةِ مَسجِـــدَا
وكم خلَفَ الناقُـوسَ فيهـا مُـــؤذِّنٌ وكم كـرَّر التَّوْحيـدَ فيهـا وَردَّدَا
وكم من حُصونٍ قَـرَّبَ اللهُ فَتحَهـا على يـده كانت من النَجم أبعَـدَا
ولَو فُدي الإنسانُ يومـاً بدُونِـه لكانَتْ له الأَمـلاكُ حاشا ابنه الفِـدَا
لقـد أصبح الملك السعيـدُ مظفـراً بأعـدايـه في ملكــه ومؤيَّـــدا
إذا مــا اعتَبرنَـا قولَـهُ وَفِعالَـــهُ عَلِمنَـا بـأَنَّ النَّـاس سُودوا سُدَا
ولم يُبقِ في الدُّنيــا فساداً يشينُهـا فكم مِن ضَلالٍ قد أُعيـدَ به هُـدَى !
ولا غـروَ [1] إن فـاق المُلـوكَ لأنَّـه بوالـدِه المرحُـوم في حَـزْمِـهِ اقْتَـدى
أبـوه الـذي قد أَسَّسَ المُلْكَ قَبْلَــهُ ولكنَّـه زاد البِنَـاءَ وشَيَّـدا
ومـا إن نَسِينـا ذكـرَهُ قَـدْرَ ساعـةٍ ويَقْبُـحُ أَن يُنْسَى ومـا بَعُـد المدَى // *
١٨٠ و وإن كـان صَرفُ الدَّهر فيـه مُذمَّمـاً فَصَبراً لأنّـا قـد وَجَـدْنَـا مُحمّـدا
وَجَدنــا الـذي عَمَّ البَرايـا بعَدْلِــهِ وَوَطّـأَ أرجـاءَ البـلاد ووطَّـدَا
فأَسْأَلُ رَبّـي أن تَطـولَ حَياتُـــه ويَجعـلَ هـذا المُلك فيـه مُؤَبَّـدَا
ويُبقي لــه النُصَّـاحَ مـن أمرائــه ومن لا يَـزالُ الرأيُ منـه مُسَدَّدَا

وقال الصدر الفاضل علاء الدين علي بن القاضي عمّار بن عمر المعروف بابن قاضي اللاذقية :

---

(١) الأصل : غروا .

(*) إشارة إلى بدء « العشرون من الجزء الثاني » .

دهرٌ خؤون ووقتٌ جاير فينَا ... ولا نَرى فيه أياماً تُصافينا

ولا به ملجأٌ يُرجى ولا حكمٌ ... بالعدل في حُكمه حقاً يساوينا

في كلِّ يوم كؤوسُ الهمِّ مُتْرعَةٌ ... يُدُيرها صَرفُه صِرفاً ويسقينا

وقد تَقطّعتِ الأسبابُ فيه فما ... لدائه في الورى طبٌّ يُدَاوينا

وَمِنْ عَظِيم بلاءٍ حَلَّ فيه بنا ... وَفَاةُ ركنٍ شديدٍ مالك فِينا

فذلك الظّاهرُ المرحومُ خيرُ فتىً ... قد كان في كُلِّ ما يُخشى يُفَدّينا

كهفُ الشريعة بيبرسٌ أخو كرمٍ ... وخايضُ النقع والهيجا يُواسِينا

كم قد أباد جُموعَ الكُفر حين طغوا ... وكم عزيزٍ رأى من سيفه الهَونا //

١٨٠ ظ وكم حُصونٍ منيعاتٍ مشيّدةٍ ... عَزَّتْ على غيره دانَتْ له لينَا

وكم غزاةٍ له في إثرهَا صلةٌ ... وَفَكّ نفسٍ قضَتْ في سجنها حِينَا

وكم أَقام منارَ الدِين مُجتَهِداً ... فأَصبحَ الناسُ صُوّاماً مُصلّينَا

قد كان رُكناً نُرجيّه ومُعتمداً ... لحادثاتِ زمانٍ فيه تأتينَا

مَنْ للعِدَى بَعدهُ والحرب إن حَميَتْ ... وصاح دَاعيهمُ فيها ودَاعِينَا

قَرَّتْ عُيونُهُم مِن بَعدِهِ فَغَدَوْا ... لكلِّ حِقدٍ خَفَاهُ الخوفُ مُبدينا

يا ظاهراً واختفى بالموتِ في حُفَرٍ ... من بعدما قد حَوى مُلكاً وتمكينا

لو كنت تعلم ما نلقاه من حَزَنٍ ... لكنتَ بالرجْعة البيضا تمنينا

أو كُنتَ تنظرُ في الدّيجُور حالتنا ... لكان يُشجيك في الظلما تَأسِّينا

ولو رأيتَ وزيرَ المُلك من حُرَقٍ ... في لوعَةِ الحُزن مَغْموراً يُبَكّينَا

يُمسي ويُصبح في همٍّ وفي حَزَنٍ ... وكلما بَاح بالأشجانِ يُشجينا

لقُلتَ هذا وَفِيُّ العَهدِ خيرُ فَتىً ... مِنْ بَعدِ مَا هو مكْفِينَا مكافِينا

يا عَين جُودِي وفاءً بالدُموع [1] له ... ولاَ تَظُنّي تَمادي العهد يُنسينَا

ولتنثري الدُرَّ من دمعي المَصُون جَوىً ... مُجزّعاً بجمان من مآقينا

---

(١) فوق هذه الكلمة إشارة إلى أخرى على الهامش « بالعهود » بالقلم نفسه مرفقة بالرمز « صح » .

لا خير في العيش من بَعدِ الفراق لـــه — طـال العزاء بـه حقـاً فَعَـزّونَـا //

١٨١ و من كـان يُسعدُ إخوانـاً عـلى حـزنٍ — بالدمـع ها وقتـه يَبكي ويُبكينـا

لـو كـان يُفـدَى فـدينـاهُ بأنفسنـا — لكنَّ أرواحنـا ليست بأيدينـا

تـالله لا كـان يومـاً بعـده أبـداً — عَيشٌ يَلَـذّ ولا صَبرٌ يُسلينـا

إنْ بَـرّدَ الدمـعُ من صَبٍ لهيبَ جَـوىً — فالدَمـعُ يُضرم نـيرانَ الأسى فِينـا

إن كـان وَلّى فَقـد أبقى لنـا ملكـاً — هـو السعيـد بعَـونِ الله يأوينـا

محمـدٌ نـاصِرٌ للدِيـن ليثٌ وغـىً — مُمَكّـن في العُـلاَ والَمجـد حَامِينـا

نَجـلُ الملـوك الـذي لـولا سُيوفهـمُ — لمـا رأى النـاسُ معرُوفـاً ولا دِينـا

إن قلتَ بحـراً فليس البحـرُ يُشبِهُـهُ — هـذاك ملـحٌ وهذا العـذب يَسقينـا

أو قلتَ غيثُ سحابٍ ذاك مُنقطـعٌ — عـن الـدوام وهـذا دايمٌ فينـا

مـا صـال فينـا عـدوٌ أو سطا زَمـنٌ — إلا وبالسيف يَحمينـا ويحيينـا

عَـمّ البريـةَ مَعروفٌ لـه فغـدتْ — أيامُـه في الـوَرى غُـرّاً ميامينـا

أحيـا مَكَـارم آبـاءٍ لـه سلفـوا — وبـات بالجـود والحسنى يُغـذّينـا

يـا مالكـون لكم طـولُ البقـاء فمـا — في الدهـر صفـو ولا مـوت يُراعِينـا

يُعظّـم الله فيمـن قـد مضى لكـم — أجـراً ويـرزقـه من حُـوره عِينـا //

١٨١ ظ وقال تقي الدين شبيب بن حمدان الحرّاني :

جَـلَّ المصابُ ولكن جلّت النِعـم — وأجـدَب الكـونُ لكن جَادَت الدِيمُ

وعبَّست أوجُـه العليـا لمـوت فتـىً — أخي السَّعيـد بـه الأكـوان تبتسمُ

وأقلعَت سُحبُ الجـدوى فأعقبهـا — ربيـعُ فصـلٍ وبحرٌ طيّبٌ شبمُ

رُكنٌ تـزلـزلَ حتى كـادَ من فَـرَقٍ — لـولا المليكُ السَّعيـدُ الـدين يَنهدِمُ

فـلا عجيبٌ إذا الإصبـاح فارقنـا — بقِيَ النهـارَ الـذي لم تَلقـهُ العَتَمُ

بَـدران ذاك تخفّـى بـالسّرار وذا — حُسنـاً تجلّـتْ عن الدُنيـا به الظُلَمُ

سيفان أَغمدَ ذاك الله مُصْطفياً … وسَلَّ هذا على الأعداءِ ينتَقمُ

سَقى الإلهُ ثَراهُ سُحْبَ رَحْمَتِهِ … وَجَاد مَثواهُ صَوبُ الغيث ينسجمُ

فكم تزلزلتِ الدنيا لسطوَتهِ … بالمشركين وكم زَلَّت بهم قَدَمُ

وكم تَحرَّقَ في نيران عَزمتِهِ … للكفر قلبٌ ونارُ الحرب تضطَرِمُ

وكم رَمت جَمراتِ الهام مُحرمةً … سيوفُه وأحلّت للعِدَى حُرَمُ

وكم كسا لعُراةِ البيض من حُلَلٍ … حُمرٍ وللسحر تيجاناً هي القِمَمُ

وأنعل الخيل من تجفٍ وألبسها … أخلّةً أبدعَتْ في نُسجها اللمَمُ //

١٨٢ و وافتضَّ من قلعَةٍ عذراء أزوجه … بلا وَليّ ولا مهرٍ بها الخدمُ

وكم أباح حمى ثغرٍ لطاغِية … وصان للدين من ثغر به ثَرمُ

وخاض بحراً إلى الأعداء في مَلأٍ … تُرك بآنافِهم من عِزّةٍ شمَمُ

بدُور تِمّ لهم من بيضِهم شهُبٌ … أسُود حَربٍ لهم من سُمرهم أجَمُ

لو عانَدوا الفَلَكَ الدّوارَ عوَّقَهُ … بالله عن سَعيهِ الأحوال والهممُ

وكم تملك إقليماً ودان له … وإن نأوا لسُطاه العُربُ والعجمُ

إذا تذكره مُستيقظاً بطلٌ … أغفى لينسَى وكم قد راعه الحُلُمُ

وَلّى حميداً وما أغنَتْ جحافلهُ … والموتُ ما ردّهُ عادٌ ولا إرَمُ

ولو تخلَّد بالإحسان ذُو نعمٍ … في الناسِ خلّده الإحسان والنِعَمُ

ولو سوى الموت يَبغي ضَيمه انتصرتْ … للظاهر الملك حتى ينصر البُهَمُ

فلتبكِ كلُّ البرايا رُكنَ دينهم … مَلْكَ الملوك وإن مدَّ الدُموع دَمُ

الظاهر الملك الماضي المقيم لنا … مُلكاً تقيه الرَّدى بالأنفُس الأمَمُ

ملكٌ قضى الله أن يجري له أبداً … على الورى بالذي يختَارُهُ القَلمُ

عَمّ الخلايقَ بالحُسنى فكلُّهمُ … يُثني ولو جَحدُوا جَدواه ما حُرموا

كالغيث يَسقي البرايا لا لمحمدةٍ … يرجو لديهم ولكن طَبعهُ الكرمُ //

١٨٢ ظ ومن رأى قبل ذا الملك السَّعيد فتىً … متوجاً بالعُلى بالمجد يختَتمُ

بالصدق مُعتزمٌ بالحق منتقمٌ … بالعَدل منتصرٌ بالله مُعتصمُ

فـلا أرى الله عـين الـدهـر فرقتـــه ولا سواه عــلى الأيـــام يحتكـمُ

وقال الصدر الإمام الكامل الأوحد شرف الدين سُليمان بن بُليمان [١] بن أبي الجيش الإربلي يرثيه ــ قدّس الله روحه ــ :

عــزّ البقــاءُ فكـل حَـيٍّ فَــــانِ لا دَايمٌ يبقى سوى الرحمـــانِ
ننسى الـــردى ونُغالــط الأيـــامَ في تبعيـــده وهـــو القريبُ الـدّاني
وَلَهـــادِمُ اللّــــذاتِ يَهــدمُ كـلَّ ما يبـني من الآمـال فِكْـرُ البــاني
عَـمَّ البريّــة عـــادلاً في حُكمــه فضعيفهــم وقــويّهـم سِيّـــانِ
قصَرَ الملـــوك بقـصرِ مـــدّةِ قيـصر وبكــسرِ كسراهــم أنـــو شروانِ
وَعَـــدا على عــادٍ فأتبـــعَ تُبّعـــاً بهمُ وأَهــرمَ مـن لــه الهَـرَمـانِ
شَمـلَ الملــوكَ فلم يكـن في حكمــه مُستثنيـاً بفُــلانـــةٍ وفـــلانِ //
١٨٣ و نفــذ القضـــاءُ بسابق المحتـــوم في قـولِ المهمـين مَـنْ عليهـا فــانِ
كم غـرَّتِ الدُنيـا الأنــامَ فـذو النهى لم ينخدعْ مـن صرفهـــا بأمـــانِ
قتلَت بنيهـــا عـامـــداً وسبتْهُــــم فَطليقُهـم فيهـــا أسيرٌ عــــانِ
وأمـــرّ مـزريـــةٍ وشرٌّ مصيبـــةٍ بلمامِهـــا يتـألم الملـــوانِ
فـالأرض منهــا زلـزلتْ أقطـارُهـــا لمـا تحمَّـلَ ثِقْلَهـــا الثَّقَـــلانِ
يــا للعـــزاء فمــا أشدَّ مُصِيبـــــةً فَجَعَتْ جميـعَ النـاسِ في السُلطانِ
الظاهـر الملـك الـذي مـن بعــــده لم تَخـلُ مـن أسفٍ ومن أحـــزانِ
ولِحـــادِثٍ أصمـى القلـــوب حديثُــهُ وأصمَّ لمـــا حَـــلَّ في الآذانِ
أضحى الـورى وقُلـوبهم قــد أُشعِلتْ بالحُـــزن فهـي مَواقِـــدُ النـيرانِ
يـا جامِعـــاً شمـــلَ المكـــارم والعُــلى والعِلمِ والمعـــروف والإحسانِ

(١) كذا ؛ وورد أيضاً « بُنَيْمان » وقد توفي سليمان الإربلي سنة ٦٨٦ هـ . راجع ترجمته في الصفدي ، الوافي ١٥ : ٣٥٦ ــ ٣٥٨ .

مـا خلتُ قبلـك أنَّ بحـراً ضمّـه ... قبرٌ وليثاً حلَّ في أكفانِ

ومن العجايبِ بعد فَقدك أن بدت ... زُهْرُ النُجوم وأَشرقَ القمرانِ

فالأرض كادت أَن تَميدَ بأهْلِها ... ويخرَّ ما فيها من العُمرانِ

قد كان جُودُكَ للأنام جميعهم ... كالماءِ يَعذُبُ في فم العطشَانِ

فرداك قد سَلَبَ القُلوبَ سرارها ... ورمى بني الآمالِ بالحِرمَانِ //

١٨٣ ظ واستوحش الإسلامُ منك لسيرةٍ ... ما سَارَ إلا مثلَها العُمَرَانِ

وابتزَّتِ الدُنيا بفَقدِكَ حُسنها ... وَضياءَها واستوحَش الحَرمَانِ

وتقول مَكة أين من يُدعى له ... بعد الصَلاةِ وَعند كُلّ أذَانِ

أين الذي كانت إليَّ صِلاته ... موصُولةً تَتْرى مَعَ الرُكبانِ !

من كان يركب في الصَّعيد وذكرُه ... قد سار من قُوص إلى هَمَذانِ

ومقربُ الأمل البَعيد بفتحه ... وَمُبَعِّدُ الإنجيل والصّلبانِ

يا من تَروّى الناسُ من إحَسانِه ... رَوّى ضَريحَك صَيِّبُ الغُفرانِ

ما أنصف الباكي عليك ودَمعُهُ ... يَنْهلُّ حُزناً غير أحمر قانِ

وَمُمزقو قمصانهم إذ لم تكن ... أكبادُهم عوضاً عن القُمصانِ

يا صايداً صِيدَ الملوك بسَيفه ... يَوم الوَغى يا فارسَ الفُرسَانِ

مَنْ عزمهُ في كلِّ خطبٍ فادحٍ ... أمضى وأرهف من شبَاة سِنانِ

في مأزق أجْرَتْ صوارمه الدما ... من نحر كلِّ مدرع مطعانِ

كم كلمت فيه صُدور كُماته ... خُرْسَ الرمَاح بألْسُنِ الخِرصَانِ

وسَطَت ثَعالبُها على آساده ... يومَ الوغى لما التقى الجَمعانِ

فاستعذبُوا طعم الردى لما رأوا ... ما راعهم ومرارةَ المُرَّانِ //

١٨٤ و وإذا المُلوك بنوا الحُصونَ فحصنه ... جرداءُ سابقة وظهرُ حِصَانِ

بنوالِهِ إحياءُ كلِّ مُؤمّلٍ ... فكأنه الأرواحُ في الأَبدانِ

قد حلّ صَدرَ الدّسْت منه إذا احتبى ... ملكٌ يُعَوِّذُ ملكه المَلكانِ

لولاه كان الدهرُ قد عدم الهُدَى ... ولكان نَاظِرهُ بلا إنسان

فتكاتــه بالسيف في أموالــــــهِ ... فتكاتــه بالسيــفِ في الشجعــانِ
مبسوطُ كـفٍ ليـس يُعْـرَفُ قبضُهـا ... إلا على سيـف وفَضْلِ عِنــانِ
في ظلّــه مــاءٌ ومرعى أغنيـا الـرْ ... راجين عن صدّاء والسَعــدَانِ
بَحـرٌ تَمنّى العـومَ في تيــاره الـ ... ـطامي نُجـومُ الحُوتِ والسَّرطَانِ
ولـه عـلى الأبطـال في يَـوم الوغـى ... عـزٌّ الملـوك وذلَّـةُ الغِلمــانِ
إن عَــزَّنـا فيـك العـزاءُ فطالمــا ... نِلنَـا لديَـك مَسَرَّةً وتهــانِــي
أو غِبتَ عنّـا إن جُـودَكَ حــاضِرٌ ... والشُكـر مَتْلــوٌّ بكُــل لسَانِ
يـا ناصر الدِين الحنيف لئِــن غـدا ... من بَعـد ذَبِّك عَنـهُ في خُسرَانِ
فلَـه من الملك السَّعيـد وَبأسِهِ الـــ ... ـمرهـوب بعـد أَبيـه رُكـنٌ ثـانِ
واشتَـدّ أَزر المُلـكِ منـــه بـــأروَعٍ ... يسطـو ببيضٍ ظُبـاً وسُمرٍ لـدَانِ
فالنـاسُ في أيـامــهِ دامت لهــم ... ببقـاه في أمنٍ ونَيْـلِ أمـانـي //
١٨٤ ظ وبكـل أرض مـن نَـداه غَمامــةٌ ... تُربي على صوب الحَيـا الهتّـانِ
ولـه عن الجـانِـين حِلمٌ راجـحٌ ... في الـوزن من رَضْوَى ومن تهـلانِ
مَلكٌ أبــوهُ بنـى لــه من بَعــدِهِ ... مَجـداً عـلا شَرفـاً عـلى كيـوانِ
مـا غـابَ عنَّـا منهُ إلا شَخصُــه ... إذ فيـه تُوجـد منـه خيرُ مَعَـانِ
عينـان زَال النُـورُ عـن إحدَاهمــا ... فسرى إلى الأخرى كـذا العَينـانِ
أعـلاهُ لمــا انحــطّ لكـنْ قَـدره الْـ ... ـسامي كذلـك كفّتـا الميـزانِ
ملـك رَفعـتُ إلى عُـلاه حُـــرَّةً ... حسنـاءَ زاريـةً عـلى حسّـانِ
تُنسِي معانيهــا وَرقّـــةُ لفظهـــا ... مـا قيـل عن قيس وعن سحبَـانِ
أرسلتهــا إذ لم أطـق سعيـاً بهــا ... لأغــرَّ من وَلَـدِ الملـوك هجـانِ
لتنـوبَ عَـنّي في مقـرِ جلالــةٍ ... يعنـو لعزَّتهـا العظيم الشانِ
ولسوف أن أسعى إليــه بأختهــا ... إنْ لم يُعِقْني عنـه صَرفُ زمـانِي
وَأزور بـالفُسطـاطِ كعبتــه الـتي ... فَـرضٌ زيارتهـا عـلى الإنسانِ
وَأحـلُّ بـالحَـرَم الشَريفِ فكَـمْ بـهِ ... نَـال المنى قَـاصٍ أتـــاهُ ودَانِ

لا زَالتِ الدُنيـا بـه معمـورةً فعمـارَةُ الأوطـان بالسُكـانِ
مـا فَـاحَ عَرفُ شَذا النسيم ومـا شَدَت ورقـاءُ تُعـرِبُ عَن صَبابـةِ عـانِ //

١٨٥ و وقال الشيخ الإمام العالم مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام ظهير الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الحنفي الإربلي يرثيه ــ قدَّس الله روحه ــ :

هفت الحلـومُ لحـادثٍ متحيّـفِ فَجَـعَ البريّـةَ بـالمقـامِ الأشرفِ
بـالظاهـر السلطـان ركن الدين نـا صره تحـدّى عزمـه والمشرفـي
بـالآمـر النـاهي المُطَـاعِ الحـازمِ الـ ـبَطلِ الجوادِ العـادِل البرِّ الحفي
بالمقتفي أثـر الهُـداةِ مُوفقـاً والمسْتَعيـن بَربّـهِ والمُكتَفِـي
بـالكـانف الإسلام تحت ظـلالـهِ مـن بَعـدِ كيـد عَـدُوّهِ المُتَكّنـفِ
بـالكـاشِفِ الغُـمَّـى بقسوة قَسْوَر والكـامـل النعمَـى بليـنِ تَعطُّـفِ
بالخـايض الغَمَـراتِ وهي كَريهـةٌ ببـشاشَة المتـشوق المتـشوِّفِ
ملـكٌ دعـاهُ الديـن أعضـل داؤهُ فـأجـابَ غـير مُمـرِّض ومُسَوِّفِ
حـامي الثغـور بمـا أبـاح بـه الحِمَى مـن أهلهـا ومُخيفُ كـلِّ مُخـوِّفِ
فـرّاج كـلِّ مُلمَّـةٍ مَلمُومَـةٍ ضَاقَتْ عـلى حـدّ الحسامِ المُرْهفِ
مـن كـان للأقـدار والأقـدارُ بالتـ ـأييـد خـير مُصرِّف وَمُشرِّفِ //

١٨٥ ظ أسرى عـلى الأعـداءِ مـن طَيفٍ عـلى أمـدٍ يَشقُّ عـلى البَريـد المُـوجفِ
بأجـادلٍ يختـالُ فـوق أجـادلٍ تَـروي النجـاء عـن البُروق الخُطّفِ
وبكـلّ أجـدلَ يستشيـطُ إلى الوَغى في ظهـر أجـردَ بالسّنـانِ مُشنَّفِ
وبكـلّ مَشغوفٍ بثُغـرة قِرنِـهِ فكأنهـا ثغـرٌ لذيـذ المرشَفِ
كم جـرَّ أرعنَ كالجبـال وكم جَرَى طَلْـقَ العِنـانِ وكم لـه مِنَ مَـوقِفِ
كم صبّـح الأعـداء في رَهَج الوَغى بمُنـيرِ وجـهٍ في الصباحَـةِ يـوسُفي
كم شَامَ في قمـم العلـوج صَوارمـاً لسوى النُفـوس بُروقُهـا لم تخطفِ

كم أدرك الأوتـارَ مُنتضيـاً لهـا ... عَـزمـاتِ لا وَانٍ ولا متـأفِّـفِ

كم شَدَّ مـن ثغـرٍ وثقَّـفَ مـائـلاً ... بمَسدَّدٍ مـن رَأيـه ومثقَّـفِ

كـم عَـنَّ لـلإسلام داءٌ معضِـلٌ ... عفّى ملوكـاً بالعِـلاَج وَما شُفِـي

حتـى أقـام الله منـه لـدينـه ... أهـلاً لنَصرِ قبيلـهِ المُستَضعَـفِ

كـم شدّةٍ ضَلَّت بهـا أحـلامُهـم ... لمـا أظلّت مثـلَ ليـلٍ مُسْدِفِ

هَانَت عـلى كلـفٍ بكـلّ عَظيمـةٍ ... ولطَالمـا عـزّت عـلى المتَكلّـفِ

كم نـال مـن متمنّـعٍ وأبـاد مِـن ... مُتمـردٍ وأذلَّ مـن مُتغطـرفِ

كم نـاب عن شمس الظهـيرةِ وجهُهُ ... بالبِشْر في وَجْـهِ النهـار الأكلفِ //

١٨٦ و كم بـاتَ ينظُر في حيَـاطـةِ رافـدٍ ... قَلِـقِ الوسَاد بناظـرٍ لـم يَطـرفِ

كـم أسلف الحسَنـاتِ مُغتبطـاً بهـا ... فزكـت وفـاز بحسن أجـرِ المُسلِفِ

كفلت لـه العزمـاتُ وهي مَليّـةٌ ... بمضـاءِ كـل مهنّـدٍ ومثقّـفِ

أخـلى السَّواحـل بعـد طُـولِ تمنّـع ... بعِلاَجـهِ من كُـل عِلـج أغْلَـفِ

وأزالَ عنهـا الشركَ بعـد حُلـولـه ... وأحـلَّ فيهـا الأَمـنَ بعـد تَخوُّفِ

وكفَـى بهمّتِـه البريّـةَ همّهـا ... مـن كـلِّ جَـارٍ جَـابـر متَنصّفِ

صـان البـلادَ عـن المكـاره فالورى ... مـا بـين وَصْفَيْ عفّـةٍ وَتَعفُّـفِ

لـولاه دام ، وتلك أشنـعُ خُطّـةٍ ... أبـداً على الحكام ، حكمُ الأسقفِ

سَلْ عـن مواقفـه الحَميـدة مُجْملاً ... إنَّ المُفَصَّـل فـوق وَصْفِ الوُصَّفِ

فبعـين جالـوتٍ أعـزَّ الـدين عـن ... عَـزم لكيـد عـدوّهِ متلقّـفِ

يَـومٌ أغـرّ محجّـلٌ نُصِرَ الهُـدَى ... فيـه وذلَّ الكفـرُ بعـد تَغطـرفِ

هـو مولـد الإسلام بَعـدَ وفاتِـهِ ... ومقـوّم الأعـداء بعـد تحـرُّفِ

كم طليـةٍ بَـرتِ الظُبَـى قَطّاً وكم ... من رَأس رأسٍ فَوق أسمرَ مُشرفِ

وسَلِ الفـرات عـن السوابح كم جَرَتْ ... مثـلَ الأتيِّ خِـلالَ تلـك الأجرُفِ

فأطـارَتِ الهامـاتِ عن أوكارهـا ... فتكـاتُ أصْيَـدَ كـاسرٍ متخطّفِ //

١٨٦ ظ ودعتـه أرضُ الـروم لاستنقاذهـا ... مـن قبضـة المتغلّب المتعّسفِ

فأهاب بالأُسْد الغضاب لنصرها ... وأجاب دعوتها ولم يتوقّفِ
فأباد غُلْبَهُمُ بسُمرٍ نُحّلٍ ... أفنت صَفَايَهم ونيضٍ نُحَّفِ
من فوق جُردٍ ضُمَّرٍ قبلٍ [....] (١) ... عوابس كالرياح العُصّفِ
هابوه فاحتفلوا بجمع كماتهم ... وتمسَّكوا بوعُود ظنٍّ مُخلِفِ
في معركٍ حال النهارُ به دُجىً ... بظلام عِثْيَرِ خيلهِ المتكثّفِ
حتى إذا أخذت ظُباهُ منهمُ ... ثأرَ القَنا المتقصِّد المتقصِّفِ
أَخذَتْ مَصَارعها الجُنوبُ فكلهمْ ... سكرانُ كأسِ حِمامِهِ لا القَرقَفِ
ركبوا جيادَ البَغْيِ والإسرافِ والتد ... مير عُقبَى كل باغٍ مُسرفِ
نصر الإله فكل ذي ترس غدا ... إذ رامه ورماه مثل الأكشفِ
وحمى فَظلُّ الأمنِ غيرُ مُقَلَّصٍ ... وحَبا فنجحُ الوعدِ غير مُسوِّفِ
ملك كتايبه كتابٌ قَيّمٌ ... بالنَصر والتأييد غير مُحَرّفِ
فرماحُها ألِفاتُها ودرُوعها ... لاماتُه أعززْ بها من أحرفِ
يا مَوتُ أورثتَ النفوس بفقدهِ ... بعد السرور به دوامَ تأسّفِ
وَفجعتنا بأعزّ ذُخرٍ حاكماً ... متصرفاً في الحاكم المتصرِّفِ //
١٨٧ و وطَويتَ ظِلَّ الله في الأرض الذي ... لولا سُطاهُ وَجيشُهُ لم تَرْجُفِ
يا طُولَ لهف المسلمين عليه من ... راعٍ وما يُجدي على المتَلَهفِ
يا لهف حابسِ جيشه العادي على الـ ... عادِي بسيلٍ من سطاه مجحف
يا لهف وفدٍ كان مؤمنَ رَكبهِ ... وركابِهِ في كل قاعٍ صَفصَفِ
أنسَتْ مُصيبته المَصايبَ إذ جرى ... فيها القضاءُ بصدقِ قول المرجفِ
وَجنَت على الدين الحنيفِ جنايةً ... تلوي زريها بحلم الأحنَفِ
وَقفت قلوب المسلمين على لظى ... أَسَفٍ وَهالت هَوْلَ يوم الموقفِ
ذَبلت ذوابلُهُ النَواصِرُ وَحشةً ... والبيضُ قد نحلت نحولَ المدنَفِ

(١) فراغ في الأصل .

وَعلى الرَّعايا والممالك بَعده ذُلُّ الأسى وغَضاضة المتنصّفِ
فُجعت بكافِلِها وكافيها فمنْ تَدعُو ليوم الشدّة المتخوِّفِ
من للمعاقل فاتحاً أو حامياً بمضاءِ عزمٍ للصَوارم مُرْهَفِ !
من للسّوابح والبحارُ دمُ الطُّلَى والشُهب تظهر في العجاجِ وتَختفي !
مَسْتورةً بدم النُحور حجُولها وَالبيض تحزُر والغَوافي تغتفي
يا للنوادِب والرجالِ لحادثٍ جَلَلٍ لأشتاتِ الهموم مُؤلِّفِ
فقَدُوه فقدَ العَين ناظِرها لقد عُمُّوا بحَيرة فاقِدٍ متلّهفٍ //
١٨٧ ظ شَمَل الأسى فيه شمولَ صَنيعه وسَرى النُّواحُ إلى الحمام الهُتَّفِ
عزَّ العَزاءُ وكيف لاَ وَمُصابُهُ من عُظْمه للعقلِ غير مُكيِّفِ
فالوَجدُ غير مفارقٍ والصبر غيـ ـرُ مُراجِعٍ والدمعُ غير مُكفكفِ
دفنوا اللّواعجَ في القلوب بدَفنه ونَرى الكآبة بالرزيَّةِ لا تفي
في ليلةٍ غارت عيونُ نجومها أسفاً وهل عُذْرٌ لمن لم يَأسَفِ
لبستْ عليه حدادَها وبكت أسىً وبِمن بكاه من الورى لم تكتفي
فَضَلَ الملوكَ وسادهم بعَوارفٍ ومَفاخرٍ من قَبْلهِ لم تُعرَفِ
هِمَمٌ على هام النُجوم مَحلُّها وأشدّ رَأيٍ في الخطوب وأحصَفِ
زِينت صحيفتُه بآية سَيْفِهِ لما استشارَ بهِ لأَهلِ المصحَفِ
من لا يَذُوب (أسىً)[1] عليهِ فؤادُه ويَشيْبُ فَوْداهُ فَليْسَ بمُنصِفِ !
مَلك الممالكَ والكُنوزَ وحظُّهُ منها بلاغُ العفّ لا المُتعفِّفِ
لم تُلهِهِ الدُنيا ولا أصبَته بَهـ ـجتُها وَلا ملكتْ هواه بزُخرفِ
وأَبتْ له الهممُ العليّةُ أنَّه يَرْضَى وحاشاه بعيش المُترفِ
فبغيرِ أبكارِ العُلى لم يَحتلم وبغير ذُخرٍ صالحٍ لم يَكلَفِ
لم يَخلُ في خلواتِهِ من نيّةٍ لله مُثمرة لفعلٍ مُزْلفِ //

---

(١) وردت على الهامش بالقلم نفسه وأُشير إلى مكانها في المتن .

١٨٨ و تركَ النفوسَ عليه ذاتَ تَفجّعٍ   وتوجّعٍ وتلهُّبٍ وتلهُّفِ

ضَاقت على الهمم الصُدُورُ لفقده   ضيقَ الشؤون على الدُموعِ الذُّرَّفِ

لِبَني الملوكِ الأكرمين نيابةُ الـ   ـعَالي مزيد كرامةٍ وتلطُّفِ

لولا القضاءُ فَدتَه أنْفَسُ أنفسٍ   للمؤمنينَ ولو فَدتهُ لم تَفي

طَلَبَتْ دُيونَ الدين من غُرمَائِهِ   عزماتُهُ طلبَ المُلحِّ المُلحِفِ

بفوارسٍ كالأُسدِ في غابٍ من الـ   ـبيضِ المواطِرِ والرِمَاحِ الرُعَّفِ

حتى أقام صَغَى الخِلافة جدُّه   ومضى وخلّف عنه خيرَ مُخلّفِ

أبقى السَّعيدَ لنا ونِعم المُصطفَى   مَنَّ الكريمُ بهِ ونعم المُصطفِي

ملكٌ غَدا للدين رُكناً مثلهُ   لخلالهِ الغُرِّ الجَميلةِ يَقْتَفِي

جَبَرَ الهناءُ به المُصابَ وَأَعقبَ الـ   ـخَطبَ الفظيعَ قيامُهُ لُطفٌ خَفِي

ظَهرتْ شمايله عليه فَبأْسُه   للمُعتَدِي وَنَوالُهُ لِلمعتَفِي

إن طَمَّ خَطْبٌ فهو أعظم مُسعدٍ   أو عمَّ جَدبٌ فهو أكرم مُسعِفِ

لا زالت الأقدار في تبليغهِ الـ   آمالَ جَاريةً بغير توقّفِ

وسَقى محلَّ أبيه صَيِّبُ رَحمةٍ   تُغنيه عَن صَوب السَّحابِ الوُكَّفِ

كَمْ حُلَّةٍ جَرَّيْتُها في مَدحِهِ   ببديعِ نظمٍ كالرياضِ مُفَوَّفِ //

١٨٨ ظ وَعَليَّ في التَّأبين كُلّ غريبةٍ   عربيّةٍ ما فَحْلُها بالمُقْرِفِ

تمّت

بحمد الله ومنّه وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلّم // (١)

---

(١) الورقة ١٨٩ و وردت بيضاء في الأصل.

ذكر ما يزهو على زهر الخميلة من جمل سيرته الجميلة

وهو مفصّل أربعة عشر باباً



١٨٩ ظ

ذِكْرُ ما يَزْهو على زَهَرِ ٱلخَمِيْلَة مِنْ جُمل سيرته الجميلة

وهو مُفَصّلٌ أَربعة [(١)] عشر باباً

الباب ٱلأَوّل

في ذِكر اتفاقاتٍ اتفقت له عجيبةٍ ، وذلك أن كلّ مكانٍ خرج منه خايفاً مُتَرَقّباً ملّكه الله ناصيته وأطاع له عاصيته

منها أنه خرج من حصن الكرك [(٢)] ، ولم يعبأ بمن خلّف من أَصحابه وترك ، بل نجا بحُشاشة نفسه مُبادراً ، وجمع في طيّهِ المفاوز بين السَّير والسُّرى ، وسعده يرشده ، وعَزمه يُنشده :

ضَمِنَتْ لـك الأقــدارُ أنك بالـــغٌ   أقصى المُنى في أشرف الأقــدارِ //

١٩٠ و وجَـرت على مـا ترتَضيـه صُروفهـا   في حالـة الإيـراد والإصـــدارِ

فلم تطُل الأيام حتى عاد إليه مالكاً [(٣)] ، وسيف عزمه بمن خرج خايفاً منه فاتكاً .

---

(١) الأصل : خمسة

(٢) حصل ذلك سنة ٦٥٧ هـ عندما أحس بيبرس أن صاحب الكرك يريد به ومن معه من البحرية شراً ، فهرب وعاد إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام . (اليونيني ١ : ٤٢) .

(٣) استولى بيبرس على الكرك سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . (اليونيني ١ : ٥٣١ ـ ٥٣٣ ؛ المقريزي ٢/١ : ٤٩١ ـ ٤٩٣) .

وخرج أيضاً من دمشق [١] ، لما اختلف المماليك الناصرية [٢] على مخدُومهم الملك الناصر ، وخرجوا من دمشق على حميَّةٍ ، فاستشعر الخوف من أن ينسب إليه بعض أسباب الخُلف الملك الناصر ، فلم تطُل الأيام حتى غدا وهو لغُصن المنى بملكها هاصر [٣] .

وخرج من مصر ، لما قُتل الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار [٤] ، فارّاً بنفسه في شرذمةٍ من أبناء جنسه ، فقضى الله في عَوده إليها مالكاً أُسوة نَبيّه حيث أُخرج [٥] من مكّة دار أسرته ، فأعاده إليها وقد أناله بملكها فوق ما تمنّاه في حال عُسرته .

ومن عجيب أمره فيها الموافق لمن جعل الله نجاة العالم بمُتابعته ، وقرن ذكره بذكره على لسان من أَذعن لمبايعته ومشايعته ، وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصد مكّة مرّتين // فلم تكن خَيلُه لفتحها مُطيقةً ولا بها لابثَة ، فلما سنّى الله له فتحها أَلقَتْ إليه أفلاذ كبدها في الثالثة ، وكذلك جرى للسلطان الملك الظاهر ، وقد حكيته آنفاً ، وأُثبته حيث لم أجدْ فيه مُخالفاً ، وكان بين خروجه منها وعوْده إليها خمس سنين وثمانية أشهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، فللّه من قال : ١٩٠ ظ

من لزم الصَبر نال بغيتَهُ وطاوعتهُ السعودُ في الفَلَكِ

ومن أحسن الاتفاقاتِ التي أُيِّدتْ بسعادته ، وجرت من لطف الله على المعهُود من عادته ، أن جمال الدين حسن بن ثابت وصل إليه في أوايل دولته برسالةٍ من الرضي

---

(١) كان ذلك سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م . (اليونيني ١ : ٤٩ ـ ٥٠ ؛ المقريزي ١/٢ : ٤٠٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٤٤ وما بعدها) .

(٢) لعله يقصد « البحرية » . (اليونيني ، نفسه : ٤٩)

(٣) ملكها السلطان سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م . (اليونيني ١ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ؛ المقريزي ١/٢ : ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٠٧) .

(٤) قتله المعز أيبك سنة ٦٥٢ هـ . (المقريزي وابن تغردي بردي ، المصدران نفساهما) .

(٥) راجع : Fr. Buhl: art. "Muḥammed", EI, III, p. 641B-657B

أبي المعالي [ابن أبي المنصور] [١] ، ومن نجم الدين إسماعيل بن الشعراني ، مُقدَّمَي الإسماعيليّة ، مضمونها التهديد والوعيد ، وطلب ما كان لهما من الإقطاعات في الدولة الناصِريّة والرُسوم ، فأجابهما إلى مُلتمسهما ، فلما عزم على التوجّه إلى مُرسِلاه ، وحضر لوداع مولانا السلطان ، قال له : « بلغني أن الرضي قد مات ، وقد رأيتُ أن أُوَلّيك

١٩١ و مكانه ، // ولم يكن اتّصل به شيءٌ مما أَخبره به ، فكان ذلك مُستنزلاً له عن شرة نفسه ، وحاثّاً على ما الإسماعيليةُ عليه من وفاء الكيل أو بَخْسه . ثم كتب له توقيعاً بالولاية ، فتوجه المذكور فوجد الرضي في عافية ، فكتم التوقيع فلم يلبث إلاّ عشرة أيام حتى مرض الرضي أياماً قلايل ثم مات ، فتولى مكانه ، فلم ترضَ به الإسماعيلية فقتلوه ، وكان السبب في إخراج البلاد عنهم لأَنه نقم عليه قتله .

ومن اتفاقاته العجيبة أنه لما نزل على قلعة الشقيف يُريد حصارها [٢] ، ورد عليه قوم مسلمون من عكا ومعهم كتب من أَهل عكا إلى من بالشقيف من النُواب ، وكانت الكُتب أَوراقاً مقصُوصةً عوض الكتابة بالخطّ الفَرنجي ، فترجمت فكان مضمونها : « لا يَهولنّكُمْ نزولُ هذا العدّو عليكم ، وقاتلوه أَشدَّ قتال ، وإن احتجتم إلى شيءٍ تصرفونه فيما يعينكم عليه فَخُذوا من فلان » ، وسَمّوا لهم رجلاً ، وذكُروا أموراً باطنةً تؤكّد وصاياهم لهم . وكان بالشقيف رجلٌ قد صادروه فأَوصوهم في الكتب بتطييب //

١٩١ ظ قلبه وإعادة ما كان أُخِذ منه خوفاً من مُخامرته ، فلما وقف مولانا السلطان على ما في الكُتب من الأَسرار ، أمر أَن يُكتب مثلها وأَن يُزاد فيها : « وإن أَنتم رأيتم من أنفُسكم عجزاً عن قتاله فسلّموا الحصن إليه ، واجعلوا فيما تشترطون عليه سلامة أَنفسكم وأولادكم وحريمكم » ، ثم بعث بها وزاد في مضايقة الحصن ، فلما وقفوا على الكُتب وتيقّنوا صحّتها بما وجدوا فيها من العلامات التي لا يمكن أَن يطّلع عليها سواهم ، رأوا

(١) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٢ : ٨٨ .

(٢) كان ذلك في ١٩ رجب ٦٦٦ هـ / ٤ نيسان ١٢٦٨ م . وقد سقط الحصن بيد بيبرس في ٢٩ رجب من نفس السنة / ١٥ نيسان ١٢٦٨ م . (اليونيني ٢ : ٣٧٦ـ ٣٨١ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٨٣ ؛ المفضل : ١٤٦ ؛ ابن أيبك الدواداري ٨ . ١٢٥ ـ ١٢٦) . وعن تاريخ هده القلعة ونشأتها ومن تسلمها عبر التاريخ انظر :
N. Elisséeff: art. "Ḳal'at al-shaḳīf", EI 2, IV, p. 503B-505A

من الرأي أن يبعثوا إلى السلطان يطلبوا [١] منه الأمان على الحريم والولدان عند علمهم باستظهاره عليهم وعجزهم عن حفظ الحصن ، فأجابهم إلى ذلك وتسلّمه منهم [٢] .

ومنها أن السلطان الملك الناصر بعث الملك الأمجد تقي الدين عبّاس بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب لقصد البحرية وصاحب الكرك ، فلما نزل بالكُسْوة بعث بطاقةً على جناح طاير إلى والي نابلس يأمره بالقبض عليه ، أعني السلطان الملك الظاهر ، فاتفق لسعادة الجدّ // أن أدرك الطاير الجهد ، فوقع بين يدي السلطان الملك ١٩٢ و الظاهر ، فأخذه ورأى البطاقة فوقف عليها ، فلما علم ما فيها ركب لوقته وصعد الكرك ، فكفّ الله كفّ الأذى أن يناله ، وحماه من غِيَرَ الحدثان ، وكيف لا وقد أبعد مناله .

جَرى على وفق ما يختارهُ القدرُ وزال منه إلى أعدائه الضّرَرُ

(١) صوابها : يطلبون .

(٢) يجمع المؤرخون على أن بيبرس قد اعتمد الحيلة في استيلائه على قلعة الشقيف . (اليونيني ٢ : ٣٧٦ ـ ٣٨١ ؛ المفضل : ١٤٦ ؛ ابن أيبك الدواداري : ١٢٥ ـ ١٢٦ وغيرهم) .

ـ الباب الثّاني ـ

في ذكر محبّته للفُقهاء والفُقراء وتَواضُعِه

لما علم تغمده الله برحمته ـ أن محبّة الفُقراءِ عُروةٌ لا يُخشى انفصامها ، وركنٌ جُعل إليه ملاذُ النُفوس واعتصامها ، وأن أَفضل ما يتقرَّبُ به المتقرّبُ إلى الله العظيم تعظيمُ أوليائه ، وتوفير حَظِّهم من الإكرام الذي أَوجبه على أَلسنة أنبيائه ، ثابر على الوُفود عليهم والتردّد إليهم والقيام بحقُوقهم والاهتداء بلوامع برُوقهم ، حيثُ كانوا أقطار الأمصار أحياءً كانوا أو أمواتاً ينتظرون الإِنْشار ، وصحب جماعةً // متأدباً بآدابهم مُتعلقاً بأسبابهم . يُنكّس رأس العزّ لديهم بالخُضوع ، ويقود إليهم نفسه بزمام الخُشوع : ١٩٢ ظ

مُتواضعاً سَنّ التَواضع للفَتى مع رُتبَةٍ يَنْحَطُّ عنها الكوكبُ

لم يزل منذ فارق ديار مصر وحلّ بالشام هجيراه التَردُّد إلى المشايخ والفُقراء ، والتودّد إليهم ثقةً منه بأَن جارهم لا يُضام ، وأن حَرم حِمايتهم لا يُرام ، فاجتمع فيه بالشيخ يوسف الخُزاعي ، والشيخ علي المجنُون التركماني ، والشيخ إبراهيم الأرمني بالجَبل ، والشيخ عبد الصَّمد [١] بدمشق ، والشيخ يُوسف الفقاعي [٢] بنابلس . ولما مَلك مصر كان كثير الإحسان إلى مشايخ القَرافتين والبرِّ بهم ، وقصد الشيخ مَرزُوق [٣]

---

(١) لعله الشيخ عبد الصمد بن عبد الكريم بن الحرستاني الشافعي المتوفي سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م . ابن العماد ٥ : ٤٢٦ .

(٢) يوسف بن نجاح الزبيدي المعروف بالفقاعي ، أبو الحجاج . توفي في شوال سنة ٦٧٩ هـ ، ودفن بسفح قاسيون وقد نيف على الثمانين . (اليونيني ٤ : ٧٨ ـ ٧٩) .

(٣) ذكر أبو شامة (٢٣١) محيي الدين عبد الله بن إبراهيم بن مرزوق المتوفيسنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٤ م .

بالبَرّلس [١] ، والشيخ القَبَّاري [٢] بالإسكندريّة حيّاً وميتاً ، والشيخ أبا عبد الله الشاطبي بها أيضاً ، وزار قبر الشيخ أبي العبّاس الراس ، وبنى ضريحه واعتنى به .

تَملّك حُبُّ الدين حَبَّةَ قَلبِهِ فأضحى بأهلِ الفقه والفقرِ مُولعا //
١٩٣ و إذا عَثر الإنسان منهمُ بفَاقةٍ يَقُول له جَدوَى أناملِه لَعَا

ويكفيه في محبته للفقراء والمشايخ وفَعلاته معهم التي هي ذَخيره عند الله ، ما فعله مع الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى العَدَوي المهراني [٣] ، وكان السبب في معرفته به أَن الأمير سيف الدين قشتمر العجمي [٤] ، أحد الأمراء البحرية الصالحية ، كان يُخبره عنه أَنه كثير الإخبار عن مولانا السلطان قبل أَن يملك أنه لا بد له [٥] أن يملك ، وزاده فيه رغبةً أَيضاً الأمير سيف الدين أتامش [٦] السَّعدِي ، ولم يكن السلطان يعرفه ولا اجتمع به قبل ذلك ، فاتفق أَن الشيخ خضر خرج معه في نَوبَة تَوجُّهه إلى الكرك ليملكه ، فلما نزل الطور سأَل عنه فأُخبر أَنه مُنقطع في مغارة عند قبر أبي هُرَيرة ، فقصده واجتمع به ، فرأى منه ما حَثَّه على الغبطة به والملازمة له ، واتفق له معه وقايع ضاعفت رغبته فيه بعد ذلك ؛ منها أنه لما نزل على أَرسُوف [٧] أخبره في أي يوم يكون

---

(١) من ثغور مصر . (ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة : ١٠٢) .

(٢) الشيخ محمد المعروف بالقباري توفي في ٦ شعبان سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م . (أبو شامة : ٢٣١) .

(٣) راجع ما جاء في ص ٥٨ حاشية رقم ٦ .

(٤) توفي سنة ٧١٠ هـ / ١٣١١ م . (اليونيني ٢٩٠٧/٤ : ١٨٧ و) .

(٥) لفظة « له » : مكررة في الأصل .

(٦) ويقال أيضاً : « ايتامش » و « أيتمش » راجع ص ٧١ حاشية رقم ٧ .

(٧) استولى عليها بيبرس سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م وهدمها . (اليونيني ٢ : ٣١٨ ـ ٣٢٠ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٢ ؛ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٧٢ ، ابن أيبك الدواداري ٨ : ١٠٧) .

١٩٣ ظ أخذه لها ، فوافق الأمر في ذلك // ما أخبره به ، وكذلك في قيسارية [١] وصفد [٢] ، ولما عاد من دمشق متوجّهاً إلى الكرك في سنة خمس وستين ليتفقّد أحوال الحصن ، استشاره فأشار عليه بأن لا يقصده ويتوجّه إلى مصر ، فلم يُوافق ذلك ما في نفسه ، فخالف مَشُورته وقصده ، فلما كان ببركة زِيْزا [٣] تقطّر من على الفرس فانكَسر فخذه [٤] ، وأقام بها مُدةً إلى أن تماثل ، ثم حُمل في محفّةٍ إلى غَزّة . ولما توجّه السلطان إلى بلاد الرُوم اجتمَع بالشيخ خضر بعض أصحابه ، وسأله عن مَآل السلطان إليه في تَوجُّهه ، فأخبره أنه يظفر ثم يعود إلى دمشق ويموت فيها بعد أن أموت بعشرين يوماً ، وكذلك اتفق الحال ، سمعتُ هذه الحكاية من الأمير سيف الدين قشتمر العجمي من لفظه والعُهدةُ عليه . ولفَرط ما رآه مولانا السلطان ـ تغمده الله برحمته ـ من أمُور

١٩٤ و استحسنها منه بَنى له زاويةً بظاهر القاهرة على الخليج // * مُحاذياً لأرض الطبّالة [٥] ، ووقف عليها أحكاراً يُجبى منها في السنة فوق ثلاثين ألف درهـم نقرة ، وبالقُدس زاوية ، وبدمشق زاوية ، وببعلبك زاوية ، وبحماة زاوية ، وبحمص زاوية ، في جميعها الفُقراء وعليهم الأوقافُ ، وصرّفه في مملكته بحيث أنه كان يحكم فيها ولا يُحكم عليه ؛ ولقد هدم بدمشق كنيسةً لليهود عظمى وبنى فيها المحاريب ، وكذلك هدم بالقُدس كنيسةً للنصارى غربيّ البلد تُعرف بالمصَلّبَة ، جليلةً عند النصارى ،

---

(١) فتحت سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م . (اليونيني ٢ : ٣١٨ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٢ ، الذهبي ، العبر ٥ : ٢٧٢) .

(٢) استولى عليها السلطان سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م . (اليونيني ٢ : ٣٣٧ ـ ٣٤٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٣ الذهبي ، العبر ٥ : ٢٧٥) .

(٣) وفي ابن واصل بفتح الزاي وهي بركة عظيمة تقع في قرية زيزا من أعمال البلقاء . على مرحلة من عمان . (ابن واصل : مفرج الكروب ٥ · ٣٥ ، أبو الفدا ، تقويم : ٢٤٧)

(٤) أجمع المؤرخون على إثبات هذه الحادثة (حوادث سنة ٦٦٥ هـ) .

(*) إشارة إلى بدء « الحادي والعشرون من الجزء الثاني » .

(٥) جاء في المقريزي (الخطط ٢ : ١٢٥ ـ ١٢٦) أنها تقع على جانب الخليج الغربي بجوار المقس وقيل أنها منسوبة إلى امرأة مغنية تعرف بـ « نسب الطبالة »

وقتل قسّيسَها بيده صَبراً وعملها زاويةً ، وكذلك قصد بالإسكندريّة كنيسةً للرُوم كانت كُرسِيّاً من كَراسِيّهم التي يَعتقدُون فيها البتركية ، ويزعمون أن رأس يحيى ابن زكريّا فيها ، وهو عندهم يُحَنّى المعمَداني ، وصيّرها مسجداً وبنى فيها المحاريب ، وسمّاها المدرسة الخضرا ، وفتح لها شبّاكاً إلى الطريق ورتّب فيها // فُقراء ، كُلّ ذلك والسلطان مُوافق له على جميع ما يعتمده . ١٩٤ ظ

وكانت على السلطان ـ تغمّده الله برحمته ـ وظايف ورواتب يتوخّى بها زوايا المشايخ على يد من يعتمد عليه في كتمان سِرّه من خواصّه في كل حين ، ومتى أَصاب سُروراً لم يكن قبل أَن يُحسن إلى أَحدٍ من خواصّه إلاَّ الإحسان إلى الفُقراءِ ، وهذا من فرط ما لهم في قلبه من المحبّة والرغبة وحُسن النيّة وطهارة الطويّة .

وأَمّا إجلاله للفُقهاء وتعظيمُه لهم ولين جانبه ، فغير خافٍ ما كان يُعامل به قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف (١) قاضي قضاة الديار المصريّة من الاحترام والاكرام عند جلوسهِ معه في دار العدل ، ووقوفه عندما يراه ، ورجوعه إليه ، وكذلك ما كان يعتمده مع القاضي صدر الدين سليمان الحنفي (٢) والبّر به والصِّلة له ، وكان يُدخله عليه حين خَلوته ، ويجلس معه ويقضي حوايجه ويقبل شفاعاته ، // واستصحبه معه إلى مكّة ليُريه مناسك حجّه ، وكذلك كان يُخرجه معه في أسفاره ، لما يعنّ له من مصلحةٍ في دِينه ودُنياه . ولما كانت القُضاة الأربعة (٣) تحضر مجلسه في دار العدل ، كان يحتفل بهم ويُعظّم أَقدارهم ، ويُعلي بالإصغاء لما يأمرون به منارهم ، ويُنزِلهم المنزلة التي أجلَّهم الله فيها ، ويتفقّد ما يَجب عليه من حقوقهم فيُوفيها ، ولمّا فَوّض الحُكم إلى قاضِي القُضاة تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين بن رَزين (٤) الشافعي ١٩٥ و

---

(١) راجع ترجمته ص ٤٣ حاشية رقم ٨

(٢) راجع ترجمته ص ٩٥ حاشية رقم ١ .

(٣) رتب بيبرس القضاء على أساس المذاهب الأربعة (الشافعي ، الحنفي ، المالكي ، الحنبلي) وذلك سنة ٦٦٣ هـ بعد أن كان موحداً من قبله . (اليونيني ٢ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٢٢ ـ ١٣٧) .

(٤) راجع ترجمته ص ٩١ حاشية رقم ٥ .

الحموي ، كان يُكرمُه ويُقبل عليه ولا يقبل فُتيا إلاَّ بخطِّه ولا يعتمد إلاَّ على قوله . وكان إذا وفَد عليه المشايخ والعلماء من البلاد يَرفع من أمكِنتهم ويُبَجّلهم ، ويُعظّم أقدارهم ، وكذلك أَهل الحجاز والحرم النبويّ ـ صلواتُ الله على ساكنه ـ يُعَظّمُهم ويتبرّك بهم ،

١٩٥ ظ وكان إذا جاءه رسول من جهة الشيخ علي البَكّا يُكرمُه ، ويُحسن // إليه ، وإذا قصد زيارة الخليل يزوره ، وكان له عليه رَسْمٌ يُحمل إليه في السنة مرتين أو ثلاثاً ، وهذا مما يدل على حسن عقيدته ، وصفاء طَوِيّته ، وصحّة يقينه ، ودماثة أَخلاقه ولينه ، مُقتدٍ بما جاء في المنقول عن السيّد الرسول ، وهو من حديث عبد الله بن مسعود [١] قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « هل تدرون تَحرُم عليه النارُ كل هيِّنٍ ليِّن » .

(١) مسعود : ساقط من المتن ومستدرك على الهامش .



ـ الباب الثّالث ـ

في عَدله وانقيادِه للشرع

لما مَلك ـ تغمده الله برَحمته ـ أسبغ ملابسَ العدل على الرَّعايا ، واستسَنَّ بسُنَّة العُمرَين في جميع القضايا ، أَخْذاً بكتاب الله (الذي) [1] عمر البلادَ صَلاَحُه ، وشَمل الخَلايق في كل نادٍ فَلاَحُه ، وأشرقَ في الآفاق صَباحُه ، وأَنارَ على الوجود مصباحُه ، وعملاً // بقوله صلى الله عليه وسلّم : « عَدل يَوم يَعدل عِبادة أَربعين سنة » ، وثِقةً بقول من قال : ١٩٦ و

من عَفَّ عن ظُلم العبادِ تَورُّعاً جاءته ألطافُ الإله تَبرُّعا

فجلس مع القُضاة في دار عدلٍ جعلها ملجأً للمظلُوم ، وموئلاً للخُصُوم ، فإن تعدّى أَحدٌ حدَّه قادراً ، وتَجاوز طوره في جَوره ردّه إلى الحق صاغِراً ، وأَعادَهُ إلى كَوره بعد جَورِه :

قَد صَيَّر العَدلَ محبُوباً يَهيم بِه فَلَيس يَسْمع فيه عذلَ من عَذَلا
وإنَّ أسعَدَ خلقِ اللهِ كلهم من رَام مُلكاً فلمّا ناله عَدَلا

ومن كريم سجاياه وشَرف أوصافه ، وما ألزمه نفسه من انقياده إلى الشرع المطهّر وإنْصافه ، أنه حفر بيَراً في حال إمرته بالقَرافَة فتغلّب عليها جمال الدين محمود المعروف

(١) وردت على الهامش بالقلم نفسه .

بأستاذ دار الأمير سيف الدين بهَادُر المعزّي [١] بحكم غيبته بالشام ، فأكمل عمارتها
١٩٦ ظ مستعيناً بما أعده من طينها وحجارتها ، فلم يرَ انتزاعها // من يده بيد سلطانه ، بل دعاه إلى دار العدل المرصَدة للحكم والفَصل ، ووقف مساوياً خصمه لدى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوّهاب بن خَلَف المعروف بابن بنت الأعزّ وأثبت البير بالبيّنة العادلة والحجّة الفاصلة ، وتسلّمها وردّ إلى ذلك المتغلّب أجرة عمارته فيها ، وظهرت منه محبّة العدل سريرةٌ لم يكن من قبل يخفيها ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ومقاماً محموداً :

مـا زال حُكـم الله يُشرِقُ وجهـــــهُ ... في الأرض مُـذ نيطت بـه الأَحكـامُ

ومن ذلك نَصبُ الإمام التي هي من أَعظم المناقب ، وإحلاله من ذُرى شُرَف العلا وشرف الهدى في أعلى المعارج وأسمى المراتب ، لتَصِّح الأركان الدينية عليه ، وتُسنَد التكاليف الشرعية إليه .

ومن ذلك أَن القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنيّر [٢] القاضي بالإسكندريّة كان زُوِّر عليه مَحضَرٌ بعشرين ألف دينار يستحقّها بيت المال عليه
١٩٧ و فَتقدّم // مولانا السُلطان بإِحضاره من الإسكندريّة ، فلما حضر جلس له ولخصمه في دار العدل ، وأُحضِرا بين يدي قاضي القُضاة تاج الدين [ابن بنت الأعز] ، ودار بينهما مما يدُور بين المُدَّعي والمدَّعَى عليه من الدعوى والإنكار ، وإقامة البيّنة ، فلم يثبِت المحضَر فأَدّبَ كاتبه ، وخلع على القاضي ناصر الدين ، وأُعيد إلى الإسكندريّة .

ولم تَزل دولته العُمَريّة بالعدل قايمة العماد ، مُوطّدة الأكتاف والأطواد ، يُنادى كل وقت فيها معاشر الناس من له ظُلامةٌ عند خصمٍ لا يُطيقُ دفاعه ، ولا له به استطاعة،

(١) أحد الأمراء الذين شاركوا في قتل المظفر قطز سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م . (اليونيني ٣ : ٢٤٤ ؛ ابن شاكر ، فوات ١ : ٢٣٧) .
(٢) راجع ترجمته ص ٢٣٨ ، الحاشية الأولى .

فليحضر دار العدل . فانحسمت لذلك مَوادّ الظُلم مِمَن كان يَدِين بالعُدوان ، وبات الذِيبُ والشاةُ في قطيفَةٍ كمبيت الأخوان .

ومن حكاياته التي يُضرب بمثلها المثل ، ويَستسِنّ بها من قَسط في الحُكم وعدل ، أن الملك الأَشرف [١] مظفّر الدين موسى بن الملك المنصُور ناصر الدين إبراهيم // ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، كتب إلى السلطان الملك الظاهر كتاباً يستأذنه في المسير إلى الحجّ وفي ضمنه شهادةٌ عليه أَن جميع ما يملكهُ ملكٌ لمولانا السلطان ، فلم يأذن له في تلك السنة ، واتفق أنه مات بعد ذلك ، فتسلم السلطان الملك الظاهر الحصون التي كانت بيده ، ومكّن ورثته ؛ وهم أزواجه وأخته وعمّه ، من جميع ما تركه من الأثاث والملك ، ولم يَلتفت إلى ما أشهد به عليه الملك الأَشرف ولا اعتدّ به .

١٩٧ ظ

ومنها أَن مملوكه الأمير ركن الدين بَيبرس المعروف بخاص تُـرك الصَّغير كان مُزوّجاً بنت الأَمير رُكن الدِين بَيبرس المعروف بالجالِق ، فتوفيّت بدمشق فكتب أَبوها إلى السلطان كتاباً يشكو فيه من مملوكه ويدّعي أن (له) [٢] عنده حقوقاً شرعيّةً ، فبعث به إليه على خيل البريد لينتصف منه ، ولم يحد به عنه .

١٩٨ و

ومنها أن شَعْراء بانياس ، وهي إقليم يشتمل على قُرىً [٣] ، كانت عاطلةً // بحُكم استيلاء الفَرنج على صفد ، فلما فتحها السلطان أفتاه الحنفيّة [٤] باستحقاق الشَعْراء فأبى أَن يرجع إلى الفتيا ، وتقدّم أمرُه أَن كلّ من كان له فيها مِلك أَو لورثته فليتَسلّمْهُ ، ولم يُكلّفهم بيّنة ، فعادت إلى مُلاّكها وعُمرت أَحسن عمارة ، وبيعت بأَوفر الأَثمان .

ومنها أَنّ البُستان الذي يُعرف بسيف الإسلام ، بين مصر والقاهرة ، كان مُلكاً

---

(١) توفي في صفر سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م . (أبو شامة · ٢٢٩ ؛ اليونيني ١ : ٥٥٥) .

(٢) ساقطة من المتن ومثبتة على الهامش .

(٣) تقع جنوب شرق بانياس . (القلقشندي ٤ : ١٠٤) .

(٤) في اليونيني ٣ : ٢٥١ « بعض الحنفية » ؛ وفي ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٨٠ « بعض العلماء » ، وفي الأصل : « فتيه » .

لشمس الملوك [١] أحمد بن الملك الأعزّ شرف الدين يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين يُوسف بن أيوب ، فتوّفى المذكور بآمد ، وبقي البستان في يد ولده شهاب الدين غازي إلى أن ملك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ديار مصر ، فأخرج المذكور من ديار مصر [٢] ، واحتاط على البستان ، ولم يَزل تحت الحوطة في الأيام ١٩٨ ظ الصالحية // والأيام المعظميّة والأشرفيّة والمعزيّة والمنصوريّة والمظَفّريّة إلى أن مَلك السلطان الملك الظاهر ـ تغمده الله برحمته ، وبوّأهُ غُرف جنَّته ـ الديار المصريّة ، فرفع ولدا [٣] شهاب الدين غازي قصّةً أَنهيا [٤] فيها حال البستان ، فتقدّم بحملهما [٥] على الشرع المطهّر ، فثبت الملك للمتوفى بشهادة الأمير جمال الدين بن يَغمور ، والأمير بهاء الدين بن ملكيشوا [٦] ، وصفي الدين جوهر النُوبي وثبتت الوفاة ، وحصر الورثة بشهادة الصاحب كمال الدين ابن العديم وشهادتي ، فسلم لهما البستان وابتاعه منهما بماية ألف وثلاثين ألف درهم [٧] .

ومنها أن بنت الملك العزيز ، أخت الملك الناصر صلاح الدين يُوسف صاحب الشام ، كان قد عقد عليها الملك السعيد نجم الدين إيل غازي بن أرتق ، صاحب ماردين ، على صداق مبلغه ثلاثون ألف ديناراً [٨] مصريّةً ، فمات عنها ولم يدخل بها ، ١٩٩ و وكان الملك المظفر قد احتاط // على أملاك الملك السعيد المذكور بدمشق ، بحكم

---

(١) توفي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م . (ابن شداد ٣/ ٢ : ٥٢٣) .

(٢) يشير ابن شداد إلى أن السلطان الملك الكامل بن العادل الأيوبي كان قد استدعى شهاب الدين غازي إلى مصر وحبسه ، بعد أن بلغه أن هذا الأخير قد كاتب علاء الدين كيقباذ صاحب بلاد الروم ، واتفق معه على بيع آمد التي كان قد وليها من قبل الملك الكامل أثر وفاة والده . (المصدر نفسه : ٥٢٤) .

(٣) اليونيني ٣ : ٢٥١ « ولد » .

(٤) المصدر نفسه : « أنهيا » .

(٥) المصدر نفسه : « فأمر بحملها » .

(٦) أيضاً : « ملكشوا » .

(٧) أيضاً : « بماية وثلاثين درهم » .

(٨) كذا ؛ وصوابه « دينار » .

استيلائه عليها ، وبقيت تحت الحوطة إلى أن ملك مولانا السلطان الملك الظاهر ، فرفعتْ إليه قصّةً تذكر فيها أنَّ لها صَدَاقاً على الملك السعيد ، وسألت فيها أن يَحملها في الصَّداق على حُكم الشرع المطهّر ، وأن يُفرج عن الأَملاك في مبلغ صَداقها ، فتقدّم بأن يثبت ما ادّعته ، فثبت لها بشهادة الصاحب كمال الدين ابن العديم وشهادتي ، ولم يكن بقي في الصَّداق من الشُهود غيرنا ، فأَفرج لها عن الأملاك فبيعت وقبضتْ ثمنها . واتّفق لنا معه ـ رحمه الله ـ في هذه الواقعة أن جماعةً من خُدَّام الملك الناصر داود ، صاحب الكرك ، شهدوا بما يعارض شهادتنا ويُبطلوا الحقّ فالتفتَ إلى من بالمجلس وقال : « بئس الرأي أن أردّ شهادة هذين وأقبل شهادة هؤلاء الخدم ! » .

ومن عدله أن كردياً من الحلقة تظلم له ، وهو بالميدان يلعب بالكرة ، من أحد أعيان الأمراء الأكابر ، وذكر أنه // سجّل منه بعض إقطاعه ولم يُوَفّه حقّه ، فاستدعى بالأمير المذكور وقال له : « هذا ادّعى أنك سَجَّلتَ منه أرضاً ولم تُوفِّه حقّه ! » وأمره أن يُحاقِقه ، فظهر الحقُّ للكردي ، فأمره المذكور بالنُزول عن فَرسه ، وأن يُسَلّمه للكردي . فلما رأى الكردي ذلك أكبّ على يد الفَرس فقبّلها أدباً مع الأمير ، فأمر السلطان بضربه فضُرب ثلاثين عصاً تأديباً إذ لم يقبل ما أمر به ، فلما ضُرب أَمره بأخذ الفرس في حقّه فأخذه . ١٩٩ ظ

ومن عدله أنه لما قبض على قاضي القضاة شمس الدين محمد بن العماد الحنبلي [(١)] ، لما رُفع عليه أن عنده ودايع لجماعةٍ من التجار البَغاددة وقد ماتوا ، فلما حُملت الودايع ، وكانت تناهز سبعين ألف دينار ، ذكر له المولى الصاحب الوزير بهاء الدين أن أَصحاب هذه الودايع أحياء ، فأمر الأمير بدر الدين الخزندار ، عند سفره في ذلك النهار ، أن من ادَّعى شيئاً وذكر علامته الصادقة // عليه يُسلم له بعد أن يأخذ منه زكاة مُدة كونها عند القاضي ، فرجعت إلى أربابها ، وأُخذ منها مقدار عشرة آلاف دينار . ٢٠٠ و

ومن عدله أن في أيامه لم تتمكن أكابرُ الأمراء من التَعدّي على أقل العَوام بل على

(١) راجع ما ورد في الصفحتين ٣١ ـ ٣٢ من الكتاب .

أدنى اليهود والنصارى ، ومتى رفع إليه يهوديٌّ أو نصراني أو أقل العوام ظُلامة على أحدٍ من أعيان دولته أنصفه منه وكَفّه عنه ، فاطمأنَّت بعدله رعايا الأقطار ، وأخصبت آمالهم خصب الأرض الجديبة بالأمطار :

نَظَم البلاد فأصبحتْ وكأنّها ... عِقْدٌ منيرُ العَدل فيه جَوهرُ

لم يَبق مبدىً مُوحشٌ إلا ارتوى ... من ذكره فكأنما هو مَحضَرُ

وكان يسترفع مَدارج السجون ومن بها في أَوّل كُل سنةٍ ، وفي شهر رجب ، ورمضان ، وذي الحجّة ، ويكشف عن جرايمهم ، فيطلق في كل مرّة جُملةً منهم ، وكذلك في جميع ممالكه . //

ـ الباب الرَّابع ـ

في ذِكر عَفوه وصَفحه

كان ـ تغمّده الله برحمته ـ قد اتّخذ عفوه عن المسيء إلى عفو الله سلَّماً ، وجعله ذخيرةً عنده ليوم يقدم فيه مستسلماً ، وزاده فيه رغبةً قول من كشف الله به عن أمتّه الياس من رحمته وَالباس ، يُنادي يوم القيامة مُنادٍ : « ألا ليقم من له على الله حق ! » فيقوم العافّون عن الناس حتى أربى فيه على المأمون مع قوله : « حُبّب إليّ العفو حتى خفتُ أنّي لا أُؤجَر عليه ، ولا ينسب إليّ شيء منه ولا أُنسب إليه » .

مَلْكٌ يَرى العَدل دِيناً بعد قُدرتـه ... لكن إذا لم يكن للشرّ منهاجـا

إنّ الفساد إذ ألمَّ يُمسِ راكبـه ... صَريع ما قد جنى من فتنةٍ هاجـا

ومن فعلات السلطان الملك الظاهر التي ازدانت بها فعلات العافين ، وكُتبت في ٢٠١ و صحايف الذين أصبحوا // عن الفُجر صادّين ، وبالعُهود وافين ، أنه لما قُتل الملك المعظّم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيّوب أجمع جماعةٌ من خشداشيته البحريّة على قصده وقتله ، فحماه الله منهم بعد أن جرحه بعضهم ، فلما ملك ـ تغمّده الله برحمته ـ لم يُواخذهم بل أفاض ملابس عفوه عليهم ، وأحسن بما أقطعه من الإقطاعات إليهم ، ودام لهم على البِرّ والصِّلَة ، ونظم شتات أمورهم وكانوا يَظُنّون أنها تكون منفصلة .

ومنها أن الأمير علاء الدين أيدُغدي الرُكني كان قد جرى بينه وبين السُلطان الملك الظاهر في أمر مملوكٍ منازعات في أيام الملك الناصر ، قد حكيناها ، فلما ملك ـ تغمده الله برحمته ـ استدعاه إليه بعد أيام ، فما شكّ أنه مقتُولٌ ، فلما دخل عليه قام إليه

واعتنقه وأراهُ أنّه قد أزال عنه حنقه ، وأقرّ بالعفو عنه عينه ، وعرّفه كم بينه في التقاضي
٢٠١ ظ وبينه ، // وقال له : « قد رسمنا لك بثلاثين ألف درهم ثمن الغلام ، فعاقدنا عليه » ،
فعاقده وكتب عُهدته ، وأشهد عليه فيها ، ثم أمر له بمتاعٍ وإقطاعٍ ، ولم يزل في خدمته
إلى أن كُفّ بَصره وعجز عن الخدمة فاستعفى ، ونزل عن الإقطاع ولزم بيته ، فأجرى
عليه قريتين من بلاد السّاحل لكُلَفه ونفقته ، ولم يزالا بيده إلى أن توفي السلطان الملك
الظاهر ـ رحمه الله ـ فأقرّهما عليه ولده السلطان الملك السعيد .

ومنها أن الأمير شمس الدين سُنقر الأقرع ، مملوك الملك المظفّر شهاب الدين
غازي بن الملك العادل ، كان قد توجّه إلى بغداد رسولاً من جهة الملك المعزّ ، فلما
قفل ودخل دمشق اتّصل به أن الملك المعزّ قُتل ، فاجتمع بالملك الناصر وأشار عليه
بالقبض على السلطان الملك الظاهر ، وأنه متى فعل ضمن له صلاح من في الديـار
المصريّة ، من الأمراء الصالحيّة والمعزيّة ، فلم يُجبه إلى ما أشار به عليه ، واتّصل
٢٠٢ و بالسلطان الملك الظاهر هذه المؤامرات // فلما ملك لم يؤاخذه بما بدا منه من الإساءة
بقَبضه ، ولا ضيّق عليه ما اتّسع من سماء أمله فيه وأرضه ، بل أغضى عنه ولم يؤاخذه
بهناته ، ولا عاتبه بتصريح ولا تعريض على ما فرَط من سيّئاته ، ولم يزل حَظِيّاً عنده ،
مُنجحاً مرامه وقصده ، حتى أفرط في الدالّة ، فقبض عليه سياسةٌ أوجبها المُلك وحبسه .

ومنها أنه لما قتل الملك المظفّر على القُصَير ، تقدّم إليه الأمير عز الدين أيبك أخو
الأمير جمال الدين آقوش المحمّدي ، وأفحش له في القول ، وتعدّى طوره بما أظهر
من القوة والحول ، وجرّد سيفه يريد قتله ويروم ختله ، فلما ملك لم يكترث بما أقدمَه
عليه الحنَق ، ولو شاء سمل في الانتصار أو شنق ، بل زاد في إقطاعه ، ولم يقطع ذرّ
اصطناعه ، واستمرّ في خدمته إلى أن قُتل في بلاد الروم في آخر دولة السلطان الملك
الظاهر [1] ـ رحمهما الله ـ وعفا عنهما . //

٢٠٢ ظ ومنها أن الأمير ناصر الدين الحسين بن شمس الدين عزيز القَيمري وغيره من

(١) كان ذلك في صحراء البلستين سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ م . (راجع ما ورد في الصفحتين ١٧٢ ـ ١٧٣) .

الأمراء القَيمريّة كانوا يحرّضون الملك الناصر في القبض على السلطان الملك الظاهِر واستئصال شأفة من كان معه من الأمراء البحريّة في كل وقتٍ ، وهو مطّلع على ما يدور بينهم وبين الملك الناصر في ذلك ، فلما عاد الملك الناصر بعد استيلاء التتر على البلاد قاصداً للتتر ، كان معه الأمير ناصر الدين وجماعة من الأمراء القيمريَّة فقَبض الزين الحافظي على الأمير ناصر الدّين وعلى من [كان معه] [١] ، فلما ملك الملك المظَفّر دمشق بعثهم إلى القاهرة فحبسهم في قلعتها ، فلما ملك السلطان الملك الظاهر أَطلق الأمير ناصر الدين وأمَّره وأقطعه إقطاعاً بالشام ، وركّزه في بلاد الساحل .

ومنها أنّ الأمير علم الدين سنجر الحلبي المُشِدّ كان نايب السلطنة بدمشق عن الملك المظفّر ، فلما قُتل // وملك السلطان الملك الظاهر استعصى ، واستبدّ بدمشق وخطب لنفسه ، ثم كان من قَصدِه ما حكيناه [٢] ، فلما ظفر به أحسن إليه ، وأنعم عليه بما لم تسمح به نفس مَلك عفا ، ولم يَطمح إليه أَمل مُذنبٍ بات من ذنبه على شفا ، ثم ولاّه نيابة السلطنة عنه بحلب ، واستعفاه بعد أن أقام فيها مدّةً فأعفاه وأَمّره وأقطعه إقطاعاً لم يستطع لطَوق منّته فيه انتزاعاً ، ثم أَفرط في الدّالة فجبهه ونجهه بكلام أغلظ له فيه ، وأظهر له ما كان في سرّه يُخفيه ، فقبض عليه وحبسه ، وتوفي السلطان الملك الظاهر ــ رحمه الله ــ وهو بحبسه [٣] .

٢٠٣ و

ومنها أنه كان له وهو بدمشق مع الملك النَّاصر ركابيٌّ يُسمَّى مُظَفّر [٤] ، وكان يأخذ الجُعل من الأمراء الناصريّة على نقل أخباره إليهم [٥] ، وهو مع ذلك مُطّلع على حاله ، ولم يُغيّره ولا استبدل به ، وبقي معه إلى أن ملك ، فاستمرّ به فدخل يوماً إلى الرِّكاب خاناه [٦] فوجدها مختلّةً بسبب أنه // تفقّد فيها سُروجاً مُحلاّةً كان يَعهدها ،

٢٠٣ ظ

(١) ما بين الحاصرتين زيادة ضرورية .

(٢) و (٣) راجع ما ورد في ص ١١٣ حاشية رقم ٣

(٤) الصواب : مظفراً .

(٥) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢٥٢ « على نقل أخبارهم إليه » .

(٦) وهي بيت الركاب ، تشتمل على عُدد الخيل من السروج واللجم ... ويشرف عليها موظف (مهتار) بأمرته عدد من الرجال . (القلقشندي ٤ : ١٢) .

فلم يَرها فالتفت إليه وقال له : « نَحس في دمشق ونحس في القاهرة ، متى عُدت قَربت الإصطبل شنقتُك ؟! » ، فقال له : « يا خَوند إذا لم أقرب الإصطبل من أين آكُل أنا وعيالي ؟! » ، فَرَقّ له وأمر أَن يُقطع في الحَلقة ، وشرط عليه أن لا يُريه وجهه ، ولم يزل في الحَلقة مُقطعاً إلى أن توفي السلطان ـ رحمه الله ـ .

ومنها أَن السلطان الملك الظاهر بلغه وهو بدمشق ، سنة اثنتين وسبعين ، وصول أبغا إلى الموصل قاصداً الشام [١] ، فاستعد للقائه ، وجلس مجلساً جمع فيه وجوه أهل دمشق والقضاة ، وأخبرهم بما اتّصل به من أَمر التتر ، وأنه لا بُدّ له من مُحاربتهم ، وطلب منهم المساعدة ، فاتّفقوا على أن فرض على أهل دمشق وضواحيها تجهيز عسكرٍ عيّن لهم عدده ، ثم حضر السلطان الملك الظاهر دار العدل فلمّا بلغ الشيخ محيي الدين يحيى بن محمد بن مِرَى النَّواوي المحدّث جلوسه قصده ، ودخل دار العــدل // *

٢٠٤ و فقام له من فيها فسأل السلطان عنه ، فأُخبر بمنزلته فالتفت إليه السلطان وقال له : « ما حاجتك ؟ » ، فقال : « جئتك ناصحاً لما بلغني أنك طلبتَ من الناس المساعدة وفرضت عليهم ما لا يجوز لك أن تفرضه عليهم وأنت تشتري المملوك بعشرين ألف درهم وتُمَنطِقه الحَياصة المجوهرة ، وتُركبه المسرّج المذهّب ، وإن أفتاك أحدٌ من القضاة بما فرضته فقد افترى على الله ورسوله » . فقال له السلطان : « أَلَك دارٌ أو بستانٌ فنأمر بمسامحتك وإعفائك ؟ » . فقال : « ما جئتُ في شأن نفسي ، وإنّما جئت في الله ورسوله وحقّ المسلمين ؟ » ، ثم قام وخرج ، فأنفت نفس السلطان من أن ينتظم في سلك من إذا قيل له : « اتّقِ الله ! » أخذته العزّة بالإثم ، فأَغضى من كلامه على مثل الجمر ، واستقلّ في جَنب الله والنّهي والأمر ، وكان ذلك سبباً في تنقيص ما فرض عليهم إحساناً منه إليهم ، ولولا الضرورة لترك ما بقي ، وظل بنفسه لرعيّته يَقي [٢] . //

(١) راجع ما ورد عن هذه الحادثة ما بين الصفحات : ٧١ ـ ٧٣ .

(*) إشارة إلى بدء « الثاني والعشرون من الجزء الثاني » .

(٢) أورد ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك ٧ : ٨٥) حادثة في هذا المعنى هي التالية : « ... ولما توجه السلطان الملك الظاهر إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية ، قال بسبب إقامة الخيل ، فحضر إليه الشيخ الإمام محيي الدين النووي . . وكلّمه في ذلك بكلام خشن ، فلاطفه الملك الظاهر وقال : « يا سيدي مد يدك أعاهدك على ذلك ... » .

٢٠٤ ظ ومنها أن الأمير شمس الدين آقوش بَرْلوا [1] لما عصى عليه وخلع رِبقة الطاعة ، وبذل في الإسْتعصا جهد الاستطاعة ، ثم إنه رأى جناح قصده مَهيضاً ، وما منّتْهُ به نفسه طويلاً عريضاً ، فعاد إلى عادته من الانقياد ، ونزع عنه ما كان تقمَّصه من الخلاف والعِناد ، فرجع إلى طاعة السلطان قَهراً ، ووطئ بساطه قسراً ، فعفا عنه وعمّن كان انضوى إليه من الأمراء العزيزيّة الذين كانوا فارقوا السلطان ، وتوجّهوا نحوه فأمّرهم وأقطعهم الإقطاعات ، وخلَّد من الثناء عليه بعفوه عنهم ما يُتلى في صُحف الساعات ، فسقى الله ضريحه صَوب السَّحايب ، ولا زالت معقورةً لديه أنضاءُ الرَّكايب . ولم يزل قدره عنده مُعظّماً ، وعقد شمله بالاشتمال عليه منتظماً ، حتى صدرت عنه أفعال ٢٠٥ و قدحَتْ في المُلك ، وكادت بها النفوس أن تُفضي إلى الهُلك ، // فقبض عليه وحبسه حتى مات في حَبسه .

ولو أردنا أن نُعدّد ما عامل به من شرد عنه من مماليكه ومن الغرباء ، ومن انضوى إلى العُربان في بلادهم وإلى غيرهم ثم عاد إليه . فعفا عنه ولم يُؤاخذه ، لاتّسَع المجال ونفد المقال ، ولطمس نجوماً طالعةً في سماء المكرمات زاهرة ، وأربى على خلايق الكرماء بهجتها للعقُول باهرة .

(١) وورد في صفحة ٣٩ « البرلى » وفي النويري « البرنلي أو البرنلو » (راجع ترجمته في ص ٣٩ الحاشية الأولى)



ـ الباب الخامس ـ

في ذِكر وفائه ومُكافأته على الحُسنى بأضعافها

والوفاء حلّة يتزّين الكرماء بحلّتها ، وتتشرّف خلايقهم بالتبوّء في حلّتها ، وهي العصمة التي يلجأ إليها طريد العُسرة ، ويلوذ بها من يروم من إخوانه النصرة ، وقلّ ما يكون إلا فيمن كرم نجارُه ، وأَمن في حماه من طوارق الحدثان // جاره ، لا جرم أنه فاز منه بالمثل الأعلى ، وغدا والصغير من وفائه يُباع في سوق المكارم بالثمن الأغلى .

٢٠٥ ظ

أَلِفَ الوفاءَ فلا يميلُ لغيره ... وَأخو الجلالةِ للوفاءِ أَلُوفُ
فلذا جَزاؤُك عنده عن فِعلةٍ ... ترضي الكرام مِن الفعالِ أُلُوفُ

فمن وفائه الذي عجزت الألسن عن شكره ، وتنافست فيه النفوس باستقرارها في وكره ، ما صنعه مع البيت الأيوبي ؛ وهم أولاد الملك العادل وأولاد الملك الناصر ، فإنهم كانوا في كفالة الملك الناصر صلاح الدين يُوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يُوسف بن أيوب صاحب الشام ، فلما انتقل الملك عنه إلى الملك المظفّر ، ثم إلى السلطان الملك الظاهر ـ تغمله الله برحمته ـ آوى كبيرهم ورحم صغيرهم ، وصان بالبِشر من خلّفوه أحراراً وأمراء ، واشتمل عليهم بأنواع المبارّ احتفالاً واحتفاءً ، وأجرى عليهم الرواتب والوظايف ، وشملهم بظل إحسانه الوارف ، وبوَّأَهُم// رياض بره المريعة ، وجعل ذلك وسيلةً له عند الله وذريعة ، اقتداءً برسول الله ـ صلى الله عليه وَسلّم ـ لما رَوته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهو أنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وَسلم يذبح الشاة فيُعَضّيها أعضاءً ، ويقسمها في أصداق خديجة ، وكانت تأتيه عجوز فيُكرمها ، ويبسط لها رداءه ، فسألته عن ذلك فقال : « هذه كانت تأتينا على زمن خديجة ، وحُسن العَهد من الإيمان » .

٢٠٦ و

ومن ذلك أن كل من كان له في زمن التذبذب مرافقاً ، ولمراده موافقاً ، صابراً على عُسرته ، باذلاً له النُصح في عِشرَته ، آواه ، وحباه ، واصطفاه ، واحتباه . منهم الأمير بدر الدين بَيْسري الشمسي ، فإنه كان ظِئْراً له في الرضاع حال الطفولة ، ثم افترَقا بعد أن ترعرعا ، ثم قُدِّرَ اجتماعهما في سيواس على أيدي التجار – كما قدّمنا في صدر الكتاب [(١)] – ثم افترقا بالبيع واجتمعا في حلب ، ثم افترقا واجتمعا // ٢٠٦ ظ في ملك السُّلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، صاحب الدّيار المصريّة ، فرعى كلٌ منهما لصاحبه حق الصُحبة ، وتوزّعا بينهما سهم المحبّة ، وداما على ذلك والدهر يضرب ضرباته إلى أن مَلَك السلطان الملك الظاهر ، فخوّله وموَّله وَعظّمه وكرّمه ، وصرّفه في ملكه وحكمه .

وكذلك الأَمير شمس الدين سُنقر الأشقر العلائي ، فإنه كان قسيماً له في التغرّب والتخوف ، والتلفّت والتسوّف ، وكان بينهما عهد أنه متى وقع أَحدهما في شدةٍ باع الآخر نفسه في خلاصه ، فاتفق أَنّ الأمير شمس الدين سنقر الأشقر أسرته التتر ـ كما حكيناه أوّلاً ـ فلم يزل السلطان الملك الظاهر يعمل الحيلة في خلاصه إلى أن قدر الله تعالى بحصول نقفور صاحب سيس [(٢)] أسيراً في يده وكان مُعاهداً للتتر ففداه به [(٣)] . فانظر إلى هذه المكرمة التي هي فذّة في المكارم ، والهبة التي حصلت فيها الأَرباح بالمغارم .

٢٠٧ و وكذلك الأمير سيف الدين // قلاوون الألفي ، فإنه لما كان خِدناً له في التعب والنَّصَب ، وقسيماً له في الألم والوَصَب ، وفى له حين مَلَك وصاهره بأن زَوّج ابنه

(١) راجع ما أثبته المؤرخون في هذا المجال نقلاً عن ابن شداد أمثال : اليونيني ٣ : ٢٤٠ وما بعدها ، ابن شاكر ، فوات ١ : ٢٣٥ وما بعدها وغيرهما .

(٢) في اليونيني (٢ : ٣٨٤) : « ابن صاحب سيس ويدعى ليفون » . وكان قد أسره السلطان في غزوة سيس سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م . (المصدر نفسه : ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(٣) حصل ذلك سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م . (أيضاً : ٣٨٤ ـ ٣٨٦) .

السلطان الملك السّعيد ابنته [١] وسلّم له بذلك مهجته ، ونوّه بذكره ، ورفع من قَدره .
والذي يأتي على جملة ما لا يَحضُره التفصيل ، ولا يحيط به إحصاء من دأبه التحصيل ، أنّه أمَّر كل من كان معه مشرّداً عن الأوطان ، مقيّداً من سوء الحال في أشطان ، وعدّتهم أكثر من سبعين أميراً .

ومن وفائه للعُربان ؛ وفاؤه للأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا ؛ فإنه كان قد انقطع إليه حال تَنَقُّله في البلاد ، وتَوقُّله عَقبات الأهوال الشّداد ، فلما مَلك أَمْرَه على آل فَضل ، وأقطعه سَرْمِين [٢] وسَلَمِيّة [٣] ، وفوّض إليه أمر النقرة [٤] .

٢٠٧ ظ ومن وفائه ممن تعرّف به حينئذٍ من المتعمّمين // وفاؤه لي ، فإنّني لما انتجعتُ أرضه ، وأتيتُ في التّمسك بذيله سُنَّة القصد وفرضه ، أخذ بساعدي وعضُدي ، وجعل سبب الأمن من المخاوف في يدي ، وأجرى عليّ راتباً قام بي وبمن صحبني من أهلي ، وأنالني فوق ما كنتُ على نفسي من الأَماني أملي [٥] . ولو أَخذتُ في تعداد من فاءَ عليه ظل وفائه ، وشمله من الاصطناع بما ظل به من نظرائه وأكفائه ، لنفذ النِقس والورق ، وخفتُ أن أكون المعنّف في التطويل فاقتصرت على ما سبق .

ومن وفائه أنه ـ تغمده الله برحمته ـ مرَّ بالأمير شهاب الدين بن عماد الدين [داود] [٦] بن مُوسَك بقرية طَفَس ، من أعمال السَّواد ، والضرورة قد لزمتْ حاله لزوم الأطواق الأعناق ، وقَرنت مقاصِده ومساعيه بالإخفاق ، ولم يكن بينهما معرفة تؤكّد أسباب التَّوجّع له والتفقّد ، ولا تحضُّه على الإحسان إليه والتودد ، لكن سعادته
٢٠٨ و التي كانت مدّخرةً له // في غياب الغيب ، وضحت له مخايل التجائه فلم يداخله فيها

(١) راجع ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .
(٢) مدينة واقعة غربي حلب . (ياقوت ٣ : ٢١٥ ؛ Demombynes, op. cit., p 91) .
(٣) مدينة قريبة من حمص تمر بها طرقات هامة تصلها بالعديد من المناطق . (أبو الفدا ، تقويم : ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ؛ Dussaud, p. 201, 244, 252, 257, 260, 262, 272, 273, 278, 286, 514 et suiv.) .
(٤) أورد ابن فضل الله العمري (مسالك الأبصار ٣ : ٢٩) رواية في هذا المعنى .
(٥) راجع ما جاء في الأعلاق ١/١ : ١ ـ ٢ .
(٦) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٢ : ٤١٥ .

ريب ، فحمل إليه طعاماً وشعيراً ودراهم صادف منه حاجةً لقليله فضلاً عن كثيره ، فلما مَلك ـ تغمّده الله برحمته ـ رعى له ذلك ، وسلك به في الإكرام أنهج المسالك ، وأمَّره وفَوّض إليه النِّيابة عنه بقلعة الصَّلت [١] والسَّواد [٢] والبَلْقا .

ومن وفائه أن الأمير بدر الدين خضر بن جُودي ، كان بينه وبين السلطان الملك الظاهر حال التغرّب والتذبذب شنآن ، من قبيل أنه كان يُغْري به الملك المغيث ، فلما فارق السلطان الملك المغيث وتوجّه إلى الملك الناصر ، ترك حريمه بنابلُس ، فحرّكت الأمير بدر الدين خضر إلى الإحسان إليهم والاشتمال عليهم سعادة كانت في ضمان الأَقدار ، وفي كَفالة الليل والنهار ، فلمّا ملك مولانا السلطان ـ تغمده الله برحمته ـ الكرك قصده فيه الأمير بدر الدين // فأفاض ملابس النعم عليه ، وأناخ ركايب الافضال لديه ، وأمَّره ، ورتّبه في الشام وقرّره . ٢٠٨ ظ

ومن وفائه ، لما تَتبَّع التَّتر إلى أفامية [٣] ثم عاد وقد كلّتْ خيله ، بعث إلى الأمير مبارز الدين آقُوش أستاذ دار الملك المنصُور صاحب حماة ، وكان فيمن جرّده معه الملك المظفّر ، يطلب منه فرساً فاعتذر بقلّة ما معه من الخيل ، فبلغ الطواشي شجاع الدين مُرشد المنصُوري [٤] ذلك ، فبعث إليه فرسَين ، فبقي ذلك نصب عينيه ينتظر العَون على مكافأته عليه . فلما مَلك ـ تغمّده الله برحمته ـ كانت عنده من الملك المنصُور وقفة ، فأُشير على الملك المنصُور بإرسال الطواشي إليه يَسفُر له عنده لمكانته لديه ، فلما قارب القاهرة خرج إليه السلطان فتلقاه ، وأمَّنه ممّا كان يخافه من الرّد ويتوقّاه ، وأكرم نُزله وأعلا محلّه ، فلما أراد الاجتماع به فيما جاء فيه // دخل عليه في مجلسه العامّ ، ٢٠٩ و

(١) من عمل البلقاء (جسد الأردن) تقع على جبل العور الشرقي جنوبي عجلون وعلى مرحلة منها . (أبو الفدا ، تقويم . ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ؛ القلقشندي ٤ : ١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٢) منطقة قريبة من البلقاء (سواد البلقاء) .

(٣) ويقال فامية (بحذف الهمزة) وهي مدينة كبيرة بالشام بين أنطاكية وحمص بناها سلوقس بعيد موت الإسكندر الكبير . (ياقوت ١ : ٢٢٧ ؛ الحميري : ٤٣٣)

(٤) يخبرنا ابن شداد (الأعلاق ٢/٣ : ٤٩١) أن شجاع الدين هذا كان قد تعرض سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م للأسر من قبل التتر ، ثم أفرج عنه أثر وساطة قام بها المؤرخ نفسه .

فلما رآه ابتَدره بالقيام والسلام ، واعتنقه اعتناق الألف لِلّام ، وأجابه إلى ملتمسه ، وأَنار من أَمله ظُلمة غَلَسه .

ومن وفائه ، أَن الأمير سيف الدين بكتوت ، أستاذ دار الملك الناصر ، صاحب الشام ، كان محسناً إلى السلطان الملك الظاهر ، لما كان بدمشق عند الملك الناصر ، وكان للأمير سيف الدين المذكور أستاذ دار يسمّى آقوش وينعت بحسام الدين كان يحسن السفارة له عند مخدومه في تلبيته لغرضه من الملك الناصر ، فلما مَلك ــ تغمّده الله برحمته ــ لم يكن الأمير سيف الدّين حيّاً حتى يُكافيه على فَعلاته الغُرّ ، فِعْلَ الكريم الحرّ ، فنقل ما كان مضمراً له من ذلك إلى أستاذ داره المذكور ، فأَمّره على أربعين فارساً ، وأقام له من إكرامه سميراً لا يزال له مؤانساً ــ رحمه الله وأثابه ــ . //

٢٠٩ ظ ومن وفائه ، أن ريّس قرية كُوفَيا ، من أعمال غَزّة ، كان مثابراً على ما يَعِنّ للسلطان ــ تغمده الله برحمته ــ من الحوائج والأشغال حالة التغرّب والتذبذب ، فلما مَلك أحضره إليه وأَنعم عليه بخمسة آلاف درهماً [١] ، وعدّة من الفُدن بقيت في يده إلى أن مات ، فأقرّها على ورثته .

ومن وفائه ، أنه ــ تغمده الله برحمته ــ لما رجع من أفامية ــ كما قدمنا ــ تلقّاه أبو العِزّ النصراني ريّس قارا [٢] ، وسأله أن يكون ضيفه فأجابه [٣] ، فلم يزل صنيعه عتيداً عنده إلى أَن مَلك فأشخصه إليه ، وأفاض نعمه عليه (لديه) [٤] ، وأَباح له ما كان محضوراً [٥] عليه ، وبلّغه أقصى أمانيه ، وجعله بتفضيله شجىً في حلق أعاديه .

---

(١) كذا ؛ والصواب : درهم .

(٢) قرية قبلى حمص بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق . كانت محطة للقوافل . وغالب أهلها نصارى ، سبق لأهلها أن ضايقوا المسلمين فاستباحها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م . (راجع المخطوط الذي بين أيدينا : ٢٦٤ ظ ــ ٢٦٥ و ؛ والذهبي ، العبر ٥ : ٢٧٥ ــ ٢٧٦ ؛ والقلقشندي ٤ : ١١٣) .

(٣) حصل ذلك أيام المظفر قطز (اليونيني ٢ : ٣٤٥) .

(٤) ساقط من المتن ومستدرك في الهامش بالقلم نفسه وفوقه إشارة صح .

(٥) كذا ؛ والصواب : محظوراً .



ـ الباب السَّادس ـ

في ذِكر مواهبه وعطاياه

مـا زَال تـاجِـرَ مَجـدٍ يَشتَري أبــــداً حُـرَّ الثناءِ بما يُرضي العُلا ثَمَنـا //
٢١٠ و يُعطـي الغِنَى في عطايـاه وما أحـــدٌ ممن تقـدّم يُعطي في العطاء غنى

لم يَزل ـ تغمّده الله برحمته ـ يَدينُ بالسخاء ، ويُديل على الشدّة دُولة الرّخاء ، حتى لقد نشأتْ عن أبحُر أنامله العَشر أنواء السحايب ، وأغنت الرَّغبات بما أروت من عطاش الآمال عن أن تستمطرها بالرغايب ، فريضةً أوجبها على نفسه ، وكانت في الكُرماء سُنّة ، ووسيلةً قدّمها بين يديه ، لا جرم أنّه لم يُتْبعها أذىً ولا منّة .

مَلِـكٌ إذا مـا الجـود غَبّ هُـمُولــهُ فلـديـه جُـوْدٌ مـا لـه إغْبـــابُ

ولو لم يكن من جُودِه إلاّ أنه لما توجَّه إلى الشّام في سنة تسع وخمسين ، قصد بابه الملك المنصُور ناصر الدين محمّد بن الملك المظفّر ناصر الدين محمود صاحب حماة ، فأعطاه ماية ألف درهماً [١] ، وخلع عليه دفعات عدّة ، مدّة مقامه عنده ، مع ما وهب
٢١٠ ظ له من الخيل المسوّمة والسُّروج والسيوف المحلاة والأَمتعة // الفاخرة ، من عمل دار الطِّراز بالإسكندريّة والقاهرة ، وأقرّه على ما في يده من مملكة حماة ، وزاده عليها مَعرَّة النُعمان ، وكذلك فعل بالملك الأشرف مُظفّر الدين موسى بن الملك المنصُور ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ، صاحب حمص ، ولما أقرّه على

---

(١) الصواب : درهم .

ما في يده من مملكة حمص ، زاده تل بَاشَر [١] ، واستمرّ إحسانه عليهما بأن قرّرَ لهما في كلّ مرّةٍ يجتمع به أحدٌ منهما يُعطيه ثمانين ألف درهم سوى ما يُرتّب له من الإقامات والضيافات .

ولما ملك خلع ووهب من الذهب العَين المصري ، ومن الأمتعة والأسلحة ما لا يدخل تحت حصرٍ .

عطايا كريمٍ لا يُحيط بوَصفِها مقَالٌ ولا يُحصي لها العَدَّ حاسِبُ

ثم لما عزم على التوجّه إلى الشام ، في أول تَوجّهه إليه ، فرّق في الأمراء من خمسة ألف دينار إلى خمس مائة // دينار ، وقَرّر معهم أنّ أحداً منهم لا يُطلع أحداً على ما أعطاه ، وتوعّده على ذلك . ٢١١ و

يُخفي صنايعه والله يُظهرُها إنّ الجميل إذا أخفيته ظَهَرا

ووَظفَ على نفسه لمن في طاعته من الأمراء ومُقَدَّمي الحَلَقة في كل شتوةٍ من الشكلاط ، وأنواع الوَبْر ، والأمتعة الفاخرة ، ما يسرّ كبيرهم وصغيرهم ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات ـ رحمه الله ـ وهذا ممّا لا تنهض به بيوت الأموال ، ولا تسمح بمثله نفس صبرت من حمل المكارم على الأهوال .

مَواهِبُ تخلفُ الأنواءَ غايبة وَيعجَز الغَيثُ عنها وهو مُحتَفِلُ

وكذلك رَتّب لهم في كل سنةٍ السيوف المُحلّاة ، والحوايص الذهب ، والكلوتات [٢]

---

(١) قلعة حصينة شمالي حلب وعلى مقربة منها ؛ أهلها نصارى وأرمن . (ياقوت ٢ : ٤٠) وقد سميت أيضاً : Turbessel des croisades . انظر : Dussaud, p. 468 .

(٢) مفردها كلوتة وهي غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة وتسمى أيضاً كلفتاه وكلفه . راجع : =

الزَّرْكش ، والكُلاة بندات الذهب ، والثياب المخرّمة ، والشاشات الكافورية ، والشاشات المذهبة ، والخيْل المسومّة ، ما لا يُعبّر عن حسنه وقيمته يقوم لهم // بها ضَمينُ ٢١١ ظ مروءته ، وكفيل همّته ، وكانت عادته في يوم شربه القمز أن يُباري الغَمام في جُوده ، ويرى بَذله مقصّراً ولو أتى على جميع موجوده ، وربّما كان عطاؤه في ذلك اليوم ماية ألف الدرهم ، ومايتي ألف الدرهم ، وكان يجلس له في الجمعة مرّةً أو مرّتين ، وكان من عوايده ، أنه متى بلغه أن على أحدٍ من أمرائه دَيناً قضاه عنه بلغ ما بلغ ، ولقد قضى عن الأمير بدر الدين بَيسري الدين مرّات ، وكذلك عن الأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، وعن غيرهما ممّا لا يُحصى كثرةً .

ومن عاداته التي بَزَّ بها الملوك جُوداً ، وأضحى بها دون الأجواد مقصوداً ، أن جميع أجناد حلقته وأجناد أمرائه متى نفق لأحدٍ منهم فرسٌ ، عوّضه عنه خمسين ديناراً ، ومتى نفق له بغل عوّضه عنه أربعين ديناراً ، سواء نفق في الحَضَر أو في السفَر ، وكانت عادة الملوك في ذلك مرةً أو مرتين في العُمر ، وكان // تعويضهم على النصف ٢١٢ و من ذلك .

كـرمٌ دَعتـهُ بـه القبايـل مسرفـاً ... مـا مُسرفٌ في المكـرُمـات بمُسرِفِ

وأمّا ما كان يعتمده عند خرُوجه إلى الصيد فما كان يعتمده غيره من الملـوك الأكاسرة ، ولا القياصرة ، ولا ملوك بني بُويه ، ولا بني ساسان ، ولا ملوك بني حمدان ، من إعطائه الخِلَع السَنِيّة ، والمواهب الهنيّة ، ومن أنواع الأطعمة الفاخرة صنوان وغير صنوان ، وكان قد رتّب لكل صنفٍ من أصناف الصيد ضريبةً من الوحش والطير ، فإن اصطاد أحد من أمرائه الكُبَراء ، ضاعف له في العطاء من الخيل المسوّمَة والخِلَع الخاص والحوايص الذهب ، ومن أصناف القماش المنتخَب ، فكان يلحقه في كل

= (Dozy, Dictionnaire..., p. 387-388)

وعن المنشأ التاريخي لاستعمال هذا الغطاء وتطور استعماله منذ أيام الأتابكة حتى عصر المماليك راجع · المقريزي ، الخطط ٢ : ٩٨ ؛ القلقشندي ٤ : ٥ .

خَرجةٍ إلى الصيد جملة مستكثرة . وكذلك في لعبه بالكرة والعادة له فيه مرّتان في الجمعة ، وهي يوم السبت ويوم الثلاثاء دائماً ، فيطلق فيها أيضاً الحوايص والخلع // والخيل ما تجاوز الحدّ ، وتقصُر فيه العبارة عن العَد ، ويُنعم في كل سنة على جميع أمراء دولته ، ومُقدَّمي حلقته ، ومماليكه ، وخواصّه ، بالخيل في كل سنة ، خصوصاً مماليكه ، فإن منهم من كان يُنعم عليه في السنة المرّة الواحدة ، ومنهم المرّتين والثلاث .

٢١٢ ظ

ـ الباب السَّابع ـ

في ذِكر ما اعتمده من أَفعال البِرِّ

لما علم ـ تغمّده برحمته ـ أن أَفعال البِرِّ مما تقرّب به إلى الله زُلفَى ، وتقيه مَصارع شررٍ شرّها لا يطفَى ، ثابر عليها مُثابرةً يرجو بها مضاعفة الثواب ، ويتخذها ذخيرةً يجدها يوم الحساب ، لا جَرَمَ أَنَّه لما أَراد الفوز بتحقيق أَمله ، لم يُخل من البِرّ والصِّلة وظايف عمله .

مـــا زال مُعتمـــداً للـــبِرِّ يفعَلُـــه　　فِعـلَ امرىءٍ يَـذخَر الدُنيا لأُخـراهُ //

٢١٣ و　واللّهِ مـا وَقَـف الأمـلاك رِزق فَتَـى　　إلاّ وضاعفــه جـــوداً وأجـــراه

كان ـ رحمه الله ـ ملازماً للصَّلوات الخمس في أوقاتها سفراً وحضراً ، ولتحقّقه أنّها الصِّلة بينه وبين ربّه ، وأنها الماحِية لما قدمّه بين يده من ذنبه .

كمـل الشجاعَـة والخضـــوع (١) لـربّـه　　مـا أحسن المحرابَ في المحـرابِ

كلّف ساير مماليكه وحاشيته القيام بها والمحافضة (٢) عليها ، ورتّب لكل طايفةٍ من مماليكه معلّماً يعلّمهم القرآن ، وإماماً يصلّي بهم ، وجعل عليهم عيوناً حتى لا يخوضوا في حديثٍ غير ما ندبوا إليه ، وكلّفوا من التبتّل له والدوام عليه .

ومنها أَنه لم يشرب خمراً قطّ مدّة حياته ، على ما حكى لي من أثق إليه من ثقاته ، ولما مَلك ـ رحمه الله ـ منع من كلّ مسكرٍ وحضر (٣) عليه ، وحذّر منه ، وأَخذ

---

(١) كتب حرف الشين فوق الضاد لتتحمل اللفظة قراءتين .

(٢) كذا ؛ والصواب : المحافظة .

(٣) أمر الظاهر بيبرس بتحريم المسكرات في ١٧ ذي الحجة سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م . (اليونيني ٢ : ٤٥٤) .

(٤) كذا ؛ وصوابه · وحظر .

خطوط ولاة ممالكه بأن لا يمكّنوا أحداً من تعاطيه البتّة ، وساوى في المنع بين أمرائه ورعيته ، وكان معدَّل ما يُجنى فيه من الحقوق السلطانية ألف دينار في كل يوم ، وذلك بأعمال // مصر لا غير . وكذلك منع المومسات وساير ما يرتكب من الفجور في ساير ممالكه ، وكانت تؤخذ منها جبايات كثيرة ، كل ذلك رغبة في صيانة أعراض الناس وأموالهم ، وإصلاح ما تعمده الملوك من فساد أحوالهم . ٢١٣ ظ

ومنها حَجّه الذي فات فيه الملوك سَبقاً ، ورَغب فِعله إلى الله أن يُبَدّله ما يفني بما يبقَى ، ولقد رُئي فيه وهو واقف على باب البيت مُحرماً يأخذ بيد الضعفاء من رعيّته قد خلع عنه ثوب الكبرياء والأنفة ، وألبس خِلَع التُقَى والمعرفة ، مُعلمةً بما أُجري له على الألسنة من حُسن النعت والصِّفة .

ومنها ما ألزم نفسه من المواظبة على الجهاد في سبيل الله ابتغاء مَرضاته ، والسُكنى بجواره في بحبوحة جنّاته ، واجتهاداً في إقامة منار الإسلام وإعلاء كلمته بالإعـلان والإعلام . // *

٢١٤ و ومنها ما قرّره ورتّبه في البيمارستان بالمدينة النبويّة – على ساكنها أفضل الصَّلاة والتحيّة – من الأطبّاء ومن الأدوية للمرضى القاطنين والوافدين ، يُحمل إليه في كل سنة ، وما يُحمل إلى الحرم المدني والحرم المكّي من الزيت والشمع الذي يُوقد فيهما ، ومن القمح والدقيق الذي يُفرّق على الضّعفاء والمساكين من أهلهما والمجاورين بهما ، وما أُوجبه على نفسه الكريمة من عمل الستور الديباج للضريح النبويّ وللكعبة الشريفة مما كانت الخلفاء ممتازين به على الملوك في كل عامٍ .

ومنها أنه أُجرى ما كان الملك الناصر صلاح الدين يُوسف صاحب الشام ، والملك المظفّر قُطز يُجريانه على ذوي البيوتات من الصدقات والصِّلات ، في كل سنة بمصر والشام ، وزاد على ذلك أَضعافه لئلا تُشارك أوصافُهم أوصافَه ، وكذلك فعل لما مات

(*) إشارة إلى بدء « الثالث والعشرون من الجزء الثاني » .

الملك الأَشرف صاحب حمص .... [١] . //

٢١٥ و ولقد حضر مرّة أخرى في عزاء آق سُنقر بن كُراي التَّتري ، ووعظ فيه مجد الدين المذكور ، فأَصغى لوعظه وَوَفر قسطه له من لحظه ، وأظهر سروراً بما سَمع ، وتيقَّن أَنّ الخير له بالحضور جُمع .

ومنها أنه لما ملك أبطل ما كان مقرّراً في أيام الملك المظفّر قطز من التصقيع ، وهو أخذ أجرة شهرين من الأملاك في كل سنة ، والتقويم وهو أن تُقوّم الدار فيؤخذ عن كل دينار درهم دُرفاً ، والخمس وهو أن يقدّر ما مع الإنسان من المال فيؤخذ خُمسه ، وكتب بذلك تواقيع ، وخلَّدها في الدَّواوين وذلك بسفارة المولى الصاحب الوزير بهاء الدين .

ومنها أَن الملك المظفّر كان قد أخذ ما كان يُصرف إلى الفقراء وأَرباب الرواتب من السَّهمين ، فلما مَلك السلطان الملك الظاهر أقرّ ذلك مدة ولاية ابن الزُبير على

٢١٥ ظ وزارته ، فلما صُرف وولي المولى الصاحب الوزير // بهاء الدين سَفَر في إطلاق ذلك لأربابه ، فأطلقه لهم وأقرّه عليهم .

ومنها أن زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزُبير ، لما ولي نظر الدَّواوين ، خرَّج على الدَّواوين ما بقي في معاملاتهم ، فكان مقداره خمس ماية ألف دينار ، فكتب بها أوراقاً وأوقف عليها السلطان الملك الظاهر ، وأشار عليه أن يجعل جامكيات العمّال منها ، وأن لا يأخذوا من مال ما يأتي شيئاً ، فحسن ذلك بخاطره وخرج أمره المطاع بذلك ، فلم يزل المولى الصاحب بهاء الدين يَسْفُرُ عنده في المسامحة إلى أَن أطاع تشدّده ، وأجاب توقّفه وتردّده .

ومنها أَنه كان موظَّفاً عليه لأيتام الأَجناد ما يقوم بإمدادهم وبأودهم على كثرة

---

(١) الورقة ٢١٤ ظ ساقطة في الأصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عددهم ، وكان [١] له في كل سنة عشرة ألف إردب [٢] تفرق في الفقراء والمساكين
٢١٦ و وأصحاب الزوايا وأرباب البيوت ، وهذه نعمة يمنّ بها عليه من أعطاه // سُؤْلَهُ من دُنياه ، وأرجو أن يُنيله ما رغب فيه من الفوز في أخراه .

ومنها أنه وقف على تكفين أموات الغرباء بالقاهرة ومصر وميضأةٍ خارج باب زُويلة [٣] على تغسيلهم وقفاً يكفي ذلك ، ووقفاً يُشترى به خبز ويفرّق على فقـراء المسلمين ، ووقف على قبر خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ بحمص بعد أن أصلحه ، ورَمَّ شعثه ، وقفاً يُصرف على من هو راتب فيه من مؤذّنٍ وإمامٍ وقيّمٍ ، وعلى من ينتابه من الواردين عليه من البلاد .

مـآثـــرُ تخـــبرُ عـن أصلـــهِ ... وَمـا يَنسِبِ السَيفَ مثـل الأثَــرْ
وكـم قـــد بغـاهـــا الملـــوك الأولى ... فـأعمَـتْ عــلى بـدوهـــا والحَضرْ
ولـــو يَظفـــرون لعمـــري بهـــا ... لكـانت لتيجـانهـــم كـالـــدُّرَرْ

ووقف على قبر أبي عُبَيدة بن الجرَّاح وقفاً برسم تنويره وبسطه وإمامه ومؤذّنه ، ٢١٦ ظ وسيأتي ذكر ما // أنشأه من الجوامع والمساجد والحياض والمدارس والجسور والخانات للسَّبيل ، في باب ما أنشأه من البناء ، يُستغنى بتفصيله في موضعه عن ذكره في هذا المكان .

ومنها أنه أجرى على أهل الحجازَين وأهل بدر وغيرهم ما كان قُطع في أيام غيره من الملوك الذين تقدّموه ، فأعاده إليهم بسفارة المولى الصاحب بهاء الدين علي بن محمد [ابن حنا] .

---

(١) لفظة « وكان » : مكررة في الأصل .
(٢) كذا في ابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٨٠) ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٢) : أربعة آلاف أردب .
(٣) من أبواب القاهرة ، سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة من قبائل البربر الذين دخلوا البلاد المصرية آتين من المغرب برفقة القائد الفاطمي جوهر الصقلي . (المقريزي ، الخطط ١ : ٣٨٠ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٤٨) .

ومنها تسفير الرَّكب [١] إلى الحجاز ، في كل سنة ، تارةً عامّاً ، وتارةً صحبة الكُسوَة ، ولقد كان يخرج في كل سنةٍ جملةً مُستكثرة يستفكّ بها مِنْ حَبس القاضي مَنْ حُبس من المقلّين [٢] . وكان في أوّل ليلةٍ من شهر رمضان يرتّب بمصر والقاهرة وأعمالهما مطابخ يطبخ فيها أنواع الأطعمة وتفرق على الفقراء والمساكين ـ تقبل الله ذلك منه وعفا عنه ـ . //

(١) الركب : هو موكب الحجاج المسافر إلى مكة . (Dozy, supp., p. 552)

(٢) كذا ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٣) : « يستفك بها من حبسه القاضي من المقلين » .



ـ الباب الثَّامن ـ

في ذِكر هيبَته ومَنزِلته من القلوب

لم تَزل الملوك ترفع بناء الهيبَة على قواعد القَسوة ، وتدفع في صَدر الاستيناس بهم بأيدي الوحشة والجفوة ، حتّى يرجع الطرف الطامح إليهم وهو كليل ، ويعودَ القلبُ الطامحُ فيهم وهو بالخيبة عليل ، لا جرم أنهم يُستخفّ بهم حيث يَعظم من كان لا يو .... [1] إليه ، ولا يُعقد عند ذكر الكُبَراء الخَناصر عليه ، إلاّ من كانت هيبَته عن عزِّ سُلطان التّأفف ، فأتاه الخوف ممن صُيِّر إليه التحكّم والتصرّف ، واستعمل الجدّ حتّى باين من هَزَل ، وصعد به ملك العِزّ وما نزل ، كمولانا السلطان الملك الظاهر ، . ولو لم يكن من أخباره التي أوثرت عن علوّ همّته وجلال هَيبته إلاّ أمن السُبُل المخُوفة ، حتى سُلكتْ منها كلّ تَنُوفة ، وكفّ أيدي المستطيلين بالعُدوان حتى لم يَحْتَج الوحيد في دفعهم إلى أعوان . ٢١٧ ظ

مَلَـكَ القُلـوبَ محبّـةً مـع هَيبَـــة أضحى لها لَيثُ العَريـن من النَقَـدْ
كم بـاسلٍ عَقَـد اليَمـين لحربـــهِ لما رآهُ حَـلَّ منهـا ما عَقَـــدْ

ولقد سمعتُ بأُذنَيّ منادياً يُنادي والسلطان ـ تغمده الله برحمته ـ على صفد : « مَنْ ضاع له ملوطة زرْكش فليحضُر الدّهليز ويَذكُر علامَتها ويأخذها ! » .

ومن هيبَته التي تُنسَف لها الرُبا ، ويُحلّ عند تخيّلها الجُبا ، أنه كان إذا امتطَت سَطوته صهوة سريره ، حكى صهيل جواده عند مَرَحِه بصَريره ، وصار الماثلون لديه

---

(١) كذا في الأصل .

بين مَلكٍ نكّس الخُشوع رأسه ، يستملي من قلبه الرُّعب الذي خامره ، وبين مملوكٍ قد عَقد الوجل هُدْبه بالحاجب كمغْرُمٍ رقب النجم وسامره .

يُغضي حياءً ويُغضَى من مَهابَتـــهِ فمـا يُكلَّم إلا حـين يَبتـــسمُ //

٢١٨ و ومنها أن يهوديّاً دَفن في قلعة جَعْبَرَ ، عند قصد التَّتَر لها ، مُصاغاً وذهباً وتُحفاً ، وهرب بنفسه وأهله إلى الشام ، فاستوطن حماة ، فلما نفذ ما كان بيدِهِ خَلَص له كتب إلى الملك المنصور ، صاحب حماة ، قصّةً يذكر له فيها أمر الدفين ، ويسأله في أَن يُسيّر معه من يُخَفِّره (١) ليأخذه ، ويدفع منه النصف لبيت المال ، فلم يقدر الملك المنصور على إجابة سؤاله ، وكتب إلى السلطان الملك الظاهر يخبره بأمره ، فكتب إليه أَنْ وجّهه مع رجلين لقضاء غرضه . فلما توجَّه [و] وصل إلى الفرات ، امتنع من كان معه من العبور خوفاً من العرب ، فعبر هو وابنه . فلما وصل إلى قلعة جَعْبَر أخذ في الحفر على دفينه ، وإذا بطايفةٍ من العرب على رأسه ، فسألوه عن شأنه ، فأخبرهم فأرادوا أَن يقتلوه ، فأخرج لهم كتاب السلطان إلى من عساه يقف عليه ، فكفّوا عنه ، وساعدوه ٢١٨ ظ على الحفر حتى استخلص ماله ، ثم أخذوه // وتوجّهوا به إلى حماة ، وسلّموه إلى الملك المنصُور ، وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً يكون معهم بتسليمهم اليهودي إليه سالماً وما معه فكتب لهم .

ومنها أن جماعةً من التجار خرجوا من بلاد العجم قاصدين أبواب السلطان الملك الظاهر ، فلما مرّوا ببلاد سِيس منعهم [صاحبها] من العبور عليه ، وكتب فيهم إلى أبَغا ، وكتب إليه يأمره بالحوطة عليهم ، وإرسالهم إليه ، فاتّفق أن هرب منهم مملوك إلى حلب ، واجتمع بالأمير نُور الدين علي بن مَجَلّي (٢) ، وأخبره بحالهم ، فكتب إلى السلطان الملك الظاهر بذلك على خيل البريد ، فوصلت إليه في ستّة أيام ، فكتب إليه

---

(١) كذا ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢٥٣ « يحفره » (وهو خطأ) .

(٢) كان نائباً لحلب . (ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٨١) .

الجواب يأمره أن يكتب إلى صاحب سيس إن هو تعرض لهم في شيءٍ يساوي درهماً أخذتك عِوَضه [١] ، ورجع الجواب في ستّة أيام ، فلما وقف صاحب سيس على ما توعّده به السلطان الملك الظاهر أطلقهم ، وصانع أبغَا عنهم بأموالٍ جزيلةٍ . //

٢١٩ و ومنها أنَّ كُتبَ التّتر كانت تأتي إلى الرُّوم يأمرون فيها بأن يُمنع التجار من قصد بلاد السلطان الملك الظاهر ، ويتهدَّدوهم [٢] ويتوعّدُوهم [٢] إن لم يُجيبوا إلى ما أُمروا به ، وهم مع ذلك لا يكترثون بأوامرهم بل يُصانعون عن أنفسهم متى شعروا أنه قد اتّصل بالتّتر شيء من ذلك خوفاً من سطوات الملك الظاهر .

ومنها أن التجار تخرج من بلاده إلى الروم وإلى بلاد الأشكري لقصد بلاد القَفجاق ، وكانت التّتر قد منعوا أن يمرّوا بشيءٍ من البلاد التي في عهدتهم ، فإذا وصلت التجار ومعهم كتُب السلطان الملك الظاهر ما يسعهم إلاّ أن يأذنوا لهم في التوجّه ، ويصانعون عن أنفسهم .

ومنها أن تواقيعه التي كانت في أيدي التجار المتردّدين إلى بلاد القَبجاق باعفائهم من الصّادر والوارد يُعمل بها حيث حلّوا من بيت بركة ومَنْكوتَمِر ، وحيث حلّوا من بلاد فارس وكَرْمَان . //

٢١٩ ظ ومنها ما حكاه لي بعض من أثق به عن جماعةٍ من المُغل القادمين على الأبواب السّلطانية الملكية الظاهريّة ، أنّ أبَغا كان إذا أُجري حديثُ السلطان الملك الظاهر في مجلسه سألهم في الكفّ لئلا يُنقَل إليه .

ومنها أَنّ التّتر كانت تقصد بجموعها مكاناً من أطراف بلاده ، فلا ينزلون عليه إلاّ ريثما يستريح المتعوب ، ثم يرحلون كلّ ذلك تخيّلاً منهم أن عسكره يُصَبّحهم أو يُمسّيهم على بُعد ما بينهم وبينه من المسافة .

ومنها أن السلطان الملك الظاهر أعطى بعض التجار مالاً ليشتري به مماليك

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٤ ؛ وفي ابن تغري بردي ، النجوم : « أخذت عوضه مراراً » .

(٢) صوابه : ويتهددونهم ويتوعدونهم .

وجواري [١] من التُّرك ، فرغبت عينه في المال ، فدخل به إلى قراقُرم [٢] واستوطن بها ظنّاً منه أن السلطان لا يصل إليه ، ولا يقدر عليه ، فلم يزل السلطان الملك الظاهر يسأل عنه التجار إلى أن وقع على خبره ، فبعث إلى بيت مَنكُوتَمِر في أمره ، فبعث إلى ٢٢٠ و قَراقُرم من أحضره إليه ، وبعث به إلى السلطان // الملك الظاهر تحت الحوطة .

ومنها أنه كان بجزيرة صَقَلّية في زمن الأنبرور مقدار خمسة عشر ألف فارساً [٣] من المسلمين مهادناً لهم ، وكانوا في خدمته لهم الإقطاعات ، فلما خرجت عن ملكه بوفاته ، أشار من بها من الفرنج على من ملكها بعده بقتلهم فقتل منهم مُفرّقاً مقدار ثلاثة آلاف فارس . فلما اتّصل بالسلطان الملك الظاهر قتلهم ، وما الفرنج عليه من العزم على قتل [٤] الباقين ، كتب إليهم أَن هؤلاء المسلمين أَقرّهم الملك الذي كان قبلكم على بلادهم وأموالهم ، فامّا أَن تقرّونهم [٥] على ما أقرّه ، وتجرونهم [٥] على ما أجراهم من الهدنة بينهم وبينكم ، وأمّا أَن توصوهم وتُوصلوهم بأموالهم إلى بلاد المسلمين ليبلغوا مأمنهم ، فإن لم يقدروا على التوجّه واختاروا الإقامة ، وجرى على أحدٍ منهم أَذىً قتلتُ من كان تحت يدي من أسارى الفرنج ، ومن كان في بلادي من ٢٢٠ ظ تجارهم ، وقتلتُ ما اشتملت عليه مملكتي من // طوايف النصارى ، فلما تحقّقوا ذلك أجمع رأيهم على الإبقاء عليهم على عادتهم .

ومن هيبته التي سارت أمثالها في الآفاق ، وتحدّثت بعظَمِها ألسنة الرفاق ، أنّ ملوك الهند وغيرهم من الملوك الكبار ، أصحاب الأقاليم والأمصار ، رغبوا في مودّته ، وطلبوا الانتماء إلى خدمَتـه ، مثـل زعماء العَجـم ، وملـوك بني الأصفـر ، كـالفُنش

(١) في الأصل : وجواراً .

(٢) ويقال قراقوم (بالتركية تعني الرمل الأسود ؛ قرا : الأسود ، وقم : الرمل) ، وهي مدينة واقعة في أقصى بلاد الترك الشرقية ، كانت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي قاعدة امبراطورية المغول . (أبو الفدا ، تقويم : ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ؛ القلقشندي ٤ : ٤٨٠ ـ ٤٨١) .

(٣) صوابه : فارس .

(٤) في اليونيني (٣ : ٢٥٥) : قتال .

(٥) الصواب : تقروهم .... وتجروهم .

والأنبرور ، وغيرهم من أكابر ملوكهم ، بحيث أنهم ابتدأوه بالرُسل والرسائل ، وبذلوا الطاعة في مصافاته بتكرار الوسائل .



ـ الباب التاسع ـ

في ذِكر عَزمه وحَزْمه

لم يزل ـ تغمّده الله برحمته ـ إذا قصد أمراً أَو عزم عليه ، وصرف وجه تدبيره إليه ، لم يألُ فيه اجتهاداً ، ولا رأى إلاّ على رأيه اعتماداً ، ولم يجعل غير نفسه // مستشاراً ، ولم يَرضَ فيه صاحباً إلاَّ سيفاً بتّاراً ، ويمضي ما وقع عليه عزمه ورأيه في أسرع ما يمكن من الأوقات ، ويبادر الفرص خوف (الفوات) [1] والبيات ، ولا يدع أمر اليوم لغد ، ولا يلقي بين عينيه همَّه إلاَّ قارنه فيه الرشد .

٢٢١ و

فَلـه العَزايـمُ لا يُبَـلّ جَريحُهـا ... ولغَـيره الإبـراقَ والإرعـادُ

وأخذ نفسه بالاطّلاع على أحوال أمرائه وأعيان دولته حتى لم يخف عليه منها صغير ولا كبير ، ولا جليل ولا حقير ، وكان إذا اجتمع بهم يحدّثهم بما أجنُّوه في ضمايرهم ، واعتقدوا أنه مستودع في خَزاين سرايرهم ، وهكذا حاله في منازل أوليائه [2] ، ومعاطن أعدائه ، حتى لقد استوى في علمه دانيها وقاصيها ، وخافه لذلك طيّع الملوك وعاصيها .

يَقظـان أَوجـده التناهِي في النُهـى ... عُـدِمَ اللّعـابُ بربعـهِ وَالعـابُ

٢٢١ ظ

ومن عزمه أنه ما حرب المسلمين أمرٌ إلاّ كان // المباشر له بنفسه ، سواء جلّ خطره أو قلّ ، وطالما ركب البريد ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة من دمشق إلى مصر ، ومن مصر إلى دمشق ، وكذا من حلب إلى مصر ، وكثيراً ما كانت الأخبار ترد عليه وهو

---

(١) ساقطة من المتن ومستدركة على الهامش .

بالقاهرة بحركةٍ متوهِّمة من العدوّ ، فيأمر العسكر بالخروج وكان زُهاء ثلاثين ألف فارساً [١] ، فلا يَبيت منها فارس في بيته ، وإذا خرج لا يُمكَّن من العَوْد .

عَـزمٌ إذا سَمِـع العـدو بـذكـره أغنَى غَنـاءَ الغَـارةِ الشّعـواءِ

ومنها أنه متى خرج مع عساكره تَقَدّمها ، فيكون هو الطليعة لها ، والكاشف لما خرج بسببه قبلها .

ومنها أن الشواني انكسرت على جزيرة قُبرس [٣] ، وكانت أحد عشر شينيّاً ، فبلغه أن الفرنج شمتت بذلك فأنشأ ثلاثةً وثلاثين شينيّاً ، وباشر عملها بنفسه ، وكان يأخذ بقلوب الصُنّاع ويستنهضهم ، ويقف معهم ويأمر بعمل ما يشتهون من الأطعمة //* حتى فرغت في الأيام القليلة التي لا يمكن أن يُفرغ من واحدٍ منها فيها . ٢٢٢ و

عَـزمٌ متـى يَصِـل العِـدا أخبـاره قبـل العيـان تقطّعَتْ أسبَابُهـا

ومنها أنه أنهي إلى علمه الشريف بأن بحر أشمُوم [٤] قد عَمي [٥] على تطاول السنين ، فخرج إليه بنفسه وعسكره وألزمهم حفره بأنفسهم ، وحفر معهم فيها بنفسه وحمل الطين على قربُوس [٦] سَرجه أسوةً بهم .

ومنها أنه لم يرد عليه بريد في شيءٍ سواء كان مهماً أو غير مهمٍ إلاَّ وأَعاد الجواب فيه من وقته ، ولو أَتاه وهو على طعامه أَو في فراشه .

(١) كذا ، وصوابه : فارس .

(٢) اليونيني (٣ : ٢٥٥) : « يثبت » .

(٣) حدث ذلك سنة ٦٦٩ هـ .

(*) إشارة إلى بدء « الرابع والعشرون من الجزء الثاني » .

(٤) ويعرف ببحر طناح (المخطوط : ٢٥٥ و) .

(٥) راجع اليونيني ٣ : ٢٥٨ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٣ وغيرهم .

(٦) قربوس السرج : هو الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج . (Dozy: supp. II, p. 324)

ومنها أن مملكته كانت من أطراف حلب إلى أطراف النُوبَة ، وأخبارها ترد عليه بُكرةً وعشيًّا .

ومنها ما فعله مع الإسماعيليّة ، فإنه قهرهم وقسرهم واستعبدهم حتى صار يبعثهم لقتل من عاداه ، وناوأه ممن بَعُد أو قَرُب . //

٢٢٢ ظ ومن عزماته التي أحيا بها سُنّةً عجزت الملوك من أيام المعتصم عن إتيانها ، ولم تنهض بها هممهم في كرور عصورها وأزمانها ، وهي البريد الذي ما لجناح الطاير حُضْرُ فَرسه وشَدُّهُ ، ويكاد في سرعته أن يضاهي الطرف في انفتاحه ورَدّه ، وكيف لا يستحق أن يُوصف بهذه الصفة ، ويجري عليه لجلالته عند الملوك نعت المعرفة ، وكان يأخذ من دمشق إلى مصر في ثلاثة أيام ويدخلها في الرابع ، ومن الكرك إلى مصر في ثلاثة أيام ويدخلها في الرابع ، ومن حلب إلى مصر في خمسة أيام ويدخلها في السادس ، ومن البيرة ، وهي قاطع الفرات ، في ستّة أيام ويدخلها في السّابع ، وكذلك من عين تاب ومن بلاد الروم في العاشر ، ومن بلاد سيس في السابع ، هذا ببلاد الشام ، وأما بأعمال مصر ، فكانت من قوص ثلاثة أيام ويصل في الرابع ، ومن إسكندريّة يوم ويصل في

٢٢٣ و الثاني ، // ورتّب للبريدي في غُدوّه ورَواحه على الخزانة وظيفة ، وهي إن كان من دمشق فثلثماية درهم ، وإن كان من حلب فأربعماية درهم ، وجعل لهم الخيل في الطرقات على أيدي العُربان ينتقلون عليها في كل يوم عشر مرّاتٍ ، وللحابسين لها الجامكيات المطلوقة والإقطاعات ، وطالما ركبها في المهمات التي لم يثق بغير نفسه فيها .

عَزايمُ تَمضِي مضاء الظُبا وتُربي على كل نَجْمٍ نَجَمْ
فمنها فوادحُ تُجلي العِدا ومنها مصابح تجلو الظُلَمْ
فأيُّ وَليٍّ بها ما اهتدى وَأيُّ عدوٍ بها ما رُجِمْ

وأكبر الدليل على حزمه وسداد رأيه وعزمه ما اعتمده من تقليد المولى الصّاحب الوزير الزاهد العابد العالم العامل الفاضل الكامل السّالك الناسك ، لسان المحقّقين ،

٢٢٣ ظ وقدوة العارفين بهاء الدين علي بن محمد أمر ممالكه وقضاته وولاته // ورعيته تقليداً مطلقاً ، وأذن له في التصرّف بما يراه من رأيه الأَسَدّ ، ويعتمده من عزمه الأشَدّ ، رُكوناً إلى ديانته ، وسكوناً إلى مناصحته ، وتيّمناً ببركته ، ومن تقليد أَمر عساكره ونيابة سلطنته للأمير الكبير المرحوم بدر الدين بيليك الخزندار ، ـ تغمّده الله برحمته وأَسكنه غُرفَ جَنّتِهِ ـ اعتماداً عليه ، ورُكوناً في ذلك إليه ، لا جرم أن تضاعَفت عساكره وأمواله ، وآلت إلى الصَّلاح بالمذكُورَين أحواله ، وقد ظهر ذلك وبان ، وليس الخبر كالعيان .

ومن حزمه أنه لما رأى ما يصدر عن شرب الخمر من الأمور التي وقع تحريمها بسببها ، جعل التحذير منها لجنده ورعيّته وسيلةً إلى الله في اتّباع أوامره والإيقاع بزواجره ، وإلى ما يحصل به غرضه من كفّ يد التَعدِّي ، وردم زُبى الأَشَر التي لا يـأمن // ٢٢٤ و السكران من الانكفاء فيها والتردِّي ، ومنع أفراس الألسنة من الجولان في مضمار الفضول ، وحراسة الأعراض والأموال التي بصيانتها يطول المرء ويصول ، ولما كان غرضه ذلك لم يبال بما سقط من ضمانها ، فكان في كل يومٍ ألف دِينار ، ورأى أن المتحصّل من الخيرات بقدر ما يقرّب إلى الجنّة يبعد من النار ، ولم يَكْفِهِ ذلك حتى منع الدعوات والاجتماعات في الخلوات ، وجعل العيون له على من يُحذر بَطَرُهُ وَأَشَرُه ، وعلى العين عيناً يصغي إليه بسمعه ويلحظه ببَصره ، فتمكن منهم التخيّل حتى لقد استشعر كل منهم من أمّه وأبيه ، وصاحبته وأخيه ، وجدار منزله الذي يُؤْويه . ولقد بالغ في المنع مما حظر عليهم الاجتماع عليه ، والنظر بعين الرغبة إليه ، حتّى أنه سَمَّرَ وسَمل ، وشنق وغرّق ، وحبس ونفى . //

٢٢٤ ظ ومن حزمه ما صدر عنه من (إعمال) [١] الحيلة على قتل الزين الحافظي ، فإنه حسم مادَّة الإغراء بالإسلام ، وسدّ باب الترغيب لهُولاكو في قصد البلاد بما فتح عليه من باب الإعدام ، ولو زيد له في الإملاء لاستمرّ على عادته في الإشلاء ، لكن الله

(١) ما بين القوسين ساقط من المتن ومستدرك في الهامش .

سلّم بما أراه للسلطان من الحزم في قتله ، والتعجيل به إلى العذاب الذي نُوِّع من أجله .

وهي الثنــاء فرصَــة العــذب الجَنــى لا فرصَــة المتهــوّر المتهكّـــــم

فكم أحيا نفساً ، وجلب أنساً ، وحقن دماً لو [لا] عزايمه كان الكُفر أراقه ، وجمع بعزمه شمل الدين ولولاه طال افتراقه .

مُــؤيّــدُ العَــزم لا تنفَكّ عَزمتـــــهُ تُــدني إليــه من الآمـال مـا بَعُــدا

لــو كــان يَخلــدُ إنسانٌ لهمّتـــــهِ وعَزمــهِ ومَعــالٍ حــازَهـا خلــدا //



ـ الباب العاشر ـ

في مُصابرته للحَرب ومباشَرَته لها

لما علم أَنّ الجهاد من قواعد الإسلام الخمس ، وأن الظفر بالأعداء لا يُنال إلا بشقّ النفس ، وأن الله تعالى فرض الجهاد على عباده ، وأجزل الأجر لمن بذل فيه (غاية) [١] جُهده واجتهاده ، وأحكم سبب الإيمان باتصال سببه ، وجعله أحد أركان الدين الذي لا يتم الإسلام إلاّ به ، ورغَّب فيه كل الترغيب ، وخصّ المرابطين فيه بأوفى نصيب ، وأنزل في وصفه آياتٍ بيّنات وأوضح من مفَصّل تفضِيله جُملاً كافيات ، وَحرّض عليه عباده المخلِصين ، وَوَعَدهم عليه النَصر لقوله تعالى :﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ ﴾. بذل نفسه النفيسة في مواطن القتال ، وسبق الأقران إلى النزال ، وصبرت عارفةً لذلك (نفسٌ) [٢] حُرة ، // وأثبتَ في مُستنقَع الموت رجله مُتيقناً من الله النُصرة ، وصبر على كرِّهم واثقاً بما وعده الله من أنّ له الكرَّة ، لا يُبالي في مأزق الحرب لقي واحداً أو أَلفاً ، ويَقدم من ثباته وإقدامه في صَفَّين إذا كان أعداؤه صَفًّا ، ويكُرّ على الكتيبة لا يُبالي حَتفه فيها أو سواها ، ويُبلّغ نفسه في ملتقى الأقران مُناها .

٢٢٥ ظ

يُبَاشر الحَـربَ دُون الجيـش مُـدَّرِعـاً   درعـاً مـن الصَبر لا درعـاً مـن الزَّرَدِ
في كَفّـهِ صَـارمٌ مـاضٍ كعزمتـه   قـاضٍ بفُـرقةِ رَأسِ الليث وَالجسَدِ

ولو لم يكن من ذلك إلاّ قَصْده مِصر لأخذها من الملك المنصور [٣] ، وفيها فوق

---

(١) و (٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل ومستدرك في الهامش .

(٣) يقصد الملك المنصور علي بن المعز أيبك .

العشرة آلاف فارس بستّماية فارس كانت معه ، فتسلّط عليهم بالفتك والاستجرا ، وأنكى فيهم النكاية التي كادت أن تأتي عليهم قتلاً وأسراً ، لكن لم يكن له في قوس السَّعد مَنزعٌ ، // ولا بَلغ الأَجل الذي وُعد فيه بنيل ما إليه يتطلّع . ٢٢٦ و

ومنها أنه إذا نازل حصناً لم يكن له دأب إلا الرُكوب بنفسه لترتيب العساكـر للزحف ، وتحريضها على لزوم ما يجب عليها يوم الصَّف .

ومنها أن النقّابين إذا كشفوا بالنقب نقاب السُّور ، فأبدى السُفور ، كان هو الوالج فيه والكاشف له من غير خوفٍ ولا نفور .

ومنها أنه كان يقصد المجانيق ووابل الحجارة عليها من الحصون يلف ، فلا يصدّه عن قصده من جرِّ الحبال وتحصيل الحجار في كفّاتها ولا يكفّ [١] . ويكفيه فخراً في دُنياه وذخيرةً له في أخراه ، ما شوهد منه عند ملاقاته التتر ، أيام الملك المظَفّر [قطز] ، على عين جالوت ، وفعله بهم كما فعل بجالوت طالوت ، وإبلائه فيهم بفرّه وكرِّه ، وبطشه وقهره ، وقتله وأسره ، وما رئي عند قَطعه الفُرات // لتصدّيهم خوضاً بأبطاله ، غير مكترثٍ بما قابله النهر به من أهواله ، ولم يعمل في ملاقاتهم خداعاً وختلاً ، بل كفاحاً بالبِيض والسُمر حتّى أبادهم أسراً وقتلاً ، وغدوا كما شاء الظفر ، عندما تمكّن فيهم منه الأَشَر وَالبَطَر . ٢٢٦ ظ

ولحومُهـم للحـايمـات مَطاعـم وَدِمـاؤهـم للمرهفَـات شرابُ
وحُماتُهـم قَتـلى وكـلُّ متاعهـم نَهـبٌ وكـل سلاحِهـم أسلاَبُ

وتلك عزيمة تكتسب السيوف مضاءها ، وتستفيد الرماح الشَواجر حكمها وقضاءها ، وما أبقاه مخلداً في صحايف الأيام من التوجّه إلى بلاد الروم للقائهم ، واستيصال شأفتهم ، حتى لا تهبَّ للمسلمين ريح رُعب من اللقاء بهم ، وهذه الوقعة

(١) راجع : الطرسوسي ، تبصرة أرباب الألباب ... تحقيق Cl Cahen

التي شفت غيظ الإيمان من الكفر ، ومكّنت منهم الفتك فاغتالهم بالنّاب والظُفر ،
٢٢٧ و فَبلَّغَهُ الله نهاية الآمال ، وخصّه بأفضل الأعمال ، لما روى أميَّة أنه سمع عُبادةَ // بن الصّامت يقول : دخل رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رَسُولَ الله أيُّ الأعمال أفضل » قال : « إيمان بالله ، وتصديق برسوله ، وجهاد في سبيله » .

فللّـهِ هـذا السَّعي كم فَـاتَ طالبـــاً   وكم فَـلّ من خَطبٍ وكم فت في عَضُدِ

وقد تقدّمت له المقامات المشهورة والوقائع المذكورة ، قبل أن يلي المُلك خصوصاً نوبة المنصُورة .

وليـس يَصـــحُّ في الأذهـــان شيءٌ   إذا احتـاج النهـار إلى دليـــلِ //



٢٢٧ ظ

ـ الباب الحادي عشر ـ

في ذكر ما فَتَحهُ من البلاد وَالحُصُون

لما علم ـ تغمّده الله برحمته ـ أن عزَّ الملوك بصياصِيها ، وأن نصاب فخرهم لا يكمل إلا بتَملك عاصِيها ، وأنها المنجى لمن أسلمته قبايله ، والملجأ لمن قصّرت عن نُصرَته قبايله ، وأنّ استنقاذ الحُصون من الكفّار مما يزين الدفاتر ، ويكون عند الله من أعظم الذخاير ، وأنّ الإسلام يغار على المعاقل ، غيرة الغيُور على العَقايل ، ويبذل في صيانتها شفار اللهاذم وأطراف المناصل ، إذ هي حرزٌ لما يبذل في الجهاد من النفوس والأموال ، وما يستعان به عند اقتحام الأَهوال واصطدام الأبطال ؛ من البيض القواضب والسمر العوال ، والذخاير التي يطمئن بحصولها قلب المحُصَر ، ويستكين إليها من ظنّ أنه بوجودها يُنصَر . //

٢٢٨ و إذَا أشَّبَ الأعـداء حصنـاً فسيفُـهُ　　يُغاديـه مفتاحـاً ويُمسي لـه قُفـلا

فكم سَهـل أرضٍ عـاد حَـزْنـاً بحزمه　　وكم سهل أرضٍ عـاد من عزمه سَهلا

فالّذي فتحهُ منها عَنْوةً من أَيدي الفرنج : قَيْسَارِية ، أَرسُوف ، صَفَد ، طَبَرِيَّة ، يافا ، الشَّقِيفُ ، أنطاكِية ، بَغْراس ، القُصَيْر ، حِصْن الأكرَاد ، حِصْن عَكّار ، القُرَين [١] ، صافِيتا ، مَرَقِيّة [٢] ، حلبا [٣] . وناصفهم على المَـرْقَب [٤] ،

---

(١) حصن من حصون الأرمن ، وكان لطائفة الاسبتار ، وهو من أمنع الحصون على صمد ، أخذه بيبرس بالأمان سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م . (النويري ٢٨ . ١٠٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٦) .

(٢) مدينة سورية ساحلية كانت تابعة لنيابة طرابلس . (ياقوت ٥ : ١٠٩ ؛ الدمشقي ، نخبة الدهر : ٢٠٨) .

(٣) مدينة من بلاد عكار بالأراضي اللبنانية استولى عليها بيبرس سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦ م . (أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٣) .

(٤) قلعة سورية حصينة على البحر المتوسط ، كانت تابعة لنيابة طرابلس وهي تقع في الإقليم الرابع على خط طول =

وبِلِيْنَاس (١) ، وبلاد أَنْطَرْسُوس (٢) وعلى ساير ما بقي بأيديهم من البلاد والحصُون ، وَوَلّى في نصيبه الولاة والعمال ، واستعاد من صاحب سيس دَرْبَ سَاك ، ودَرْكُوش (٣) ، وتلميس (٤) ، وكفردُبين (٥) ، ورَعْبان (٦) والمرْزبان . //

٢٢٨ ظ **وَالّذِيْ صَارَ إليه من أَيْدِي ٱلْمُسْلِمينَ** : دِمشق ، وبعلبك ، وعَجْلون ، وبُصْرَى (٧) ، وصَرخَد ، والصَّلت ـ وكل هذه البلاد كان قد تَغَلّب عليها (علم) (٨) الـديـن [سنجر] (٩) الحلبي المشد [بعد موت الملك المظفر] (١٠) ونعت نفسه بالملك المجاهد ـ وقد ذكرنا خبره معه في إخراجها عن يده آنفاً (١١) ـ وحمص ، وتدمر ، والرحبَة ، وزلوبيَة (١٢) ، وتل باشر ، وكل هذه منتقلة إليه عن الملك الأشرف مظفر الدين مُوسى ابن الملك المنصُور ناصر الدين إبراهيم ، صاحب حمص ، بوصيّةٍ منه عند وفاته في سنة اثنتين وستين (١٣) ، وصَهيُون ، وبلاطُنس ، وبُرزية ، وكل ذلك منتقلٌ إليه بوصيّةٍ

= ٦٠° وخط عرض ٤٥َ ٣٤° . (القزويني ، آثار البلاد : ١٧٣ ؛ القلقشندي ٤ : ١٤٥ ـ ١٤٦ ؛ Demombynes, op. cit. p. 114; Dussaud, p. 94, 125 et suiv., 145

(١) مدينة سورية ساحلية على نحو فرسخ من المرقب وبينها وبين أنطرطوس (طرطوس) ١٢ ميلاً . (الدمشقي : ٢٠٩ ؛ القلقشندي ٤ : ١٤٦) .

(٢) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٥ ؛ وفي ياقوت (١ : ٢٧٠) والدمشقي ، نخبة الدهر : ٢٠٨ والقلقشندي (٤ : ١٤٨) : « أنطرطوس » وترجمها Dussaud إلى "Antartous" ويقال لها اليوم طرطوس ، وهي مدينة سورية ساحلية واقعة جنوبي اللاذقية .

(٣) حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم . (ياقوت ٢ : ٤٥٢) .

(٤) كذا ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٥) : « بلمش » .

(٥) حصن بنواحي أنطاكية . (المصدر نفسه ٤ : ٤٦٩) .

(٦) مدينة قرب الفرات بين حلب وسميساط ، كانت تعد من العواصم . (ياقوت ٣ : ٥١ ـ ٥٥ ؛ الدمشقي : ٢٠٥) .

(٧) مدينة بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، طولها ٧٠° وعرضها ٣٢° . (ياقوت ١ : ٤٤١ ؛ الدمشقي : ٢٠٠ ؛ ابن شداد ٢/٢ : ٥٥) .

(٨) ساقط من المتن ومستدرك على الهامش .

(٩) و (١٠) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٥٦ .

(١١) يفترض أن يكون المؤرخ قد ذكر هذه الحادثة في القسم الأول (الضائع) من كتابه ، وللاطلاع راجع : ابن عبد الظاهر والنويري واليونيني (حوادث سنة ٦٥٨ هـ) .

(١٢) كذا ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٦) : « زلوبيا » .

(١٣) راجع ما ذكر عن هذه الوصية ص ٢٧٩ واليونيني ٣ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٨٠ .

من صاحبها سيف الدّين محمد لولده سابق الدين سُليمان (١) .

٢٢٩ و وحصون الإسماعيلية : وهي قَلعةُ الكهف // والقدموس ، والمَيْنَقَة ، والعُلَّيقة ، والخوابي ، والرّصافَة ، ومِصيَات (٢) ، والقُلَيْعَة . وانتقل إليه عن الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل الشوبك ، والكرك .

وٱلذي ٱنتقل إليه عن ٱلتَّتر : بلاد حلب الشمالية ، وشَيْزَر ، والبِيْرَة .

وفتح الله على يديه بلاد النُوبَة ؛ وفيها من البلاد مما يلي : أسوان ، [و] جزيرة بِلاق (٣) ؛ وفيها بلادٌ ولهاسية ، وأمسِير ، ودبُودي ، وأَرض ألما ، والقسق (٤) ، ودَمهيت ، وهنداو ، ودَرْمين ، وأنهُوبة ، وإقليم التربك ، ويُعرَف بالسَّبع قُرى ، ويلي هذه البلاد بلاد العُلَى (٥) ؛ وفيها أرمنة ، وطمد ، والدَو ، وإبْريم ، ودَندال ، ٢٢٩ ظ وبُوخراص ، وسَرًّا ، وجزيرة ميكاييل (٦) ؛ // وفيها بلاد وجزاير الجنادِل ، وآنكوا ، وهي في جزيرةٍ ، وإقليم نُكَّر (٧) ، ودنقلة ، وإقليم أشُّو ، وهو جزاير عامرة بالمدن ، ولما فتحها أنعم بها على ابن عمّ المأخوذة منه ، ثم ناصفه عليها ووظَّف على النصف الآخر أعبداً وجواري (٨) وهُجناً وبقراً ، وعن كل بالغٍ ديناراً يُحمل ذلك إليه في كلّ سنةٍ ،

(١) وقد سبق ذكر هذه الحادثة في حوادث سنة ٦٧١ هـ .

(٢) ويقال : « مصياف » .

(٣) عرّفها المقريزي (الخطط ١ : ١٩٩) بأنها « أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل (شلال أسوان) محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر وجامع وإليها تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من أسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي أول بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين أسوان أربعة أميال ... » . وهذه الجزيرة تسمى اليوم جزيرة قصر أنس الوجود أو جزيرة القصر أو جزيرة البربا أو جزيرة المعبد (فيها آثار المعبد الكبير الذي أنشأه بطليموس الثاني فيلادلف) .

(٤) كذا وردت في الأصل .

(٥) ويقال أيضاً بلاد علوة ، وهي تقع شرقي النيل وشماليه وبينها وبين دنقلة ١٧٠ ميلاً . (المسعودي ٢ : ١٧ ؛ ابن سعيد : ٢٩ ؛ المقريزي ، المصدر السابق : ١٩١) .

(٦) تعرف اليوم باسم جزيرة « جانا الساب » وهي واقعة في النيل على رأس شلال وادي حلفا مقابل خور موسى باشا .

(٧) كذا ، وفي اليونيني (٣ : ٢٥٦) « مكس » .

(٨) في الأصل : وجواراً .

وفُتحه لهذه البلاد لم يَجُلْ في أمل أحدٍ من الملوك ، ولا توهّم أن سنابك خيله تظفر في توجّهها إليهم بالطريق المسلوك [١] . //

(١) راجع وقائع استيلاء الملك الظاهر على بلاد النوبة ما بين الصفحات ١٢٩ ـ ١٣١ من هذا الكتاب .

ـ الباب الثاني عشر ـ

في ذكر ما كان في يده من الممالك

لما علم الله إخلاص نيتّه في طاعته ، وبَذْله في إعلاء كلمة الإسلام جهد استطاعته ، جمع له من الممالك ما كان مُتفرّقاً في أيدي الملوك الأكابر ، ومكَّن له في أرضه ما لم يُمكّن للأكاسرة والقياصرة ، وتُوجّت منابرها باسمه الشريف ، وأضحى محلُّها بوسمه المحلّ المنيف ، وأزهرَ رَوضها بعد الذُبول ، ونُوّه قدرها وقد كان استولى عليه الخمول ، وأَصبحت بملكه لها باسمة الثّغور ، تُنجد فيها المسرات وتغور ، وعمرتْ بعدله البلاد بعد خرابها ، وجذلتْ به نفوس سكّانها وقد آذن اكتئابها ، وأَمِنت بمهابته سُبلها ، واستوى في كلاءته حَزنها وسَهلها ، كانت حدود مملكته // من أقصى بلاد النُوبة إلى قاطع الفرات ، وتشتمل هذه المملكة على ولاياتٍ .

٢٣٠ ظ

قد ذكرنا أمر بلاد النُوبة ، والذي يليها من ولايات الدِّيار المصريّة ، وهي قسمان ؛ قسم يختصّ بمصر ويسمّى الوجه القبلي ، وقسمٌ يختصّ بالقاهرة ويسمّى الوجه البحري ؛ فالذي يختصّ بمصر من الولايات القبْلِيّة : ولاية قُوص ، وتُوصل حدودها بساحل البحر الملح اليمني ، وعلى هذا الساحل مدينة تسمّى عَيذاب ، وولاية إخمِيم ، وولاية أسيُوط ، وولاية الأشمونَين ، وولاية مَنْفَلُوط ، وولاية البهنَسا ، ولاية واحات ، ولاية الفيّوم ، ولاية الجيزة ، والذي يختصّ بالقاهرة من الولايات : ولاية قليُوب ، ولاية بلبيس ، ولاية أشمُوم ، ولاية دمياط ، ولاية المَحلة ، وتسمّى الغربيّة ، ولاية المنوفية ، ولاية أبيار ، ولاية البُحيرة ، ولاية // الإسكندريّة ، ولاية فُوّه ، وتسمّى المزاحمتين ، وفي كلِّ ولايةٍ من هذه الولايات قاضي قضاةٍ ، وعامل حربٍ ، وعامل خراج .

٢٣١ و

وكان في يده من ولايات الشام السَّاحليّة : ولاية غزّة ، ولاية الرّملة ، ولاية لُدّ ، ولاية قاقم . ومن الولايات الجَبليّة وتسمّى الرِجليَّات : ولاية الخليل ـ عليه السلام ـ ،

ولاية القدس الشريف ، ولاية بيت جبريل ، ولاية الأطرون ، ولاية نابلس ، ولاية جنين . ومن ولايات الأغوار : ولاية الغَور الأمجدي ، ولاية الغَور التَّقوي ، ولاية بيسان ، ولاية قُصير بن معين الدين .

ومن الولايات الدمشقيّة : ولاية قصَبة دمشق ، ولاية الغُوطة ، ولاية داريا ، ولاية الزّبَداني ، ولاية الجولان ، ولاية نوى ، ولاية الصَّنمين ، ولاية السواد ، ولاية زُغَر وحوران ، ولاية البَلقا // ولاية الصَّلت ، ولاية صَرخد وبُصرَى ، ولاية عَجلون ٢٣١ ظ والبَاعُوثة ، ولاية بَعلبك ، ولاية البقاع العَزيزي ، ولاية البقَاع البعلبكي ، ولاية صَيدا ، ولاية بَيروت ، ولاية شقيف تيرُون ، ولاية صَفد ، ولاية بانياس ، ولاية الشعرا ، ولاية طبرَيّة .

وما كان في يده ـ تغمده الله برحمته ـ من ولايات حمص : ولاية قصَبة حمص ، ولاية حصن الأَكراد ، وفيها قلاع الإسماعيلية ؛ ولكلّ قلعةٍ ولاية ، ولاية تدمُر ، ولاية الرحبة ، ولاية زلوبية ، ولاية بُرْزية ، ولاية بُوقبيس ، ولاية جَبلة ، ولاية أنطاكية ، ولاية بَغراس ، ولاية القصير ،

وما كان في يده ـ تغمده الله برحمته ـ من ولايات حلب : ولاية قَصَبة حلب ، ولاية كفرطاب ، ولاية الخاصّ ، ولاية الفُوعَة ، ولاية سَرمين ، ولاية جبل السماق ، // * ولاية الأرواج ، ولاية البَارَة ، ولاية قِنّسرين ، ولاية معرّة مِصرِين ، ولاية جبل لَيلون ، ٢٣٢ و ولاية تيزين ، ولاية الجُومة ، ولاية حارم ، ولاية الشُغر ، ولاية بكاس ، ولاية دَرْكوش ، ولاية بليناس ، ولاية أفاميَة ، ولاية عزّاز ، ولاية بُرج الرَّصاص ، ولاية بلد الحوّار ، ولاية الراوندان ، ولاية قُورْص ، ولاية عَين تاب ، ولاية تلّ باشَر ، ولاية نهر الجَوز ، ولاية رَعبان ، ولاية المَرزبان ، ولاية منبج ، ولاية الباب ، ولاية بُزاعا ، ولاية المَظْخ ، ولاية الحصّن والسُّهول ، ولاية الجبّول ، ولاية البيرة قاطع الفُرات .

وكان في يده من القلاع : قَلعَة العَميدَين في أرض بَرقة ، قلعة الجزيرة تجاه مصر ،

(*) إشارة إلى بدء « الخامس والعشرون من الجزء الثاني » .

قلعة الجَبل وهي مركز المُلك ومَقرّه ، وبحلول مدبّره فيه يشتدّ أزْره ، وهي بين مصر
٢٣٢ ظ والقاهرة على طرف جبل المقَطّم ؛ قلعة السُّويس // وساير قلاع الشام من غَزّة إلى
شاطئ الفرات وهي : قلعة قاقُم ، قلعة الكَرك ، قلعة الشَوبَك ، قلعة الصَلت ، قلعة
عَجلُون ، قلعة بُصرَى ، قلعة صَرخد ، قلعة صَفد ، قلعة بانياس ، وتسمّى الصُبيبَة ،
قلعة شقيف أرنون ، قلعة شقيف تَيرُون ، قلعة بعلبك ، قلعة زُلُوبيا ، قلعة دمشق ،
قلعة حمصَ ، قلعة تدمُر ، قلعة الرحبَة ، قلعة شُميميس [1] ؛ حصون الإسماعيلية
وعدّتها ثمانية ، مضى ذكرها ، قلعة شيزَر ، قلعة بُوقبيس ، قلعة بُرزويه ، قلعة
صهيُون ، قلعة بلاطِنس ، قلعة الشغر ، قلعة بَكاس ، قلعة دَرْكوش ، قلعة تلميس ،
قلعة كفردُبّين ، قلعة القصير ، قلعة درْب ساك ، قلعة بَغراس ، قلعة الراوندان ، قلعة
عين تَاب ، قلعة البيرة ، فكأنّه المعنيُّ بقول أبي الطّيب : //

٢٣٣ و يُدبّر الملكَ من مصرٍ إلى عدنٍ إلى العِراق فأرض الروم فالنُّوبِ

(١) كذا في ابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٤) ؛ وفي ابن واصل (٤ : ٢٨٢) واليونيني (٣ : ٢٦١) : « شميمش » وهي احدى بلاد كورة حمص .



ـ الباب الثالث عشر ـ

في ذِكر من وفد عليه

لما تفرَّد من المكَارِم بأبكَارِها ، واستحقّ ملكها حين لم يَظفر غيره بمُستَعارها ، ودعا إلى بابه أصناف الكرم ، وأضحى إحسانه للقاصدين كنارٍ على علم ، وتفرقت في الأقطار دعاتها واستوت في الاعتراف رعايا الأمم ورعاتها ، أُنضيتْ إليه ركايب الآمال ، وضربت إلى بابه آباط الآبال ، وخيض للوفود عليه ما من دونه بَركُ الغِماد ، وطُرقتْ رغبةً في رفده النَجاد والوهاد ، فقصدته الملوك من الآفاق ، وتحلّوا من برِّه بما

٢٣٣ ظ يرزي بالأطواق في الأعناق ، وآمنوا بجواره من طوارق الحدثان ، واستعاذوا // بحماه من نوابق الزمان ، واستظلّوا من هَجير المخاوف ، بظل أمنه الوارف .

مَلِكٌ إن أتى الوفُودُ إليه ... صَدّهُم عُرفُهُ عن الارتحالِ

حَيثُ لم يَفصِموا عُرى الظنّ باليأ ... سِ ولم يُوصَموا بذُلِّ السؤالِ

وَفَدَ عليه ـ تغمّده ٱلله برحمته ـ من المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسَّلام ـ :
الأمير جمال الدين قاسم بن الأمير عزّ الدين جمّاز ، صاحب المدينة ، والأمير جمال الدين محمد بن شيحَة أخو جمّاز ، والأمير بدر الدين مالك بن منيف بن شيحَة وولداه هاشم وأبو منصُور ، والأمير قاسم بن منيف وأَخوه سلطان ، والقاضي شمس الدين سنان بن عبد الوهّاب المعروف بابن نُميلة ، وكان خطيب المدينة وقاضيها ووزيرها ، فحبسهم ثم أطلقهم وأحسن إليهم وأنعم عليهم ، والأمير ناصر الدين مقبل وأخوه أبو

٢٣٤ و شَقرا . ومن ينبع : الأمير سالم بن // إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس ، وعمه الأمير محمد بن حسن ، وشُكر بن صَرْحة بن إدريس بن قتادة بن إدريس ، وتاج الدين حسَّان بن قاسم بن قتادة ، صاحب خُليص ، والأَمير محمد بن إدريس بن

قتادة بن إدريس وأخوه علي . ووفد عليه رُسل أمراءِ العُربان بالحجاز يطلبون الدخول في الطاعة والانقياد ، فأجيبوا إلى ما التمسوه ؛ وهم رسول مالك بن بدر الزُبَيدي ، ورسول غانم بن سند الزبيدي ، ورسول شبل بن عَرادة البلدي ، فأقطعهم بديار مصر الإقطاعات السنية وبالشام .

ووفد عليه من ٱلعراق : الخليفة الإمام المستَنصر بالله [١] أبو القاسم أحمد ابن الإمام الطاهر أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين // أبو [٢] العبّاس أحمد ، ٢٣٤ ظ ووصل معه عشرة أمراء من بني خفاجة معهم ثلاثون نفر [٣] ، من جملتهم الأمير ناصر الدين مُهنّا بن شَهْري ، والأمير وشاح بن شهري ، والأمير محمد بن قبيان العُبادي .

ووفد عليه : الإمام الحاكم بأمر الله [٤] أبو العبّاس أحمد بن الأمير أبي علي القُبيّ بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله ، وولده المستمسك بالله ، وجماعة من عَرَب العراق ، ولما بايعه وهب له جارية اسمها خاتون ، فاستولدها أولاداً ثلاثة نُعت الأكبر بالمستجير بالله ، واسمه محمد ، ونُعت الأوسط بالمستنجد بالله ، واسمه زكريّا ، واسم الأَصغر أبو بكر . ووفد عليه الأمير شرف الدين خُضر بن بدران العِبادي ، مُقطع دُجَيْل [٥] . ووفد عليه من البغداديّين الأمير شمس الدين // سَلار المُستنصري ، شحنة الحِلّة [٦] ، ومعه ما يُناهز ثلثماية فارساً [٧] من مماليك ٢٣٥ و الخليفة وغيرهم ، فأمّره على خمسين فارساً [٨] ، واستخدم ماية ممن وصل معه وفرّق الباقي على الأمراء . ثم وفد عليه أولاد طلحة وهم ..... [٩] . ثم وفد عليه أولاد الأمير

---

(١) كان أول خليفة عباسي بمصر وقد بويع سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م .Zambaur: Manuel ..., p. 5

(٢) صوابه : أبي .

(٣) صوابه . نفراً

(٤) كان ثاني خليفة عباسي بمصر ، بويع سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م .Zambaur, op. cit., p. 5

(٥) دجيل : تصغير دجلة . وهو نهر بأعلى بغداد مخرجه من دجلة . مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد . عليه مدن وقرى . وهو غير دجيل الأهواز . (ابن خلكان ٣ : ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ؛ الحميري : ٢٣٤) .

(٦) مدينة كبيرة بالعراق واقعة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي وتمتد بطوله . (الحميري : ١٩٧) .

(٧) و (٨) كذا ؛ والصواب : فارس .

(٩) بياض في الأصل بمعدل أربعة أسطر .

بهاء الدين يعقوب بن دَدا الإيوائي وأخوه مظفر الدين قُطلُوبك وأولادهما ومعهم جماعة من عسكر الخليفة المستنصر فأقطعهم . ثم وفد عليه جماعة مُفرّقون من أولاد الأمراء الخليفتيّة فأقطعهم واستخدمهم . ثم وفد عليه الأمير جلال الدين // ابن الملك مجاهد الدين أيبك الدَوادار الصَّغير ومعه من مماليك الخليفة ومماليك أبيه ما يُناهز ماية وخمسين فارساً ، فأمّره وأقطعه ، واستخدم من وصل معه ، وكان معه أيضاً الطواشي مختار المستَنصري المعروف بابن الشرابي ، وكان نايباً عنه ، ومعه الطواشي جمال الدين مؤنس الزمام لالاة الأمير مُبارك بن المستعصم ، والأمير تاج الدين قرا رسلان المستنصري ، فأقطعه وقدّمه . وجُملة من وفد عليه من أجناد العراق تزيد عن ثلاثة آلاف فارس ، كل منهم ارتزق نيابة جماعة بالحَلَقة ، وجماعة مع الأمراء ، ومنهم من أُمِّر خارجاً عما كان وفد في الأيام النَّاصريّة قبله والمظفّرية إلى الشام من العراق .

٢٣٥ ظ

وممّن وفد عليه من ألعراق // من أرباب الأقلام : كمال الدين منصُور بن أحمد الدُوري ، وكان وكيلاً لأولاد المستعصم ، ووفد عليه شمس الدين محمد بن سريجا ... [١] . ووفد عليه زين الدّين صالح بن أبي الرشِيد الإمامي الحاكمي الأسَدي المعروف بالباي ، ووفد معه كمال الدين عبد الرحيم بن قاضي فَرْنَث وأخواه عز الدين حسين وشهاب الدين أحمد وصحبتهم جماعة . ووفد عليه جلال الدين نَصر بن قاضي عانة [٢] ناظر الأوقاف بالعراق . //

٢٣٦ و

ووفد عليه من ألمُوْصِل : الملك الصَّالح إسماعيل بن الملك الرحيم أبي الفضايل بدر الدين لولو صاحب الموصل [٣] (وولده علاء الملك) [٤] ، وأخوه الملك المجاهد

٢٣٦ ظ

---

(١) فراغ في الأصل بمعدل أربعة أسطر .

(٢) بلدة عراقية من بلاد الجزيرة في وسط الفرات بين هيت والرقة . (القزويني ، آثار : ٢٨٠ ؛ أبو الفدا ، تقويم : ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ؛ القلقشندي ٤ : ٣٢٣)

(٣) ولي الموصل وسنجار إثر وفاة أبيه سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م . ويشير ابن شداد إلى أن الملك الصالح هذا قد وصل إلى القاهرة في ١٢ رجب سنة ٦٥٩ هـ هرباً من التتار فاستقبله بيبرس بالترحيب والإكرام (ابن شداد ١/٣ . ٢٠٦ و ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من المتن ومثبت في الهامش .

سيف الدين إسحاق بن الملك الرحيم [١] وولداه حُسام الدين بركة خان وجلال الدين محمّد ، والملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك الرحيم ، وما كان لهم من الحَشم والخَدم والحريم ، فاهتم بهم وأكرمهم ، وأمر لهم بوظايف الملك التي تليق بهم .
ووفد عليه الأمير مجاهد الدين قايماز البَدري [٢] ، وكان من أكابر أمراء دولتهم ، والأمير جمال الدين آقوش الغُرزي ، فابتاعه من مواليه وأمّره ، والأمير عز الدين أيبك الرُمح دار الموصلي [٣] ، فابتاعه من مواليه وأمّره ، وولاه حمص وحصن الأكراد .

٢٣٧ و ووفد عليه الأمير سيف الدين مَنكلان // بن علي الهكّاري ، صاحب جل مرد وماصاقبها من القلاع وتاخمها من البقاع ، ومن جُملة ما كان بيده من القلاع قلعة كُونس ، ومعه ولده الأمير أسد الدين موسى الأقطع ، وسُمّي بالأقطع لأن يده قطعت في حربٍ كانت بينه وبين بدر الدين لولو وبين الملك المعظم [ابن الملك الصالح ، صاحب حصن كيفا] [٤] ، مقدم عسكر حلب على نصيبين ، سنة سبع وأربعين وستماية [٥] . ووفد معهما من أولاد الأمراء الأكراد ؛ الأمير تاج الدين علي بن منكلان ، وابن عمّه فخر الدين علي ، صاحب منازجرد ، ومعه ثلثماية فارساً [٦] ، فأقبل عليه السلطان ، وأرغد له في العطيّة ، ثم خيّره بين أن يُقيم عنده وبين أن يقطعه إربل ، فاختار إربل ، فأقطعه إربل ، وخلع عليه وأعطاه سنجقاً ، وتوجّه إليها واستصحب معه ، ممن كان قد وفد على الملك المظفّر حين الجلاء الأمير علم الدين أبا علي الزَرْزاري [٧] والأمير

٢٣٧ ظ جمال الدين حشيش والأمير .... [٨] بن ماهي ، // فلما تاخم البلاد وجاس خلالها

---

(١) ولي الجزيرة وبلادها . (ابن شداد ٣/١ : ٢٠٦) .
(٢) للاطلاع على لمع من أخباره راجع المصدر نفسه : ١٧٧ ـ ١٨١ .
(٣) راجع ص ٢٤١ ، حاشية رقم ٢ .
(٤) ما بين الحاصرتين من ابن شداد ٣/١ : ١٣٧ .
(٥) عن هذه الوقعة وأسبابها ، انظر المصدر نفسه : ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٦) كذا ، وصوابه : فارس .
(٧) نسبة إلى الزرزارية وهي قبيلة كردية كانت ترابط في سنجار ، تواطأ أمراؤها مع الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب وساعدوه في تسلمها . (المصدر السابق : ١٧٩ ـ ١٨٠) .
(٨) بياض في الأصل .

بخيله ، أغار عليها ، وقتل ممّن كان بها من التتر خلقاً وسبى حريمهم ، ثم قُتل في حربٍ كانت بينه وبينهم ، وسلّم ولده وملك بعده ما كان في يد أبيه من القلاع ، وأوقع الهدنة بينه وبين التّتر بعد حروب كانت بينهما لم تظفر منه التتر فيها بطايل على أن لا يقصدوه ولا يقصدهم . ووفد عليه الأمير تاج الدين شروان بن حَمدان الكَلالي ، أخو الملك شرف الدين صاحب إربل [١] وبلادها وأُشْنَة [٢] ، والأمير رُكن الدين ابن أخت تاج الدين شَروان ، وكان معهما سبعون فارساً ، فأَمَّر تاج الدين وأقطعه بالشام ، ورتّب ابن أخيه في الحلقة ، وجعله مقدماً على سبعين فارساً . ووفد عليه الأمير ... [٣] كورة فأمَّره وأَقطعه . ووفد عليه الأمير نور الدين بُزغك ابن الأمير // عز الدين مُوسى الكَيْكاني ، وكان عند التتر مُقطعاً على أن يُخفر الطرقات من مَراغة إلى إربل ، ففارقهم وقصد أبواب السلطان ، فأقطعه ورتّبه في الحلقة مُقدماً على سبعين فارساً ، ووفد معه أخوه وخاله وما يناهز خمسين فارساً ، بعد أن نهب بلاد إربل ، وأوقع بالتتر غارات . ووفد عليه الشيخ الصالح الزاهد العابد عيسى بن الشيخ حسن بن الشيخ عَدي ومعه أولاده وحريمه ، فأُقطع ، وأَقطع أولاده إقطاعات متوفّرة . ووفد عليه الأمير مجد الدين موسى بن مندُو الهذباني ، ويُعرف بيته بأولاد قاضي المُروج ، وكان مُقدم القَراول ؛ وهم الذين يُخفّرون الطُرقات للتتر ، ومعه أولاده وحريمه وما يناهز خمسين فارساً ، فرتّبهم في أجناد الحلقة المنصُورة وأقطعهم إقطاعات تليق بهم . //

٢٣٨ و

وممَّن وفد عليه من أُمراء ٱلعرب : وفد عليه ــ تغمده الله برحمته ــ أول مملكته الأميرُ شرف الدين عيسى بن مهنّا بن مانع بن حُذيفَة من آل فَضل ، فأَحسن إليه وأَقبل عليه ، وأَمّره على نقرة حلب إلى حمص ، وأَقطعه سرمين ونصف سَلميّة ، وقدّمه على

٢٣٨ ظ

(١) مدينة بين الزابين لها قلعة حصينة (القزويني ، آثار : ١٩٢ ــ ١٩٣ ؛ ابن سعيد : ٩١) . وهي اليوم من مدن شمالي العراق ، واقعة في الجنوب الشرقي من الموصل .

(٢) بلدة في طرف أذربيجان من جهة إربل ، بينها وبين أرمية يومان وبين إربل خمسة أيام ، وهي بين إربل وأرمية . (ياقوت ١ : ٢٠١ ــ ٢٠٢) .

(٣) بياض في الأصل .

أمراء آل فضل ، وأَقطع أَولاده مهنّا وفَضل وهبة ومحمد وحُذيفة . ووفد عليه عثمان ابن مانع فأقطعه . ووفد عليه الأمير نور الدين زامِل بن الأمير سيف الدين علي بن حُذيفة ، فأَحسن إليه وأَقطعه إقطاعاً . فلما باين الأمير شمس الدين آقوش بَرلي السلطان الملك الظاهر ، انضمّ إليه ، ثم لما قصد شمس الدين بَرلي السلطان الملك الظاهر ، فارقه ٢٣٩ و زَامل وقصد التتر ، فلم يزل السلطان يعمل الحيلة عليه إلى أن قدم عليه // فحبسه ، ولم يزل في حبسه إلى أن مات فيه . ووفد عليه إخوته أولاد الأمير سيف الدين علي بن حُذَيفة ، وهم : أبو بكر ، وعامر ، وبُرَيد ، وعمر ، وأولادهم . ووفد عليه أولاد نابت بن مانع ، وهم : إبراهيم ، ويحيى ، ومحمّد وسيف . ووفد عليه أولاد ظاهر ابن غنّام بن محمد بن عامر بن فضل ، وهم : ربيعة ، ودَرّاج ، وعامر ، وسعيد ، وحُميد . ووفد عليه أولاد هبة بن مانع بن حُذيفة ، وهم : مانع ، وحُذيفة ، وفضل . ووفد عليه ولدا جَرّاح بن مانع بن حُذيفة ، وهما : أبو جَرّاح ، وسعيد . ووفد عليه أولاد محمد بن مانع بن حُذيفة ، وهُم : زَمَّال ، وعُميرة ، وفضَايل ، ومن هؤلاء من ٢٣٩ ظ خَوّله ومَوّله ، وأَقطعه ، ومنهم من لم يلتفت إليه ، ومنهم من حبسه . // ووفد عليه عمرو ابن مَخلول وحامِد ، وكان السلطان قد غضب عليهما ، وحبسهما بقلعة عَجلون ، فنقباها وهربا إلى التّتر ، وقد تقدم ذكر هربهما وعودهما [١] .

ومِمَّن وفد إليه من آل مِرَى : وفد عليه الأمير أحمد بن حجّي بن بُرَيد [٢] [شهاب الدين] [٣] ، وأخواه ، وولداه سُليمان وعسَّاف .

ووفد عليه من عرب الكَرك : الأمير شجاع الدين عَربيد بن مَعالي ، والأمير عَون ابن رزان ، وناصر الدين عذير بن نُمي ، وشرف الدين راشد بن نحير ، وهؤلاء أَعيان ٢٤٠ و مشايخ عرب البلقا ، فاستخدمهم وأَقطعهم من بلاد البلقا // خارجاً عما كان بأيديهم في الأيام السالفة والدّرك المتقدمة . ووفد عليه سابق الدين عقبة ، وناصر الدّين غنّام بن

---

(١) راجع حادثة هرب ابن مخلول من قلعة عجلون ص ٦١ .

(٢) توفي سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م (اليونيني ٤ : ١٨٣) .

(٣) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه .

جَوْذر ، وهما أمراء [١] بني عُقبة . ووفد عليه ، لما فتح الشوبَك ، جمال الدين سكل بن نجاد أمير بني عُقبة الدين بالبلقا ، وأخوه وُهَيبة بن نجاد ، وغيرهما من المشايخ فأقطعهم .

ومن عرب زبيد : الأمير ناصر الدين نَوفل أمير آل زبيد ، والأمير زَين الدين هارون ، ولما توفيا وفد ولداهما على باب السلطان الملك الظاهر ، وهما الأمير ضوّ بن نوفل ، والأمير موسى بن هارون ، فأقرهما على إمْرة أبويهما وأحسن إليهما . //

٢٤٠ ظ **ووفد عليه من التُّركمان** في مدة ملكه ما ينيف على أربعين ألف بيت ، فأكرمهم وأنزلهم من غزَّة إلى أنطاكية إلى تخوم سيس بالسَّاحل ، وأقطعهم البلاد التي فتح أكثرها ، واستخلصها من أيدي الفرنج ، وأمّر منهم جماعةً كثيرةً ، وأقطع جماعةً كثيرة الإقطاعات الجزيلة . //

٢٤١ و **ذِكرُ مَن هاجر إليه من المسلمين الأجناد الذين كانوا لحقوا بالتّتر** : الأمير سيف الدين بكتمر السَّاقي العزيزي ، فأمَّره ، وأقطَعه ، والأمير سيف الدين جَرْمَك الناصري ، فأمّره ، وأقطعه ، والأمير ناصر الدين محمد بن الأمير صارم الدين أزبك العزيزي ، فأقطعه ، والأمير ناصر الدين محمد بن الأمير فارس الدين البكي العَزيزي ، فأقطعه ، والأمير علم الدين سنجر سلطان البَحري ، فأقطعه ، والأمير شمس الدين محمود بن الأمير علاء الدين طاي بُغا ، والأمير عز الدين أيبك المشُرفي ، والأمير رُكن الدين بيبرس ، ومجاهد الدين أمير آخور [٢] ، والأمير علم الدين سنجر الجالق العَزيزي ، والأمير شمس الدين الدُكز الشمسي ، فأقطعه وقدّمه في الحلقة على خمسين فارساً ، ٢٤١ ظ والأمير علاء الدين كتشغدي التاجي ، فأقطعه وقدّمه // على خمسين فارساً في الحلقة المنصورة ، وعز الدين أيبك الحُسَيني القُليجي ، فأقطعه في الحلقة المنصورة ، والأمير عماد الدين بن الأمير علاء الدّين طاي بُغا ، والي حلب . ووفد عليه من الناصِرية

---

(١) كذا ، والصواب : أميراً .

(٢) وظيفته الإشراف على إصطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإصطبلات ، ويكون عادة مقدم ألف . (القلقشندي ٤ : ١٨ ـ ١٩ و ٥ : ٤٦١)

جماعة كثيرة لم أرَ إثبات أسمائهم لكثرتهم ، فأَقطعهم ، وأمَّر منهم . ووفد عليه شرف الدين مُختص الخادم لالاة أحد أولاد الملك الناصر ، من التَّتر ، فأَقطعه ، وبدر الدين محمد بن أبي العزّ ، محتسب حَرّان ، فأَقطعه وقدّمه في الحلقة ، وتقي الدين وعلاء الدين إبنا أخت الزين الحافظي ، فأَقطعهما ، والأمير فخر الدين ميلاد الهَشتكي فأَقطعه . // *

٢٤٢ و **ووفد عليه من أَولاد الملوك** : علاء الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يُوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين يُوسف بن أيوب ، صاحب الشام ، فأكرمه ورتَّب له راتباً جزيلاً ، ثم أَقطعه إقطاعاً . ووفد عليه نور الدين أحمد بن الملك الظاهر أخي الملك الناصر المذكور ، فأكرمه أيضاً ، ورتب له راتباً ، وأقطعه إقطاعاً . //

٢٤٢ ظ **ذِكرُ مَنْ وفد عليه من بلاد الرُّوم** [١] : وفد عليه الأمير افتخار الدين ياقوت الخادم ، فأقبل عليه ، وأَحسن إليه ، وأَقطعه خَمسة عشر فارساً . ووفد عليه شمس الدين بَهادُر ، مُقطع سُميساط ، من جهة التَّتر ، وصل في سنة اثنتين وسبعين ، فأَقطعه وأَمّره . ووفد عليه الأمير حُسام الدين بيجار ، صاحب خرت بَرت ، ومُقطع ديار بكر وولده بَهادُر ، وولداه معين الدين ومُظفّر الدين ، فأمَّر حسام الدين وولده بَهادُر ، واستخلص ولدي بَهادُر لنفسه ومعهم [٢] نحو ثلثماية فارساً [٢] . ووفد عليه سيف الدين جَندَر ، وولده بدر الدين قُوش ، مُقطعا البلستَين ، ومُبارز الدين جوامَرك [٣] الجاش

٢٤٣ و نكير ، ومعين الدين ميكاييل ، ومعهم // نحو من مايتي فارس ، وناصر الدين سُنبل ، صاحب زَمَندُوا . ووفد عليه الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير ، وسِنان الدين ابن الأمير سيف الدين طُرُنطاي البكلربكي .

(*) إشارة إلى بدء « السادس والعشرون من الجزء الثاني » .

(١) راجع ما ورد في الصفحة ١٥٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) كذا ؛ والصواب : « ومعهما ... فارس » .

(٣) يلفظ « شوامرك » .

والذين حضروا تحت الوعود السلطانية ، ولم يقضِ الله بوفائها بسبب موت السلطان ـ رحمه الله ـ : الأمير سيف الدين جالش النايب بالروم ، والأمير نظام الدين أوحد ولد الأمير مظفّر الدين بن جحاف ، وولد الأمير شرف الدين أوحد بن الخَطِير وإخوته ، وأولاد الأمير الشهيد ضياء الدين [ابن الخطير] ، والأمير سيف الدين بلبان المعروف بكجكنا بن الخطير ، والأمير نُور الدّين أحمد المنجنيقي ، وأولاد رشيد الدين أَمير عارض ، وهم خمسة نفر ، والأمير علي صاحب كَرْكَر [1] // وحسام الدين قاضي قضاة ملطية بن قاضي العسكر .

٢٤٣ ظ

والذين أُخذوا أسرى من الوقعة [2] ومن قيسارية ، وَمنَّ عليهم السلطان وأَطلقهم ، خلا مهذب الدين علي بن معين الدين البرواناة المنعوت بالبكلربكي ومعناه أمير الأمراء ، وكان الذي أُسر منهم : ابن خواجا يُونس ، وهو ابن بنت معين الدين البرواناة ، والأمير نور الدين جبريل بن جاجا ، والأمير قطبُ الدين محمود أخو الأتابك ، ومجد الدين محمد بن الحسين ختَن البرواناة ، والأمير سراج الدين إسماعيل بن جاجا ، والأمير سيف الدين سنقرجاه ، والأمير نُصرَة الدين بهمن صاحب سيواس ، والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش ، والأمير حُسام الدين كناوُك ، والأمير سيف الدين جالش بن علي بن خُرَّم بن الجاويش ، والأمير شهاب الدين غازي بن علي شِيْر // التركماني ، وهؤلاء أطلقهم السلطان ، ولم تطل مدّته إلى أن يقضي لهم ما في نفسه من نيّته الجميلة فيهم ، ولما توفي أَقطعهم ولده السلطان الملك السعيد ـ عزّ نصره ـ .

٢٤٤ و

ذِكرُ من وفد عليه من ٱلتَّتر منذ وُلي إلى أَن توفي : الذين يشملهم العَدَد من ذلك زُهاء ثلاثة آلاف فارس ؛ فمنهم من رتَّبه في الخاصّكيّة ، وهم الخاصّة به ، ومنهم من رتَّبه في السلاح داريّة ، ومنهم من رتَّبه في الجمدارية ، ومنهم من رتَّبه في السُّقاة ، ومنهم من أَمَّره بطَبل خاناه ، ومنهم من أَمَّره وأضاف إليه من عشرة فرسان إلى عشرين ،

(١) من أعمال حلب واقعة على نهر العاصي . (القلقشندي ٧ : ١٧٤ ؛ Dussaud, p. 133, 198 et suiv., 237, 242 et suiv.) .

(٢) يقصد وقعة البلستين (راجع الصفحات ١٦٩ ـ ١٧٣ من هذا الكتاب) .

ومنهم من أضافه إلى الأمراء . فالذين أَمَّرهم : كَرَمُون ، وولده بَكتاش ، وسيف الدين بكتَوت ، وسيف الدين كُراي ، وولده شمس الدين آق سُنقر ، وولده الطُرْطَاش ، وبُرجك المبتلي ، // وجُبرك ، وصَغان ، وسيف الدين أيتمش السَّاقي ، وساطِلمش السَّاقي ، وصالغَية ، وباصَغَية ، وتُوكَية ، وسُنقر جاه ، وقَراقوش ، وبلبان السلاح دار ، ومانكو السلاح دار ، وسَكتية ، وآجي ، وبَلَطَية ، وسيف الدّين قطلودَمر ، وسيف الدين قُطلو بغا ، وسيف الدّين أبطَغَاي ، وسيف الدين بُوغاي ، وعزّ الدين أولادمر ، وآلكيِن ، وسيف الدين البزين ، وسيف الدّين تاجي ، وقرّاسُول ، وفخر الدين أقجبا ، وقبق ، ونَيغان ، وَسرْمطاي ، وَقُبان ، وكَلكَا ، وأيدَمر السَّاقي ، وجرقال ، وشكتَاي [١] ، وجاورجي [٢] حمو بهادر بن حسام الدين بيجار ، كل ذلك ليُؤلف قلوبهم على حبّ الإسلام ، ويُرغب من نأى عنه منهم إلى الانقياد والاستسلام . //

٢٤٤ ظ

ذِكرُ من وفد عليه من ماردين : وفد عليه من مدينة ماردين عز الدين يُوسف بن الشمّاع ، وكان من الخصيصين بصاحب ماردين [٣] ، ووصل بعده من المماليك والخدم نحوماية فارس ، فأنعم عليهم جميعهم ، وأنزلهم في الحلقة المنصورة .

٢٤٥ و

وكذلك ورد عليه من مَيّافارقين جماعة من مماليك الملك الكامل [٤] ممن كان في الحصار ، فأَنعم عليهم إنعاماً كثيراً . //

ومِمَّن وفد عليه من أَعيان الفَرَنج : وفد عليه منهم ..... [٥] من صَفَد ، وابن صاحب أرسُوف ، وجماعة نحو ثلثماية فارس ، فأسلموا على يَديه وَنزّلهم في الحلقة المنصورة ، وأَقطعهم الأَخباز الجليلة . //

٢٤٥ ظ

---

(١) و (٢) راجع الصفحة ١٥٣ وما بعدها .

(٣) ويذكر ابن شداد في « الأعلاق » أن الرجل كان رسولاً لصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين ايلغازي إلى التتر عند حصارهم للقلعة سنة ٦٥٧ هـ ، كما كان موفداً لدى هؤلاء من قبل الملك المظفر قرا رسلان الذي ولي السلطة إثر وفاة والده سنة ٦٥٨ هـ (وقيل سنة ٦٥٩ هـ) . (ابن شداد ٢/٣ : ٥٦١ و ٥٦٦ ـ ٥٦٧) .

(٤) صاحب ميافارقين . (المصدر نفسه : ٥٦١) .

(٥) ساقط في الأصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٤٦ و .

ـ الباب الرابع عشر ـ

في ذِكر مَبانيه وأوقافه

لما علم ـ تغمّده الله برحمته ـ أن بقاء الآثار ، تقوم لمؤثرِها مقام تطاول الأعمار ، وأن مَنْسِيَّ الذِّكر بها يتجدد ، وهِمّة المؤثر تظهر بما عنه يُخلد ، أعمل فكره في ابتناء ما قصرت عنه الملوك الأوايل ، وأنشأ ما تقصر دونه يد المتناول .

غُـرفٌ مـن بنـاءِ ديـنٍ ودُنيـا   يـوجب الله منـه أجْـرَ البـاني

فبنى من الجوامع والمساجد والمعابد والمشاهد والقصور الرفيعة التي من دونها سبل العهاد ، والمنازل التي ضاهت إرَم ذات العماد ، وأزرَى إشراقها بالمُشترى ، وعانقت شُرفاتها قطع السحاب المطر ، ودلّ اتقانها على همّة منشئها ، فلو رآها الرضيّ لعلم أنها أحقّ بأن يُقال فيها : //

٢٤٦ ظ شَهِـدَت بفضـل الرافعـين قبابهـا   وَيَبِـين بالبُنيـان فَضـل البَـاني

وبنى ما هدمه التّتر من المعاقل والحصون ، وجَدَّد أماكن لم يخطر بالبال أنّها تكون ، وجعل لها من رؤوس الأعداء تمايم وإن لم يكن بها جُنون ، ووَشح شرفاتها بمنطقة الجوزاء ، وأعلاها حتى بلغ بها عنان السماء .

ذِكرُ مبانيه بالدِّيار المصْرِيَّة

ما عَمرَه بقلعة الجبل :

منها دار سمَّاها بدار الذّهب ؛ وتشتمل على إيوان ومجلس وصُفّتين وحُرَميّة ، ويعلوها طبقة واحدة على باذهنجها طيَّارة ، وجدّد بجوار هذه القاعة طباقاً عدّة ، وعمر

٢٤٧ و بالرّحبة التي تعرف برحبة الحَبارج قبةً محمولةً على اثني عشر عموداً // من الرخام الملون ، قد زخرفت وصور فيها صورته وساير أمرائه وحاشيته على هيئتهم في الموكب ، فكأنّ أبا [١] الفتيان بن حَيُّوس عناها بقوله :

دَارٌ بها اكتست البسيطةُ رَونقاً [٢] ويزينها منه الهُمَامُ الأروَعُ
ما زَال مُبصرها يعود بخاطرٍ يَشكو الكَلال وناظر لا يشبَعُ
وتَرى طيورَ الجوّ في جَنبَاتِها بَعضٌ مُحلّقةٌ وبَعضٌ وُقَّعُ
وسوابق ليست تُفَارق أرضَها وكأنها تحت القوارس تَمزَعُ
فالمُصلتِين صَواعقاً لا تعتدي واللابسين يلامقاً لا تُنْزعُ
رَهطٌ نَضَوا بيضَ السُيوفِ وآخرٌ قد جَرَّ قوساً ليس فيها مَنزعُ
وسهامُهُ لا تستَطيع فراقها وَحِبَالهُ أبداً لطيرٍ مَصرَعُ //

٢٤٧ ظ ثم ذكر غير ذلك من الصُور أَضربنا عن ذكرها إذ ليست موجودة في هذه القبّة ، ثم قال يصف الرخام على ما هو فيها والتّذهيب :

ومن الرخام مُقابَلٌ ومؤلَّفٌ ومفوَّفٌ ومضَلَّعٌ ومجزَّعُ
ومن النُضار بها سَحابُ جَمّةٌ لزمَت أماكنها فما تتقشَّعُ
سُحبٌ جَوامدُ قد أطلّت عارضاً تحيا بصيّتهِ البلادُ وتمرعُ
كرَمٌ أهان التبر حتّى أنه من صامتٍ أو ناطقٍ لا يُمنَعُ

وعمر طبقتين مطلتين على رحبة الجامع [٣] ، وبعض حقوقها على الإيوان الكبير .

---

(١) الأصل : أبو .

(٢) أشار المؤلف إلى إمكان استعمال اللفظ « زينة » عوض « رونقاً » .

(٣) هدمه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأنشأ مكانه جامعاً سنة ٧١٨ هـ وهو يعرف اليوم بجامع الناصر . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٢١٢) .

وغشّى بُرج الزاوية المجاور لباب السرِّ [١] غشاءين ، وأَخرج منه رَواشن ، وبنى عليه قبةً وزخرف سقفها ، وأَخرج منه ستاير تقي من الشمس والمطر ، وأنشأ إلى جواره طباقاً للمماليك مُطلةً على باب الدَركاة [٢] الكبير[ة] ، وبنى البُرج الأحمر بالحجر المنحوت ، وكان قد تَداعى ، وأنشأ // داخل باب القرافة داراً كبيرةً تشتمل على عدة قاعاتٍ صغار لسُكنى المماليك ، وعليها طباق لسُكنى المتزوّجين منهم ، وأنشأ برحبة باب القلعة [٣] داراً كبيرةً لولده السلطان الملك السَّعيد ـ عزّ نصره ـ لها شبابيك مطلة على الرحبة ، وكان في موضعها حفير ، فَعُقد عليه عقود عدتها ستّة عشر عقداً ، وجعل صهريجاً يملأ من السَّاقية الخارجة عن القلعة ، وبُنيت الدار المذكورة عليه ، وبنى بجوارها قاعاتٍ صغاراً برسم الجمداريّة الكبار ، وأَنشأ داراً برسم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر تشتمل على إيوان ومجلس وحُرميّة ، وأنشأ في وسط الرحبة في تجاه باب القلعة مصطبةً مربعةً يحيط بها داربزين ، وعليها ستاير تقي من الشمس والمطر يجلس فيها نايب السلطنة والصاحب للجند والرعيّة ، وأَنشأ للأمير بدر الدين بيليك الخزندار // قاعةً تشتمل على [٤] إيوان كبير ، ويعلوها رواق محمول على أربع قوائم خشب مزخرف . وأنشأ للأمير بدر الدين بيسري ثلاث قاعاتٍ متجاورات بساير حقوقها ، وطبقةً علو الطشتخاناه[٥] .

٢٤٨ و

٢٤٨ ظ

---

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٧ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٢ ؛ وفي ابن تغري بردي (النجوم ٧ . ١٩٠) : « برج الزاوية المجاور لباب القلعة » .

(٢) يفهم من المقريزي (الخطط ٢ : ٢٠٤) أن الدركاة هي مكان انتظار يجلس به الأمراء حتى يُؤْذن لهم بالدحول.

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٧) وابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٢) وابن تغري بردي (النجوم ٧ ' ١٩١) : · « وأنشأ برحبة القلعة » .

(٤) لفظة « على » : مكررة في الأصل .

(٥) ترسم أيضاً الطشت خاناه ، جاء في القلقشندي (٤ : ١٠ ـ ١١) أن « معناها بيت الطشت ، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذي تغسل فيه الأيدي ، والطشت الذي يغسل فيه القماش .. وفي الطشت خاناه يكون ما يلبسه السلطان ... وفيها يكون ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخاد والسجادات التي يصلي عليها .. ولها كما للشراب خاناه مهتار ، وتحت يديه غلمان ... » .

ذِكرُ ما عَمرَه بظاهر ٱلقاهرة ممَّا يلي القلعة :

أنشأ اصطبلات منها بباب السرِّ : اصطبل لخاصّ خيله التي يباشرها غُدوةً وعَشيّةً فيه ظلّالات وسقايف ، وفيما بين بابي السُور اللذين يُخرج منهما إلى القرافة اصطبل كبير برسم خيل ولده السلطان الملك السَّعيد وخيل مماليكه ، وبيراً وحوضاً للسَّبيل . وأنشأ قسطلاً كبيراً ، وأحاط به سُوراً مشرفاً ، وكُتبت عليه نعوته بالذهب ، يأتيه الماء من البير المعروف بدار البقر [1] المواجه لبستان سيف الإسلام ، يجري الماء من القسطل إلى البير الذي على باب // السلسلة ومن هرمها للبير يجري الماء إلى البير الذي بالقلعة . وأنشأ ٢٤٩ و بجوار السُّور ، من جهة باب القرّاطين ، أربع إصطبلات برسم خيل الخواصّ من مماليكه ، في كلٍ منها بير وساقية وبجوارها بيت للفَيلة . وأَنشأ بسوق الخيل حماماً ونسبها إلى الملك السَّعيد . وأنشأ طبل خاناه تجاه دار العدل برسم الملك السَّعيد . وأنشأ الجسر الأعظم [2] والقنطرة التي على الخليج ، وسنذكرها عند ذكرنا للجسور والقناطر ، يُمرُّ عليها إلى الميدان . وأنشأ الميدان بالموضع الذي كان بالبُورجي [3] مساحته طولاً وعرضاً ماية وأحد وأربعون فداناً ، وأحاطه بجدارٍ فتح فيه أبواباً ، نقل إليه النخيل من ساير البلاد المصرية ، فكانت أجرة نقله إليه ستّة عشر ألف ديناراً [4] في مدة شهرين ، وأنشأ به المناظر ، ويشتمل على خوان // مربع طوله ستة وثلاثون ذراعاً في مثل ذلك ، ٢٤٩ ظ وله شبابيك تطل على الميدان المذكور وصفّة برسم جُلوسه ، وفي وسط الخوان قبّة على أربعة عمد خُضر ، ويعلوه طبقة برسم السلطان الملك السعيد على باب الخوان من جهة الدرْكاة ، وعمل تجاه بابه مساطب لجلوس الأمراء ومقاعد برسم الرسل ، ويدخل من

(١) جاء في المقريزي (الخطط ٢ : ٢٠٤) « ... وهذه البئر من عجائب الأبنية ، تدور البقر من أعلاها ، فتنقل الماء من نقالة في وسطها ، وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز ، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء ... ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة » .

(٢) يشير المقريزي (الخطط ٢ : ١٦٥) إلى أن هذا الجسر كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم صار شارعاً مسلوكاً يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع .

(٣) كذا ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٧) وابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٩١) : « وأنشأ الميدان بالبورجي » وعن هذا الميدان راجع المقريزي ، الخطط ٢ : ١١٧ .

(٤) كذا ؛ وصوابه : دينار .

الخوان المذكور إلى قاعةٍ تُعرف بقاعة النصر ، ويدخل من هذه القاعة إلى قاعة السعادة ؛ وهي تشتمل على إيوانين متقابلين ، ومجلسين متقابلين ، سقف أحد إيوانيها مُقرنص مزخرف بالذهب واللازورد ، دخل فيه ألف دست ذهب عينها ألف دينار ، وفي صدره شاذروان رُخام طوله ستة أذرع بذراع العَمل ، وعرضه خمسة أذرع ، ويعلو هذه القاعة من جهة القاهرة خوان طوله أربعون ذراعاً وعرضه خمسة وعشرون ذراعاً ، يخرج منه طبقة تعرف بالإسكندرانية . وأنشأ حماماً // يُسلك إليها من ساير القاعات والطباق المذكورة . وأنشأ بظاهر القاعة الدَرْكاة قاعةً برسم الطواشي مختصّ ، وقاعةً لناصر الدين اللاّلا ، وقاعةً برسم المهتار شجاع الدين عَنبر ، وطشت خاناه وشَراب خاناه . وأنشأ بظاهر الحَوش قاعةً برسم المقر الصَّاحبي ، وفي دهليزها قاعة برسم مشدّ الدَّواوين ، وقاعة لكتّاب الإنشاء ، وثلاث قاعاتٍ برسم الرُسل ، وقاعة برسم الأمير بدر الدين الخزندار ، وقاعة برسم الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني أستاذ الدَّار ، وقاعة برسم الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم أمير جاندار . وبنى طبقة علو برسم بكجة . وبنَى في الميدان المذكور سبع سواقي ، بُني كل بيرٍ من آبارها بألف ألف آجُرّة ، وكان منها ثلاثة [1] عتقاً فجدّدها ، وأنشأ أربعةً [2] ، وبُنيت هذه المناظر من حواصل عشر // مناظر هُدمت وحُمل إليها سقوفها ورخامها ؛ منها منظرة عز الدين أيدمر الصَّالحي بمصر ، ومنظرة شمس الدين صَواب السُّهيلي بالخليج ، وثلاث مناظر ببستان الخشّاب [3] ، ومنظرَة شجرَ الدُرّ بُبستان الخشّاب أيضاً ، ورُخام الإيوان الكبير ببستان الخشّاب ، والمناظر التي كانت بالمنصورة ، وبستان مَسّاح ، وبَشطَنُوف ، وبمُنية عُقبة ، وكل هذه المناظر كانت من إنشاء الملك الصَّالح نجم الدين أيوب ، وما أضيف إلى ذلك من مناظر قلعة الجزيرة . وأنشأ حوضاً على باب الميدان لم يَبن مثله

(١) كذا ؛ وصوابه : ثلاث .

(٢) كذا ؛ وصوابه : أربعاً .

(٣) يستفاد من المقريزي (الخطط ١ : ٣٤٥) أنه من جملة بساتين كانت واقعة في الجانب الغربي من خليج مد ثم خرب .

أحد ، أجرى إليه الماء من بير احتفرها على بركة الشَقَف [١] في مجرى يسير على وجه الأَرض طولها نصف ميل . وأنشأ حائطين من القنطرة التي على الخليج إلى الميدان ، يمرّ هو وعسكره بينهما مسافتهما أيضاً نصف ميل ، كان بستاناً فقطع شجره . // وأنشأ ٢٥١ و بظاهر القاهرة ، مما يلي باب الخرْق ، رَبعاً طويلاً كأنه طراز يشتمل على قيساريتين إحداهما كبرى ، وفيها بركة سُفله حوانيت يعلوها طباق ، ويعلو الطباق طباق أخرى تكون عدة الحوانيت الشارعَة ثمانية وثلاثون [٢] حانوتاً ، وعدة الحوانيت التي بالقيساريتين مائة وثلاثة عشر حانوتاً ، وفي الممشى إلى باب الفَرج من الربع المذكور ثمانية وعشرون حانوتاً يجمعها صفّان ، وعدة الطباق العلوية والسفلية مائة منزل وثمانية منازل ، ووقف ثلثه على ولده الملك السَّعيد ـ عزَّ نصره ـ وثلثيه على مدرسته [٣] التي أنشأها بالقاهرة . وأنشأ المدرسة التي بالقاهرة ، وتشتمل على أربعة أواوين : الإيوان القِبلي يُدرَّس فيه مذهب الإمام الشافعي [٤] ـ رضي الله عنه ـ والإيوان الذي تجاهه وله على الطريق شبابيك يُدرَّس فيه مذهب الإمام أبي حنيفة [٥] // والإيوان الذي على يمنة ٢٥١ ظ الداخل يُقرأ فيه بُكرة السَبع ، ويُشتغل بالقراءات السَّبع [٦] ، وفي الإيوان الذي يقابله يُشتغل فيه بالحديث النبوي [٧] ، وبها من البيوت المعدّة لسكنى الطلبة . وبنَى إلى جانبها مكتباً للسَّبيل يُعلَّم فيه الأيتام القرآن ، يُصعد إليه بدرج ، ولكل صبيٍّ يقرأ فيه في اليوم خبز وفي السنة كُسوتان وعدتهم . وبنى فيما بين المدرسة وبينه مَيضأةً أحوج ما الناس

(١) يقصد بركة الشقاف ، جاء في المقريزي (الخطط ٢ : ١٦٢) أن هذه البركة تقع « في برّ الخليج الغربي بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ ... » .

(٢) صوابه : وثلاثين .

(٣) جاء في النويري (٢٩ : الورقة ٢٢) أن السلطان قد أمر بعمارتها في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ٦٦٠ هـ / شباط ١٢٦٢ م ، وأن الإنتهاء منها كان في صفر سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م .

(٤) أول من فُوّض إليه تدريس الشافعية كان القاضي تقي الدين بن رزين . (المصدر نفسه) .

(٥) أول من تولى التدريس على هذا المذهب كان الصدر مجد الدين بن كمال الدين بن العديم .(المصدر نفسه) .

(٦) تصدر الأمر الفقيه كمال الدين المجلّي . (أيضاً) .

(٧) أُوكلت هذه المهمة إلى الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي . (أيضاً) .

إليها تشتمل على ..... [١] بيتاً ، وفي وسطها ..... [٢] ، وبنى قريباً منها داراً للسلطان الملك السَّعيد ـ خلّد الله ملكه ـ تشتمل على إيوان ومجلس وحُرميَّة وبيوت عدة لها بابان : أحدهما يشرع إلى الطريق والآخر يُدخل من المدرسة إليه . وبنى عند الركن المخلق مسجداً ذكر العَوام أن فيه أثر قدم موسى ـ عليه السلام ـ وبنى إلى جواره رَبعاً كبيراً يُنسب إلى السّلطان // * الملك السَّعيد يشتمل على حوانيت وقيسارية وطباق عدّة ذلك . ٢٥٢ و

وأنشأ عند باب الفُتوح قيسارية تشتمل على ..... [٣] ، وجدّد الجامع الأنور [٤] وبيَّضه ، وكان قد كاد يخرب ، وكان المشير عليه بذلك قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهّاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعزّ . وجدّد الجامع الأزهر [٥] ، وأنشأ فيه خطبة لم تكن فيه من قبل إلاّ في صدر دولة المصريّين [٦] . وأَنشأ خارج باب الفُتوح قيساريّة للبرّ تشتمل على ..... [٧] حانوتاً ، وأَنشأ جَملونَين ملاصقة [٨] للسُّور في كل جَمالون سماطان يشتملان على حوانيت يُباع فيها السَقَط . وأنشأ في الرَّيدانيّة [٩] حيث كانت دور الإسماعيلية ربعاً [١٠] يشمل فُندق [١١] عدة مخازنه ستة وثلاثون مخزناً ، وظاهره

(١) و (٢) فراغ في الأصل .

(*) إشارة إلى بدء « السابع والعشرون من الجزء الثاني » .

(٣) فراغ في الأصل .

(٤) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٧ ؛ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٢ ؛ وفي ابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٢) « الجامع الأقمر » . ويستفاد من المقريزي أن الجامع الأقمر بناه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٢٩٠) . وعن الجامع الأنور راجع ص ٢٣١ والحاشية رقم ٨ من الكتاب .

(٥) أنشأه الفاطميون (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) وكان أول مسجد أسس بالقاهرة . أعيدت إليه الخطبة أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م بعد أن عطّلها فيه السلطان صلاح الدين الأيوبي .
J. Jomier: art. "al-Azhar", EI 2, I, p. 837A-844B

(٦) يقصد الخلفاء الفاطميين .

(٧) فراغ في الأصل .

(٨) كذا ؛ وصوابه : ملاصقين .

(٩) كانت بستاناً لريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله الفاطمي ، قتله الحاكم بأمر الله في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٩٣ هـ . (المقريزي ، الخطط ٢ : ١٣٩) .

(١٠) أنشأه بيبرس ووقفه على مدرسته التي بخط بين القصرين تجاه المارستان المنصوري ، كان بين باب زويلة وباب الفرج ، وقد احترق هذا الربع من ضمن ما احترق في سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢٢ م . (مبارك ، خطط ٣ . ٥٠ ـ ٥١) .

(١١) الصواب : فندقاً .

٢٥٢ ظ اثنان وعشرون حانوتاً وقيسارية يباع فيها ساير أنواع المتاع عدة // حوانيتها سبعة وأربعون حانوتاً ، ويعلو القيساريّة منازل عدّتها خمسة وتسعون منزلاً طبقتان ، ومن حقوق الربع حمّامان وحانوتان وطبقتان (وربعاً قبالة الفندق من الجهة الغربية ، [و] عشر حوانيت ومسجداً وقاعة قزازة يعلوها عشر طباق وعشر طواحين وثلاثة مغالق تشتمل على ستة أحجار وحوضاً للسبيل وسقاية) [1] . وأنشأ بالحسينية جامعاً سماه جامع العافية على قدر جامع مصر في التربيع محمولاً على عمدٍ وأركان ، وعمل محرابه قبةً على مثال قبة الإمام الشافعي محمولة على ستة عشر عموداً مزخرفةً بالذهب واللازورد والفُسيفساء ، باطنها خشب وظاهرها رصاص ، وفيما بين الباطن والظاهر خلاء يسلكه السالك من أسفلها إلى أعلاها ، ويخرج منه من أبواب ، والسالك يضع رجله في رُكب حديد معلّقة بسلاسل حديد ، وزنة الرصاص الذي غشي به القبة خمس ماية قنطار ، وبنى هذا الجامع في ميدان قراقوش ، اشتري من بيت المال ، فعمر في قطعة منه ، ٢٥٣ و ووقف عليه الباقي فحُكر للعمارة ، وجُملة ما أنفق عليه ما يزيد على ألف // ألف درهم ، وبنى له ثلاث مَبادن على ثلاثة أبواب ، وبنى إلى جواره بركة عظيمة للوضوء ، وأنشأ قريباً منه زاوية للشيخ خضر على شطّ الخليج تشتمل على عدة بيوت وقاعات برسم الشيخ والفقراء ، وجُعل لها شبابيك تطل على فوة الخليج ، وبركة وحمّام وطاحون وفرن ، ووقف عليها الحِكر المعروف بالكافري ، وعوّض ابن الكافري عنه ملكاً آخر .

ذكرُ ما عمره بمصرَ وضواحيها :

عَمرَ على المقياس قبة مرتفعةً زخرفها وحسّنها ولم تكن قبل ، وعمر عند دار النحاس ربعاً كبيراً لم يتمّ منه في أيامه إلاَّ الواجهة البحريّة لا غير ، وكان في مكانه منظرةٌ وبُستان للأمير جمال الدين آقوش النُجيبي فاشتُريا منه ، وهُدمت المنظرة

(١) ما بين القوسين ساقط من المتن ومستدرك في الهامش .

٢٥٣ ظ وقُطعت أشجارُ البُستان . وأنشأ بالقرافة الصغرى حوشاً // طوله ..... [١] ، وعرضه ..... [٢] ، برسم دفن من يموت من مماليكه .

ذِكرُ ما أَنشأهُ من الضِّياع والقِلاعِ بديار مصر وغيرها :

أنشأ بين النيل والخليج المصري ضيعةً وأسماها المنشيّة بدلاً عن منشيّة الفاضل [٣] ، وبنى بها جامعاً . وأنشأ مُنَية الأمراء [٤] وهي المعروفة بمنية الشيرج [٥] ، وكان البحر قد أتى عليها [٦] ، وبنى جامِعاً عوضاً عن جامعها الذي خرب بالنيل . وأنشأ في الشرقية [٧] ضيعةً سمّاها الظاهريّة [٨] ، وبنى بها جامعاً ، وكذلك بالفيوم وبنى بها جامعاً ، وكذلك على فُوهة الإسكندريّة وبنى بها جامعاً ، و [جدد] [٩] قلعة بأرض برقة تسمّى العمودين ، وقلعة السُّويس ، وقلعة الجزيرة [١٠] بمصر ، وكان الملك المعزّ ٢٥٤ و هدمها [١١] ، ولم تتمّ // وعمر بجامع مصر الرّواق الذي يلي الصَّحن ، وكان قد مال

---

(١) و (٢) فراغ في الأصل .

(٣) نسبة إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ؛ كانت تقع ما بين ميدان اللوق وبستان الخشاب أخربها فيضان النيل بعد سنة ٦٦٠ هـ . (المقريزي ، الخطط ١ : ٣٤٥ ـ ٤٣٦) .

(٤) ويقال أيضاً : منية الأمير ، عرَّفها المقريزي (المصدر نفسه ٢ : ١٣٠) بأنها بُليدة على مقربة من القاهرة في طريق الإسكندرية فيها أسواق وكانت مشهورة بخمورها .

(٥) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٨ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ والمقريزي (نفسه) ؛ وفي ابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٩٣) « منية السيرج » .

(٦) حصل ذلك سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م . (المقريزي ، نفسه) .

(٧) كان من أعظم أعمال الوجه البحري بالديار المصرية وأوسعها (مقر ولايته بلبيس) . (القلقشندي ٣ : ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

(٨) بناها قرب العباسة سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ ـ ١٢٦٨ م . (النويري ٢٩ : ٣٧ ظ ؛ المقريزي ١/٢ : ٥٦٤) .

(٩) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٥٧ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٢ ، وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٢ .

(١٠) و (١١) يقصد قلعة جزيرة الروضة التي أنشأها الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٨ هـ . هدمها المعز أيبك وعمر منها المدرسة المعزية على النيل بمدينة مصر ، ثم عمرها الظاهر بيبرس ، لما ملك ، ثم أعاد هدمها المنصور قلاوون . (المقريزي ، الخطط ٢ : ١٨٣ ـ ١٨٥) .

إلى جهة القبلة فهدمه ، وبناه أتقن مما كان وبيّضه . وبنى بقرية دير الطين [١] جامعاً ، وكان بها قديماً جامعاً [٢] ضيّقاً [٣] فتركه ، وبنى هذا الجامع وبنى على بابه منارة مرتفعة .

ذكرُ ما عَمره من ٱلْجسور وٱلقناطِر بديار مِصر :

جسر سهم الدين بالقليُوبيّة [٤] ، أنشئ في شهور سنة أربع وستّين وستماية ، وطوله سبع ماية قصبة ، وعرضه من أسفله خمسة [٥] وعشرون ، ومن أعلاه ست أقصاب . وجدّد الجسر الأعظم على بركة الفيل ، وكان من آثار المصريّين ، فهدم ما بقي منه ، وأنشاه وأنشأ قنطرته ، وبنى على جانبيه حائطين يمنعان الماشي عليه السقوط إلى البركة في الزحام ، وقنطرة بمنية الأمراء ، وقنطرة على بحر ابن مُنَجّا [٦] لها سبعة أبواب الأوسط // منها واسع تَعبره المراكبُ الكبار ، وقنطرة [٧] عند القُصير بأربعة أبواب ، ٢٥٤ ظ وقنطرة على بحر أمواس [٨] بسبعة أبواب أوسطها مُتّسعٌ تعبر منه المراكب ، وفي الجسر الذي يُسلك عليه إلى ثغر دمياط ست عشرة قنطرة بأسماء نواحيها : قنطرَة طُوخ القرصُوص ببابين ، قنطرة القصّابي ببابين ، قنطرة مُنية عنبرة ببابين ، قنطرة البلهاسة ببابين ، قنطرة طوخ بباب واحد ، قنطرة نوكية الغربي بباب واحد ، قنطرة الخَطّارة ببابين ، قنطرة المشعبة ببابين ، قنطرة أمّ الذّياب ببابين ، قنطرة البيضاء والمليص بباب

(١) يقع على شاطئ النيل في طريق الصعيد ، قرب الفسطاط ، متصل ببركة الحبش عند العدوية . (ياقوت ٢ : ٥٢٠) .

(٢) و (٣) كذا ، والصواب : جامع ضيق .

(٤) من أعمال الوجه البحري بالديار المصرية ، مقر الولاية به مدينة قليوب . (القلقشندي ٣ : ٣٩٩) .

(٥) صوابه : خمس .

(٦) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٧ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ ؛ وفي المقريزي وابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٩٣) « بحر أبي المنجا » . وهذا البحر حفره الأفضل بن أمير الجيوش في سنة ٥٠٦ هـ وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودي فعرف به . (راجع : المقريزي ، الخطط ١ : ٧١ – ٧٢) .

(٧) كذا في ابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٨) وابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٩٣) « وقنطرتين عند القصير » .

(٨) كذا في ابن شاكر ؛ وفي اليونيني وابن تغري بردي « إبراش » .

واحد ، قنطرة بُوداود ببابين ، قنطرة بحر طناح ببابين ، قنطرة أقر ببابين ، قنطرة شار مساح ببابين ، وكل هذه القناطر في الجسر الذي أنشأه من القاهرة إلى دمياط . وبنى قنطرةً على خليج القاهرة يُمرّ منها // إلى ميدان البورجي . وبنى على خليج الإسكندرية ، ٢٥٥ و قريباً من قنطرتها القديمة ، قنطرةً عظيمة بعَقْدٍ واحدٍ ، أراد أن يصلها بجسر يمتد من قرية على السبخة إليها ليكون أسرع للعساكر إذا قصدت الإسكندرية ، فلم يعش إلى أن يبلغ أمله .

ذكرُ ما حفر من الأبحُر بالديار المصريَّة :

حفر خليج الإسكندرية [١] ، وكان قد ارتدم بالطين وطوله ستة وأربعون ألف قصبة ، ومن ذلك فوهته وطولها خمسون قصبة ، وعرضها اثنتان وعشرون قصبة . وأنشأ النقيدي [٢] وهو فوهة لهذا الخليج أُخرى ليكون عوناً على امتلائه ، وطوله ألفان ومايتا قصبة ، وعرَّض في الخليج ما بين ستّ أقصاب إلى أربعٍ ، وهي الزَرْبيّة على فوهته والمسجد ، وحفر بحر طناح ويُعرف ببحر أشموم ، وكان قد عمي وطوله عشرة ٢٥٥ ظ آلاف // قصبة ، وعرضه ما بين أربعة [٣] إلى ثلثة [٤] ، وحُفرت ترعة الصلاح ، أنشئت عوض تُرعة تُعرف بترعة دمسيس وكانت قد عَميت طولها ألف ومائة قصبة وعرضها قصبتان فما دونها . وحفر خورْ سرنحا [٥] حفر في فوهته خمس مائة قصبة ، وحفر المحايري [٦] وطوله ثلاثة آلاف قصبة وعرض فُوهته عشرون قصبة في طول مايتي قصبة والبقيّة عرض أربع قصبات إلى ثلثة [٧] ، وكان أيضاً قد عمي في أيام الملوك الأول . وحفر الكافُوري وكان قد عمي أيام الملك الصالح ، وطوله خمسة آلاف قصبة ،

---

(١) أمر بحفره في سنتي ٦٦٢ هـ و ٦٦٤ هـ . (المقريزي ، الخطط ١ : ١٦٩ - ١٧٢) .
(٢) المقصود ترعة النقيدي .
(٣) و (٤) كذا ؛ والصواب : وعرضه ما بين أربع إلى ثلاث .
(٥) كذا ، وفي اليونيني (٣ : ٢٥٨) : « خور سرختا » ؛ وفي ابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٣) « خور سرسخا » .
(٦) كذا في المصدرين نفسيهما ؛ وفي ابن تغري بردي « المحامدي » .
(٧) كذا ؛ والصواب : ثلاث .

وعرض فُوهَته عشر قصبات والبقية ما بين ثلاثة إلى اثنتين ، وحُفرت تُرعة كيساد ، وزاد فيها ماية قصبة عما كانت في أيام الملوك الأول ، وعرضها أربعة [1] إلى ثلاث ،

٢٥٦ و وحفر في ترعة أبي الفضل ألف قصبة وعرّض // الفوهة عشرين قصبة ، والبقية ما بين أربع إلى ثلاث ، وحفر بحر الصمصام بالقَلْيُوبيّة ، وكان قد عمي في الأيام الصالحية وما قبلها ، طوله ستة آلاف قصبة وعرضه ما بين أربعة [2] إلى ثلاث ، وحفر بحر السَّرَدُوس من الفم إلى باي وَطنَان تقديره ألفا قصبة . //

٢٥٦ ظ ذكْرُ ما جَدَّده ببلاد ٱلشَّام من المباني :

نبدأ من ذلك بما بناه وجدّده بحرم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ كان الحرم قد احترق في سنة أربع وخمسين وستماية ، فأخذ الإمام المستعصم بالله في عمارته ، فاتفق أن حال بينه وبين إتمامه ما كان من أمر التتر وقتله [3] ، فلما ملك مولانا السلطان ــ تغمّده الله برحمته ــ فاز من تتميمه بالحظّ الأوفر ، وجعل ذلك ذخيرةً له يُدلي بها يوم المحشر . والذي بناه منه أن أقام عمده وعمل منبره ، وأحاط بالضريح النبوي درابزيناً ، وبيّض جدرانه ، ووضع سقوفه ودهنها بأنواع الأصباغ المنمّقة بالذهب ، وجدّد بها ما اخلولق من البيمارستان الذي بناه في غالب ظني شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة ، ورتّب به طبيباً بعث به من مصر . //

٢٥٧ و ذكْرُ ما جَدَّده ببلد الخَليل عليه السلام :

منها أن بيّض حرمه ، ورَمَّ شعث أبوابه وميضأه ، وبسطه بالحجر وزاد في راتبه المجرى على قوامه ومؤذنيه وإمامه ، وبنى للشيخ خضر زاويةً ورتّب لها من مال البلد راتباً يجري على الفقراء المقيمين بها والواردين عليها .

---

(١) و (٢) كذا ، والصواب : أربع .

(٣) حصل ذلك سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

[ذكر] ما جَدَّده ـ رحمه ٱلله ـ بالقدس الشريف :

كان قد تداعى من قبة الصّخرة أوتار سبعة قايمة ، فنقضها وعمل عوضها ، وغشّاها بالخام وغشّى الخام بالرصاص ، وكتب عليها اسمه ، وكتب داير القبة مما يلي الصحن القايد ، بالذّهب واللازورد ، وتاريخ عمله لذلك واهتمامه به ، وجَدَّد قبة السلسلة وزخرفها ، ونقص أربعة أوتار من سقف الصخرة ، وعوض عنها وكتب عليها اسمه // وأنشأ خاناً للسَّبيل نقل إليه بابه من دهليز كان للمصريين بالقاهرة ، يُسمَّى باب العيد ، وبنى في حقوقه على أحد جوانبه داراً عظيمةً مرتفعةً ، وبنى فيه مسجداً وطاحوناً وفرناً وبُستاناً ـ وقد ذكرنا ما وقفه عليه في صدر السِّيرة ـ ورتَّب أن يُجرى على كل وارد وصادر منه وإليه وعلى المقيمين بالقدس من الفقراء ثلاثة أرغفة خبز وقرطاس ، ورتّب فيه خرّازاً لإصلاح الأحذية وبيطاراً ، وأجرى عليهما الجامكية . وغيّر كنيسة المصلّبة وصيّرها زاويةً ، ورتب فيها فقراء ، وأجرى عليهم ما يقوم بأودهم من وقف أرصدة لهم ، وكان السَّبب في ذلك الشيخ خضر فإنه هجمها ، وقتل راهبها وبنى بها محاريب ، فدعت الضرورة للسلطان أن تمم ما شرع فيه موافقاً لغرضه . وبنى للشيخ خضر أيضاً زاويةً بالقُدس الشريف ، ورَتَّب لها ما يُجرى على مَنْ بها من الفقراء القاطنين ، وبنى على قبر موسى ـ عليه السلام ـ وهو [عند] [1] الكثيب // الأحمر ، قبلي أريحا [2] قبةً ومسجداً ، ووقف عليه وقفاً يُصرف على مُؤذنه وإمامه والمجاورين به وعلى من يزوره . وبنى على قبر أبي عُبيدة بن الجرّاح ـ رضي الله عنه ـ مشهداً ومكانه بالغَور من أرض عَمَّتا [3] ، ووقف عليه وقفاً يُصرف في مُؤذنه وإمامه وزُوّاره .

(٢٥٧ ظ — ٢٥٨ و)

ذكرُ ما جَدَّده بالكَرك وٱلشَّوْبَك :

جَدّد بالقلعة بُرجين كانا صغيرين فهدمهما وكبّرهما وعلاّهما من قبليها ، وحفر

---

(١) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٥٩ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ وابن تعري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٤ .

(٢) جاء في « معجم البلدان » لياقوت : « أنها مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسالك » .

(٣) كذا في ابن فضل الله العمري ١ : ١٦٠ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ ؛ وفي اليونيني ٣ : ٢٥٩ « عمّا » .

خندقاً مما يليهما ، وجَدّد بالمدينة بُرجاً من شرقها ، وهو البرج الثاني من الباب الشرقي ، وجَدّد بُرجاً يعرف بالدَّوابة ، ويُعرف بباب الرَّحمة ، وهدم بُرجاً آخر من أبراجها ، وجدّد عمارته وحصّنه ، وقطع الجبل المواجه له من جهة الشمال ، ويعرف بالصومعة ، ٢٥٨ ظ ووسع في عمارة مشهد جعفر بن أبي طالب الطيّار [1] ، ووقف عليه زيادةً في // وقفه على الزايرين له والوافدين عليه .

ذكرُ ما أنشأهُ من ٱلجسور بهذه ٱلنَّواحي :

عمر جسراً على قرية دامِية على الشريعة بالغَور ، ووقف عليه وقفاً برسم ما عساه أن يَتَهدَّم منه ، وأنشأ على العَوجا وما حولها ثلاثة جسور . وأنشأ جسراً بالقرب من لُدّ ، وجسراً بأمدود ، وجسراً على يَبنا ، وجسراً على دير سنيد [2] ، بالقرب من غزة ، وجسراً على رُوبيل ، وجسراً على قاقُوم [3] ، ووقف على كلٍ منها وقفاً يُصرف في إصلاح ما فسد منها وتهدّم .

ذكرُ ما جَدّده من العماير بالرَّملَة ولُدّ وما جاورهما :

٢٥٩ و جدَّد جامع الرَّملة وعمره أحسن عمارة ، وأصلح // مصانعها ، وكذلك لُدّ وأنشأ قلعة قاقُوم [4] وبنى بها جامعاً ووقف عليه وقفاً ، وبنى على طريقها حوضاً للسبيل ووقف عليه وقفاً ، وأصلح جامع لبنى [5] ووقف عليه من مال الديوان ما يقوم بوظايفه ، وبنى للشيخ خضر زاوية بغَزَّة ، ووقف على مَنْ ينتابها من الفقراء من مال الديوان ما يقوم بأوده ، وأصلح جامع زرعين وما عداه من جوامع البلاد الساحلية التي كانت في أيدي الفرنج .

---

(١) بقرية مؤتة من أعمال كرك الشوبك . (ابن شداد ، الأعلاق ٢/٢ : ٢٧٧ ؛ ابن فضل الله العمري ١ : ١٦١)

(٢) غير معجمة في الأصل .

(٣) كذا في اليونيني ٣ : ٢٥٩ ؛ وفي ابن فضل الله العمري ٢ : ٤٤٠ وابن شاكر ، فوات ١ : ٢٤٣ وابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ١٩٥ « قاقون » . وورد أيضاً برسم « قاقم » . راجع الصفحة ٣٢٥ من الكتاب .

(٤) ويقال أيضاً : « قاقون » .

(٥) كذا في الأصل ؛ وفي اليونيني (٣ : ٢٥٩) وابن تغري بردي (٧ : ١٩٥) « وأصلح جامعاً لبني أمية » .

ذكرُ ما جَدَّده بقلعة صَفَد :

كان للقلعة باشورة [(١)] عمرتها الفرنج ، فلما ملك مولانا السلطان هدمها إلى الجبل ، ثم أنشأها بالحجر المنحوت الهِرَقلي ، وعمر ذلك أبراجاً وبدَنات ، وصنع له بغلاتٍ مُسفَّحة [(٢)] داير الباشورة بالحجر المنحوت ، وعمل في كل بُرج من أبراج ٢٥٩ ظ الباشورة طلاّقاتٍ ، وجدَّد // في الباشورة المستجدة باباً من جهة الغرب ، وعمل له جسراً من الخشب مقلوباً بدواسة يُشال ويُحط وقت الحاجة إليه ، والباب المذكور فتحه في برج من الأبراج ، وفتح على يُمنة الدّاخل إلى القلعة باباً وعلى يساره باباً ، وهذه الأبواب الثلاثة تُغلق ويُغلق الباب الغربي على الجميع ، فإذا غلق الباب الغربي غلقت الثلاثة ، وأنشأ في وسط القلعة صهريجاً كبيراً مدرَّجاً من أربع جهاته ، وبنى عليه بُرجاً كبيراً زايد الإرتفاع ، قيل إن ارتفاعه مابة ذراعاً [(٣)] ؛ بحيث أن الواقف عليه يرى الماشي على الخندق تحت القلعة من دايرها ، وبنى بالباشورة بُرجاً من جهة الشرق بالحجر الهرقلي ، وساق إليه الماء من بركة بُرج اليتيم إلى البُرج المربع المطل على باب القلعة الجوّاني ، وبنى تحت البُرج الذي للقلّة حمّاماً ، وساق إليها الماء من بركة اليتيم أيضاً ، وصنع الكنيسة ٢٦٠ و التي بالقلعة جامعاً ، ووَسَّع الخندق وعمّقه ، ونسف // أكثر الجبال القريبة منها وحرثها ، وهدَّ الربض الغربي الذي عمره الفرنج أولاً ، وأنشأ ربضاً ثانياً قِبلةً بغربٍ ، وأنشأ جامعاً كبيراً ، وحصَّنها تحصيناً منيعاً ، وعمر الأمراء بها آدُراً وحمّاماتٍ وبساتين وغير ذلك .

وكان الشقيف قطعتين [(٤)] متجاورتين فجمع بينهما وجدّدهما ، وبنى بها أبرجة كثيرة كبيرةً وحصّنها ، وبنى بها جامعاً وحماماً وداراً لنايب السلطنة ، وهدم ربضها الأول وبنى ربضاً غيره وعمره بالناس ، وبنى به جامعاً ، وحفر الخندق ، وقطع الجبل من قبليها .

---

(١) الباشورة : سد ترابي يمنع وصول الخيالة أو غيرهم إلى مواضع المحاربين (راجع : Dozy, opt. cit.) .

(٢) كذا في اليونيني ؛ وفي ابن تغري بردي « مصفحة » .

(٣) كذا ؛ وصوابه : ذراعٍ .

(٤) كذا ؛ وفي ابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٤) « قلعتين » وهما شقيف أرنون وشقيف تيرون .

وكانت الصُبيبة قد أخربها التّتر ، ولم يُبقوا فيها إلا آثاراً يسيرة ، فلما ملكها الأمير بدر الدين الخزندار جدّدها وبنى بها أربعة أبراج بطلاّقات وبرجين كبيرين ودركاةً ، وأنشأ بجامعها منارةً ، وبنى بها داراً لنايب السلطنة ، وعمل جسراً يُمشى عليه إلى القلعة . //

٢٦٠ ظ **ذِكرُ ما جَدَّده بدِمشقَ وقلعتها :**

كان التّتر قد هدموا شَراريف قلعة دمشق ورؤوس أبرجتها ، كان تقدير ما أنفق فيها ألف ألف درهم فجدَّد ذلك جميعه ، وبنى داراً للسلطان الملك السَّعيد ، فيما بين الجسر وباب الحديد ، تشتمل على مرافق كثيرة وبيوت وحمّام ، وبنى فوق برج الزاوية المطل على الميادين وسوق الخيل طارمةً [(١)] ، كبيرةً يمد فيها الخوان ، وبنى إلى جانبها مقعداً وسيعاً ، وجدَّد منظرةً على قايمةٍ مُستجدّة على البُرج المجاور لباب النصر ، وبيّض البَحْرة ، وجدّد دهان سقوفها ، وأحاط بها درابزين يمنع من الوصول إليها ، وبنى مما يلي المدينة حماماً على باب القلعة الشرقي ، وبنى حماماً خارج باب النصر ، وساق إليها الماء من بانياس برسم السلطان الملك السعيد ، وجدَّد ثلاث إصطبلات //

٢٦١ و على الشَّرف الأعلى ، وبنى الجسر الخشب الآخذ من باب الميدان إلى سوق الخيل ، وعمر على بعضه حوانيت ، وبنى في جوار دار السعادة شرقيها دوراً برسم البريديّة ، وأجرى إليها الماء ليستغنوا بها عن النزول على النّاس .

ذِكرُ الْجَوْسَق [(٢)] :

وكان بغربي الميدان جوسق قديم يغلب على ظنّي أنه كان من إنشاء الملك الصالح إسماعيل ، فهدمه وعمره وزاد فيه زيادة كثيرة ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب شرقي

---

(١) بيت من خشب ، سقفه على هيئة قبة يجلس فيه السلطان .

(٢) عرف بالقصر الأبلق ، عهد السلطان بيبرس ببنائه إلى الأمير آقوش النجيبي نائب دمشق سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ، وظل قائماً حتى هدمه تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م . (النويري ٢٩ : ٣٣ ظ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك ١ : ٤٣٧ ؛ المقريزي ١/٢ : ٥٦١) .

يفتح إلى جهة الميدان ، وباب الشمال يفتح إلى نهر بردى ، وصنع عليه جسراً ، أنشأ عليه دَرْكاةً بدِركاتٍ شرقية وغربيّة ، وعليها رفرف خشب يمنع الشمس والمطر أن يصيب أحداً من الجلوس عليها ، وباب يُفتح إلى الحمّام المجاورة له من إنشائه أيضاً ؛ فأما

٢٦١ ظ الباب الشرقي // فبنى حائطه من حجر أسود جلبه من بلد حوران ، وحجرٍ أصفر جلبه من حلب ، وسُمّي الأبلق لذلك ، ويشتمل سوره على عدة قاعات للسلطان وبيوتات للمماليك ، والجوسق في نفسه يشتمل على إيوانين وصُفّتين وفسقيّة ، وبنى فوقه طباقاً مُشرفةً ، وبنى حوله بيوتات ومطابخ ، وبنى حيطان الميدان بكماله ، وبنى فيه حوضاً على بابه الشرقي . // *

٢٦٢ و ذكرُ ما جَدَّده بجامع دمشق :

جدَّد مشهد زين العابدين علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ من شرقي الجامع ، وزاد فيه وقد كاد يخرب ، وكان السبب فيما أمر بتجديده من الجامع أن في سنة ثمان وستين صلَّى السلطان الملك الظاهر ـ تغمّده الله برحمته ـ فيه بعض الجُمع وطاف به ، فرأى الحائط القبلي قد تدنَّس رخامه وتشعَّث الفسيفساء الذي فيما بينه وبين السَّقف ، فأمر بإصلاح ذلك جميعه وغسْل الأساطين وتذهيب رؤوسها ، وتغيير ما يمكن تغييره من الرخام ، وأمر بترخيم الحائط الشمالية ، ولم تكن قبل مرخَّمة ، على مثال الحائط القِبلية ، فجلب إليها الرخام من كل جهةٍ ، وصرف عليها ما يزيد على عشرين ألف دينارٍ ، وأمر بتجديد باب البريد وفرشه بالبلاط ، ونقل سوق الشماعين إلى الحوانيت

٢٦٢ ظ التي في // حائطه ، وكان بها من قبل سوق الأكفان ، وأمر برفع سقف سقاية جيرون ، وكان مسطوحاً ، فجُعل جَملوناً ، ورمّ شَعث قبّة [1] الدم وبيَّضها . وبنى دور ضيافة برسم الرّسل الواردين والوافدين مجاورة لسوق الخيل وإلى جوارها طبل خاناة وفرش

(*) إشارة إلى بدء « الثامن والعشرون من الجزء الثاني » .

(١) كذا في اليونيني ٣ : ٢٦٠ ؛ وفي ابن شاكر (الفوات ١ : ٢٤٤) وابن تغري بردي (النجوم ٧ : ١٩٧) « مغارة » . ومغارة الدم واقعة بجبل قاسيون ، ويقال أن فيها قتل قابيل أخاه هابيل . (ياقوت ٤ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ؛ ابن شداد ٢/١ : ١٨٢) .

خاناة وإصطبلات برسم خيول القصّاد المُكرّمين في دور الضيافة . وبنى زاويةً للشيخ خضر على جبل المزَّة المطلّ على النيرب ، ورتّب لها وظيفةً على المقيمين بها من الأوقاف الجوامعيّة . وبنى بداريا [1] دِكّةً لرمي النشاب في سفح الجبل طولها ..... [2] ، وعرضها ..... [3] . //

٢٦٣ و **ذكرُ ما جَدَّده بصَرخد من العماير :**

كان التّتر لما استولوا عليها هدموا شراريف قلعتها ورؤوس أبراجها ، فلّما مَلك ـ قدّس الله روحه ـ بنى ذلك ورَمّه ، وأَصلح جامعها ومساجدها ، وكذلك فعل ببُصرى وعجْلون والصلت ، وكان الحال فيها كالحال في صَرْخَد .

ذكْرُ ما جَدّده ببعلبك من العماير :

جدَّد ما كان التّتر هدموا من شرافات قلعتها ورؤوس أَبراجها ، وبنى بُـرج الطلاّقات ، وبنى في وسط القلعة باشورة وعلاّها بحيث تُشرف على البلد جميعه ، وجدَّد بابها والدّركاة . وجدَّد المسجد الذي برأس العين ، وفتح فيه شبابيك . وأَنشأ زاويةً للشيخ خضر ، وزاويةً للشيخ // حسن البلامي ، وزاويةً للشيخ عبد الله اليونيني ، ووسّع مسجد الحنابلة وزاد فيه رواقاً ثانياً ، وأمر بتجديد عمارة جامع البلد والزيادة فيه ، وكان قد تشعّث . ٢٦٣ ظ

ذكرُ ما جدَّده في قبر نُوحٍ عليه السلام :

لما عبر مولانا الصاحب بهاء الدين علي بن محمد لقصد مولانا السلطان ، وهو على حصن عكّار ، على قبر نوح [بقرية الكرك] [4] قصد زيارته ، فرأى الضريح مقطوعاً قطعتين وبينهما طريق يُسلك فيه ، فابتاع دارين جوار المكان وهدمهما ،

---

(١) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . (ياقوت ٢ : ٤٣١ ـ ٤٣٢) .

(٢) و (٣) فراغ في الأصل .

(٤) ما بين الحاصرتين من اليونيني ٣ : ٢٦٠ .

وجعلهما طريقاً ، وجمع بين القطعتين حتى لا تُنتهك الحُرمة بالمرور بينهما ، ولما اجتمع بالسلطان ـ تغمّده الله برحمته ـ عرَّفه ما رأى وما فعل ، فأمر بعمل درابزين حول الضَّريح ، فعُمل بدمشق ، ورُكِّب عليه ، وأمر بعمارة المسجد المجاور للضريح ، ٢٦٤ و وبنى له منارةً // وطبقةً يحل بها من يقصد الزيارة من الأعيان .

ذكرُ ما جدَّده بحصن الأكراد من العماير :

جدَّد أَسوارها وعمر قلعتها ، وكانت قد خربت بالمجانيق ، وعقدها حنايا ، وحال بينها وبين المدينة بخندق ، وبنى عليه أبرجةً شاهقةً بطلَّاقاتٍ ، وبنى بها جامعاً للجمعة ، وأنشأ بالرَّبض جامعاً أيضاً ومساجد ، ووقف عليها الوقوفات الدَّارة للقيام بوظايفها وخاناً كبيراً وعدة أسواق تشتمل على حوانيت يباع فيها ساير أصناف المبيعات ، وكذلك فعل في كل ما فتحه من الحصون التي كانت في أيدي الفرنج من بناء الجوامع والمساجد، ٢٦٤ ظ وإجراء الوقوف على ما يقوم بها . وجدَّد بحصن عكّار عمارة قلعته ، وزاد في أبرجتها ، وبنى فيها جامعاً ، وكذلك بنى بربضها جامعاً ومساجد . وجدَّد خان المُحدثة ، وكان قد تهدّم ورتّب فيه خفراً وأسكنهم أبرجةً ، رتَّب فيها الحمام لنقل الأخبار بما يتجدَّد للسُّفَّار [١] ، وبنى من قُصير القُفول ، شرقي دمشق إلى المناخ إلى النبك إلى قارا إلى حمص ، عدَّة أبرجة رتَّب فيها الخفراء والحمام بسبب السُّفّار ، وأجرى لهم الجامكيات على حفظ الطرقات ، وكانت في أيام الملوك لا تُسلك ، وكذلك على القريتين ، وكذلك من دمشق إلى الرحبة إلى تدمر إلى الفُرات [٢] . وكان أهل قارا كلهم نصارى فلما ملك التَّتر البلاد كانوا إلباً على المسلمين يأخذونهم ويبيعونهم للفرنج ، فلما ملك السلطان ـ تغمده الله برحمته ـ البلاد الشاميّة ، أُنهي إليه ما كان عليه أهل قارا من العدوان على ٢٦٥ و المسلمين ، فقصدها في سنة أربع وستين وشنَّ // عليها الغارة ، وقتل بها خلقاً من

(١) عبارة اليونيني (٣ : ٢٦١) وردت كما يلي : « ليقل ما يتجدد من أخبار المسافرين » .

(٢) في المصدر نفسه وابن شاكر (فوات ١ : ٢٤٤) « وكذلك من دمشق إلى تدمر ، والرحبة إلى الفرات » .

النصارى والرهبان ، وشفع في باقيهم أبو العزّ [١] ريّسها ، وهدم كنيستها وبناها جامعاً ، وعمل له منارةً وبركةً في وسطه ، ونقل إليها خلقاً من التركمان وجماعةً من المسلمين ممّا جاورها من البلاد ، وعمر بها سوقاً ، وولى بها حاكماً ووالياً وصيّرها دار إسلام .

ذكرُ ما جدَّده بحمص من العماير :

جدَّد سفح القلعة الغربي ولم يتم ، فتُمِّم في أيام ولده السلطان الملك السَّعيد ، وبنى على باب القلعة طارمةً مُشرفةً ، وجدَّد الدُور السلطانية ، وجدَّد بالمدينة دار الملك المنصور ، وهي تجاه القلعة من جهة الشمال ، وإصطبلاتٍ داخل باب دمشق ، وجدَّد داراً برسم سكنى نايب المُلك ، كانت تُعرف قديماً بالشَرف عيسى ، شُعِّثت في الأيام // ٢٦٥ ظ الناصرية ، ثم تهدّمت في أيام التّتر ، وجدَّد بالرحبة أماكن . وأنشأ قلعة شميميس بجملتها وكانت قد تهدَّمت بأيدي التَّتر ، وأصلح شراريف قلعة شيزر ، وكانت التَّتر قد فعلت بها ما فعلت بالبلاد التي ملكتها من هدم الشراريف وتنقيص الأبرجة ، وكذلك فعل بقلعتي الشغر وبكاس . وجدَّد ببكاس برجاً ، وجدَّد بقلعة بلاطُنس ثلاثة أبرجة حصينة وجامعاً وسوقاً . وجدَّد سور العُليقة ، وقد كاد أن يتهدَّم . وبنى في قلاع الإسماعيلية الثمانية [٢] جوامعاً [٣] ، ورتَّب فيها أيمَّة ومُؤذّنين وقَوَمةً ، وكانت لا تُعرف الصلاة فيها البتَّة منذ ملكوها .

ذكرُ ما جدَّده بحلب وأعمالها من العماير : //

٢٦٦ و بنى ما هدمه التَّتر من قلعة عين تاب والرَّاوَنْدان [٤] ، وبنى بأنطاكية جامعاً مَوضع الكنيسة التي كانت بها ، وكذلك ببُغراس ، وبنى بقلعة البيرة عدة أبرجة ، وفتح لها باباً آخر إلى ناحية الفُرات عظيماً ، ووَسّع خندقها ، وبنى بها أسواقاً في القلعة والرَّبض ،

---

(١) راجع ما ورد في الصفحة ٢٩٣ والحاشية رقم ٢ من الكتاب .

(٢) و (٣) كذا ؛ والصواب : الثمان جوامع .

(٤) قلعة حصينة في الغرب والشمال من حلب (من أعمال حلب) . (الدمشقي : ٢٠٥ ؛ أبو الفدا ، تقويم : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك ٢ : ٤٤٨ ؛ القلقشندي ٤ : ١٢١ ـ ١٢٢) .

وجدَّد جامعها ، وأتقن بناءها ، وشيَّدها غاية التشييد ، ولم يَعتنِ ببلد اعتناءه بها . وأنشأ بالميدان الأخضر ، شمالي حلب ، مصطبةً كبيرةً مرخمةً بالرخام الأصفر ، وأنشأ داراً تحت القلعة داخل باب أربعين [1] ، كانت تُعرف بالملك الرشيد شرف الدين هارون وبالأمير سيف الدين بكتُوت أستاذ دار الملك الناصر ، تشتمل على عدة قاعاتٍ وبيوت ، وجدَّد بدار العدل داراً جامعةً لم تتم . //

٢٦٦ ظ **ذكرُ ما عُمِر في أيَّامه من العماير التي اشتملت كل ناحية منها على ما لم يشتمل عليه مصر من الأمصار :**

منها المنظرتان والبستان والحمَّام ، وذلك من إنشاء الصاحب الوزير تاج الدين محمد وزين الدين أحمد ولدي الصَّاحب فخر الدين [ابن حنا] . وأنشأ الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم على سطح الرصد [2] (رباطاً) [3] للفقراء وبُرجاً ومنارةً . وأنشأ خارج باب القنطرة بمصر بستاناً في أرض كانت تُعرف ببني الشُعيبية [4] في غاية الطول والعرض ، ومناظر مطلّةً على البحر ورَبعاً يشتمل على حوانيت وطباق وحمام وخانٍ في غاية العُمران ، تقوم الناحية التي أنشأ ذلك فيها مَقام بلد لو كان فيها بزّازُون ، وبُني حول جامع ابن طولون مدينةً أعمر ما يكون من المدن ، تشتمل على الدور النفيسة والإصطبلات

٢٦٧ و والخانات والحوانيت مستغنية عن غيرها بما فيها ، واتّصل عمايرها // بالشارع الأعظم من جهة القاهرة ، وكل حوض ابن قميحة [5] الذي على البركة مما يلي مصر ، وكنتُ دخلت هذه البلاد في سنة ثمان وخمسين ، وكل هذه العماير أرض قفراء ليس بها ديار يسكن ذلك الأمراء والرعيّة . وكان بظاهر القاهرة مما يلي القلعة حارة تعرف بالهلالية كانت تشتمل على سُويقة ودُويرات حين قدمتُ البلاد ، وهي الآن مصر من الأمصار

---

(١) من جملة أبواب حلب (وعددها ١٣) . (ابن شداد ١/١ : ١٩ ـ ٢٣) .

(٢) انظر المقريزي ، الخطط ١ : ١٢٥ ـ ١٢٨ .

(٣) ساقط في الأصل ومستدرك في الهامش .

(٤) وتنسب إليهم بركة تعرف ببركة الشعيبية (بظاهر القاهرة) . (المصدر السابق ٢ : ١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٥) وقيل : « حدرة بن قميحة » . (راجع : المقريزي ، الخطط ١ : ٢٩٦ ـ ٢٩٩ و ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، مبارك ، الخطط ٢ : ١١٧) .

الخطيرة يسكنها الأمراء والأجناد والسوقة في الآدُر الجليلة ، وبنى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار بباب الخَرق رَبعاً تجاه الحمّامين اللتين أنشأهما ، وبنى الصاحب زين الدين داخل باب زُويلة في المكان المعروف بالخشابين ثلاث قَياسر مُتّصل بعضها ببعض ، وأوقف بعضها على البيمارستان . وبنى الأمير بدر الدين بيسري بين القصرين داراً جامعةً [1] تشتمل على قاعات وبيوتات مجاورة للحمام التي أنشأها ، وكانت الدار // تُعرف قديماً بدار مجد الدين أخي الفقيه عيسى . وبنى الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني ربعاً بالوزيريّة جليلاً عظيماً كثير الحوانيت والطباق يُضاهي ربع السلطان الذي بناه خارج زُويلة . وبنى رَبعاً آخر قريباً من داره كبيراً أيضاً . وبنى مدرسةً ووقفها على الحديث ومذهب أبي حنيفة .

٢٦٧ ظ

ذِكرُ ما أُنشئ في أيَّامه من الجوامع والخُطب :

قد ذكرنا أنه أنشأ في كل حصنٍ فتحه من أيدي الفرنج والإسماعيلية جامعاً أو جامعين ، ونحن نُعدّدها في هذا الموضع ليكون الوقوف عليها جُملة وهي :

جامع بالرّوضة التي في جزيرة مصر ، وجامع بالمنشية المستجدة ، وجامع الصالح بظاهر القاهرة ، وجامع بالحُسينية ، والجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع // بقطْيا ، وجامعان بصفد ، وجامع بقاقُوم ، وجامعان بالشقيف ، وجامعان بحصن الأكراد ، وجامعان بحصن عكّار ، وجامع بصافيثا ، وجامع ببغراس ، وجامع بأنطاكية ، وجامع بقارا ، وثمانية جوامع بحصون الإسماعيلية .

٢٦٨ و

ذِكرُ ما أُنشئ في أيامه من الحمَّامات بمدينتي مصر والقاهرة وبلديهما :

أنشأ المولى الصاحب بهاء الدين حمّاماً بدرب البقالين بمصر قريباً من داره ، وأنشأ الأمير علاء الدين طَيبرس حمّاماً بجوار داره عند خوخة ابن الفقيه نصر ، وأنشأ الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم حمّاماً بظاهر باب القنطرة بمصر ، وأنشأ الصاحب تاج الدين

---

(١) كان ذلك سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م . (المقريزي ، الخطط ٢ : ٦٩ ـ ٧٠) .

[ابن حنا] حمّاماً بالمعشُوق ، وأنشأ حمّاماً بقرافة مصر الكبرى جوار الرباط الذي
٢٦٨ ظ أنشأه والده الصاحب فخر الدين ـ رحمه الله ـ // وأنشأ الملك المظفّر علاء الدين علي بن
٢٦٩ و صاحب الموصل حمّاماً على شط الخليج المصري مجاوراً لداره . // وأُنشئ بظاهر القاهرة
مما يلي مصر حمّام أنشأها الأمير شمس الدين سُنقر الأشقر بحارة حلب وحمّام بالخليج
أنشأها ..... [1] وحمّام على الخليج أنشأها أبو طالب الشراب دار ، وحمّامان مجاوران
لباب الخرق أنشأهما الأمير بدر الدين بيليك الخزندار ـ رحمه الله ـ إحداهما للرجال
والأخرى للنساء ، وحمّام أنشأًها السلطان الملك السَّعيد في الهِلاليّة ، وحمّام أنشأها
الأمير شمس الدّين آق سُنقر جوار إصطبله الملاصق للسُّور من جهة باب القراطين ،
وحمّام أنشأها الأمير بدر الدّين بيسري جوار حارة بين القصرين ، وحمّام أنشأها الأمير
شمس الدين سُنقر الرُّومي بحارة برجُوان ، وحمّام أنشأها الأمير بدر الدين بيليك
الأيدُمري جوار داره ، وحمّام أنشأها الأمير بدر الدين محمد بك بن بركة خان //
٢٦٩ ظ بالمَقْسِم ، وحمّامان بباب القنطرة أنشأهما الأمير فخر الدين أياز المُقرِّي ، وحمّام
ظاهر باب الفتوح أنشأها المهتار شجاع الدين عَنبر [1] .

---

(١) ذيلت هذه الورقة بما يلي :

« ترحمه بحول الله وقوته إلى اللغة التركية
العبد الفقير إلى الله الغني محمد شرف الدين
المدرِّس بجامعة استنبول
في مجالس آخرها ١٣ صفر الخير
من شهور سنة ١٣٥٦ هجرية على مهاجرها الآفرنجية
الموافق ٢٤ نيسان ١٩٣٧
ميلادية
باستنبول »



فهارس الكتاب



فهرس الأعلام

ـ حرف الألف ـ

ـ حرف الباء ـ

- حرف التاء -

ــ حرف الخاء ــ

ــ حرف الدال ــ

ـ حرف الراء ـ

ـ حرف الزاي ـ

ـ حرف السين ـ

ـ حرف الصاد ـ

ـ حرف الضاد ـ

ـ حرف الطاء ـ

ـ حرف الظاء ـ

ـ حرف العين ـ

ـ حرف الغين ـ

ـ حرف اللام ـ

ـ حرف الميم ـ

ـ حرف النون ـ

ـ حرف الهاء ـ

ـ حرف الواو ـ

ـ حرف الياء ـ

فهرس الجماعات والقبائل والأمم

ـ حرف الجيم ـ

ـ حرف الحاء ـ

ـ حرف الخاء ـ

ـ حرف الدال ـ

ـ حرف الراء ـ

ـ حرف السين ـ

ـ حرف الشين ـ

ـ حرف الصاد ـ

ـ حرف العين ـ



فهرس الأماكن

ـ حرف الألف ـ

ـ حرف الباء ـ

ـ حرف الحاء ـ

ـ حرف الخاء ـ

ـ حرف الدال ـ

ـ حرف الراء ـ

ـ حرف الزاي ـ

ـ حرف السين ـ

ـ حرف الشين ـ

ـ حرف الصاد ـ

ـ حرف الطاء ـ

ـ حرف الكاف ـ

ـ حرف اللام ـ

ـ حرف الميم ـ

ـ حرف النون ـ

ـ حرف الهاء ـ

فهرس أهم المصطلحات التاريخية

ـ حرف الألف ـ

ـ حرف الباء ـ

ـ حرف التاء ـ

ـ حرف الجيم ـ

ـ حرف الحاء ـ

ـ حرف الخاء ـ

ـ حرف الدال ـ

ـ حرف النون ـ

ـ حرف الواو ـ

ـ حرف الياء ـ



فهرس القوافي

ـ قافية الهمزة ـ

ـ قافية الباء ـ

ـ قافية التاء ـ

ـ قافية الجيم ـ

ـ قافية الحاء ـ

ـ قافية الدال ـ

ـ قافية الراء ـ

ـ قافية الزاي ـ

ـ قافية اللام ـ

ـ قافية الميم ـ

ـ قافية النون ـ



فهرس الكتب المذكورة في المتن



المصادر والمراجع

١ ـ المصادر

أولاً : المصادر المخطوطة :

١ ـ ابن أبي الفضائل ، المفضل ، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد** . المكتبة الوطنية بباريس Arabe n° 4525

٢ ـ ابن العديم ، كمال الدين عمر ، **بغية الطلب في تاريخ حلب** . نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث باسطنبول رقم ٢٩٢٥ ، المجلدات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .

٣ ـ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** . الجامعة الأميركية ، بيروت ، نسخة مصورة عن مخطوطة اسطنبول ـ أيا صوفيا : ج ١ ـ ٥ رقم ٢٧٩٧ ؛ ج ١٨ رقم ٣٤٣١ ؛ ج ٢٧ رقم ٣٤٣٩ .

٤ ـ ابن واصل ، جمال الدين محمد ، **مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب** . المكتبة الوطنية بباريس Arabe n° 1702

٥ ـ الحنبلي ، مرعي بن يوسف ، **نزهة الناظرين في تاريخ أخبار الماضين ممن ولي محروسة مصر من سالي العصر من الخلفاء والسلاطين** . صورة شمسية عن نسخة لندن رقم ٢٣٣٢٥ موجودة في :
Institut de Recherche et d'Histoire des Textes, Paris .

٦ ـ الذهبي ، شمس الدين محمد ، **تاريخ الإسلام** . نسخة مصورة عن مخطوطة اسطنبول ، مكتبة أيا صوفيا ، رقمها ٣٠١٣ ـ ٣٠١٤ ، المجلدان : ٢٠ ـ ٢١ .
nstitut de Recherche et d'Histoire des Textes (Pochette 1232), Paris.

٧ ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل :
ـ **تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب** . المكتبة الوطنية ، بباريس Arabe n° 5827 .
ـ **الوافي بالوفيات** ، ج ١٧ ، مكتبة أحمد الثالث ، اسطنبول مخطوط أ ـ أ أ ـ ب .

٨ ـ النويري، شهاب الدين أحمد ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** . المكتبة الوطنية بباريس Arabe n° 1578.

٩ ـ اليونيني ، قطب الدين موسى ، **ذيل مرآة الزمان** . المكتبة الوطنية، باريس . نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باسطنبول ، رقمها ٢٩٠٧ ، الأجزاء : ٢ ، ٣ ، ٤ .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

١ ـ ابن الأبّار ، أبو عبد الله محمد القضاعي ، **المقتضب من كتاب تحفة القادم** . تحقيق إبراهيم الأبياري . المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

٢ ـ ابن أبي الوفاء ، محيي الدين ، **الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية** ، ط ١ ، ج ٢ . حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٣٢ هـ .

٣ ـ ابن أبي الفضائل ، المفضل ، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد** . نشر بلوشيه (E. Blochet) ، باريس ١٩١٩ ـ ١٩٢٩ م .

٤ ـ ابن الأثير الجزري ، عز الدين علي :

ـ **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية** . تحقيق عبد القادر طليمات . دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣ م .

ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** ، ج ١ . دار صادر ـ دار بيروت (ب ـ ت) .

٥ ـ ابن الأخوة ، محمد ، **معالم القربة في أحكام الحسبة** . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

٦ ـ ابن إياس الحنفي ، أبو البركات محمد ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، ج ١ . المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ١٣١١ هـ / ١٩٦١ م .

٧ ـ ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر بن عبدالله ، **كنز الدرر وجامع الغرر** ، ج ٨ . تحقيق أ . هارمان . المعهد الألماني للآثار ، القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٨ ـ ابن بطوطة ، شمس الدين محمد ، **مهذب رحلة ابن بطوطة** ، ج ١ و ٢ . المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ م .

٩ ـ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف :

ـ **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة** . تحقيق ج . د . كارليل . كمبردج ١٦٩٢ م .

- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ، ج ١ . تحقيق أحمد يوسف نجاتي . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، ج ٧ . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

١٠ ـ ابن التلعفري ، محمد بن يوسف ، **ديوان ابن التلعفري** . نشر محمد سليم الأنسي ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٣١٠ هـ .

١١ ـ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد ، **وفيات الأعيان** (١ ـ ٨) . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ـ دار بيروت ١٩٧٢ م .

١٢ ـ ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد ، **الإنتصار لواسطة عقد الأمصار** ، ج ٤ و ٥ ، الطبعة الأولى . المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ١٣٠٩ ـ ١٣١٠ هـ .

١٣ ـ ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن ، **كتاب الذيل على طبقات الحنابلة** ، ج ٢ . مطبعة السنّة المحمدية . القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

١٤ ـ ابن الساعي البغدادي ، علي بن أنجب الدين :
- **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير** ، ج ٩ . باعتناء مصطفى جواد . المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- **مختصر أخبار الخلفاء** . المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ١٣٠٩ هـ .

١٥ ـ ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي ، **كتاب بسط الأرض في الطول والعرض** . تحقيق خوان فرنيط خينيس ، مطبعة كريما ديس ، تطوان ١٩٥٨ م .

١٦ ـ ابن شاكر الكتبي ، صلاح الدين محمد ، **فوات الوفيات والذيل عليها** . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ م .

١٧ ـ ابن شداد ، بهاء الدين يوسف ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٣٣٦ هـ / ١٩٢٧ م .

١٨ ـ ابن شداد ، عز الدين محمد ، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** :
- **الجزء الأول** ـ القسم الأول (تاريخ حلب) . تحقيق دومنيك سورديل . منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ١٩٥٣ م .
- **الجزء الثاني** ـ القسم الثاني (تاريخ مدينة دمشق) ، تحقيق سامي الدهان . منشورات المعهد الفرنسي دمشق ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- **الجزء الثالث** ـ قسمان : ١ ـ ٢ (تاريخ الجزيرة) ، تحقيق يحيى عبارة . منشورات

وزراة الإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٨ م .

١٩ ـ ابن عبد الظاهر ، محيي الدين عبد الله :

ـ **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور** . تحقيق مراد كامل . مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٩٦١ م .

ـ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** . تحقيق عبد العزيز الخويطر . الرياض ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٢٠ ـ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، **تاريخ مختصر الدول** ،ط ١ . تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ م .

٢١ ـ ابن العديم ، كمال الدين عمر ، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** (١ ـ ٢) . تحقيق سامي الدهان . المعهد الفرنسي ، دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٦٨ م .

٢٢ ـ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،ج ٥ . دار المسيرة ، بيروت (ب ـ ت) .

٢٣ ـ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد ، **تاريخ الدول والملوك** ، م ٧ ، ٨ . تحقيق قسطنطين زريق . منشورات الجامعة الأميريكية ، بيروت ١٩٤٢ و ١٩٣٩ م .

٢٤ ـ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد ، **التعريف بالمصطلح الشريف** . مطبعة العاصمة ، مصر ١٣١٢ هـ .

٢٥ ـ ابن الفوطي البغدادي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق ، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** . مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥١ هـ .

٢٦ ـ ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل ، **كتاب البداية والنهاية في التاريخ** ، ج ١٣ و ١٤ . مطبعة السعادة ، مصر (ب ـ ت) .

٢٧ ـ ابن واصل ، جمال الدين محمد ، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، ج ٤ و ٥ . تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور . مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٧ م .

٢٨ ـ ابن الوردي ، زين الدين عمر ، **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)** . المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٢٩ ـ أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن ، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين** ، ط ٢ . دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ م.

٣٠ ـ أبو الفدا ، إسماعيل بن علي ، **كتاب المختصر في أخبار البشر**، ج ٣ و ٤ . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (ب ـ ت) .

٣١ ـ السُبكي ، تاج الدين عبد الوهاب ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، ج ٤ و ٥ . دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (ب ـ ت) .

٣٢ ـ الإدفوي ، كمال الدين جعفر ، **الطالع السعيد الجامع بأسماء أنحاء الصعيد** . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٣٣ ـ الإسحاقي ، **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول** ، ط ١ . القاهرة ١٣١١ هـ .

٣٤ ـ الإسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم ، **طبقات الشافعية** ، ج ١ و ٢ . مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩٠ ـ ١٣٩١ هـ / ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ م .

٣٥ ـ الإصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم ، **المسالك والممالك** . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار القلم ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٣٦ ـ الحميري ، أبو عبد الله محمد ، **كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** . تحقيق إحسان عباس . مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٥ م .

٣٧ ـ الذهبي ، شمس الدين محمد :

ـ **تذكرة الحفاظ** ، م ٢ ، ج ٤ . مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ١٣٣٤ هـ .

ـ **العبر في خبر من غبر** ، ج ٤ و ٥ . تحقيق صلاح الدين المنجد . مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٣ ـ ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ م .

ـ **المختصر المحتاج إليه من تأريخ الدبيثي** ، ج ١ و ٢ . تحقيق مصطفى جواد . بغداد ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .

٣٨ ـ رشيد الدين الهمذاني ، **جامع التواريخ (تاريخ المغول)** ، م ٢ ، ج ٢ . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٠ م .

٣٩ ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن :

ـ **تاريخ الخلفاء** ، ط ١ . مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

ـ **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ، ج ١ و ٢ . مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣٢١ هـ .

٤٠ ـ شافع بن علي بن عباس ، **كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية** . مطابع القوات المسلحة السعودية ، الرياض ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٤١ ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل :

ـ **كتاب الوافي بالوفيات** الأجزاء : ١ ـ ٨ و١٥ .

ج ١ : باعتناء هـ . ريتر ، مطبعة الدولة ، اسطنبول ١٩٣١ م .

ج ٢ : باعتناء س . ديدرينغ ، مطبعة وزارة المعارف ، اسطنبول ١٩٤٩ م .

ج ٣ : باعتناء س . ديدرينغ ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٥٣ م .

ج ٤ : باعتناء س . ديدرينغ ، دار فرانزشتاينر ، بفيسبادن ١٩٥٩ م .

ج ٥ : باعتناء س . ديدرينغ ، دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٠ م .

ج ٦ : باعتناء س . ديدرينغ ، دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٢ م .

ج ٧ : باعتناء إحسان عباس ، دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٦٩ م .

ج ٨ : باعتناء محمد يوسف نجم ، دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧١ م .

ج ١٥ : باعتناء بيرند راتكه ، دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٩ م .

٤٢ ـ الطرسوسي ، مرضي بن علي ، **تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء** ... عني بنشره وتحقيقه كلود كاهين . نشرة الدراسات الشرقية ، م ١٢ ، بيروت ١٩٤٨ م .

٤٣ ـ عماد الدين الأصفهاني ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** . تحقيق محمد محمود صبح . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٤٤ ـ القزويني ، زكريا بن محمد :

ـ **آثار البلاد وأخبار العباد** . دار صادر ـ دار بيروت ١٩٦٠ م .

ـ **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** ، ط ١ . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٣ م .

٤٥ ـ القلقشندي ، أحمد بن علي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، ج ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ . نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

٤٦ ـ المسعودي ، علي بن الحسين ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، ج ١ ، ط ٤ . مطابع السعادة ، مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٤٧ ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد :

- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج ١ ، ق ٢ . تحقيق محمد مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٦ م .
- **المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار** ، ج ١ ـ ٢ ، بولاق ١٢٧٠ هـ .
- **النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود** . منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك** . تحقيق جمال الدين الشيال . مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٤٨ ـ النعيمي ، عبد القادر بن محمد ، **الدارس في تاريخ المدارس** ج ١ و٢ . تحقيق جعفر الحسين . مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ / ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ م .

٤٩ ـ اليافعي ، عبدالله بن أسعد ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، ج ٤ ، ط ١ . مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٣٣٩ هـ .

٥٠ ـ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ، **معجم البلدان** ، الأجزاء ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . دار صادر ـ دار بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ م .

٥١ ـ اليونيني ، قطب الدين موسى ، **ذيل مرآة الزمان** ، مجلد ٢ ، ٣ ، ٤ . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٣٧٥ ـ ١٣٨٠ هـ / ١٩٥٥ ـ ١٩٦١ م .

٥٢ ـ كاتب مراكشي مجهول ، **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار** . نشر وتعليق سعد زغلول ، عبد الحميد . مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م .

ثالثاً ـ المصادر المترجمة :

1 — Aboul Féda, **Géographie d'Aboul Féda,** traduite de l'arabe en francais par M. Stanislas et M. Reinaud, Tome II, partie 2. Paris MDCCCLXXXIII.

2 — Ibn Hauqal, **Configuration de la terre** (Kitāb Ṣūrat al-Ard). Introduction et traduction avec index par J.H. Kramers et G. Wiet, Tome I. Paris 1964.

3 — Ibn Jobaïr, **Voyages d'Ibn Jobaïr,** traduits et annotés par G.— Demombynes, 2 parties, Paris 1949-1953.

4 – Makrizi, Takieddin Ahmad, **Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte,** traduite par M. Quatremère, Tome I, 2ème partie. Paris 1845.

٢ ـ المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١ ـ الباز العريني ، السيد ، **مؤرخو الحروب الصليبية** . مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٢ ـ البغدادي ، إسماعيل :

ـ **هدية العارفين** ، ج ٢ ، مطبعة الحكومة ، اسطنبول ١٩٥١ م .

ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** . اسطنبول ١٩٥١ م .

٣ ـ حمزة ، عبد اللطيف ، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول** . دار الفكر العربي ، مصر ١٩٤٧ م .

٤ ـ خليفة ، حاجي ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** . اسطنبول ١٩٤٥ م .

٥ ـ الخويطر ، عبد العزيز ، **الملك الظاهر بيبرس** ، ط ١ . الرياض ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٦ ـ الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، ط ٣ . بيروت ١٩٦٩ م .

٧ ـ ششن ، رمضان ، **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** ، م ١ . دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٥ م .

٨ ـ كحالة ، عمر رضا ، **معجم المؤلفين** ، ج ١٠ . مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١م .

٩ ـ كرد علي ، محمد ، **خطط الشام** ، ج ٢ ، ٥ و٦ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ م .

١٠ ـ مبارك ، علي ، **الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة** ، ط ١ . المطبعة الأميرية ، بولاق ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦ هـ .

ثانياً : المراجع المترجمة :

١ ـ بروكلمان (Brockelmann) ، كارل :

ـ **تاريخ الأدب العربي** ، ج ٦ . دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ م .

ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ج ٢ ، ط ١ . دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢ ـ رنسيمان (S. Runciman) ، س . : الحروب الصليبية ، م ٢ . دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ م .

٣ ـ دومومبين، Demombynes ، **النظم الإسلامية** . دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦١ م .

٤ ـ ماير (Mayer) ل . أ ، الملابس المملوكية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٥٢ م .

٥ ـ موير (Muir) ، وليم ، **تاريخ دولة المماليك** ، ط ١ . مطبعة المعارف ، مصر ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1 — Brockelmann (C.), **Geschichte der Arabischen Litteratur.** E.J. Brill, Leiden 1943.
2 — Cahen, Claude, **La Syrie du nord à l'époque des Croisades et la principauté franque d'Antioche. Paris 1940.**
3 — Cattenoz (H.G.), Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne, 3ème édition. Rabat 1961.
4 — Demombynes, (G.M.), **La Syrie à l'époque des Mamlouks d'après les auteurs arabes.** Paris 1923.
5 — Grousset, René, **Histoire des Croisades et du Royaume franc de Jérusalem.** Paris 1936.
6 — Sourdel, Dominique, **L'Islam.** Que sais-je ? Paris 1954.
7 — -Tournebize (Fr.),**Histoire politique et religieuse de l'Arménie.** Paris 1900.
8 — Zetterstéen (K.V.), **Beiträge zur Geschichte der Mamlūken-sultane.** Buchhandlūng und Druckerei, vormals E.J. Brill, Leiden 1919.

رابعاً : دوائر المعارف:(1)

١ ـ **دائرة المعارف الاسلامية** (Encyclopédie de l'Islam)

أ ـ الطبعة الإنكليزية القديمة Leyden - London, 1913-1934 (E.I)

ب ـ الطبعة الفرنسية الجديدة Leyden - Paris,1960 - 1978 (E.I 2)

---

(١) ذكرت المواد ومؤلفوها في الحواشي

ج ـ القسم المترجم إلى العربية (١٣٥٢ هـ/١٨٣٣ م) .
٢ ـ **دائرة المعارف** (فؤاد افرام البستاني) ، بيروت ١٩٦٠ ـ ١٩٧١ م .

خامساً : المعاجم :

١ ـ البستاني ، بطرس ، **محيط المحيط** ، مجلدان . مكتبة لبنان ، بيروت . نسخة طبق الأصل عن طبعة ١٨٧٠ م .
٢ ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، جمال الدين ، **لسان العرب** . دار صادر ـ دار بيروت . بيروت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

سادساً : المجلات :

أحمد حطيط ، مادة « ابن شداد : كتابه في السيرة الظاهرية من خلال اليونيني ... » ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد ١٢ ، بيروت ١٩٨٠ م .

— **Revue d'Egypte,** Recueil mensuel de documents historiques et géographiques relatifs à l'Egypte et aux pays voisins, publié sous la direction de Ch. Gaillardot Bey. Le Caire 1895.

محتويات الكتاب


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ISBN 3-515-03697-0
ISSN 0170-3102

Orient-Institut
der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft
Beirut/Libanon, B. P. 2988

Mit Mitteln des Bundesministers für Forschung und Technologie
gedruckt im
Modern Printing Center, Beirut

DIE GESCHICHTE DES SULTANS BAIBARS VON ʿIzz ad-dīn Muḥammad b. ʿAlī b. Ibrāhīm b. Šaddād (st. 684/1285)

Herausgegeben von
Aḥmad Ḥuṭaiṭ

IN KOMMISSION BEI
FRANZ STEINER VERLAG GMBH WIESBADEN
1983

BIBLIOTHECA ISLAMICA

GEGRÜNDET VON HELLMUT RITTER

IM AUFTRAG DER
DEUTSCHEN MORGENLÄNDISCHEN GESELLSCHAFT
HERAUSGEGEBEN VON
STEFAN WILD und GERNOT ROTTER

BAND 31


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



BIBLIOTHECA ISLAMICA 31

DIE GESCHICHTE DES SULTANS BAIBARS VON ʿIzz ad-dīn Muḥammad b. ʿAlī b. Ibrāhīm b. Šaddād (st. 684/1285)

Herausgegeben von
Ahmad Hutait

IN KOMMISSION BEI
FRANZ STEINER VERLAG GMBH WIESBADEN
1983